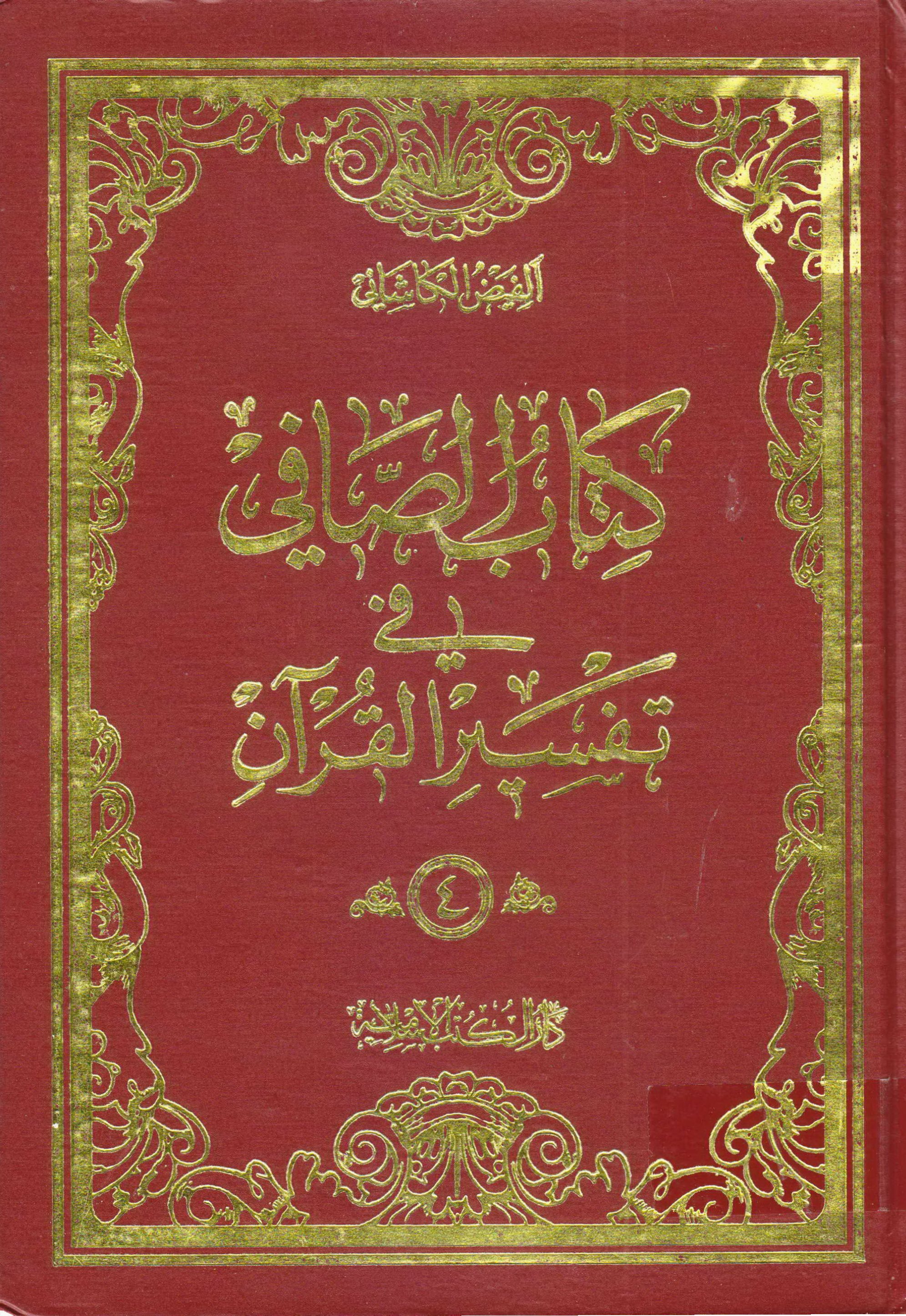
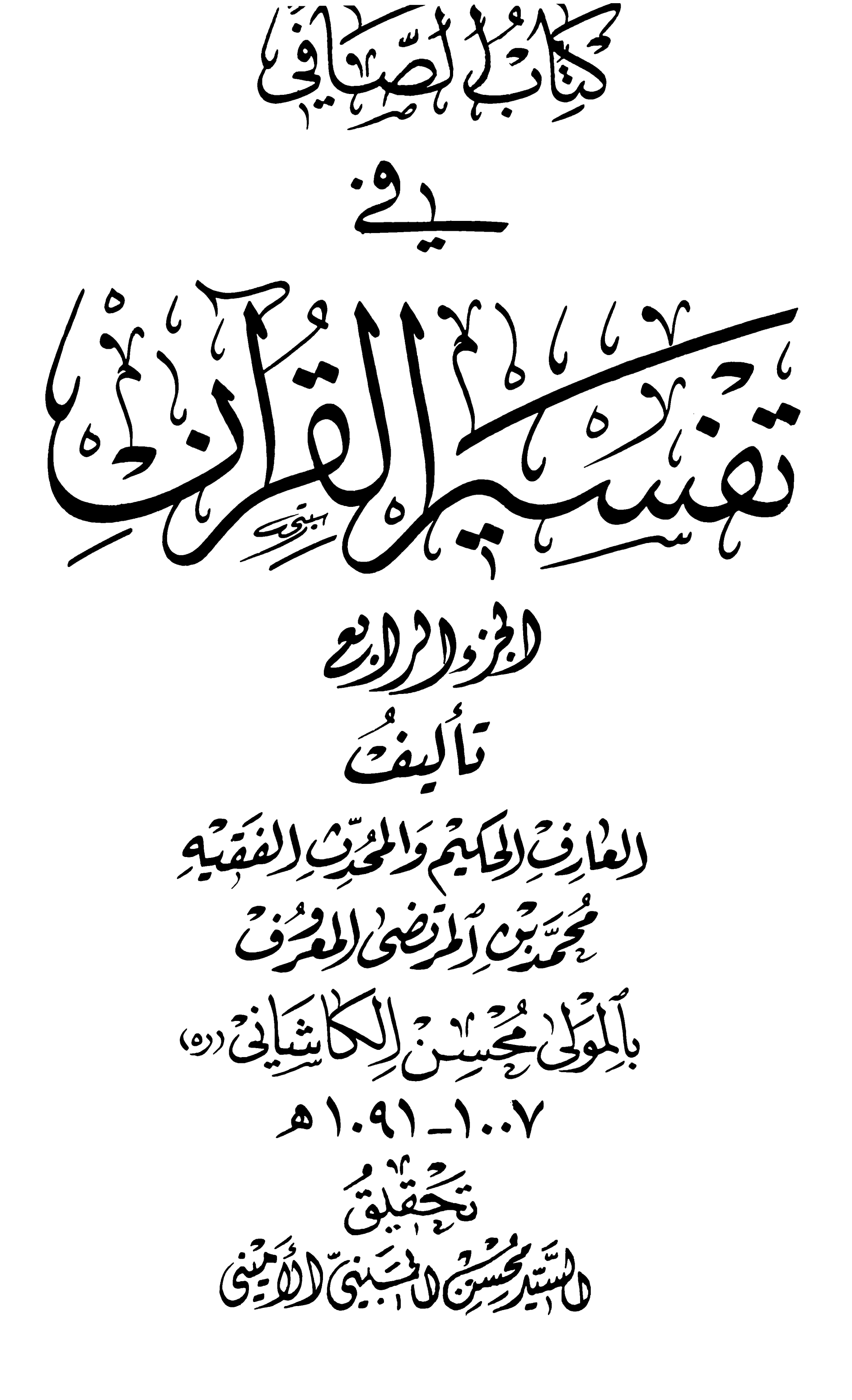

الفيض الكاشاني
كتاب الصافي
في
تفسير القرآن
٤
دار الكتب الإسلامية


كتاب الصافي
في
تفسير القرآن
الجزء الرابع
تأليف
العارف الحكيم والمحدّث الفقيه
محمد بن المرتضى المعروف
بالمولى محسن الكاشاني (ره)
١٠٠٧ـ١٠٩١ هـ
تحقيق
السيّد محسن الحسيني الأميني



﴿الجزء الرابع﴾

* هوية الكتاب:

* اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

* المؤلف: العارف الحكيم والمحدّث الفقيه محمد بن مرتضى المدعو بـ«المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

* تحقيق: العلّامة السيد محسن الحسيني الأميني.

* الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٣٧٧ ش.

* المطبعة: مروى.

* الكميّة: ٢٠٠٠

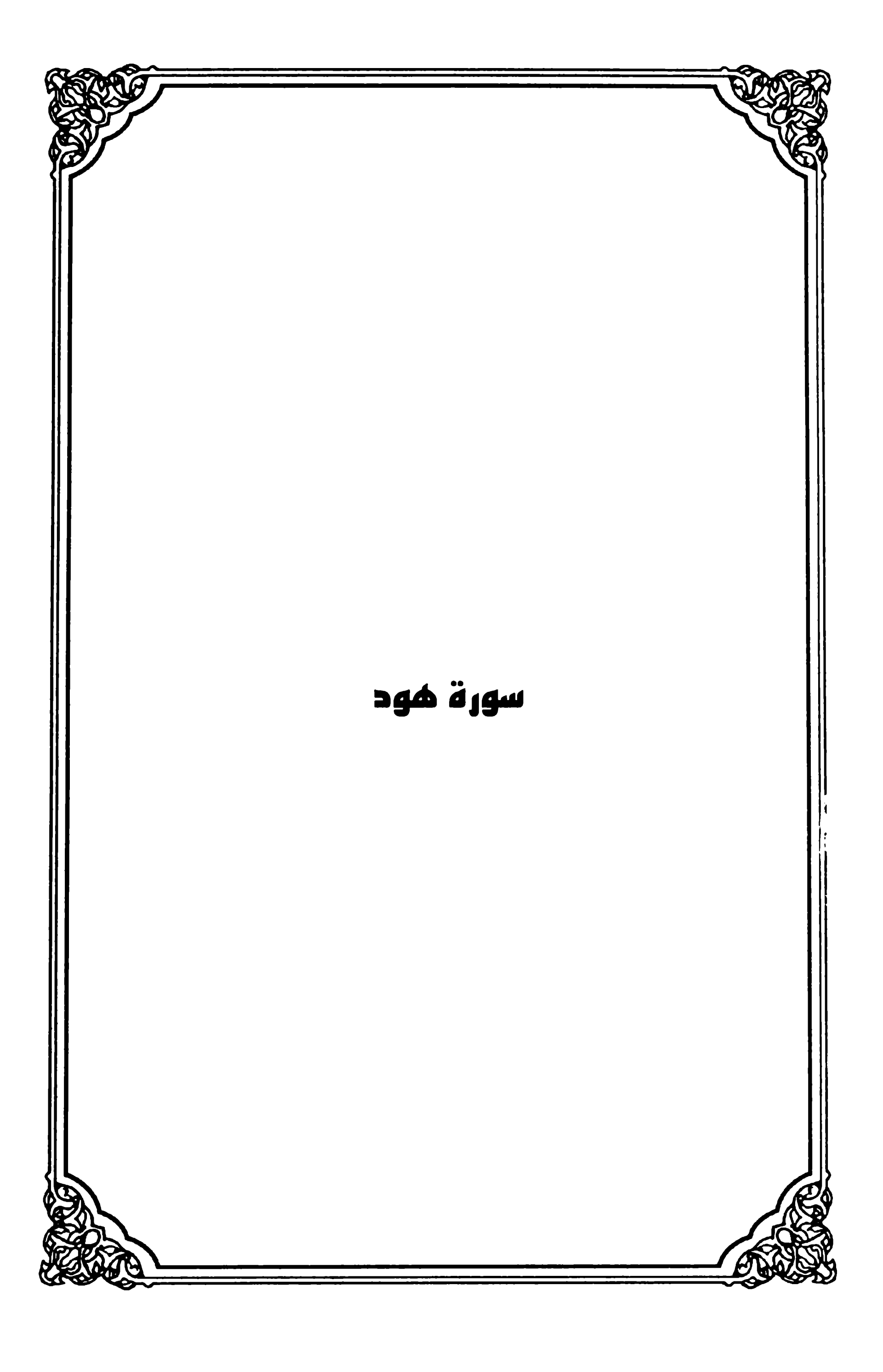
* الناشر: دار الكتب الإسلاميّة ـ ايران ـ طهران ـ بازار سلطاني رقم ٩٩

* تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ ـ ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

* شابك الجزء الرابع: ٩٦٤ ـ ٤٤٠ ـ ٠٨٣. ISBN: 964 - 440 - 083.

* شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩٦٤ ـ ٤٤٠ ـ ٠٨٧ ـ ٩

ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.



سورة هود

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾

سورة هود: مكية في قول الأكثرين، وقال قتادة: إلّا آية وهو قوله: «وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ»[١] فإنها مدنية عدد آيها مائة وثلاث وعشرون آية.



﴿الٓر﴾: سبق تأويله في أوّل سورة يونس.

﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾: نظمت نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خلل كالبناء المحكم.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بدلائل التوحيد، والمواعظ، والأحكام، والقصص، ومعنى «ثمّ»: للتراخي في الحال لا في الوقت، القمّي: عن الباقر عليه السلام هو القرآن[٢].

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾: قال: من عند حكيم خبير.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾: من الله.

﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾: بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد.

---

١ ـ هود: ١١٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٢١.

وَأَنْ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعاً حَسَناً إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

﴿وَأَنْ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾: من الشرك والمعصية.

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: بالايمان والطّاعة.

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعاً حَسَناً﴾: يعشكم في أمن ودعة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً﴾: هو آخر أعماركم المقدّرة.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾: ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: وإن تتولوا.

﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: يوم القيامة، القمّي: يعني الدّخان والصيحة[١].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: في ذلك اليوم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على تعذيبكم أشدّ عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: يعطفونها.

﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾: من الله بسرّهم فلا يطّلع رسوله والمؤمنون عليه أو من رسوله.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢١.

في الكافي[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أخبرني جابر بن عبدالله أنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حول البيت طأطأ أحدهم ظهره ورأسه هكذا وغطّى رأسه بثوبه حتّى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله عزّوجلّ الآية[٢].

والقمي: يكتمون ما في صدورهم من بغض علي عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ آية المنافق بغض عليّ، وكان قوم يظهرون المودّة لعليّ عليه السلام عند النّبي صلى الله عليه وآله وَيسرّون بغضه[٣].

وفي الجوامع: وفي قراءة أهل البيت «يَثْنُونِي» على «يفعوعل» من الثني وهو بناء مبالغة وقرئ: بالياء والثاء[٤].

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطون بثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقوله تعالىٰ: «جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ»[٥].

﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: في قلوبهم.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بأسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها.

قيل: نزلت في طائفة من المشركين قالوا إذا أرخينا ستورنا، واستغشينا بثيابنا[٦]، وطوينا صدورنا على عداوة محمّد كيف يعلم؟[٧].

والقمي: كان النّبي صلى الله عليه وآله إذا حدّث بشيء من فضل عليّ أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه نفضوا ثيابهم، ثمّ قاموا يقول الله: «يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ» حين قاموا «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ»[٨].

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص١٤٤، ح١١٥.
٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٣٩، ح٢.
٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢١.
٤ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص١٣٥.
٥ ـ نوح: ٧.
٦ ـ وفي نسخة: [ثيابنا] كما في المصدر.
٧ ـ أنوار التنزيل: ج١، ص٤٦١، س١٤.
٨ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢١.

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾: لتكفّله إياه تفضّلاً ورحمة.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: موضع قرارها ومسكنها.

﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: قبل الإستقرار في أصلاب الآباء وأرحام الأُمّهات، والبيض.

﴿كُلٌّ﴾: كل واحدة من الدّواب، ورزقها، و مستقرّها، ومستودعها.

﴿فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾: مذكور في اللّوح المحفوظ، في نهج البلاغة: قسّم أرزاقهم، وأحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفاسهم، وخائنة أعينهم، وما تخفي صدورهم من الضمير، ومستقرّهم ومستودعهم من الأرحام، والظهور إلىٰ أن يتناهىٰ بهم الغايات[١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أي خلقهما وما بينهما كما سبق بيانه في سورة الأعراف[٢].

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: قبل خلقهما. القمّي: وكان ذلك في مبدء الخلق[٣].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ الله عزّوجل ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتدع السموات والأرضين ولم يكن قبلهن سموات ولا ارضون أما تسمع لقوله تعالىٰ:

---

١ ـ نهج البلاغة: ص١٢٣، الخطبة ـ ٩٠.

٢ ـ الأعراف: ذيل الآية ٥٤.

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢١.

«وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ»[١].

وفيه[٢]، وفي التّوحيد: عن الصادق عليه السلام سُئل عن قول الله عزّوجل: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ» فقال: ما يقولون؟ قيل: يقولون: إنّ العرش كان على الماء والربّ تعالى فوقه، فقال: كذبوا من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً، ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه، ثم قال: إنّ الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون سماء وأرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر[٣].

وفي حديث القمي: وكان الماء على الهواء، والهواء لا يحدّ ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء عذب فرات[٤].

أقول: تأويل هذه الأخبار عند الراسخين في العلم.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم، ويكلّفم ويعرضهم لثواب الآخِرة ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال: «لِيَبْلُوَكُمْ» أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون، ولما كان في الأختبار معنى العلم، وهو طريق إليه قال: «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

في الكافي: عن الصادق عليه السلام ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله، والنيّة الصادقة[٥].

وروى العامة:[٦] عن النّبي صلى الله عليه وآله أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، واسرع في طاعة الله[٧].

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾: فتوقعوه.

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٢٥٦، ح١، باب نادر فيه ذكر الغيب.
٢ ـ الكافي: ج١، ص١٣٢ ـ ١٣٣، ح٧، باب العرش والكرسي.
٣ ـ التوحيد: ص٣١٩، ح١، باب ٤٩ ـ معنى قوله عزوجل: «وكان عرشه على الماء».
٤ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٦٩.
٥ ـ الكافي: ج٢، ص١٦، ح٤، باب الإخلاص.
٦ ـ هكذا في الأصل، والصحيح وروت العامة.
٧ ـ أنوار التنزيل: ج١، ص٤٦٢ والدر المنثور: ج٣ ـ ٤، ص٣٢٢.

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: تمويه ظاهر لا حقيقة له، وقرئ ساحر.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾: الموعود.

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: قيل: الى جماعة من الأوقات قليلة(١).

والقمي: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني به الوقت(٢).

﴿لَّيَقُولُنَّ﴾: استعجالاً واستهزاءً.

﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: ما يمنعه من الوقوع.

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾: ليس العذاب مرفوعاً(٣) عنهم.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد.

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: القمي: يعني إن متعناهم في هذه الدنيا إلى خروج القائم عليه السلام فنردّهم ونعذّبهم «لَيَقُولُنّ مَا يَحبِسُهُ» أي يقولوا ألّا يقوم القائم؟ الا يخرج؟ على حد الإستهزاء(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: الأُمّة المعدودة: أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر(٥).

---

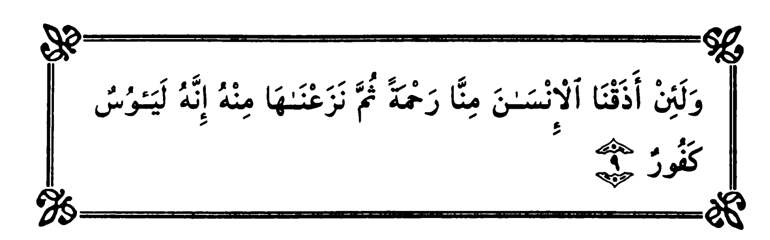
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٦٢.

٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٣.

٣ ـ وفي نسخة: [مدفوعاً].

٤ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٢ ـ ٣٢٣.

٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٣.



والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: هو القائم وأصحابه[1].

وعنه عليه السلام: «إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ» يعني عدة كعدة بدر «لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ» قال: العذاب[2].

وعن الباقر عليه السلام: أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة[3] عشر رجلاً، هم والله الأمة المعدودة التي قال الله في كتابه: وتلا هذه الآية، قال: يجتمعون والله في ساعة واحدة قزعاً[4] كقزع الخريف[5].

وفي الكافي[6]، والمجمع: ما يقرب منه[7].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: نعمة.

﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا﴾: سلبناها منه.

﴿مِنْهُ إِنَّهُ لَيَـُٔوسٌ﴾: شديد اليأس، قنوط من أن تعود إليه تلك النّعمة المنزوعة قاطع رجاءه من سعة فضل الله.

﴿كَفُورٌ﴾: عظيم الكفران لنعمه.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤١، ح٩.

٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٠، ح٧.

٣ ـ البضع ـ بالفتح ـ: ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى الخمس أو ما بين الواحد إلى الأربعة أو من أربع إلى تسع أو هو سبع. القاموس المحيط: ج٣، ص٥، مادة «بضع».

٤ ـ القزع: قطع من السحاب رقيقة، الواحدة: قزعة الصحاح: ج٣، ص١٢٦٥ مادة «قزع».

٥ ـ تفسير العياشي: ج٢ ص١٤٠ ـ ١٤١، ح٨.

٦ ـ الكافي: ج٨، ص٣١٣، ح٤٨٧.

٧ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٤٤.

وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾: كصّحة بعد سقمٍ، وَغنى بعد عدم. وفي اختلاف الفعلين في الإسناد نكتة لا تخفى.

﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾: أي المصائب التي سائتني وحزنتني.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: أشر[١] بطر[٢] مغترّ بها.

﴿فَخُورٌ﴾: على النّاس بما أنعم الله عليه، قد شغله الفرح والفخر عن الشكر والقيام بحقها.

القمي قال: إذا أغنى الله العبد ثم افتقر أصابه الإياس والجزع والهلع، وإذا كشف الله عنه ذلك فرح[٣].

قيل: في لفظتي الإذاقة والمسّ: تنبيه على أنّ ما يجده الإنسان في الدّنيا من النّعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وإنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء، لأنّ الذّوق: إدراك الطّعم، والمسّ: مبدء الوصول[٤].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: في الشدّة على الضرّاء إيماناً بالله واستسلاماً لقضائه.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: في الرّخاء شكراً لآلائه سابقها ولاحقها.

---

١ ـ الأشر ـ بكسر الشين ـ الفرح البطر. مجمع البحرين: ج٣، ص٢٠٧، مادة «أشر».

٢ ـ البَطر: الطغيان عند النعمة، ويقال: هو التجبّر وشدّة النشاط. مجمع البحرين: ج٣، ص٢٢٦، مادة «بطر».

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٣.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل ج١، ص٤٦٢.

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ * فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾: تترك تبليغ بعض ما يوحىٰ إليك، وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردّهم واستهزائهم به.

﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾: ينفقه في الإستتباع كالملوك.

﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾: يصدّقه.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞ﴾: ليس عليك إلّا الإنذار بما أوحي إليك، ولا عليك ردوا[١] أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾: فتوكل عليه فإنّه عالم بحالهم، وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم، ويأتي في هذه الآية إن شاء الله كلام في سورة بني اسرائيل.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزل قديداً[٢] قال لعلي عليه السلام: إني سألت ربي أن يوالي بيني وبينك ففعل، وسألت ربي أن يواخي بيني وبينك ففعل، وسألت ربي أن يجعلك وصييّ ففعل، فقال رجلان من قريش: والله لصاع من تمر في شن[٣] بالٍ أحبّ إلينا ممّا سأل محمد صلى الله عليه وآله ربه، فهلّا سأل ربّه ملكاً يعضده على عدوّه أو كنزاً يستعين به

---

١ ـ وفي نسخة: «ولا عليك ردّ ما اقترحوا».

٢ ـ قُديد ـ مصغّراً ـ: موضع بين مكة والمدينة بينها وبين ذي الحليفة مسافة بعيدة. مجمع البحرين: ج٣، ص١٢٥ مادة «قديد».

٣ ـ الشّن: القربة الخلق. مجمع البحرين: ج٦، ص٢٧٢ مادة «شنن».

على فاقته[1]، والله مادعاه إلى حق ولا باطل إلّا أجابه الله إليه فأنزل الله: «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ»، الآية[2].

والقمي[3]، والعيّاشي: ما يقرب منه[4] وزاد العياشي ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في آخر صلاته رافعاً بها صوته يسمّع النّاس يقول: اللهم هب لعليّ المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين، فأنزل الله تعالى «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا»[5].

فقال رمع[6]: والله لصاع من تمر في شنّ بال أحبُّ إليَّ ممّا سأل محمّد ربّه، ألا سأله مُلكاً يعضده أو كنزاً يستظهر به على فاقته فأنزل الله فيه عشر آيات من هود أوّلها «فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ»، الآية[7].

والعياشي: عن زيد بن أرقم، قال: إن جبرئيل الرّوح الأمين نزل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام عشيّة عرفة فضاق بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله مخافة تكذيب أهل الإفك[8] والنّفاق فدعا قوماً أنا فيهم فاستشارهم في ذلك ليقوم به في الموسم فلم ندر ما نقول له، وبكى. فقال له جبرئيل: يا محمد أجزعت من أمر الله. فقال: كلّا يا جبرئيل، ولكن قد علم ربّي مالقيت من قريش إذ لم يقرّوا لي بالرسالة حتّى أمرني بجهادهم وأهبط إليّ جنوداً من السماء فنصروني، فكيف يقرّون بعليّ[9] عليه السلام من بعدي فانصرف عنه جبرئيل فنزل عليه «فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا» الآية[10].

---

١ ـ وفي نسخة: [أو كنزاً يستغني به عن فاقته] كما في المصدر.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧٨، ح٥٧٢.

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٤.

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤١، ح١١.

٥ ـ مريم: ٩٦.

٦ ـ أقول: لو قلّبت حروف هذه الكلمة تصير «عمر».

٧ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤١ ـ ١٤٢، ح١١.

٨ ـ الإفك: أسوء الكذب وأبلغه، ورجل أفّاك بالتشديد: كذّاب. مجمع البحرين: ج٥، ص٢٥٤ مادة «أفِكَ»، وقال الفيروز آبادي: أفك ـ كضرب وعلم ـ إفكاً بالكسر والفتح والتحريك وأفوكاً: كذّاب. القاموس المحيط: ج٣، ص٢٩٢، مادة «أفِكَ».

٩ ـ وفي نسخة: [العلي] كما في المصدر.

١٠ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤١، ح١٠.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَيٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَيٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾: في البيان وحسن النّظم.

﴿مُفْتَرَيٰتٍ﴾: مختلقات من عند أنفسكم إن صحّ إنّي اختلقته من عند نفسي فإنّكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه، بل أنتم أقدر لتعلّمكم القصص، وتعودكم الأشعار.

﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: إلى المعاونة على المعارضة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إنّه مفترى.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾: أيّها المؤمنون من دعوتموهم إلى المعارضة، أو أيّها الكافرون من دعوتموهم إلى المعاونة.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: ملتبساً بما لا يعلمه إلّا الله، ولا يقدر عليه سواه.

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: وأعلموا أن لا إله إلّا هو، لأنّه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره، لظهور عجز المدعوّين.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: ثابتون على الإسلام، راسخون فيه، أو داخلون في الإسلام مخلصون فيه.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: بإحسانه وبرّه، العياشي: عن الصادق عليه السلام يعني فلان وفلان[1].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٢، ح١١.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾: نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة، والرياسة، وسعة الرّزق، وكثرة الأولاد.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: ولا ينقصون شيئاً من أجورهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾: لأنّهم استوفوا ما يقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾: أي في الآخرة لأنّهم لم يريدوها.

﴿وَبَٰطِلٌ﴾: في نفسه.

﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: لأنه لم يعمل على ما ينبغي، ولم يبق له ثواب في الآخِرة، ويجوز تعليق «فيها» بصنعوا، وإرجاع الضّمير إلى الدّنيا.

القمي: يعني من عمل الخير علىٰ أن يعطيه الله ثوابه في الدّنيا أعطاه الله ثوابه في الدّنيا، وكان له في الآخرة النار[١][٢].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: على برهان من الله يدلّه على الحقّ والصّواب فيما

---

١ ـ وفي نسخة: [وماكان له في الآخرة إلّا النّار].
٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٤.

يأتيه ويذره، والهمزة لأنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصّرين هممهم وأفكارهم على الدّنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة يعني أفمن كان على بيّنة كمن يريد الحياة الدنيا كيف وبينهما بون بعيد.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: يتبعه شاهد يشهد له منه.

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: يعني التّوراة.

﴿إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾: في الكافي: عن الكاظم، والرضا عليهما السلام أمير المؤمنين عليه السلام: الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله على بيّنة من ربه[١].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين، والباقر، والرضا عليهم السلام: إنّ الشاهد منه: علي بن أبي طالب عليه السلام يشهد للنبي صلى الله عليه وآله وهو منه[٢].

والقمي: عن الصادق عليه السلام إنّما نزل «أفمن كان على بينة من ربّه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمةً ومن قبله كتاب موسى»[٣].

وعن الباقر عليه السلام إنّما نزلت «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله «وَيَتْلُوهُ» علي «شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى أُولـٰئك يؤمنون به» فقدّموا وأخّروا في التأليف[٤].

والعياشي: عنه عليه السلام الذي على بينة من ربه رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي تلاه من بعده: الشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم أوصياؤه واحد بعد واحد[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما من رجل من قريش إلّا وقد نزل فيه آية أو آيتان من كتاب الله، فقال رجل من القوم: فما نزل فيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التي في هود: «أَفَمَنْ

---

١ ـ الكافي: ج١، ص١٩٠، ح٣، باب في أنّ الأئمّة شهداء عزوجل على خلقه.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص١٥٠.

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٤.

٤ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٤.

٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٢، ح١٢.

كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ» محمد: على بينة من ربّه، وأنا: الشاهد[١].

وفي الأمالي:[٢]، والبصائر مثله[٣].

وفي الأمالي: وأنا: الشاهد، وأنا: منه[٤].

وفي البصائر: وانا شاهد له فيه وأتلوه معه[٥].

أقول: وعلى هذه الرواية يكون المراد بالبينة: القرآن، ويكون يتلوه من التلاوة.

وفي الإحتجاج: أنّه سئل عن أفضل منقبة له؟ فتلا هذه الآية، وقال: أنا الشاهد من رسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

وفيه في حديث قال: له بعض الزنادقة وأجد الله يخبر أنه يتلو نبيّه شاهد منه وكان الذي تلاه عبدة الأصنام برهة[٧] من دهره[٨].

فقال عليه السلام: واما قوله: «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ» فذلك حجّة الله أقامها الله علىٰ خلقه وعرفهم أنّه لا يستحق مجلس النّبي صلى الله عليه وآله إلّا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلّا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته لئلا يتسع من ماسه رجس الكفر في وقت من الأوقات إنتحال[٩] الإستحقاق لمقام

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٢ ـ ١٤٣، ح١٣.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٧٢، ح ٥١/٨٠٠، المجلس الثالث عشر.

٣ ـ بصائر الدرجات: ص١٥٢ ـ ١٥٣، ح٢، باب ٩ ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام بأحكامه بما في التوراة والانجيل والزبور والفرقان.

٤ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٧٢، ح ٥١/٨٠٠ المجلس الثالث عشر.

٥ ـ بصائر الدرجات ص١٥٢ ـ ١٥٣، ح٢، باب ٩ ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام بأحكامه بما في التوراة والانجيل والزبور والفرقان.

٦ ـ الاحتجاج: ج١، ص٢٣١ ـ ٢٣٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار.

٧ ـ البرهة ـ بضم الموحّدة وفتحها ـ: المدّة الطويلة، يقال: أتى عليه بُرهة من الدهر بالوجهين، أي مدّة طويلة، وزمان كثير. مجمع البحرين: ج٦، ص٣٤٣، مادة «بره».

٨ ـ الاحتجاج: ج١، ص٣٦٥، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٩ ـ الإنتحال: إدعاء قول أو شعر يكون قائله غيره، وإنتحل فلان شعر غيره وتنحّله: إذا إدّعاه لنفسه، والنّحلة: هي النسبة بالباطل ومنه إنتحال المبطلين. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٧٩، مادة «نحل».

الرسول، وليضيق العذر، على من يعينه على إثمه وظلمه إذ كان الله حظر على من مسّه الكفر تقلد ما فوضه إلىٰ أنبيائه وأوليائه بقوله تعالىٰ لابراهيم «لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ»[1] أي المشركين لأنّه سمّى الشّرك ظلماً بقوله «إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»[2]، فلما أُعلم[3] ابراهيم أن عهد الله لا ينال عبدة الأصنام، قال: «وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ»[4] وأُعلم أنّ من آثر المنافقين على الصادقين والكفّار على الأبرار، فقد افترى على الله إثماً عظيماً إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين المحق والمبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وأنّه لا يتلو النبي صلى الله عليه وآله عند فقده إلّا من حل محله صدقاً وعدلاً، وطهارة وفضلاً[5].

وفي المجمع: عن الحُسين بن علي عليهما السلام «شَاهِدٌ مِنَ ٱللهِ»: محمد[6].

أقول: وعلى هذا من كان على بينة يعمّ كلّ مؤمن مخلص ذي[7] بصيرة في دينه، وهذا لا ينافي نزوله في النّبي والوصي، وإلىٰ التعميم نظر من فسّر الشاهد: بالقرآن، أي شاهد من الله يشهد بصحّته.

﴿أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن أو بالرسول.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: من أهل مكة ومن تحزّب معهم على رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾: يردها لا محالة، في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله لا يسمع بي أحد من الأُمة لا يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلّا كان من أهل النار[8].

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: من القرآن أو الموعد.

والعياشي: عن الصادق عليه السلام من ولاية علي عليه السلام[9].

---

١ ـ البقرة: ١٢٤.
٢ ـ لقمان ١٣.
٣ ـ وفي نسخة: [علم] كما في المصدر.
٤ ـ ابراهيم: ٣٥.
٥ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٦٣، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ زنديق في آي متشابهة.
٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ١٥٠.
٧ ـ وفي نسخة: [ذا بصيرة].
٨ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ١٥٠
٩ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤٢، ح ١١.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِين يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَىٰ ٱللهِ كَذِباً أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِين يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ﴾: عن دينه.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾: يطلبون لسبيل الله زيغاً عن الإستقامة يحرّفونها بالتأويل، أو يبغونها بالإنحراف عن الحق والصواب.

﴿وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام أربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً[1].

أقول: الملوك الأربعة: الثلاثة، ومعاوية، وعن الصادق عليه السلام: الأشهاد: هم الأئمة عليهم السلام[2].

القمي: يعني بالأشهاد: الأئمة عليهم السلام، «أَلَا لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ»: آل محمد حقهم، «يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ»: عن طريق الله وهي الإمامة، «يَبْغُونَهَا عِوَجاً» حرفوها إلى غيره[3][4].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤٣، ح ١٥.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤٢، ح ١١.

٣ ـ وفي نسخة: [حرفوها إلى غيرها].

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٥.

أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ما كانوا معجزين الله في الدّنيا أن يعاقبهم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: يمنعونهم من العقاب لو اراد عقابهم ولكنه أخّر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشدّ وأدوم.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: لتصامهم عن الحق وبغضهم له، القمي: قال: ما قدروا أن يسمعوا بذكر أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾: لتعاميهم عن آيات الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: خسروا أنفسهم بما بدّلوا، وضاع عنهم ما حصّلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة.

القمي: بطل الذين دعوه غير أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: لا أحد أبين وأكثر خسراناً منهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: اطمأنّوا إليه

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٥.

مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾

وخشعوا له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن.

﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾: كالأعمى وكالأصم أو كالأعمى الأصمّ.

﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾: كالبصير وكالسميع، أو كالبصير السميع، وذلك لتعامي الكافر عن آيات الله، وتصامّه عن استماع كلام الله، وتأبيه عن تدبّر معانيه.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: بضرب الأمثال والتأمّل فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ﴾: بأنّي لكم وقرئ بالكسر.

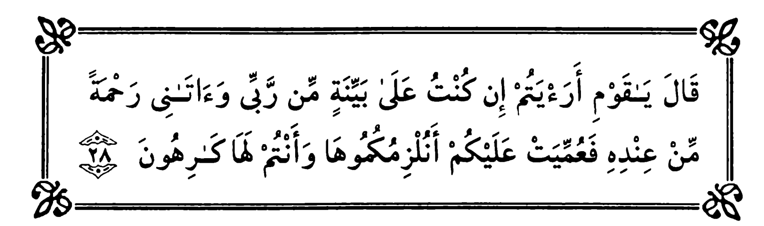
﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أبيّن لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: مولم، قد سبق ذكر اسم نوح ونسبه وشريعته والبشارة به في سورة الأعراف[١].

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف.

---

١ ـ الأعراف: ذيل الآية ٥٩.



﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا﴾: لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: أخساؤنا. القمي: يعني الفقراء و المساكين(١).

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: ظاهر الرأي من غير تعمّق من البدو أو أوّل الرأي من البدء وقرئ بالهمزة وإنّما استرذلوهم لفقرهم فإنّهم لما لم يعلموا إلّا ظاهراً من الحياة الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم أرذل.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾: لك ولمتبعيك.

﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: يؤهّلكم للنّبوة واستحقاق المتابعة.

﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾: أنت في دعوى النبوّة، وإيّاهم في دعوى العلم بصدقِك.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: حجة شاهدة بصحة دعواي.

﴿وَءَاتَـٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾: بإيتاء البيّنة أو النبوة.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: فخفيت عليكم واشتبهت حتّى لم تعرفوها ولم تفهموها فلم تهدكم، وقرئ بضم العين وتشديد الميم.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنكرهكم على الإهتداء بها.

﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ﴾: لا تختارونها ولا تتأمّلون فيها.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٥.

وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ.

﴿مَالًا﴾: جعلاً.

﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: فإنّه المأمول منه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: يعني الفقراء وهو جواب لهم حين سألوا طردهم.

﴿إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾: يلاقونه ويفوزون بقربه فيخاصمون طاردهم فكيف أطردهم.

﴿وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: الحق وأهله أو تتسفّهون عليهم بأن تدعوهم أراذل.

﴿وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: بدفع انتقامه.

﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾: وهم بتلك المثابة.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: لتعرفوا أنّ التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: خزائن رزقه حتى جحدتم فضلي.

قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: ولا أقول إني أعلم الغيب حتى تكذبوني، استبعاداً أو حتى أعلم أنّ هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب.

﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾: حتّى تقولوا ما أنت إلّا بشر مثلنا.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾: ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم من زرى عليه إذا عابه، وإسناده إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنّهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير رؤية.

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْراً﴾: فإنّ ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير مما أتاكم في الدّنيا.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أن قلت شيئاً من ذلك.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا.

﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: فأطلته.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: في الدعوى والوعيد فإنّ مناظرتك لا تؤثر فينا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾: عاجلاً أو آجلاً.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بدفع العذاب والهرب منه.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿يُغْوِيَكُمْ﴾: بأن علم منكم الإصرار على الكفر فخلاكم وشأنكم، في قرب الإسناد[1]، والعياشي: عن الرضا عليه السلام يعني الأمر إلى الله تعالى يهدي من يشاء، وزاد العياشي: ويضل[2].

العياشي[3]، والقمي: عن السجاد عليه السلام نزلت في العباس[4].

أقول: يعني فيه وفي أمثاله إذا عمّم التنزيل.

﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اعتراض.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾: وباله وقرئ بفتح الهمزة على الجمع.

﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾: من إجرامكم في إسناد الإفتراء إلي.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن حزن بائس مستكين.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: أقنطه الله من إيمانهم، ونهاهُ أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء.

في الكافي[5]، والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنّ نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم سراً وعلانية فلّما أبوا وعتوا قال ربّ: «إِنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ»[6] فأوحى الله تعالى إليه «أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ» فلذلك قال:

---

١ ـ قرب الإسناد: ص٣٥٨ ـ ٣٥٩، ح ١٢٨٢.
٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص ١٤٣ ـ ١٤٤، ح١٦.
٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٤، ح١٧.
٤ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٢٣.
٥ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح ٤٢٤.
٦ ـ القمر: ١٠.

وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾

نوح «وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً»[1][2].

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: متلبّساً بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الإختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل.

﴿وَوَحْيِنَا﴾: إليك كيف تصنعها.

﴿وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: ولا تراجعني فيهم، ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم.

﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل إلى كفّه.

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾: حكاية حال ماضيه.

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾: استهزؤوا به لعمله السفينة.

قيل: أنّه كان يعملها في بريّه بعيدة من الماء أوان نجرته، وكانوا يضحكون منه، ويسخرون ويقولون: صرت نجاراً بعدما كنت نبياً؟[3].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ نوحاً لما غرس النّوىٰ مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد غراساً حتّى إذا طال النّخل وكان جبّاراً طوّالاً قطعه، ثم نحته، فقالوا: قد قعد نجّاراً، ثم ألّفه فجعله سفينة فمّروا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون:

---

١ ـ نوح ٢٧. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٤، ح١٨.

٣ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج٢، ص١٤٥. وراجع أنوار التنزيل: ج١، ص٤٦٨، س٣.

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

قد قعد ملّاحاً في فلاة من الأرض حتّى فرغ منها[١].

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾: إذا أخذكم الغرق في الدّنيا والحرق في الآخِرة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يعني به إيّاهم، وبالعذاب: الغرق.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم وهو عذاب النار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾:[٢] نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور، في الكافي[٣]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام كان التنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد يعني مسجد الكوفة فقيل له: فإن ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم ثم سئل وكان بدء وخروج الماءِ من ذلك التنّور؟ فقال: نعم إنّ الله عزّوجلّ أحب أن يُري قوم نوح آية، ثم إنّ الله تعالىٰ أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً، والعيون كلّهنّ فيضاً فغرقهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السّفينة[٤].

وفيه[٥]، والعياشي: عنه عليه السلام جاءت إمرأة نوح إليه وهو يعمل السّفينة فقالت له: إنّ

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٣، ح٤٢٥.

٢ ـ العيّاشي: مرفوعاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام أما والله ما هو تنّور الخبز، ثم أومأ بيده إلى الشمس، فقال: طلوعها. منه قدّس سرّه. راجع تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٧، ح٢٥.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨١، ح٤٢١.

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٣.

٥ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٢، ح٤٢٣.

التنّور قد خرج منه ماء فقام إليه مسرعاً حتى جعل الطّبق عليه فختمه بخاتمه فقام الماء فلمّا فرغ من السّفينة جاء الى خاتمه ففضه[١] وكشف الطبق ففار الماء[٢].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ نوحاً لمّا فرغ من السّفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربّه في إهلاك قومه أن يفور التنّورففار، فقالت إمرأته: إنّ التنّور قد فار، فقام إليه فختمه، فقام الماء وأدخل من أراد أن يدخل وأخرج من أراد أن يخرج، ثمّ جاء إلى خاتمه ونزعه يقول الله «فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ ٱلسَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ»[٣] «وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى ٱلْمَاءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ»[٤] قال: وكان نجرها في وسط مسجدكم[٥].

﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾: في السفينة.

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: أي من كلّ صنف ذكر وصنف أُنثى، وقرئ بتنوين كلّ أي من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين.

﴿ٱثْنَيْنِ﴾: ذكراً وانثى.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: أُريد إمرأته وبنوه ونساؤهم.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾: بأنّه من المغرقين أُريد ابنه كنعان وإمرأته وأهله فإنهما كانا كافرين.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾: والمؤمنين من غيرهم.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام آمن مع نوح عليه السلام من قومه ثمانية نفر[٦]، وفي المعاني: عن الباقر عليه السلام مثله[٧].

والقمي: عن الصادق عليه السلام في حديث فلما فرغ نوح من إتخاذ السفينة أمره الله أن ينادي

---

١ ـ الفض: الكسر، يقال: فضضت الختم فضّاً ـ من باب قتل ـ كسرته مجمع البحرين: ج٤، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، مادة «فضض».

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص١٤٧، ح٢٢.

٣ ـ ماء منهمر: أي كثير سريع الإنصباب، ومنه همر الرجل: إذا أكثر الكلام. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥١٩، مادة «همر».

٤ ـ القمر: ١١ ـ ١٢.

٥ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨١ ـ ٢٨٢، ح٤٢٢.

٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ١٦٠.

٧ ـ معاني الأخبار: ص١٥١، ح١، باب معنى القليل.

بالسّريانية لا يبقىٰ بهيمة ولا حيوان إلّا حضر فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين السّفينة وكان الذين آمنوا به من جميع الدّنيا ثمانين[1] رجلاً فقال الله عزّ وجلّ: «ٱحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ» الآية، وكان نجر السّفينة في مسجد الكوفة، فلمّا كان في اليوم الذي أراد الله عزّوجلّ إهلاكهم كانت إمرأة نوح عليه السلام تخبز في الموضع الذي يعرف بفار التنّور في مسجد الكوفة وكان نوح عليه السلام قد اتخذ لكل ضرب من أجناس الحيوان موضعاً في السّفينة، وجمع لهم فيها ما يحتاجون إليه من الغذاء، فصاحت إمرأته لّما فار التنور فجاء نوح عليه السلام إلى التنّور فوضع عليه طيناً وختمه حتّى أدخل جميع الحيوان السّفينة، ثم جاء إلى التنّور ففضّ الخاتم، ورفع الطين، وانكسفت الشمس، وجاء من السماء ماء منهمر[2] صبّ بلا قطر، وتفجرت الأرض عيوناً وهو قوله سبحانه: «فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ ٱلسَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ»[3][4].

وعن الباقر عليه السلام ليس كل من في الأرض من بني آدم من ولد نوح عليه السلام قال الله تعالى في كتابه: «ٱحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ» إلى قوله: «وَمَنْ ءَامَنَ» وقال: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ»[5][6].

وفي الكافي[7]، والعياشي: عن الصّادق عليه السلام حمل نوح في السّفينة الأزواج الثّمانية التي قال الله «ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ»[8] فكان من الضأن اثنين زوج داجنة[9] يربيها الناس، والزوج الآخر

---

١ ـ أقول: لاتنافي بين ما سبق من أنّه آمن معه من قومه ثمانية نفر، وبين هذا الحديث من كون الذين آمنوا معه من جميع الدنيا ثمانين رجلاً، لجواز أن يكون المراد بالثمانية الذين كانوا في قومه بنوه الثلاثة سام، وحام، ويافث، ونساؤهم، وزوجته المسلمة وبنته، ويكون الباقي من الثمانين من غير أهله. منه قدس سره.

٢ ـ إنهمر الماء: إذا سال. و«ماء منْهَمِرْ» أي كثير سريع الإنصباب. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥١٩، مادة «همر».

٣ ـ القمر: ١١ ـ ١٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٢٧.

٥ ـ الإسراء: ٣.

٦ ـ تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٣٥٧، ح ٨٦.

٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤، ح ٤٢٧.

٨ ـ الأنعام: ١٤٣.

٩ ـ الدواجن: وهي على ما قاله أهل اللغة: الشاة التي تعلفها النّاس في منازلهم، وكذلك الناقة والحمام البيوتي، والأُنثى داجنة، والجمع دواجن، يقال: دجن في بيته إذا ألفه ولزمه. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٤٥، مادة «دجن».

الضأن التي تكون في الجبال الوحشيّة أحلّ لهم صيدها الحديث[١].

وقد سبق تمامه في سورة الأنعام[٢].

وفي المجمع[٣]، والقمي: عنه عليه السلام لما أراد الله هلاك قوم نوح عقّم أرحام النّساء أربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ السّفينة أمره الله أن ينادي بالسّريانية أن يجتمع جميع الحيوانات فلم يبق حيوان إلّا حضر فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين[٤] ماخلا الفأر والسّنّور، وإنّهم لـمّا شكوا من سرقين الدّواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج فأر فتناسل فلمّا كثروا شكوا إليه منهما فدعا بالأسد فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج سنّور[٥].

وفي حديث آخر أنّهم شكوا العذرة فأمر الله تعالى الفيل فعطس فسقط الخنزير[٦].

والعياشي: عنه عليه السلام إنّ نوحاً حمل الكلب في السّفينة ولم يحمل ولد الزنا[٧].

وعنه عليه السلام: ينبغي لولد الزّنا أن لا تجوز له شهادة، ولا يؤمّ بالناس، لم يحمله نوح في السّفينة، وقد حمل فيها الكلب والخنزير[٨].

وفي العلل: عن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنّه سئل ما بال الماعز معرقبة[٩] الذّنب بادية الحياء والعورة؟ فقال: لأنّ الماعز عصت نوحاً لما أدخلها السّفينة فدفعها فكسر ذنبها، والنّعجة مستورة الحياء والعورة، لأنّ النّعجة بادرت بالدّخول إلى السّفينة فمسح نوح يده على حيائها وذنبها فاستوت الإلية[١٠].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٧ ـ ١٤٨، ح٢٦. ٢ ـ الأنعام: ذيل الآية ١٤٣.
٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٠.
٤ ـ إلى هنا موجود في تفسير القمّي: ج١، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧.
٥ ـ أنظر مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٠. ٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٠.
٧ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٨، ح٢٧. ٨ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٨، ح٢٨.
٩ ـ هكذا في الأصل وفي المصدر: ما بال الماعز مفرقعة الذنب.
١٠ ـ علل الشرائع: ص٤٩٤ ـ ٤٩٥، ح١، باب ٢٤٦ ـ العلة التي من أجلها صارت الماعز مفرقعة الذنب بادية الحياء والعورة وصارت النعجة مستورة الحياء والعورة.

وفي الخصال: عن الرضا عليه السلام أتخذ نوح في الفلك تسعين بيتاً للبهائم[١].

والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنّ الله أمر نوحاً أن يحمل في السفينة من كلّ زوجين اثنين فحمل الفحل والعجوة[٢] فكانا زوجاً[٣].

في الكافي[٤]، والعياشي: عنه عليه السلام كان طول سفينة نوح عليه السلام ألف ذراع ومأتي ذراع، وعرضها ثمانمائة ذراع، وطولها في السماء ثمانين[٥].

والقمي: عنه عليه السلام مثله[٦] كما يأتي.

وفي العيون في الخبر الشامي ذكر الطّول ثمانمائة: والعرض خمسمائة[٧].

وفي الكافي: في فضل مسجد الكوفة، قال ومنه فار التنور، وفيه نجرت السّفينة[٨]، ومثله في المجمع: عن الباقر عليه السلام[٩].

وفي رواية في الكافي: ومنه ثارت[١٠][١١].

---

١ ـ الخصال: ص٥٩٨، ح١، باب الواحد إلى المائة.

٢ ـ العجوة والمعاجاة: أن تؤخر الام رضاع الولد عن مواقِته والعجوة بـالضم لبن يـعاجى بـه الصـبي اليـتيم. القاموس المحيط: ٤٩، ص٣٥٩، مادة «عجو» والظاهر أن المراد بها في الحديث أي ذات اللبن.

هذا وفي المصدر يكون هكذا [فحمل النخل والعجوة فكانا زوجاً] فيكون المراد من العجوة كما جاء في لسان العرب: ج٩، ص٧٥: ضرب من التمر يقال هو مما غرسه النّبيّ صلى الله عليه وآله بيده وهو أكبر من الصيحاني يـضرب إلى السواد.

٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص٢٦٢، ح٤٠.

٤ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٣، ح٤٢٦، وفيه: «ثمانين ذراعاً».

٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٩، ح٣٥، وفيه: «ثمانون ذراعاً».

٦ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٦.

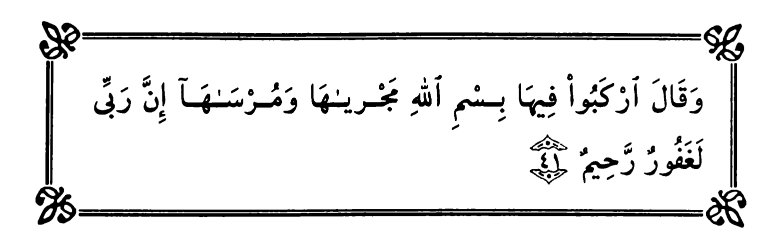
٧ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٤٤، ح١، باب ٢٤ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي: وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة.

٨ ـ الكافي: ج٣، ص٤٩٢، ح٣، باب فضل المسجد الأعظم بالكوفة و فضل الصلاة فيه والمواضع المحبوبة فيه.

٩ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٣.

١٠ ـ هكذا في الأصل وفي نسخة [سارت] كما في المصدر.

١١ ـ الكافي: ج٣، ص ٤٩١ ـ ٤٩٢، ح٢، باب فضل المسجد الأعظم بالكوفة، وفضل الصلاة فيه، والمواضع المحبوبة فيه.



والعياشي: عن سلمان، عن أمير المؤمنين عليه السلام في فضله، فيه نجر نوح سفينته، وفيه فار التنور، وبه كان بيت نوح ومسجده[1].

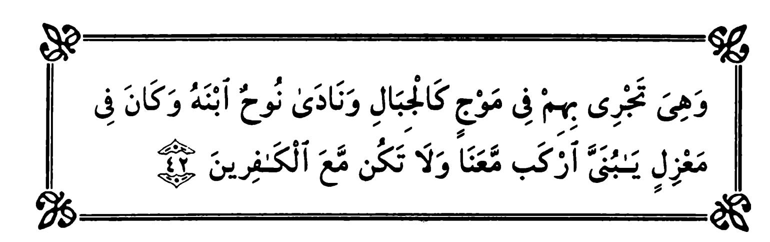
وفي الكافي[2]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام وكان منزل نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات مما يلي غربي الكوفة، وكان نوح عليه السلام رجلاً نجّاراً فجعله الله نبيّاً وانتجبه، ونوح عليه السلام أوّل من عمل سفينة تجري على ظهر الماء فقال: ولبث نوح في قومه «أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامَاً»[3] يدعوهم إلى الهدى فيمرّون به ويسخرون منه، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَىٰ ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارَاً»[4] فاوحى الله إليه يانوح اصنع الفلك وأوسعها وعجل عملها بأعيننا ووحينا، فعمل نوح عليه السلام سفينته في مسجد الكوفة بيده يأتي بالخشب من بعد حتى فرغ منها سئل في كم عمل نوح سفينته حتى فرغ منها قال: في دورين، قيل: وكم الدّورين؟ قال: ثمانون سنة، قيل: فإنّ العامّة يقولون عملها في خمسمائة عام؟ فقال: كلّا والله، كيف والله يقول «وَوَحْيِنَا»[5].

أقول: آخر الحديث يحتمل معنيين أحدهما: إنّ ما يكون بأمر الله وتعليمه كيف يطول زمانه إلى هذه المدة، والثاني: أن يكون قد فسر الوحي هنا بالسرعة والعجلة فإنّه جاء بهذا المعنى، يقال: الوحا الوحا ممدوداً ومقصوراً يعني البدار البدار، والمعنى الثاني أتم في الإستشهاد.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾: صيروا فيها راكبين كما يركب الدّواب في البر.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٤ ـ ١٤٥، ح١٩.
٢ ـ الكافي: ج٨، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠، ح٤٢١.
٣ ـ العنكبوت: ١٤.
٤ ـ نوح: ٢٦.
٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٤ ـ ١٤٥، ذيل ح١٩.



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِيٰهَا وَمُرْسَـٰهَآ﴾: مسمين الله قائلين ذلك، ومعناه بالله، اجراؤها وارساؤها، والقمّي: عن الصادق عليه السلام أي مسيرها وموقفها، وقرئ مجريها بفتح الميم[1].

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته أيّاكم لما نجاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ﴾: من الطّوفان.

﴿كَالْجِبَالِ﴾: كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها، في الخصال: عن الكاظم عليه السلام[2]، وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّ نوحاً لما ركب السفينة أوحى الله إليه: يانوح إن خفت الغرق فهلّلني ألفاً، ثم سلني النجاة أنجك من الغرق ومن آمن معك، قال: فلّما استوى نوح ومن معه في السّفينة ورفع القلس[3] عصفت الريح عليهم فلم يأمن نوح عليه السلام واعجلته الريح فلم يدرك أن يهلل ألف مرة فقال: بالسّريانية هيلوليا ألفاً ألفاً ياماريا أتقن قال فاستوى القلص[4] واستمرت السفينة، فقال نوح: إنّ كلاماً نجاني الله به من الغرق لحقيق أن لا يفارقني، قال: فنقش في خاتمه لا إله إلّا الله ألف مرة يارب اصلح[5].

وفي الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله إنّ نوحاً لما ركب السّفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بمحمّد وآل محمد لمّا أنجيتني من الغرق فنجّاه الله عزّوجل[6].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٢٧.

٢ ـ الخصال: ص٣٣٥، ح٣٦، باب ٦ ـ اهبط الله عزوجل الى ابراهيم عليه السلام خاتماً فيه ستة أحرف.

٣ ـ القلس: حبل ضخم من ليف أوخوص من قلوس السفن الصحاح: ج٣، ص٩٦٥. مادة «قلس».

٤ ـ قلص الشيء يقلص قلوصاً: ارتفع. يقال قلص الظل وقلص الماء: إذا ارتفع في البئر. الصحاح: ج٣، ١٠٥٣. مادة «قلص».

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص٥٥، ح٢٠٦، باب ٣١ ـ فيا جاء عن الرضا من الأخبار المجموعة.

٦ ـ الإحتجاج: ج ١، ص٥٦ ـ إحتجاجه صلى الله عليه وآله على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾: كنعان. القمي[١]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام ليس بابنه إنّما هو ابن إمرأته وهو لغة طيّ يقولون لابن الإمرأة ابنه[٢]، يعني بفتح الهاء[٣].

في المجمع: عن علي والباقر والصادق عليهم السلام إنّهم قرأوا كذلك[٤].

وروي أيضاً ابنها والضمير لإمرأته[٥].

﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾: عزل فيه نفسه عن المركب.

﴿يَـٰبُنَىَّ﴾ وقرئ بفتح الباء.

﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾: في السفينة.

﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: القمي: عن الصادق عليه السلام نظر نوح إلى إبنه يقع ويقوم، فقال له: «يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب» الآية[٦].

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: في الفقيه: عن الصادق عليه السلام إنّه قال ـ حيث أشرف على النجف ـ: هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح، فقال: «سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ» فأوحى الله إليه يا جبل أيعتصم بك منّي أحد؟ فغار[٧] في

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٨.

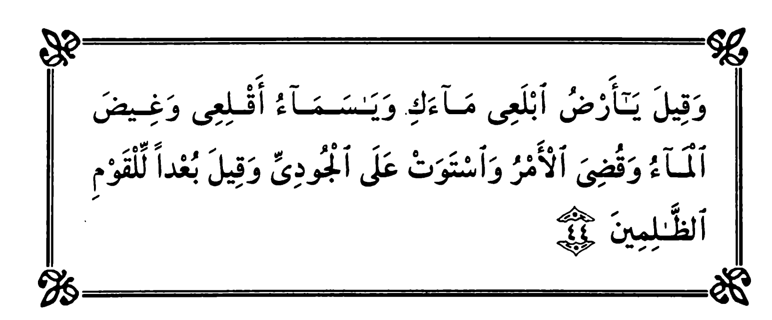
٢ ـ يحتمل أن يكون أصل ابنه على تقدير فتح الهاء إبنها فحذفت الألف ويؤيده الرواية الثانية فتدبر. منه قدس سره.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٤٨ ـ ١٤٩، ح ٣١.

٤ و ٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ١٦٠ و ١٦١ في القراءة.

٦ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٧.

٧ ـ الغور ـ بالفتح من كل شيء ـ: قعره، وأتى الغور وهو المنخفض من الأرض، وغارت العين ـ من باب قعد ـ إنخسفت. المصباح المنير: ص٤٥٦، مادة «غور».



الأرض، وتقطع(١) إلى الشام(٢).

وفي العلل: ما يقرب منه(٣).

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾: إلّا الراحم وهو الله تعالى.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾: بين نوح وابنه.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: إنشفي. العياشي: عن الصادق عليه السلام نزلت بلغة الهند إشربي(٤)، وفي رواية حبشية(٥).

﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾: امسكي نداء الأرض والسماء بما ينادي به العقلاء مما يدل على كمال القدرة والإقتدار، وإنّ هذه الأجرام العظيمة منقادة لتكوينه فيها ما يشاء، غير ممتنعة عليه عارفون جلالته وعظمته يمتثلون أمره على الفور من غير ريث(٦).

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾: نقص.

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين.

﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾: واستقرت عليه، وهو جبل بالموصل.

---

١ ـ تقطع: أي قطعاً بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك. مجمع البحرين: ج٤، ص ٣٨٠، مادة «قطع».

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٥١، ح ١٦١٢ / ١، باب ٢١٨ ـ موضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٣١، ح ١، باب ٢٦ ـ العلة التي من أجلها سمي النجف نجف.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤٩، ح ٣٤.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤٩، ح ٣٤.

٦ ـ راث ريثاً ـ من باب باع ـ: أبطأ، وإسترثته: إستبطأته وأمهلته. المصباح المنير: ص٢٤٧، مادة «ريث».

﴿وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أصله بعد بعداً بعيداً لا يرجى عوده، ثم استعير للهلاك، وخص بدعاء السّوء، قيل الآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها، وحسن نظمها، والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، وإيراد الإخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنّه متعين في نفسه مستغني عن ذكره إذلا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار(١).

القمي: عن الصادق عليه السلام في حديث فدارت السفينة وضربتها الأمواج حتى وافت مكة، وطافت بالبيت، وغرق جميع الدنيا إلّا موضع البيت، وإنّما سمي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق، فبقي الماء ينصب من السماء أربعين صباحاً، ومن الأرض العيون حتى ارتفعت السفينة فمسحت السماء، قال فرفع نوح عليه السلام يده فقال: يا رهمان اتقن، وتفسيرها يا رب أحسن، فأمر الله عزّوجلّ الأرض أن تبلع ماءها وهو قوله عزّوجلّ: «يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى» أي إمسكي «وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ»، فبلعت الأرض ماءها فأراد ماء السماء أنّ يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها وقالت: إنّما أمرني الله عزّوجلّ أن أبلع مائي فبقي ماء السماء على وجه الأرض، واستوت السفينة على جبل الجودي، وهو بالموصل جبل عظيم فبعث الله عزوجل جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدنيا(٢).

والعياشي: ما يقرب من بعض ما تضمّن هذا الحديث وهو دعاء نوح وقصّة امتناع الأرض(٣).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إنّ الله عزّوجل أوحى إلى نوح وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم فحمله في جوف السفينة حتى طاف ماشاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله تعالى للأرض: «ٱبْلَعِى مَآءَكِ» فبلعت ماءها من

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص ٤٧٠.

٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٨.

٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٦، ح٢١.

مسجد الكوفة كما بدأ الماء منه، وتفرّق الجمع الذي كان مع نوح عليه السلام في السّفينة[١].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام إنّ نوحاً عليه السلام كان في السفينة وكان فيها ماشاء الله وكانت السّفينة مأمورة فطاف[٢] بالبيت، وهو طواف النساء، وخلى سبيلها نـوح عليه السلام فأوحـى الله عزّوجلّ إلى الجبال إني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكنّ فتطاولت[٣] وشمـخت[٤] وتواضع الجودي، وهو جبل عندكم فضربت السّفينة بجؤجؤها[٥] الجبل، قال: فقال نوح عند ذلك: يا ماري أتقن وهو بالسريانية: رب أصلح[٦].

وفي المجمع[٧]، والعياشي: ما يقرب منه، قال: وهو جبل بالموصل[٨].

والعياشي: عن الباقر عليه السلام سمع نوح عليه السلام صرير[٩] السّفينة على الجودي فخاف عليها فأخرج رأسه من كوة كانت فيها فرفع يده وأشار بإصبعه وهو يـقول: «يـا رهمـان اتـقن» تأويلها رب أحسن[١٠].

وفي الكافي[١١]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل كم لبث نوح ومن معه في السّفينة حتى نضب الماء[١٢] وخرجوا منها؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيـام وليـاليها، فـطاف بـالبيت أُسبوعاً، ثم استوت على الجودي، وهو فرات الكوفة[١٣].

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٢٢ ـ ٢٣، ح٥١ / ٨، باب ٧ ـ فضل زيارته عليه السلام.

٢ ـ هكذا في الأصل. وفي المصدر «فطافت».

٣ ـ تطاول: علا وإرتفع، والتطاول: ضد الخشوع. مجمع البحرين: ج٥، ص٤١٤، مادة «طول».

٤ ـ شمخ بأنفه: أي إرتفع وتكبّر، ومنه الأصلاب الشامخة: أي العالية، والجبال الشوامخ: هي الشواهق، ويـقال: شمخ الجبل يشمخ بضمتين: إرتفع. مجمع البحرين: ج٢، ص٤٣٥، مادة «شمخ».

٥ ـ جؤجؤ الإنسان والطائر والسفينة: الصدر. تاج العروس: ج١، ص١٦٥، مادة «جأجأ».

٦ ـ الكافي: ج٢، ص١٢٤، ح١٢، باب التواضع. ٧ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٤.

٨ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص ١٥٠ ـ ١٥١، ح ٣٨.

٩ ـ صرّ يصرّ صريراً: صوت وصاح شديداً. مجمع البحرين: ج٣، ص٣٦٤، مادة «صرر».

١٠ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥١، ح٣٩. ١١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨١، ح٤٢١.

١٢ ـ نضب الماء نضوباً ـ من باب قعد ـ: غار في الأرض. المصباح المنير: ص٦٠٩، مادة «نضب».

١٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٦، ح٢١.

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾

وفي رواية وسعت بين الصفا والمروة[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام ارتفع الماء على كل جبل وعلى كلّ سهل خمسة عشر ذراعاً[٢].

أقول: لعل ارتفاعه هذا المقدار بعدما استوى على الجميع وخفي فيه كل سهل وجبل.

وفي الخصال: عنه عليه السلام إنّ نوحاً لما كان أيام الطوفان دعا مياه الأرض فاجابته إلّا الماء المر والكبريت[٣].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾: وقد وعدت أن تنجي أهلي.

﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾: أعدلهم وأعلمهم.

﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: الذين وعدتك بنجاتهم لأنّه ليس على دينك.

في المجمع[٤]، والعياشي[٥]، والعيون: عن الرّضا، عن الصّادق عليهما السلام إنّ الله قال لنوح: انه ليس من أهلك لأنّه كان مخالفاً له، وجعل من اتبعه من أهله[٦].

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾: تعليل لنفي كونه من أهله، وجعلت ذاته عملاً غير صالح

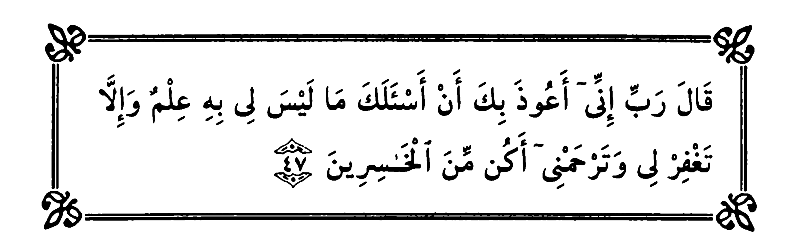
---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٤٩، ح٣٥. ٢ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٤، ح٤٢٨.

٣ ـ الخصال: ص٥٢، ح٦٧، باب الإثنين ـ ماءان لم يجيبا نوحاً لمّا دعا المياه.

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٧. ٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥١، ح٤١.

٦ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٧٥ ـ ٧٦، ح٣، باب ٣٢ ـ في ذكر ماجاء عن الرضا عليه السلام من العلل.



مبالغة في ذمّه، وقرئ: عَمَلَ بصيغة الماضي وغَيرَ بالفتح: أي عمل عملاً غير صالح.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام كيف يقرأون هذه الآية؟ قيل: من النّاس من يقرأ: أنه عمل غير صالح، ومنهم من يقرأ أنّه عمل غير صالح فمن قرأ أنه عمل غير صالح نفاه عن أبيه، فقال عليه السلام: كلّا لقد كان إبنه ولكن لمّا عصى الله نفاه عن أبيه، كذا من كان منّا لم يطع الله فليس منّا[١].

وفي رواية أُخرى نفاه عنه حين خالفه في دينه[٢].

والعياشي: ما في معنى الرواية الثانية[٣].

﴿فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لا تعلم أصواب هو أم لا حتى تعرف كنهه، وقرئ تسألَنَّ بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة، وبكسر النون المشددة وإثبات الياء.

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ﴾: فيما يستقبل.

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لا علم لي بصحته تأدباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك.

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾: ما فرط مني من السؤال.

﴿وَتَرْحَمْنِيٓ﴾: بالتوبة والتفضل عليّ.

﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: أعمالاً، قاله على سبيل الخضوع لله والتذلل له والإستكانة.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٢٣٢، ح١ باب ٥٨ ـ قول الرضا عليه السلام لأخيه زيد بن موسى حين افتخر على من في مجلسه.

٢ ـ عيون اخبار الرضا: ج٢، ص٧٥ ـ ٧٦، ذيل ح٣، باب ٣٢ ـ في ذكر ماجاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥١، ح٤١.

قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾: أنزل من السفينة مسلماً من المكاره محفوظاً من جهتنا.

﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ﴾: ومباركاً عليك، والبركات: الخيرات النامية.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾: يعني في السفينة لأنّهم كانوا جماعات أو لتشعب الأمم منهم.

﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾: أي وممن معك أُمم سنمتّعهم في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أراد بهم الكفّار من ذريّة من معه، القمي: عن الصادق عليه السلام فنزل نوح بالموصل من السّفينة مع الثمانين، وبنوا مدينة الثمانين، وكانت لنوح ابنة ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها، وذلك قول النبي صلى الله عليه وآله نوح أحد الأبوين[1].

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى قصة نوح.

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أي بعضها.

﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَاصْبِرْ﴾: على مشاق الرسالة وإيذاء القوم كما صبر نوح.

﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ﴾: في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوز.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٨.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: عن الشرك والمعاصي، القمي: عن الصادق عليه السلام بقي نوح في قومه ثلاث مائة سنة يدعوهم إلى الله عزّوجلّ فلم يجيبوه فهم أن يدعو عليهم فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا وهم العظماء من الملائكة، فقال لهم نوح: من أنتم؟ فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا، وإنّ غلظ مسيرة السماء الدنيا خمسمائة عام، ومن السماء الدنيا إلى الدنيا خمسمائة عام، وخرجنا عند طلوع الصّبح ووافيناك في هذا الوقت فنسألك أن لا تدعو على قومك، فقال نوح عليه السلام: قد اجلتهم ثلاثمائة سنة، فلمّا أتى عليهم ستمائة سنة ولم يؤمنوا همّ أنّ يدعو عليهم فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية، فقال نوح عليه السلام: من أنتم؟ قالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية وغلظ السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الثانية إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وغلظ السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام خرجنا عند طلوع الشمس، ووافيناك ضحوة نسألك أن لا تدعو على قومك، فقال نوح عليه السلام: قد أجلتهم ثلاثمائة سنة، فلما أتى عليهم تسعمائة سنة ولم يؤمنوا هم أن يدعو عليهم فأنزل الله عزّوجلّ «أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ»[1] فقال نوح: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَىٰ ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا»[2] فأمره الله عزوجل أن يغرس النّخل وأقبل بغرس النّخل، فكان قومه يمرّون به ويسخرون منه، ويستهزؤن به، ويقولون: شيخ قد أتى له تسعمائة سنة يغرس النخل، وكانوا يرمونه بالحجارة، فلمّا أتى لذلك خمسون سنة وبلغ النّخل واستحكم أمر بقطعه فسخروا منه، وقالوا: بلغ النّخل مبلغه وهو قوله عزّوجلّ «وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»[3] فأمره الله أن

---

١ ـ هود: ٣٦.   ٢ ـ نوح: ٢٦ ـ ٢٧.
٣ ـ هود: ٣٨ ـ ٣٩.

يتخذ السّفينة وأمر جبرئيل عليه السلام أن ينزل عليه ويعلمه كيف يتخذها فقدّر طولها في الأرض ألفاً ومأتي ذراع، وعرضها ثمانمائة ذراع، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً، فقال: يا رب من يُعينني على اتخاذها فأوحى الله عزّوجلّ إليه ناد في قومك من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضّة، فنادى نوح عليه السلام فيهم بذلك فأعانوه عليه، وكانوا يسخرون منه، ويقولون: يتخذ سفينة في البرّ[1].

وفي الإكمال: عنه عليه السلام وأمّا إبطاء نوح عليه السلام فإنّه لما استنزل العقوبة على قومه من السماء بعث الله تبارك وتعالى جبرئيل الرّوح الأمين معه سبع نوايات فقال: يانبيّ الله إنّ الله تعالى يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي لست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلّا بعد تأكيد الدّعوة وإلزام الحجة فعاود إجتهادك في الدعوة لقومك فإني مثيبك عليه، وأغرس: هذه النّوى فإنّ لك في نباتها وبلوغها وادراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشر بذلك من اتبعك من المؤمنين، فلما نبتت الأشجار وتأزرت وتسوّقت واغتصنت وزهى[2] التمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله العدة فأمره الله تعالىٰ أن يغرس نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والإجتهاد، ويؤكد الحجة على قومه فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به، فارتدّ منهم ثلاثمائة رجل، وقالوا لوكان ما يدعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربّه خلف، ثم إنّ الله تعالى لم يزل يأمره عند كلّ مرة بأن يغرسها تارة بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرات، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتد منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلاً فأوحى الله تبارك وتعالى عند ذلك إليه، وقال: يا نوح الآن اسفر الصبّح عن الليل، لنعينك حين صرح الحقّ عن محضه، وصفا من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة فلو إني أهلكت الكفار وأبقيت من قد إرتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدقت[3] وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك، واعتصموا بحبل نبوتك بأني أستخلفهم في الأرض، وأُمكّن لهم

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٥ ـ ٣٢٦. وفيه «ينحت سفينة في البر».

٢ ـ زها النخل يزهو: ظهرت ثمرته. وأزهى يزهي: إحمرّ واصفرّ مجمع البحرين: ج١، ص ٢١٠ مادة «زها».

٣ ـ وفي نسخة: [كما كان صدق وعدي السابق].

دينهم، وأبدّلهم خوفهم بالأمن، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشرك من قلوبهم، وكيف يكون الإستخلاف والتمكين وبذل الأمن منّي لهم مع ماكنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم التي كات نتائج النفاق وسنوخ الضّلالة. فلو أنّهم تنسموا من الملك الذي أوتي المؤمنين وقت الإستخلاف إذ أهلكت أعداؤهم لنشقوا[1] روائح صفاته ولاستحكمت مرائر نفاقهم وثارت خبال ضلالة قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة، وحاربوهم على طلب الرياسة، والتفرد بالأمر والنهي، وكيف يكون التمكين في الدّين وإنتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب؟ كلاً «فَاصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا»[2][3].

وفي العيون عن الرضا عليه السلام إنّه قيل له يا ابن رسول الله لأيّ علّة أغرق الله تعالى الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال وفيهم من لاذنب له؟ فقال عليه السلام: ما كان فيهم الأطفال، لأنّ الله أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله تعالى ليهلك بعذابه من لاذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح عليه السلام فاغرقوا بتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السلام وسائرهم اغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهد[4].

وفي الكافي[5]، والإكمال: عن الصادق عليه السلام لمّا حسر الماء[6] عن عظام الموتى فرأى ذلك

---

١ ـ استنشقت الماء وغيره: إذا أدخلته في الأنف، واستنشقت الريح: شممتها. ونشقت منه ريحاً طيّبةً ـ بالكسر ـ: أي شممت. الصحاح: ج ٤، ص ١٥٥٩، مادة «نشق».

٢ ـ أقتباس من قوله تعالى: «واصنع الفلك بأعيننا ووحينا» هود: ٣٧.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٣٥٥ ـ ٣٥٦، في حديث طويل ٥٠، باب ٣٣ ـ ماروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام من النص على القائم، وذكر غيبته، وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص٧٥، ح ٢، باب ٣٢ ـ في ذكر ماجاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٥ ـ الكافي: ج٦، ص ٣٥٠، ح ٢، باب العنب.

٦ ـ حسر عن ذراعه حسراً ـ من بابي ضرب وقتل ـ: كشف، وحسرت المرأة ذراعها وخمارها من باب ـ ضرب ـ: كشفته. المصباح المنير ص١٣٥، مادة «حسر».

نوح عليه السلام جزع جزعاً شديداً واغتم لذلك فأوحى الله عزّوجلّ هذا عملك أنت دعوت عليهم، قال يا رب: إني استغفرك وأتوب إليك فأوحى الله إليه أن كل العنب الأسود ليذهب غمك(١).

وعنه عليه السلام: كانت أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة(٢).

وفي الكافي: عنه عليه السلام عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وثلاثمائة سنة، منها ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلّا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وخمسمائة عام بعدما نزل من السّفينة ونضب الماء، فمصّر الأمصار، وأسكن ولده البلدان، ثم إنّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك فردّ عليه نوح عليه السلام فقال: ما جاء بك يا ملك الموت؟ فقال: جئتك لأقبض روحك، قال: دعني أدخل من الشمس إلى الظل، فقال له: نعم فتحولّ، ثم قال: يا ملك الموت كلّ مامرّ بي من الدّنيا مثل تحويلي من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به فقبض روحه(٣).

وعنه عليه السلام: عاش نوح بعد الطوفان خمسمائة سنة ثم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يانوح إنّه قد انقضت نبوتك واستكملت أيّامك فانظر إلى الإسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوة التي معك فإدفعها إلى ابنك سام فإني لا أترك الأرض إلّا وفيها عالم تعرف به طاعتي، ويعرف به هداي، وتكون النجاة فيما بين مقبض النّبيّ ومبعث النّبيّ الآخر ولم أكن أترك الناس بغير حجّة لي وداع إلى وهاد إلى سبيلي وعارفٍ بأمري فإنّي قد قضيت أنّ أجعل لكل قوم هادياً أهدي به السعداء ويكون حجة لي على الأشقياء، قال: فدفع نوح عليه السلام الإسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبّوة إلى سام، وأما حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به، قال: وبشرهم نوح بهود عليه السلام وأمرهم باتباعه وأمرهم أن يفتحوا الوصية في كلّ عام وينظروا فيها ويكون عيداً لهم(٤).

---

١ ـ لم نعثر عليه في إكمال الدين وإتمام النعمة: والظاهر أنه سهو من قلمه الشريف. بل وجدناه في المحاسن: ج٢، ص٣٦٣، ح٢٢٦٤ / ٩٠٠، باب ١١٢ ـ العنب.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ٥٢٣، ح٢، باب ٤٦ ـ ماجاء في التعمير.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٤، ح٤٢٩.

٤ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٥، ح٤٣٠.

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَـالَكُم مِّـنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّـذِى فَـطَرَنِىٓ أَفَـلَا تَـعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾: أخاهم يعني أحدهم كما سبق بيانه في سورة الأعراف[١].

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده.

﴿مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾: وقرئ بالجرّ.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: على الله باتخاذ الأوثان شركاء لله وجعلها شفعاء.

﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾: خاطب كل رسول به قومه إزاحةً للتهمة، وتمحيصاً للنصيحة، فإنها لا تنجع[٢] مادامت مشوبة بالمطامع.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل، والصواب من الخطأ.

﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: إطلبوا مغفرة الله بالإيمان، ثم توسّلوا إليها بالتوبة.

---

١ ـ الأعراف: ذيل الآية: ٦٥.

٢ ـ نجع فيه الأمر والخطاب والوعظ: إذا أثر فيه ونفع مجمع البحرين: ج٤، ص٣٩٤. مادة «نجع».

﴿قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤﴾

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾: كثير الدر.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: ويضاعف قوّتكم، قيل: رغّبهم بالإيمان بكثرة المطر، وزيادة القوة، لأنّهم كانوا أصحاب زروع وبساتين، وكانوا يدلون[١] بالقوة والبطش[٢][٣].

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْاْ﴾: ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه.

﴿مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على إجرامكم.

﴿قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بحجّة تدلّ على صحة دعواك، وهو كذب وجحود، لفرط عنادهم، وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾: بتاركي عبادتهم.

﴿عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: إقناط له من الإجابة والتصديق.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾: أصابك.

﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: بجنون لسبّك إياها وصدك عنها، فمن ثمة تتكلم بكلام المجانين.

---

١ ـ فلان يدل على اقرانه في الحرب كالبازي يدل على صيده،وهو يدل بفلان:أي يثق به.الصحاح:ج٤،ص١٦٩٩.

٢ ـ البطش: الأخذ بسرعة، والأخذ بعنف وسطوة . مجمع البحرين: ج٤، ص١٣٠ مادة «بطش».

٣ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج٢، ص١٥١.

مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ﴾: من إشراككم آلهةً من دونه.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾: واجههم بهذا الكلام مع قوّتهم وشدّتهم وتعطّشهم إلى إراقة دمه ثقةً بالله واعتماداً على عصمته إياه، وإستهانة بهم وبكيدهم وإن اجتمعوا عليه وتواطئوا على إهلاكه.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: تقرير له، والمعنى: أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لن تضرّوني فإني متوكّل على الله واثق بكلاءته، وهو مالكي وما لككم، ولا يحيق بي مالم يرده، ولا تقدرون على ما لم يقدّره.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ﴾: أي إلّا وهو مالك لها، قاهر عليها، يصرفها على ما يريد بها، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أنّه على الحقّ والعدل، لا يضيع عنده معتصم، ولا يفوته ظالم. العيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني إنّه على حق يجزي بالإحسان إحساناً، وبالسيء سيّئاً، ويعفو عمّن يشاء ويغفر سبحانه وتعالى[١].

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: فإن تتولوا.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥١، ح ٤٢.

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾: فقد أدّيت ما عليّ من الإبلاغ وإلزام الحجّة.

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾: وعيد لهم بالإهلاك والإستبدال.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً﴾: بتوليكم.

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيب، فلا يخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: تكرير لبيان ما نجّاهم عنه أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً والتعريض بأنّ المهلكين كما عذبوا في الدنيا فهم معذّبون في الآخرة بالعذاب الغليظ.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾: كفروا بها.

﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ﴾: لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: يعني رؤساؤهم الدّعاة إلى تكذيب الرسل.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أي جعلت اللعنة تابعةً لهم في الدارين تكبّهم في العذاب.

﴿أَلَآ إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾: دعاء عليهم بالهلاك، ودلالة

بأنهم كانوا مستوجبين لمانزل بهم، وفي تكرير «أَلَا» وإعادة ذكر عاد تفظيع لأمـرهم وحث على الإعتبار بحالهم، والحذر من مثل أفعالهم، وإنّما قيل: قوم هود، ليتميزوا عن عاد ارم.

القمي: إنّ عاداً كانت بلادهم في البادية من المشرق إلى الأجفر (١) أربعة منازل، وكان لهم زرع ونخل كثير، ولهم أعمار طويلة، واجسام طويلة، فعبدوا الأصنام، وبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلع الأنداد فأبوا ولم يؤمنوا بهود، وآذوه فكفت السماء عنهم سبع سنين حتّى قحطوا، وكان هود زرّاعاً، وكان يسقي الزّرع فجاء قوم إلى بابه يريدونه فخرجت عليهم إمرأته شمطاء (٢) عوراء، فقالت: من أنتم، فقالوا: نحن من بلاد كذا وكذا أجدبت بلادنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله حتى يمطر ويخصب بلادنا، فقالت: لو استجيب لهود لدعا لنفسه، وقد احترق زرعه لقلة الماء، قالوا فأين هو؟ قالت: هو في موضع كذا وكذا، فجاؤوا إليه فقالوا: يانّبي الله قد أجدبت بلادنا ولم يمطر فسل الله أن يخصب بلادنا ويمطر فتهيّأ للصّلاة وصلّى ودعا لهم فقال لهم: إرجعوا فقد أُمطرتم وأخصبت بلادكم، فقالوا: يا نّبي الله إنّا رأينا عجباً قال: وما رأيتم؟ قالوا: رأينا في منزلك إمرأة شمطاء عوراء قالت لنا: من أنتم ومن تريدون؟ فقلنا: جئنا إلى هود ليدعو الله لنا فيمطر، فقالت: لوكان هود داعياً لدعا لنفسه، فإنّ زرعه قد احترق، فقال هود: ذاك أهلي وأنا أدعو الله لها بطول البقاء، فقالو: وكيف ذلك؟ قال: لأنّه ما خلق الله مؤمناً إلّا وله عدو يؤذيه، وهي عدوي فلأن يكون عدوّي ممّن أملكه خير من أن يكون عدوي ممّن يملكني، فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتى اخصبت بلادهم وأنزل الله تعالى عليهم المطر، وهو قوله عزّوجلّ: «يَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ» (٣) الآيات فلّما لم يؤمنوا أرسل الله تعالى عليهم الريح الصرصر يعني الباردة، وهو قوله تعالى في سورة القمر «كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً

---

١ ـ الأجفر ـ بضم الفاء ـ جمع جفر، وهو البئر الواسعة لم تطو: موضع بين فيد والخزيميّة، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة معجم البلدان: ج١، ص١٠٢.

٢ ـ شَمَطَ ـ بالتحريك ـ: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط والمرأة شمطاء. مجمع البحرين: ج٤، ص٢٥٨. مادة «شمط».

٣ ـ هود: ٥٣.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاً قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍ»[1] وحكى في سورة الحاقة فقال: «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً»[2]. قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيام[3].

أقول: وقد سبق تمام بيان استيصالهم في سورة الأعراف[4].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاً قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: هو كونّكم منها لا غيره فإنّه خلق آدم وموادّ النّطف التي خلق نسله منها من التّراب.

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: استبقاكم من العمر أو أمركم بعمارتها.

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾: منكم.

﴿مُّجِيبٌ﴾: لمن دعاه.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَٰذَآ﴾: نرجو منك الخير لما كانت يلوح منك من مخايلة[5] فكنّا نسترشدك في تدابيرنا ونشاورك في أُمورنا فالآن انقطع رجاؤنا

---

١ ـ القمر: ١٨ ـ ١٩.
٢ ـ الحاقة: ٦ ـ ٧.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠.
٤ ـ الأعراف: ذيل الآيات: ٦٥ ـ ٧٣.
٥ ـ المخايل: جمع المخيّلة وهي: مايوقع في الخيال يعني به الامارات مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦٨ مادة «خيل».

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾

عنك وعلمنا أن لا خير فيك.

﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ ما يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾: من التّوحيد والتبرّي عن الأوثان.

﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريّبة أو ذي ريبة.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: بيان وبصيرة.

﴿وَءَاتَـٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوّة.

﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: فمن يمنعني من عذابه.

﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾: في تبليغ رسالته والنّهي عن الإشراك به.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾: إذاً باستتباعكم إيّاي.

﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: غير أن أنسبكم إلى الخسران أو غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: ترع نباتها وتشرب ماءها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجلٌ.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾: عيشوا في منازلكم أو بلدكم.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحاً وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰماً قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾

﴿ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: ثم تهلكون.

﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحاً وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾: أي ونجيّناهم من خزي ذلك اليوم، وذلّه وفضيحته، ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وبأسه، أو أُريد بيومئذ: يوم القيامة، وقرىء يومئذ: بفتح الميم بناءً على بنائه حين أضيف إلى إذ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: القادر على كلّ شيء والغالب عليه.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: ميتين وأصل الجثوم: اللزوم في المكان، وقد سبق تفسيره في سورة الأعراف[1] مع تمام القصة.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾: كأن لم يقيموا فيها إحياءً.

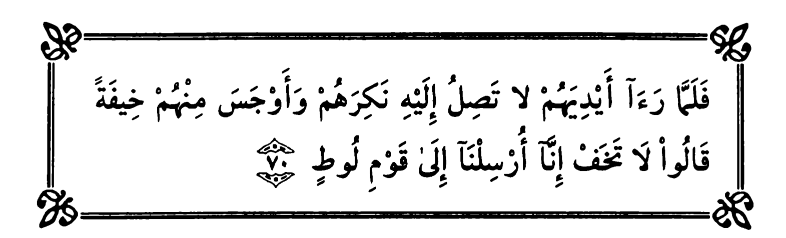
﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ﴾: وقرئ منوناً.

﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ * وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾: يعني الملائكة.

﴿بِالْبُشْرَىٰ﴾: ببشارة الولد، في المجمع: عن الصادق عليه السلام كانوا أربعة جبرئيل

---

١ ـ الأعراف: ذيل الآيات ٧٣ ـ ٧٩.



وميكائيل واسرافيل وكروبيل[١].

وفيه[٢]، والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنّ هذه البشارة كانت باسماعيل من هاجر[٣].

ويأتي من العلل[٤]، والعياشي: إنّها باسحاق[٥].

﴿قَالُواْ سَلَـٰماً﴾: سلّمنا عليك سلاماً أي سلامة.

﴿قَالَ سَلَـٰمٌ﴾: أي أمركم سلام، وقرئ سلم بالكسر والسكون.

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: مشوى نضيج.

العياشي: عن الباقر عليه السلام يعني ذكياً مشويّاً نضيجاً[٦].

وعن الصادق عليه السلام: يعني مشوياً نضيجاً[٧].

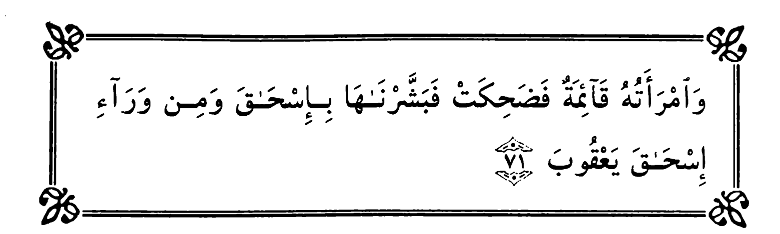
وعنه عليه السلام إنّه قال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه؟ قال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة رئيسهم جبرئيل، فقال: حق لله أن يتخذ هذا خليلاً[٨].

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: لا يمدّون أيديهم إليه.

﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكرهم.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أضمر منهم خوفاً إن يريدوا به مكروهاً.

١ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص١٧٩.
٢ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص١٧٩.
٣ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٢، ح٤٤.
٤ـ علل الشرائع: ص٥٥٠، ح٤، باب ٣٤٠ـ علة تحريم اللواط والسحق.
٥ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٢، ذيل ح ٤٤.
٦ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٢، ح٤٤.
٧ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٤، ح٤٨.
٨ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٣ ـ ١٥٤، ح٤٧.


وَٱمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِـإِسْحَـٰقَ وَمِـن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾: إنّا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب، وإنّما لم نمدّ إليه أيدينا لأنّا لا نأكل.

﴿وَٱمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ﴾: تسمع محاورتهم وهي سارة ابنة لاحج، وهي ابنة خالته.

العياشي: عن الباقر عليه السلام إنّما عنى سارة[1].

﴿فَضَحِكَتْ﴾: سروراً أو حاضت من الفزع.

في العلل[2]، والعياشي: عن الباقر عليه السلام يعني تعجبّت من قولهم[3].

وفي المعاني[4]، والمجمع[5]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام حاضت[6].

والقمي: ضحكت أي حاضت، وقد كان ارتفع حيضها منذ دهر طويل[7].

أقولُ: ومنه قول الشاعر:

وعهدي بسلمى ضاحكاً في لبـابة ... ولم تـعدُ حـقاً ثـديها أن تحـلّبا[8]

ومنه ضحكت الثمرة[9] إذا سال صمغها.

﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾: أي ومن بعده. وقيل:

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٢، ذيل ح ٤٤.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٥٥٠، ح ٤، باب ٣٤٠ ـ علة تحريم اللواط والسحق.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٢، ذيل ح ٤٤.

٤ ـ معاني الأخبار ص ٢٢٤، ح ١، باب معنى الضحك.

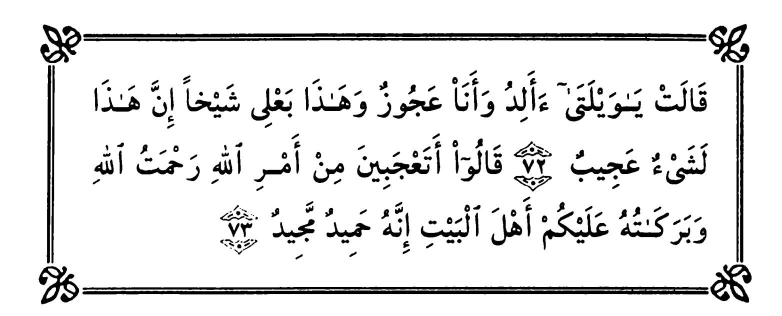
٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٨٠.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٢، ح ٤٥.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٣٤.

٨ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٧٤، س ١٧، وتفسير روح المعاني: ج ١٢، ص ٩٨.

٩ ـ وفي نسخة: [شجرة] كما في تفسير أبي السعود: ج ٤، ص ٣٢٥، وفي أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٧٤، س ١٧، «ضحكت السمرة».



الوراء ولد الولد[١]، وقرئ يعقوب بالرّفع.

﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: يا عجباً وأصله في الشّرّ فاطلق في كلّ أمر فظيع.

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى﴾: زوجي.

﴿شَيْخاً﴾: في العلل: عن أحدهما عليه السلام وهي يومئذ ابنة تسعين سنة، وإبراهيم يومئذ ابن عشرين ومائة سنة[٢].

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: يعني الولد من الهرمين وهو استعجاب بحسب العادة دون القدرة.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: يعني أن هذه وأمثالها ممّا يكرمكم الله به يا أهل بيت النّبوة فليس هذا مكان تعجّب.

﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾: فاعل ما يستوجب به الحمد.

﴿مَّجِيدٌ﴾: كثير الخير والإحسان.

العياشي: عن الصّادق عليه السلام قال: أوحى الله إلى ابراهيم أنّه سيولد لك، فقال: لسارة، فقالت: ءَأَلد وأنا عجوز؟ فأوحى الله إليه أنّها ستلد ويعذّب أولادها أربعمائة سنة بردّها الكلام عليّ، قال: فلمّا طال على بني سرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً فأوحى الله إلى موسى وهرون تخلّصهم من فرعون، فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة. قال: وقال

---

١ ـ قاله: ابن عباس كما جاء في مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ١٨٠ و انظر الكشاف: ج٢، ص٤١١ وأنوار التنزيل: ج١، ص٤٧٤.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٥٥١، ح٦، باب ٣٤٠ ـ علة تحريم اللواط والسحق.

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

أبو عبدالله عليه السلام هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا، فأمّا إذا لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه[1].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: أي ما أوجس من الخيفة يعني لما اطمأنّ قلبه بعد الخوف.

﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: بدل الرّوع.

﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾: يجادل رسلنا في شأنهم ومعناهم، وكان لوط ابن خالته كما سبق ذكره في سورة الأعراف[2]، ومجادلته إيّاهم أنّه قال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال: جبرئيل لا إلى آخر ما يأتي في قصّته.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غير عجول على من أساء إليه بالإنتقام.

﴿أَوَّٰهٌ﴾: كثير الدّعاء. العياشي: عنهما عليهما السلام قالا دعّاء[3].

﴿مُّنِيبٌ﴾: راجع إلى الله تعالى بما يحبّ ويرضى، والغرض من هذا الكلام بيان الحامل له على المجادلة، وهو رقّة قلبه وفرط ترحمه.

﴿يَٰٓإِبْرَاهِيمُ﴾: على إرادة القول، أي قالت الملائكة: يا إبراهيم.

﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾: عن الجدل، وإن كانت الرّحمة دأبك فلا فائدة فيه.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٤، ح ٤٩. وفيه «أن يخلّصهم من فرعون».

٢ ـ الأعراف: ذيل الآية ٨٠.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٤، ح ٥١.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ ٱللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾

﴿إِنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: قضاؤه وحُكمه الّذي لا يصدر إلّا عن حكمة.

﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: لا مردّ له بجدال ولا غيره.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيٓءَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم لأنّهم جاؤوا في صورة غلمان فظنّ أنّهم أُناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾: وضاق بمكانهم ذرعه، وهو كناية عن شدة الإنقباض للعجز عن مدافعة المكروه.

﴿وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديد.

﴿وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يسرعون إليه كأنّهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه.

﴿وَمِن قَبْلُ﴾: ومن قبل ذلك الوقت.

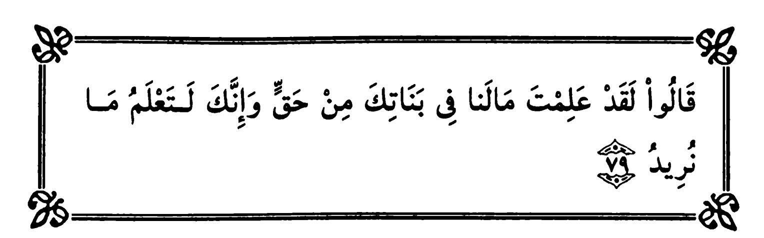
﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾: الفواحش فتمرّنوا بها ولم يستحيوا منها حتّى جاؤوا يسارعون إليه مجاهرين.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾: فتزوجوهنّ، فدّى بهنّ أضيافه كرماً وحميّة.

في الكافي[1]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام عرض عليهم التزويج[2].

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٥٤٨، ح٧، باب اللواط.　　٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٥، ح٥٣.



والعياشي: عن أحدهما عليهما السلام أنّه وضع يده على الباب ثم ناشدهم فقال: اتقو الله ولا تخزون في ضيفي، ثم عرض عليهم بناته بنكاح[1].

والقميّ: مرفوعاً قال عنى به أزواجهم، وذلك أنّ النّبي هو أبو أُمّته فدعاهم إلى الحلال ولم يكن يدعوهم إلى الحرام[2].

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: هنّ أنظف فعلاً وأقلّ فحشاً، قيل: يعني أدبارهن[3].

وفي التهذيب[4]، والعياشي: عن الرضا عليه السلام إنّه سئل عن إتيان الرجّل المرأة من خلفها؟ قال: أحلته آية من كتاب الله قول لوط: «هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» وقد علم أنّهم لا يريدون الفرج[5].

﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ﴾: في مواقعة الذكور.

﴿وَلاَ تُخْزُونِ﴾: ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء أولا تفضحوني من الخزي.

﴿فِي ضَيْفِي﴾: في شأنهم، فإنّ إخزاء ضيف الرّجل إخزاؤه.

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: يهتدي إلى الحقّ، ويرعوي[6] عن القبيح.

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: وعنوا إتيان الذكران.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص ١٥٦، ح٥٤. ٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٥.

٣ ـ لم نعثر على قائله.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج٧، ص٤١٤ ـ ٤١٥، ح١٦٥٩/٣١، باب ٣٦ ـ السنة في عقود النكاح وزفاف النساء وآداب الخلوة والجماع. ٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٧، ح٥٦.

٦ ـ رعا يرعو: أي كفّ عن الأمر، وقد ارعوى عن القبيح: إرتدع، والرَّعوي ـ بالفتح ـ ويرعوي عنه: يكفّ. مجمع البحرين: ج١، ص١٩١، مادة «رعا».

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: لو قويت بنفسي على دفعكم.

﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: أو أويت إلى قويّ أتمنّع به عنكم لدفعتكم عن أضيافي، شبّه القوي العزيز بالرّكن من الجبل في شدّته ومنعته، في الجوامع: قال جبرئيل: إنّ ركنك لشديد افتح الباب ودعنا وإيّاهم[1].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام لو يعلم أيّ قوّة له، وعن النبي صلى الله عليه وآله رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد[2].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنّه منصور حيث يقول: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ» أيّ ركن أشد من جبرئيل معه في الحجرة[3].

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾: أُرسلنا لإهلاكهم فلا تغتم.

﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾: بسوءٍ أبداً.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: من الإسراء وهو السير ليلاً، وقرئ بالوصل من السّري وهو بمعناه.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: بطائفة منه، والعياشي: عن الصادق عليه السلام بقطعٍ من اللّيل مظلماً، قال: هكذا قرأه أمير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: ولا يتخلّف أو لا ينظر إلى ورائه.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾: وقرئ بالرّفع.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٦٠، س٨.
٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٨٤.
٣ ـ الكافي: ج٥، ص٥٤٤، ح٥، باب اللواط.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص١٥٨، ح٥٨.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾: جواب لإستعجال لوط، واستبطائه العذاب، في الجوامع: روى أنّه قال: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح. فقال: أريد أسرع من ذلك لضيق صدره بهم، فقالوا «أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ»[1].

في العلل[2]، والعياشي: عن الباقر عليه السلام فأسر بأهلك يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيام ولياليها «بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ» إذا مضى نصف اللّيل، قال: فلّما كان اليوم الثامن مع طلوع الفجر قدّم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرّونه بإسحاق ويعزّونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ»[3][4].

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: بأن جعل جبرئيل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السّماء ثمّ قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر هي معرّبة من ـ سنگ گِل ـ بدليل قوله تعالى: «حِجَارَةً مِنْ طِينٍ»[5].

﴿مَّنضُودٍ﴾: نضد[6] مُعداً لعذابهم أو ارسل بعضه في أثر بعض متتابعاً، القمي: يعني بعضها على بعض منضدة[7].

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: معلّمة للعذاب، القمي: أي منقوطة[8].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص١٦٠، ص١٤.

٢ ـ علل الشرائع: ص٥٤٩ ـ ٥٥٠، ح٤، باب ٣٤٠ ـ علة تحريم اللواط والسحق. ٣ ـ هود: ٦٩.

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٧، ح٥٧. ٥ ـ الذاريات: ٣٣.

٦ ـ نضد متاعه ينضده جعل بعضه فوق بعض القاموس المحيط: ج١، ص٣٤١، مادة «نضد».

٧ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٦. ٨ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٦.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾: فإنّهم بظلمهم حقيق بأن يمطر عليهم، روي عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه سأل جبرئيل فقال: يعني ظالمي اُمّتك ما من ظالم منهم إلّا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة(١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام «وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ» ظالمي اُمتِك، إن عملوا ما عمل قوم لوط(٢).

وفيه(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام من مات مصّراً على اللّواط لم يمت حتّى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار فيكون فيه منيّته، وزاد العياشي: ولا يراه أحد(٤).

والقمي: عنه عليه السلام ما من عبد يخرج من الدّنيا يستحلّ عمل قوم لوط إلّا رمى الله كبده من تلك الحجارة تكون منيته بها ولكنّ الخلق لا يرونه(٥).

والعياشي: عنه عليه السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله لما عمِلَ قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلى ربّها حتى بلغ دموعها العرش فأوحى الله عزّوجلّ إلى السّماءِ أن أحصبيهم(٦) وأوحى إلى الأرض أن اخسفي بهم(٧).

في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال، كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله فطلبهم إبليس الطّلب الشّديد، وكان من فضلهم وخيرتهم أنّهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبق النّساء خلفهم ولم يزل إبليس يعتادهم وكانوا إذا رجعوا خرّب ابليس ما كانوا يعملون، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد لهذا الذّي يخرّب متاعنا فرصدوه فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا له: أنت الّذي تخرّب متاعنا مرة بعد مرّة؟ فاجتمع رأيهم على أن يقتلوه

---

١ ـ الكشاف: ج٢، ص٤١٦، وأنوار التنزيل: ج١، ص٤٧٧.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص٥٤٦ ذيل ح٥، باب اللواط.

٣ ـ الكافي: ج٥، ص٥٤٨، ح٩، باب اللواط.

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٨، ح٥٩. إعلم: هذه الزيادة لا تختص بالعياشي فحسب بل هي في الكافي ايضاً موجودة.

٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

٦ ـ الحصباء صغار الحصى، وفي حديث قوم لوط «فأوحي الله إلى السماء أن أحصبيهم» أي أرميهم بالحصباء. مجمع البحرين: ج٢، ص٤٣ مادة «حصب».

٧ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٩، ح ٦٠.

فبيّتوه عند رجل، فلّما كان اللّيل صاح فقال له: مالك؟ فقال: كان أبي ينوّمني على بطنه فقال له: تعال فنم على بطني، قال: فلم يزل يدلك الرّجل حتى علّمه أن يفعل بنفسه فأولاً علّمه ابليس، والثانية علّمه هو، ثم انسلّ[1] ففر منهم، وأصبحوا فجعل الرجّل يخبر بما فعل بالغلام ويعجّبهم منه، وهم لا يعرفونه فوضعوا أيديهم فيه حتّى اكتفى الرّجال بالرّجال بعضهم ببعض، ثم جعلوا يرصدون مارةّ الطّريق فيفعلون بهم حتّى تنكب[2] مدينتهم الناس، ثم تركوا نساءهم وأقبلوا على الغلمان، فلّما رأى أنّه قد أحكم أمره في الرّجال جاء إلى النساء فصيّر نفسه إمرأة، ثم قال: إنّ رجالكنّ يفعل بعضهم ببعض قلن نعم قد رأينا ذلك، وكلّ ذلك يعظهم لوط ويوصيهم، وإبليس يغويهم حتى استغنى النّساء بالنساء فلّما كملت عليهم الحجّة بعث الله جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في زيّ غلمان عليهم أقبية، فمرّوا بلوط وهو يحرث، قال: أين تريدون؟ ما رأيت أجمل منكم قطّ، قالوا: إنّا أرسلنا سيّدنا إلى ربّ هذه المدينة، قال: أولم يبلغ سيّدكم ما يفعل أهل هذه المدينة؟ يابنيّ إنّهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتّى يخرج الدّم، فقالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ وسطها، قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما هي؟ قال: تصبرون هاهنا إلى اختلاط الظّلام، قال: فجلسوا، قال: فبعث ابنته فقال: جيئي لهم بخبز، وجيئي لهم بماءٍ في القرعة[3] وجيئي لهم عباءً يتغطّون بها من البرد، فلّما أن ذهبت الأبنة أقبل المطر والوادي، فقال لوط: السّاعة يذهب بالصّبيان الوادي، قال: قوموا حتّى نمضي، وجعل لوط يمشي في أصل الحائط وجعل جبرئيل وميكائيل واسرافيل يمشون في وسط الطّريق فقال: يابَنيَّ اِمشُوا هاهنا فقالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ في وسطها وكان لوط يستغنم الظّلام، ومرّ ابليس فأخذ من حجر إمرأة صبيّاً فطرحه في البئر فتصايح أهل المدينة كلّهم على باب لوط، فلّما أن نظروا إلى الغلمان في منزل لوط، قالوا: يا لوط قد دخلت في عملنا، فقال: هؤلاء ضيفي

---

١ ـ إنسلَّ وتسلَّل: إنطلق في إستخفاء، والسَّلُّ: إنتزاعك الشيء وإخراجه في رفق. القاموس المحيط: ج٣، ص٣٩٦، مادة «سلل».

٢ ـ نكب عن الطريق ـ من باب قعد ـ: عدل ومال. مجمع البحرين ج٢، ص١٧٦ مادة «نكب».

٣ ـ القَرْعُ: حمل اليقطين، الواحدة قرعة. الصحاح: ج٣، ص١٢٦٢، مادة «قرع».

فلا تفضحون في ضيفي، قالوا: هم ثلاثة خذ واحداً وأعطنا اثنين، قال: وأدخلهم الحجرة، وقال لوط: لو أنّ لي أهل بيت يمنعوني منكم، قال: وتدافعوا على الباب وكسروا باب لوط وطرحوا لوطاً، فقال له جبرئيل: «إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ» فأخذ كفاً من بطحاء فضرب بها وجوههم، وقال: شاهت[١] الوجوه فعمي أهل المدينة كلّهم، وقال لهم لوط: يا رسل ربّي فما أمركم ربي فيهم؟ قالوا: أمرنا أن نأخذهم بالسّحر، قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما حاجتك؟ قال: تأخذونهم السّاعة، فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم، فقالوا: يا لوط «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» لمن يريد أن يأخذ، فخذ أنت بناتك وامض ودع إمرأتك[٢].

وفيه[٣]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إنّ الله بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط، جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وكروبيل، فمرّوا بابراهيم وهم معتمون[٤] فسلّموا عليه فلم يعرفهم، ورأى هيئة حسنة، فقال: لا يخدم هؤلاء أحد إلّا أنا بنفسي، وكان صاحب ضيافة فشوى لهم عجلاً سميناً حتّى انضجه ثمّ قربّه إليهم، فلّما وضعه بين أيديهم رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، فلّما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه، فعرفه إبراهيم عليه السلام، فقال: أنت هو؟ قال: نعم، ومرّت سارة إمرأته فبشرها باسحاق، ومن وراء اسحاق يعقوب، فقالت: ما قال الله عزّوجل: واجابوها بما في الكتاب العزيز، فقال لهم إبراهيم: لماذا جئتم؟ قالوا: في إهلاك قوم لوط، فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال جبرئيل لا، قال: فإن كان فيها خمسون؟ قال: لا، قال فإن كان فيها ثلاثون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها واحد؟ قال: لا «قَالَ فَإِنَّ فِيهَا لُوطاً

---

١ ـ شاهت الوجوه تشوه شوهاً: قبحت، وشوهه الله: قبّحه، فهو مشّوه. مجمع البحرين: ج٦، ص٣٥١، مادة «شوّه».

٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٦، ح ٥، باب اللواط.

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٤٦ ـ ٥٤٨، ح ٦، باب اللواط.

٤ ـ وفي نسخة العيّاشي: [وهم متعمّمون].

قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ»[١] قال الرّاوي، لا أعلم هذا القول إلّا وهو يستبقيهم، وهو قول الله عزّوجلّ: «يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ»[٢] فأتوا لوطاً وهو في زراعة له قرب القرية فسلّموا عليه، وهم معتمّون، فلّما رأى هيئة حسنة، عليهم ثياب بيض، وعمائم بيض، فقال لهم: المنزل، فقالوا: نعم، فتقدّمهم ومشوا خلفه فتندم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أي شيء صنعت آتي بهم قومي وأنا أعرفهم، فالتفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، قال الله تعالى لجبرئيل لا تعجل عليهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات، فقال جبرئيل: هذه واحدة، ثم مشى ساعة، ثمّ إلتفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرئيل: هذه ثنتان، ثم مشى فلّما بلغ باب المدينة إلتفت إليهم، فقال: إنّكم لتأتون شراراً من خلق الله: فقال جبرئيل: هذه الثّالثة، ثم دخل ودخلوا معه حتّى دخل منزله فلّما رأتهم إمرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السّطح فصفّقت فلم يسمعوا فدخّنت فلّما رأو الدّخان أقبلوا يهرعون حتّى جاؤوا إلى الباب فنزلت إليهم، فقالت: عنده قوم مارأيت قوماً قطّ أحسن منهم هيئة فجاؤوا إلى الباب ليدخلوا فلّما رآهم لوط، قام إليهم فقال لهم: ياقوم «فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ»[٣] وقال: «هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» فدعاهم إلى الحلال فقالوا: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ» فقال لهم: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ» فقال جبرئيل عليه السلام: لو يعلم ايّ قوّة له؟ قال: فكاثروه حتّى دخلوا البيت، فصاح بهم جبرئيل، وقال: يا لوط دعهم يدخلون فلمّا دخلوا أهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت أعينهم، وهو قول الله: «فَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ»[٤] ثمّ ناداه جبرئيل فقال له: «إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطعٍ من اللّيل» وقال له جبرئيل: إنّا بعثنا في إهلاكهم فقال: يا جبرئيل عجّل، فقال: «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» فأمره فيحمل هو ومن معه إلّا أمرأته، ثم اقتلعها يعني المدينة

---

١ ـ العنكبوت: ٣٢. ٢ ـ هود: ٧٤.

٣ ـ اقتباس من قوله تعالى: «فاتّقوا الله ولا...» هود: ٧٨.

٤ ـ اقتباس من قوله تعالى: «فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ»، القمر: ٣٧.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

جبرئيل بجناحه من سبعة ارضين، ثم رفعها حتّى سمع أهل سماء الدّنيا نباح الكلاب، وصراخ الدّيوك، ثم قلّبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل[١].

أقول: وقد سبق نبذ من قصّة قوم لوط، في سورة الأعراف[٢] ويأتي طرف آخر منه في سورة الحجر[٣] إنشاء الله.

القمي: قد ذكر قصّة ابراهيم ولوط ببيان مبسوط من غير إسناد إلى معصوم، فيها أشياء غير ماذكرنا من أرادها رجع إليها[٤].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: مضى تفسيره في سورة الأعراف[٥].

﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: بسعة تغنيكم عن النجس.

في الفقيه[٦]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية كان سعرهم رخيصاً[٧].

﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾: مهلك من قوله: «وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ»[٨] أو لا يشذّ منه أحد منكم.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٥، ح ٥٣.
٢ ـ الاعراف: ذيل الآيات ٨٠ ـ ٨٥.
٣ ـ الحجر: ذيل الآيات ٥٦ ـ ٧٤.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٥.
٥ ـ الاعراف: ذيل الآيات: ٨٥ ـ ٩٤.
٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٠، ح ١٥/٧٥٨، باب ٧٨ ـ الحكرة والأسعار.
٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٩، ح ٦١.
٨ ـ الكهف: ٤٢.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝٨٦﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: صرّح الأمر بالإيفاء بعد النّهي عن ضدّه مبالغة وتنبيهاً على أنّه لا يكفيهم الكفّ عن تعمّد التّطفيف بل يلزمهم السّعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتي بدونها.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل والسّوية، في الكافي: عن الباقر عليه السلام وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا طفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسّنين والنقّص[1].

وفي رواية أُخرى وشدة المؤنة وجور السّلطان[2].

﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: تعميم بعد تخصيص فإنّه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره.

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: هذا أيضاً تعميم بعد تخصيص فإنّ العثوّ يعّم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد مِن السّرقة والغارة وقطع السّبل وغير ذلك.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عمّا هو حرام.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: مما تجمعون بالتّطفيف.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بشرط الايمان إذ الثّواب والنّجاة من العقاب لا يحصلان إلّا به أو يريد إن كنتم مصدّقين بي في نصيحتي.

﴿وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: أحفظ عليكم أعمالكم.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٧٤، ح ٢، باب في عقوبات المعاصي العاجلة.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٧٣، ح ١، باب في عقوبات المعاصي العاجلة.

قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّـفْعَلَ فِيٓ أَمْـوَٰلِـنَا مَـا نَشَـٰٓـؤُاْ إِنَّكَ لَأَنْتَ ٱلْحَـلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

في الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه صعد جبلاً يشرف على أهل مدين حين أغلق دونه باب مدين، ومنع أن يخرج إليه بالأسواق فخاطبهم بأعلى صوته يا أهل المدينة الظّالم أهلها، أنـا بقيّة الله، يقول الله: «بَقِيَّتُ ٱللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ»، قال: وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال لهم: يا قوم هذه والله دعوة شعيب النّبي عليه السلام والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذنّ من فوقكم ومن تحت ارجلكم[١] الحديث[٢].

وفي الإكمال: عنه عليه السلام أوّل ما ينطق به القائم عليه السلام حيث خرج هذه الآية «بَقِيَّتُ ٱللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»، ثم يقول: أنا بقيّة الله، وحجّته، وخليفته عليكم فلا يسلّم عليه مُسلّم إلّا قال: السّلام عليك يا بقيّة الله في أرضه[٣].

﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾: من الأصنام، يعني تأمرك بأن تكلّفنا ذلك أجابوا أمرهم بالتّوحيد على الإستهزاء بـه، والتهكّـم بـصلاته والإشعار بأنّ مثله لا يدعو إليه داع عقليّ، وإنّما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه، وكان كثير الصلاة ولذلك جمعوا وخصّوا بالذّكر، وقرئ على الإفراد.

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾: أو نترك فعلنا في أموالنا وهو جواب النّهي عن التّطفيف والأمر بالإيفاء.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾: قيل: أرادوا بذلك نسبته إلى غاية السـفه والغـي

---

١ ـ وفي نسخة: [إن كنتم مصدقين لي].

٢ ـ الكافي: ج١، ص٤٧١ ـ ٤٧٢، ح٥، باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٣١، ح١٦، باب ٣٢ ـ ما أخبر به أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام.

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَـٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

فعكسوا ليتهكموا به[١].

والقمي: قالوا إنك لأنت السّفيه الجاهل فحكى الله عزّوجلّ قولهم فقال: «إِنَّكَ لَأَنْتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ»[٢].

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: قيل إشارة إلى ما أتاه الله من العلم والنبّوة[٣].

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾: قيل: إشارة إلى ما أتاه الله من المال الحلال، وجواب الشّرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذه الأنعام أن أخون في وحيه وأُخالفه في أمره ونهيه ولا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن القبايح وإنّما بعثني لذلك[٤].

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَـٰكُمْ عَنْهُ﴾: يعني وما أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم الّتي نهيتكم عنها لأستبدّ بها دونكم.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ﴾: أن أُصلحكم.

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾: مادمت استطيع الإصلاح، فلو وجدت الصّلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه، والجواب الأوّل: إشارة إلى مراعاة حق الله، والثّاني: إلى مراعاة حق النّفس،

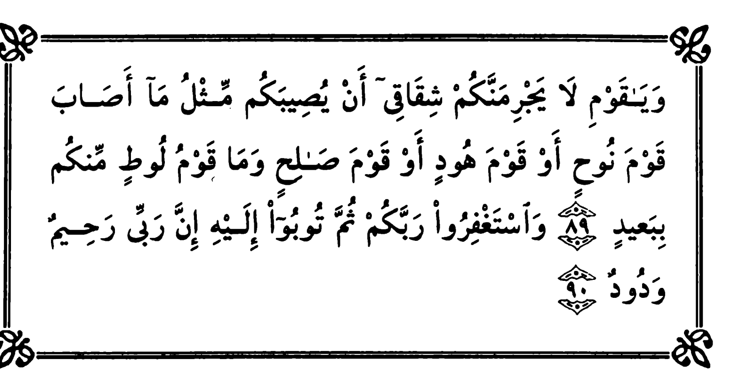
---

١ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٤٢٠.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٧.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص٤٧٨.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص٤٧٨.



والثّالث: إلى مراعاة حق النّاس.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ لإصابة الحق والصواب.

﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾: إلّا بهدايته ومعونته.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فإنّه القادر المتمكّن من كلّ شيء دون غيره، وفيه إشارة إلى محض التّوحيد الّذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدء.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: إشارة إلى معرفة المعاد نبّه بهذه الكلمات إلى اقباله على الله بشراشره فيما يأتي ويذر وحسم أطماع الكفّار وعدم المبالاة بعداوتهم وتهديدهم بالرّجوع إلى الله للجزاء.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسبنّكم.

﴿شِقَاقِيٓ﴾: خلافي ومعاداتي.

﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾: من الغرق.

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾: من الرّيح.

﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾: من الرجّفة.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾: يعني إنّهم أهلكوا في عهد قريب عهدكم فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: عمّا أنتم عليه.

﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾: عظيم الرّحمة، متودّد على عباده، مريد لمنافعهم، وهو وعد

قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

على التوبة بعد الوعيد على الإصرار.

﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾: ما نفهم.

﴿كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾: لا قوّة لك ولا عزّ، فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهاً، القمّي: وقد كان ضعف بصره[1].

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملّتنا.

﴿لَرَجَمْنَـٰكَ﴾: لقتلناك شرّ قتلة.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: فتمنعُنا عزّتك عن القتل بل رهطك وهم الأعزّة علينا.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيّاً﴾: وجعلتموه كالمنسيّ المنبوذ وراءَ الظّهر لا يعبأ به، والظّهري: منسوب إلى الظّهر، والكسر من تغيّرات[2] النّسب.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: قارّين على ما أنتم عليه من الشّرك والعداوة.

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٧.

٢ ـ وفي نسخة: [تغييرات].

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

﴿إِنِّى عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ﴾: من المعذّب والكاذب منّي ومنكم سبق مثله في سورة الأنعام[1].

﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾: وانتظروا ما أقول لكم.

﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر في الإكمال[2]، والمجمع: عن الرّضا عليه السلام ما أحْسَنَ الصّبر وإنتظار الفرج! أما سمعت قول الله عزّ وجلّ «وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ»[3].

والعياشي: عنه عليه السلام إنّ انتظار الفرج من الفرج، ثم تلا هذه الآية[4].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله كان شعيب خطيب الأنبياء[5].

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: إنّما ذكر هنا وفي قصّة عاد بالواو، وفي قصّتي صالح وهود بالفاء، لسبق ذكر وعد يجري مجرى السّبب في قصّتي صالح وهود، دون الآخرين.

﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾: في الجوامع روي أنّ جبرئيل صاح بهم صيحة فزهق روح كلّ واحد منهم حيث هو[6].

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾: كأن لم يقيموا فيها أحياءً.

---

١ ـ الأنعام: ذيل الآية: ١٣٥.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٦٤٥، ح٥، باب ٥٥ ـ ماروي في ثواب المنتظر للفرج.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٨٩، س٢٢.

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٩، ح٦٢.

٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٨٨، س٣٠.

٦ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص١٦٤، س٧.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

﴿أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: قيل: شبّهُم بهم لأنّ عذابهم كان أيضاً بالصّيحة، غير أن صيحتهم كانت من تحتهم، وصيحة مدين كانت من فوقهم[١].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بالمعجزات القاهرة والحجج الباهرة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: أمره بالكفر بموسى.

﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: ما في أمره من رشدٍ إنّما هو غيّ وضلال.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: بتقدّمهم إلى النّار وهم يتّبعونه كما كان لهم قدوةً في الضّلال في الدّنيا.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقّقه.

﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾: بئس الورد الّذي يردونه النّار، لأنّ الورد وهو الماء الّذي يورد إنّما يراد لتسكين العطش، وتبريد الأكباد، والنّار ضدّه.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ﴾: الدنيا.

﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أي يلعنون في الدّنيا والآخرة.

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾: رفدهم لأنّ الرّفد: وهو العون والعطاء إنّما يراد للنّفع

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٨٠.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾

واللعنة مدرّ للعذاب في الدّارين، القميّ: «فِى هَٰذِهِ لَعْنَةً» يعني الهلاك والغرق، «وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ»: رفدهم الله بالعذاب(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي ذلك النّبأ.

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾: المهلكة.

﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ﴾: باق كالزّرع القائم.

﴿وَحَصِيدٌ﴾: ومنها عافي الأثر كالزّرع المحصود، العياشي: عن الصادق عليه السلام أنه قرئ فنها قائماً وحصيداً بالنّصب، قال: لا يكون الحصيد إلّا بالحديد(٢).

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: بإهلاكنا إيّاهم.

﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بأن عرضوها له بارتكاب مايوجبه.

﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم.

﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: أي عذابه ونقمته.

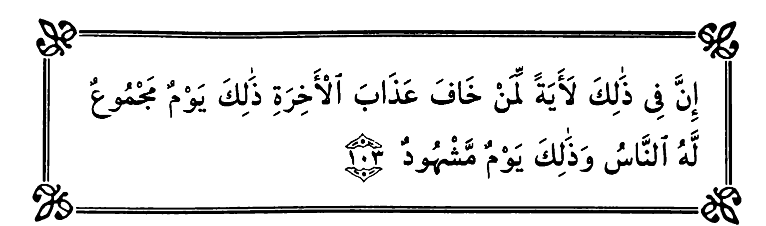
﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: غير تخسير.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك الأخذ.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٧.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥٩، ح ٦٣.



إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣

﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾: أي أهلها.

﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾: شَديدٌ وجيع صعبٌ، في المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الله يمهل الظّالم حتّى إذا أخذه لم يفلته ثمّ تلا هذه الآية[١].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: أي فيما نزل بالأمم الهالكة.

﴿لَأٓيَةٗ﴾: لعبرةً.

﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾: لعلمه بأنّه انموذج منه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي يوم القيامة، وعذاب الآخرة.

﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾: الأوّلون والآخرون.

﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾: كثير شاهدوه، القمي يشهد عليه الأنبياء والرّسل[٢].

وقيل: مشهود فيه أهل السّموات والأرضين[٣].

العياشي: عن أحدهما عليه السلام في هذه الآية فذلك يوم القيامة وهو اليوم الموعود[٤].

وفي الكافي: عن السّجاد عليه السلام في كلام له في الوعظ والزّهد وأعلم أنّ من وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة «ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ» يجمعُ الله عزّوجلّ فيه الأوّلين والآخرين[٥].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٩١، س٢٥.
٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٨.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٨١.
٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٩، ح٦٤.
٥ ـ الكافي: ج٨، ص٧٢، ح٢٩، باب كلام علي بن الحسين عليه السلام.

وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾: أي اليوم.

﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلّا لانتهاء مدّة معدودة متناهية.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: وقرئ بحذف الياء.

﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾: لا تتكلّم نفسٌ بما ينفع وينجي.

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: بإذن الله كقوله: «لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا»[1] وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم، وقوله: «هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ»[2] في موطن أخر منها كما في التّوحيد عن أمير المؤمنين[3].

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾: وجبت له النّار بمقتضى الوعيد.

﴿وَسَعِيدٌ﴾: وجبت له الجنّة بموجب الوعد.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾: الزّفير: إخراج النّفَس، والشّهيق: ردّه، دلّ بهما على شدّة كربهم وغمّهم.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ

---

١ ـ ليست هذه الآية آية واحدة بل هي مركبة من آيتين إحداها «لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا» النّبأ: ٣٨. وثانيهما: «يومئذٍ لا تنفعُ ٱلشَّفـٰعَة إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَولاً» طه: ١٠٩.

٢ ـ المرسلات: ٣٥.

٣ ـ التوحيد: ص٢٦١، ح٥، باب ٣٦، الرّد على الثنويّة والزنادقة.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾: وقرئ بضم السين.

﴿فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غير مقطوع، القمي: في هذه الآية «يَوْمَ يَأْتِ» والّتي بعدها هذا في نار الدّنيا قبل يوم القيامة، قال: وأمّا قوله «وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا» يعني في جنان الدّنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين «مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» يعني غير مقطوع من نعيم الآخرةَ، في الجنّةِ يكون متّصلاً به، قال: وهو ردّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب في الدّنيا وفي البرزخ قبل يوم القيامة[١].

أقول: ويؤيّد هذا التّفسير قوله تعالىٰ «ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً»[٢].

قال الصّادق عليه السلام: إنّ هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة إذ لا غدوّ ولا عشيّ في القيامة، ثم قال: ألم تسمع قول الله عزّوجلّ: «يَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ»[٣][٤].

ويؤيّده ايضاً قوله: «مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ» يعني سموات الدّنيا وأرضها كما هو معلوم.

والعياشي: عن الباقر والصادق عليهما السلام ما معناه إنّ المراد بالجنّة والنّار في هذه الآية: ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وولاية أعدائهم[٥].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٣٨.
٢ ـ غافر: ٤٦.
٣ ـ غافر: ٤٦.
٤ ـ تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص٣٣٨.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦٠ ذيل ح٦٦.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾

قال: قال الصادق عليه السلام: قال: الجاهل بعلم التّفسير إنّ هذا الإستثناء من الله إنّما هو لمنْ دخل الجنّة والنّار، وذلك إنّ الفريقين جميعاً يخرجان منهما فتبقيان[1] وليس فيهما أحد، وكذبوا قال: والله تبارك وتعالى ليس يخرج أهل الجنّة ولا كلّ أهل النّار منهما أبداً كيف يكون ذلك، وقد قال الله تعالى في كتابه: «مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً»[2] ليس فيه إستثناء[3].

وعن الباقر عليه السلام: هاتان الآيتان في غير أهل الخلود من أهل الشّقاوة والسّعادة[4].

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شكّ.

﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوءِ عاقبة عبادتهم للأوثان وتعرّضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسُول الله صلى الله عليه وآله، ووعد له بالانتقام منهم، ووعيد لهم.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾: أي حالهم في الشّرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالتين فينزل بهم مثل ما نزل بآبائهم تعليل النّهي عن المرية.

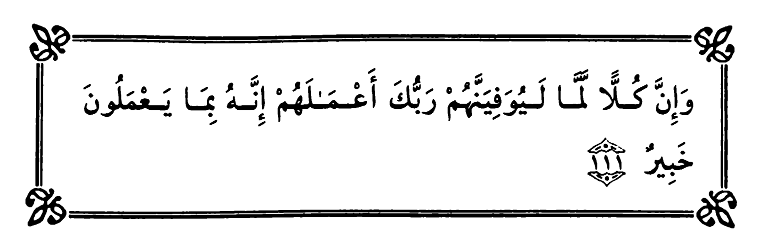
﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظّهم من العذاب كآبائهم.

﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾: بلا نقص.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فآمن به قوم وكفر به قوم، كما

---

١ ـ هكذا في الأصل. والصحيح فيبقيان كما في المصدر.
٢ ـ الكهف: ٣.
٣ ـ تفسير العياشي ج٢، ص١٥٩ ـ ١٦٠، ح٦٦.
٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٦٠، ح٦٧.



اختلف هؤلاء في القرآن.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام اختلفوا كما اختلفت هذه الأُمة في الكتاب، وسيختلفون في الكتاب الّذي مع القائم الّذي يأتيهم به حتّى ينكره ناس منهم فيقدّمهم فيضرب أعناقهم[1].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بإنزال ما يستحقّه المبطل ليتميز به عن المحقّ.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: وإن كفّار قومكَ.

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من القرآن.

﴿مُرِيبٍ﴾: موقع للرّيبة.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: وإنّ كل المختلفين المؤمنين والكافرين.

﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾: القمي: قال: في القيامة[2].

قيل: اللّام في «لمَّا» توطئة للقسَم، والأُخرى للتّوكيد، أو بالعكس، و«ما» مزيدة للفصل بينهما[3].

يعني وإن جميعهم والله ليوفّينّهم ربّك جزاء أعمالهم، وقرئ «ان» بالتخفيف من المثقلة على أعمال المخفّفة عمل الثّقيلة إعتباراً لأصلها «ولمّا» بالتّشديد على أن يكون أصله ـ لمن ما ـ يعني لمن الّذين يوفّيهم وقرأ أُبَيّ «وَإِنْ كُلّ» بالرّفع «ولمّا» بالتّشديد، على أنّ «إنْ» نافية، «ولمّا» بمعنى إلّا، ويؤيّده قراءة «إلّا» مكان «لمّا».

﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فلا يفوت عنه شيء وإن خفي.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٧، ح٤٣٢.
٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٨.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٨٣.

فاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

﴿فاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: على جادّة الحقّ غير عادل عنها، وهي شاملة للعقائد والأعمال.

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: وليستقم من تاب من الكفر وآمن معك.

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾: ولا تخرجوا من حدود الله.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فهو مجازيكم عليه في الجوامع: عن الصادق عليه السلام «فاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ» أي افتقر إلى الله بصحّة العزم، وعن إبن عبّاس مانزلت آية أشقّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الآية ولهذا قال: «شيّبتني هود والواقعة وأخواتها»[١].

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: ولا تميلوا إليهم أدنى ميل، فإنّ الرّكون هو الميل اليسير.

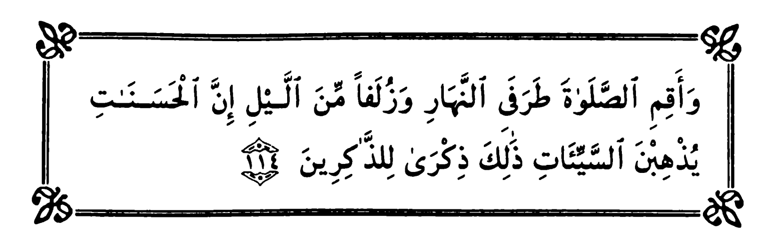
﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: بركونكم إليهم. في المجمع: عنهم عليهم السلام إنّ الركون: المودّة والنّصيحة والطّاعة[٢].

والقمي مثله[٣]، وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام هو الرّجل يأتي السّلطان فيحب بقاءهُ إلى أن يدخل يده كيسه فيعطيه[٤].

والعيّاشي عنه عليه السلام أما أنّه لم يجعلها خلوداً ولكن تمسّكم النّار فلا تركنوا إليهم[٥].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص١٧٠.
٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٠٠ س١٧.
٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٨.
٤ ـ الكافي: ج٥، ص١٠٨ ـ ١٠٩، ح١٢، باب عمل السلطان وجوائزهم.
٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٦١، ح٧٢.



﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: من أنصار يمنعون العذاب عنكم.

﴿ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾: ثمّ لا ينصركم الله.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: وساعات من اللّيل قريبة من النّهار من أزلفه إذا قرّبه وهو جمع زلفة.

في التهذيب: عن الباقر عليه السلام طرفاه: المغرب والغداة، وزلفاً من اللّيل: هي صلاة العشاء الآخرة[1].

والعياشي: عن الصّادق عليه السلام مثله[2].

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾: يكفرّنها، وفي الحديث النّبويّ المشهور إنّ الصلاة إلى الصّلاة كفّارة ما بينهما ما اجتنبت الكباير[3].

وفي الأمالي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الله يكفّر بكلّ حسنة سّيئة ثّم تلا الآية[4].

وفي الكافي[5]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية صلاة المؤمن باللّيل تذهب بما عمل من ذنب بالنّهار[6].

والقمي مثله[7]، وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:أربع من كنّ فيه لم يهلك على الله بعد هنّ إلّا هالك يهمّ العبد بالحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٢٣/٩٥٤، باب ١٢ ـ فضل الصلاة المفروض منها والمسنون.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦١، ح ٧٣.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٨٤.

٤ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٦، ح ٣١، المجلس الاول.

٥ ـ الكافي ج ٣، ص ٢٦٦، ح ١٠، باب فضل الصلاة.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦٢، ح ٧٦.

٧ ـ تفسير القمي: ج ١ ص ٣٣٨.

نيّته وإن هو عملها كتب الله له عشراً، ويهمّ بالسيّئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء وإن هو عملها أُجّل سبع ساعات، وقال صاحب الحسنات لصاحب السّيئات وهو صاحب الشّمال: لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها فإنّ الله عزّوجلّ يقول: «إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ» أو الإستغفار فإن هوقال: «أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشّهادة العزيز الحكيم الغفور الرّحيم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه» لم يكتب عليه شيء، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة وإستغفار، قال صاحب الحسنات لصاحب السّيّئات: أُكتب على الشّقي المحروم[١].

وفي المجمع[٢]، والعياشي: عنه عليه السلام إعلم أنّه ليس شيء أضّر عافية ولا أسرع ندامةً من الخطيئة، وإنّه ليس شيء أشدّ طلباً ولا أسرع دركاً للخطيئة من الحسنة. أما إنّها لتدرك الذّنب العظيم القديم المنسيّ عند صاحبه فتحطّه وتسقطه وتذهب به بعد إثباته، وذلك قوله سبحانه: «إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ»[٣].

وعن أحدهما: عليهما السلام أنّ علياً عليه السلام قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ارجا آية في كتاب الله «أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ» وقرأ الآية كلّها، وقال: يا عليّ والّذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتتساقط من جوارحه الذّنوب فإذا استقبل الله بقلبه ووجهه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أُمّه، فإنّ أصاب شيئاً بين الصّلاتين كان له مثل ذلك حتّى عدّ الصلوات الخمس.

ثم قال: يا عليّ إنّما مثل الصّلوات الخمس لأُمّتي كنهر جار على باب أحدهم فما يظن أحدهم إذا كان في جسده درن ثمّ اغتسل في ذلك النّهر خمس مرّات أكان يبقي في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأُمّتي[٤].

﴿ذَٰلِكَ﴾: قيل: إشارة إلى قوله «فَاسْتَقِمْ» وما بعده[٥].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠، ح ٤، باب من يهم بالحسنة أو السيئة.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٠١ س ١٢.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦٣، ح ٨٠.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦١ ـ ١٦٢، ح ٧٤.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٨٤.

وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾

﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: عظة للمتّعظين.

﴿وَٱصْبِرْ﴾: على الطّاعات وعن المنهيّات.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود.

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾: فهلّا كان.

﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: من الرأي والعقل والفضل وإنّما سمّى بقيّة لأنّ الرّجل يستبقي لنفسه أفضل ما يخرجه، ومنه يقال: فلان من بقيّة القوم أي من خيارهم.

وقولهم: في الزوايا خبايا، وفي الرّجال بقايا[1].

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: لكن قليلاً منهم أنجيناهم لأنّهم نهوا عن الفساد.

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾: ما أنعموا فيه من الشّهوات أراد بالّذين ظلموا تاركي النّهي عن المنكرات أي اتّبعوا ما عوّدوا من التّنعم وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك.

﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: كأنّه أراد بيان سبب أستيصال الأمم السّالفة وهو فشوّ الظّلم فيهم، واتّباعهم للهوى، وتركهم النّهي عن المنكرات.

---

١ ـ اقتباس من الكشاف: ج ٢، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: منه لهم أو منهم لأنفسهم كشرك ومعصية.

﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: فيما بينهم، في المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهلها مصلحون ينصف بعضهم من بعضٍ[1].

أقول: وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوق نفسه دون حقوق عباده، ولذا قيل: الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم[2].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مسلمين كلّهم، القميّ: أي على مذهب واحد[3].

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: بعضهم إختار الحقّ وبعضهم إختار الباطل لا تكاد تجد إثنين يتّفقان مطلقاً.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: إلّا أُناساً هداهم الله ولطُف بهم فاتّفقوا على دين الحقّ.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: قيل: إن كان ضمير «هم» للنّاس فالإشارة إلى الإختلاف واللّام للعاقبة أو إلى الإختلاف والرّحمة جميعاً وإن كان الضّمير «لمن» فالإشارة

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٠٢ س١٥.
٢ ـ أنوار التنزيل: ج١، ص٤٨٥.
٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٨.

إلى الرّحمة[١].

في الكافي[٢]، والعياشي[٣]، والعلل: عن الصّادق عليه السلام كانوا أُمّة واحدةً فبعث الله النّبيين ليتخذ عليهم الحجّة[٤].

وفي التوحيد: عنه عليه السلام خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم[٥].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في هذه الآية النّاس يختلفون في إصابة القول وكلّهم هالك إلّا من رحِمَ ربّك، وهم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: «وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ» يقول: لطاعة الإمام[٦].

والقمي: عن الباقر عليه السلام قال: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» في الدّين «إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ» يعني آل محمّد عليهم السلام وإتباعهم يقول الله: «وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ» يعني أهل رحمة لا يختلفون في الدّين[٧].

والعياشي: عن السّجاد عليه السلام في قوله: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» عني بذلك من خالفنا من هذه الأمّة، وكلّهم فخالف بعضهم بعضاً في دينهم، وأمّا قوله: «إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ» فأُولئك أولياؤنا في المؤمنين، ولذلك خلقهم من الطّينة الطّيبّة الحديث[٨].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: وهي قوله.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: من عصاتها.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: القمي: وهم الذين سبق الشّقاء لهم فحق عليهم القول إنّهم للنّار خلقوا، وهم: «ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»[٩][١٠].

١ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٨٥.
٢ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٩، ح ٥٧٣.
٣ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦٤، ح ٨١.
٤ـ علل الشرائع: ص ١٢٠، ح ٢، باب ٩٩ علة إثبات الأنبياء والرسل عليهم السلام وعلّة إختلاف دلائلهم.
٥ـ التوحيد: ص٤٠٣، ح ١٠، باب ٦٦ـ إن الله لا يفعل بعباده إلّا الأصلح لهم.
٦ـ الكافي: ج١، ص٤٢٩، ح٨٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٧ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٨.
٨ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦٤، ح ٨٢.
٩ـ اقتباس من قوله تعالى: «إنَّ الّذين حقت عليهم كلِمَتُ رَبِّكَ لا يؤمِنُونَ» يونس : ٩٦.
١٠ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٨.

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: نخبرك به.

﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: تنبيه على المقصود من الإقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه، وثبات نفسه، على أداء الرّسالة، واحتمال الأذى.

﴿وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ﴾: الأنباء المقتصّة عليك.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: ما هو حق.

﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم الّذي أنتم عليه.

﴿إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾: على حالنا. القمي: أي نعاقبُكم[1].

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: بنا الدوائر.

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: أي ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لا لغيره.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾: لا إلى غيره، وقرئ بضمّ الياء.

---

١ ـ تفسر القمي: ج ١، ص ٣٣٩.

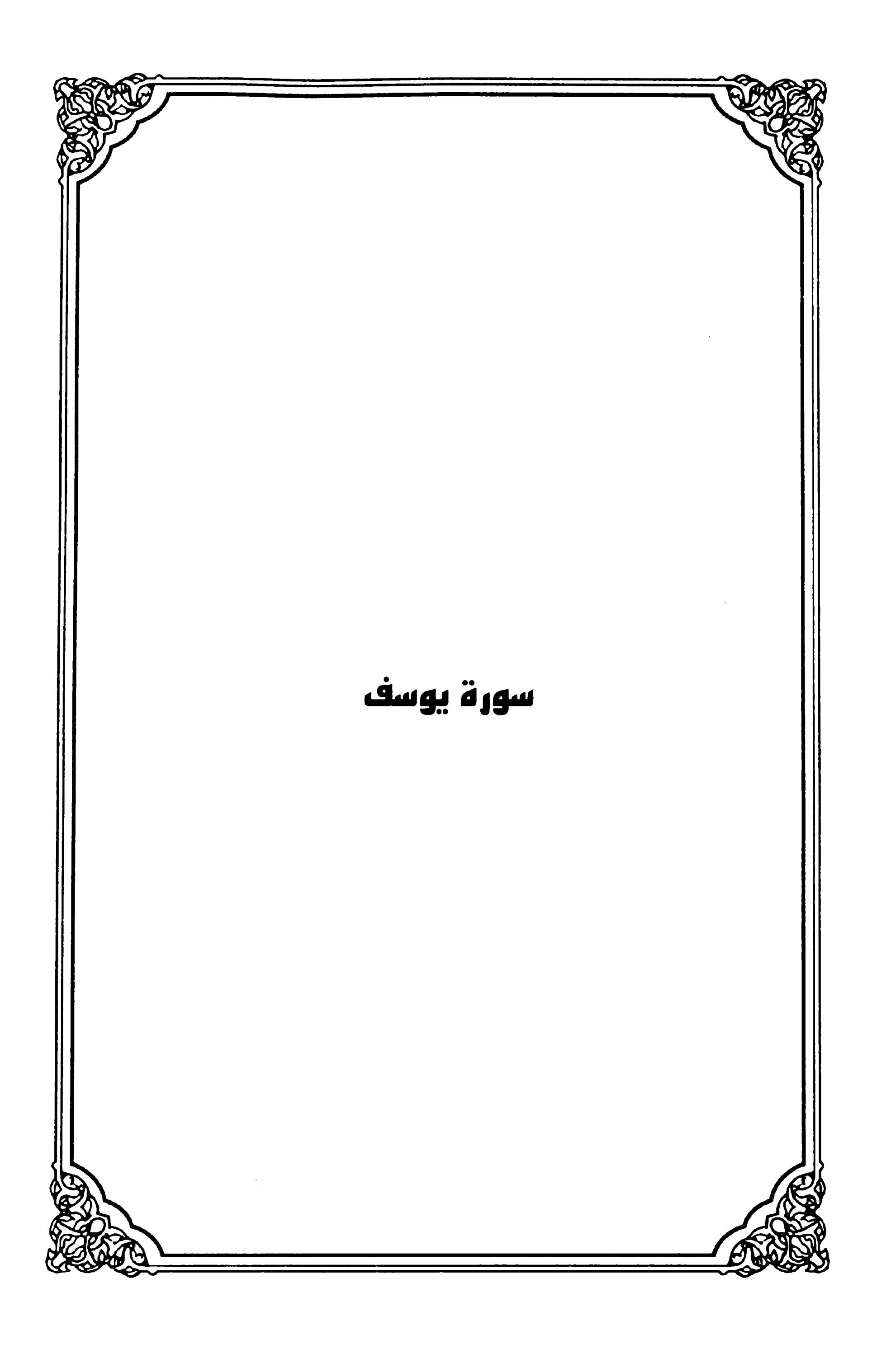
﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: فإنّه كافيك.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أنت وهم فيجازي كلّاً بما يستحقّه، وقرئ بالياء.

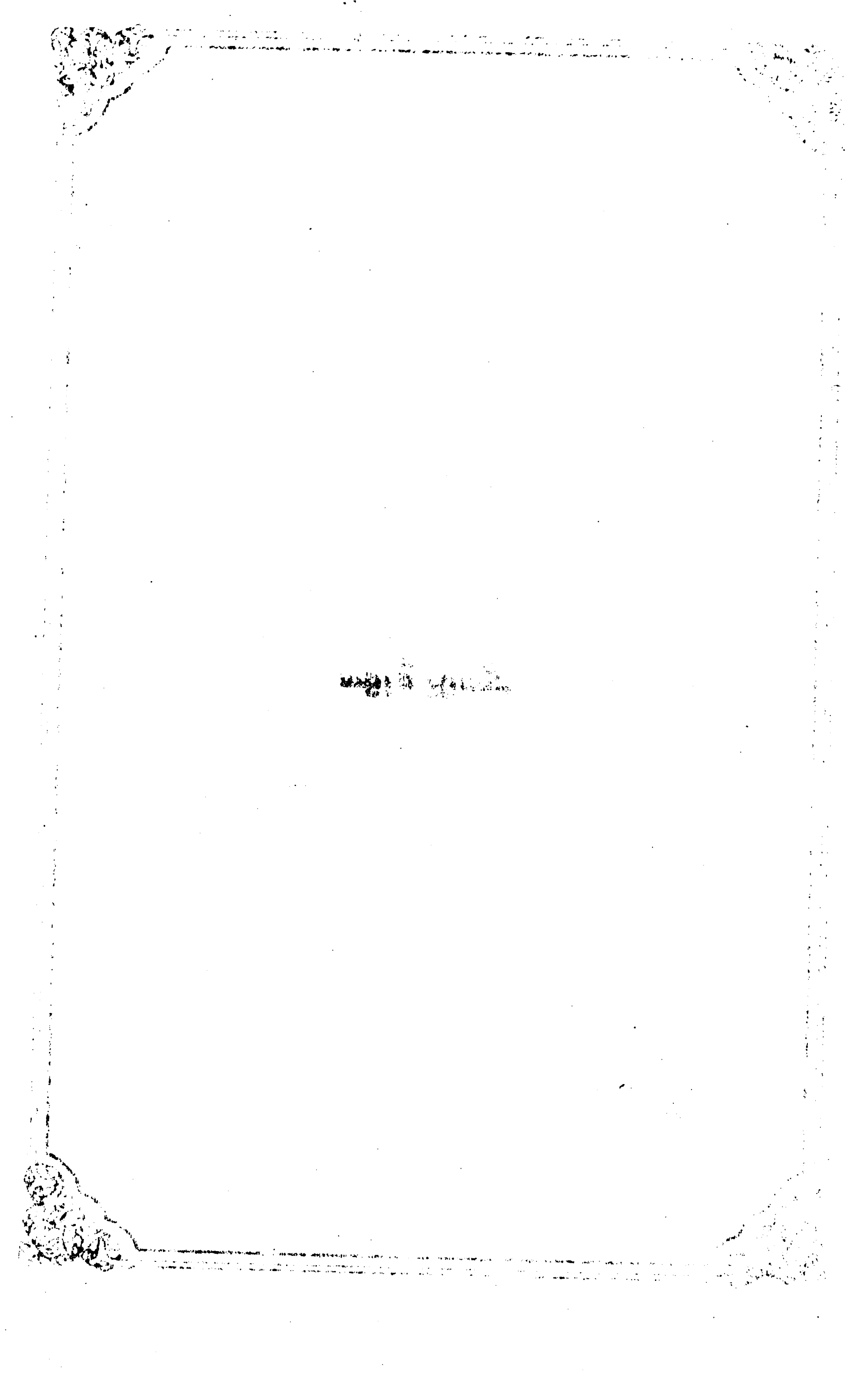
في ثواب الأعمال: عن الباقر عليه السلام من قرأ سورة هود في كلّ جمعة بعثه الله عزّوجلّ يوم القيامة في زمرة النّبيّين، ولم تعرف له خطيئة عملها يومَ القيامة، والحمدُ لله[1].

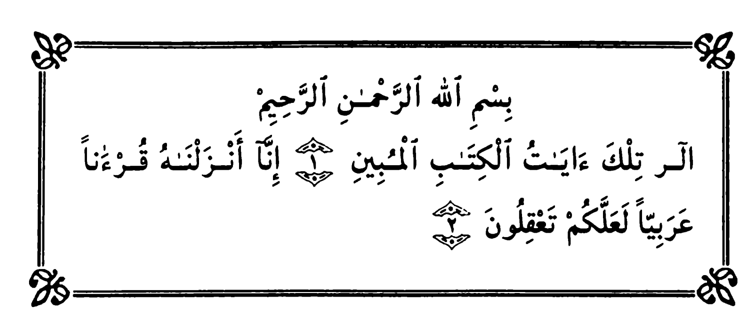
* * *

١ ـ ثواب الاعمال: ص١٠٦، ثواب من قرأ سورة يوسف.



سورة يوسف

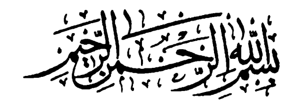




بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

سورة يوسف عليه السلام: مكيةٌ وقال المعدل عن ابن عباس: غير أربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من أوّلها، والرابعة: «لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ»[1] عدد آيها مائة وإحدى عشرة آية.



﴿الٓر﴾: قد سبق معناه.

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: تلك الآيات: آيات الكتاب الظّاهر أمره في الإعجاز الواضح معانيه لمن تدبّره[2].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: بلغتكم.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: إرادة أن تفقهوه وتحيطوا بمعانيه، ولو جعلناه أعجمياً لالتبس عليكم، في الخصال: عن الصادق عليه السلام تعلّموا العربيّة، فإنّها كلام الله الّذي تكلّم به خلقه[3].

---

١ ـ يوسف: ٧.

٢ ـ وفي نسخة: [لمن يتدبّره].

٣ ـ الخصال: ص٢٥٨، ح١٣٤، باب الأربعة ـ اتى الناس الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله من أربعة ليس لهم خامس.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ۝٤﴾

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾: أحسن الإقتصاص، لأنّه اقتصّ على أبدع الأساليب أو أحسن ما يقصّ لإشتماله على العجائب والحكم والعبر.

﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: بايحائنا.

﴿هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾: عن هذه القصّة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قطّ.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: يعقوب، بن إسحاق، بن ابراهيم، القمي: عن الباقر عليه السلام وكان يعقوب اسرائيل الله، أي خالص الله، ابن اسحاق نبي الله، ابن ابراهيم خليل الله[1].

وفي الحديث النّبويّ: الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف، بن يعقوب، ابن اسحاق، بن ابراهيم[2].

﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾: أصله يا أبي، وقرئ بفتح التّاء وبالوقف على الهاء.

﴿إِنِّى رَأَيْتُ﴾: من الرّؤيا لا من الرّؤية.

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾: في الخصال: عن جابر بن عبدالله قال: أتى النّبيّ صلى الله عليه وآله رجل من اليهود، يقال له: بشان[3] اليهودي فقال: يا محمدّ أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنّها ساجدة فما أسماؤهنّ؟ فلم يجبه نبيّ الله يومئذ

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٠. ٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٨٦.

٣ ـ وفي المصدر: «بستان».

في شيء، قال: فنزل جبرئيل فأخبر النّبيّ ﷺ بأسمائها، قال: فبعث رسول الله ﷺ إلى بشان[١] فلمّا أن جاء قال النّبيّ ﷺ: هل أنت مسلم إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: نعم فقال له النّبي ﷺ: حوبان[٢]، والطّارق، والذيال[٣]، وذو الكتفين[٤]، وقابس، ووثاب، وعمودان، والفليق[٥]، والمصبح، والصّدوح[٦]، وذو الفروع[٧]، والضّياء، والنّور، رآها في أُفق السّماء ساجدة له فلمّا قصّها يوسف على يعقوب عليه السلام. قال يعقوب: هذا أمر متشتت يجمعه الله عزّوجلّ من بعد. فقال: بشان والله إنّ هذه لأسماؤها، ثم أسلم[٨].

والقمي[٩]، والعياشي: عن جابر في تسمية النّجوم، وهي: الطّارق، وحوبان، وذكر مثله إلى قوله: والضّياء، والنّور. قال: يعني الشّمس والقمر، قال: وكلّ هذه الكواكب محيطة بالسّماء[١٠].

والقمي: عن الباقر عليه السلام تأويل هذه الرّؤيا أنّه سيملك مصر، ويدخل عليه أبواه وإخوته، أمّا الشّمس فأُمّ يوسف راحيل، والقمر يعقوب، وأمّا الأحد عشر كوكباً فإخوته فلمّا دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه وكان ذلك السّجود لله تعالى[١١].

أقول: وتأتي رواية أُخرى بأنّ التي سجدت له مع أبيه خالته لا أُمّه[١٢].

---

١ ـ وفي المصدر: «بستان».

٢ ـ وفي المصدر: «جربان».

٣ ـ وفي نسخة: [الذبال]. وفي المصدر: «الذيال».

٤ ـ وفي المصدر: «ذو الكنفان».

٥ ـ وفي نسخة: [الفيلق] كما جاء في المصدر.

٦ ـ وفي المصدر: «الضروح».

٧ ـ وفي نسخة: [ذو الفروغ]. وفي المصدر: «ذو القرع».

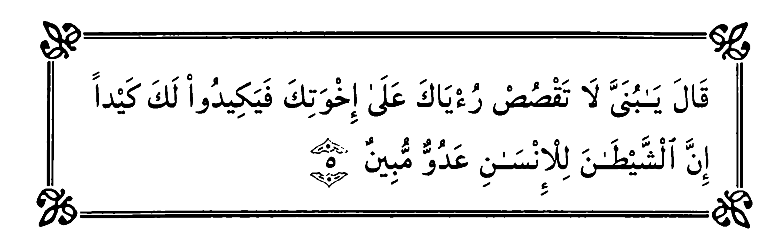
٨ ـ الخصال: ص٤٥٤، ح٢، أبواب الأحد عشر ـ أسماء الكواكب الأحد عشر التي رآها يوسف عليه السلام في المنام له ساجدين مع الشمس والقمر.

٩ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٩.

١٠ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٧٠ ـ ١٧١، ح٨.

١١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٣٩.

١٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٩٧، ح٨٤.



﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ﴾: تصغير ابن صغّره للشّفقة، وصغر السّن.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾: الرؤيا كالرّؤية غير أنّها مختصّة بما يكون في النّوم.

﴿عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾: فيحتالوا لإهلاكك حيلة ضمّن يكيدوا معنى يحتالوا فعدّاه باللّام ليفيد معنى الفعلين.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوة خاف عليه حسد إخوانه وبغيهم عليه لما عرف من دلالة رؤياه على أن يبلغه من شرف الدارين أمراً عظيماً.

القمي: عن الباقر عليه السلام كان له أحد عشر أخاً، وكان له من أُمّه اخ واحد يسّمى بنيامين[١] فرأى يوسف هذه الرّؤيا وله تسع سنين فقصّها على أبيه فقال: «قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ» الآية[٢].

أقول: ما دلّ عليه هذا الحديث من كون يوسف وبنيامين من أم واحد هو المشهور المستفيض رواه العياشي[٣] وغيره[٤] إلاّ أن العيّاشي روى رواية أُخرى بأنّه ابن خالته[٥].

وفي بعض ما يرويه اطلاق ابن ياميل عليه باللّام[٦].

وفي بعضه أنّ ياميل إسم خالة يوسف وأنّها هي الّتي سارت مع أبيه إلى مصر[٧] وأكثر هذه الرّوايات تأتي في مواضعها إن شاء الله، وربّما يوجد في بعض أخبار العيّاشي ابن يامين

---

١ ـ بنيامين: بضم الباء وكسرها. منه قدّس سرّه.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨٣، ح ٤٣ و ٤٤ و ٤٥.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨٢، ح ٤٢، وص ١٩٧، ح ٨٤.
٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩٦، ح ٧٩.
٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩٦، ح ٧٩.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾﴾

منفصلاً[١] وصاحب القاموس ضبط بنيامين قال: ولا تقل ابن يامين[٢] وأمّا أسماء ساير اخوته فلم أجدها في رواية معصوميّة بتمامها معدودة.

وقد قيل: هم يهودا وروبيل، وشمعون، ولاوي، وزبالون، ويشجر، الستّة من بنت خالته «ليا» تزوجّها يعقوب أوّلاً، ثمّ تزوّج أُختها راحيل فولدت له بنيامين، ويوسف، وأربعة آخرون: دان، ونفتالي، وحاد، وآشر من سريّتين زلفة، وبلهة[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾: يصطفيك.

﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: من تعبير الرّؤيا لأنّها أحاديث الملك إن كانت صادقة، وأحاديث النّفس أو الشّيطان إن كانت كاذبةً.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾: أهله ونسله بأن يصل نعمة الدّنيا بنعمة الآخرة بأن يجعلهم أنبياء وملوكاً ثم ينقلهم إلى نعيم الآخرة والدّرجات العلى من الجنّة.

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: بمن يستحقّ الإجتباء.

﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل الأشياء على ما ينبغي.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾: أي في قصّتهم.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٩٥، ح٧٨.　　٢ ـ القاموس المحيط: ج٤ ص٢٧٩.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢١٢.

إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَـٰلِحِينَ ﴿٩﴾

﴿ءَايَـٰتٌ﴾: دلائل حكمة الله وقدرته[1] وعلامات نبوتك، وقرئ آية.

﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لمن سئل عن قصّتهم، في الجوامع: روي أنّ اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّداً لِمَ انتقل آل يعقوب من الشّام إلى مصر، وقصّة يوسف. قال: فأخبرهم بالقصّة من غير سماع ولا قراءة كتاب[2].

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين خصّ بالأُخوّة لأنّ أُمّهما كانت واحدة.

﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: والحال إنّا جماعة أقوياء أحقّ بالمحبّة من صغيرين لا كفاية فيهما.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: لتفضيله المفضول، وتركه التعديل في المحبّة.

﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾: مجهولة بعيدة من العُمران كما يستفاد من تنكيرها وإخلائها عن الوصف.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يصفُ لكم وجهه فيقبل عليكم بكلّيته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعنّكم[3] في محبّة أحد.

﴿وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً﴾: من بعد يوسف أو بعد قتله.

﴿صَـٰلِحِينَ﴾: تائبين إلى الله ممّا جنيتم، في العلل: عن السّجاد عليه السلام أي تتوبون[4].

---

١ ـ وفي نسخة: [دلائل قدرة الله وحكمته].

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٧٧.

٣ ـ وفي نسخة: [ينازعكم].

٤ ـ علل الشرائع: ص ٤٧، ح ١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها إمتحن الله عزّوجلّ يعقوبَ وابتلاه بالرؤيا التي

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: قيل: هو يهودا، وكان أحسنهم رأياً[١].

والقمّي: هو «لاوي» عن الهادي عليه السلام[٢] كما يأتي.

﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾: فإنّ القتل عظيم.

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: في قعر البئر، وقرئ غيابات.

﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: أي يأخذه.

﴿بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: بعض الّذين يسيرون في الأرض.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: ما يفرّق بينه وبين أبيه.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: لم تخافنا عليه.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: ونحن نُشفق عليه، ونريد له الخير.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: إلى الصّحراء.

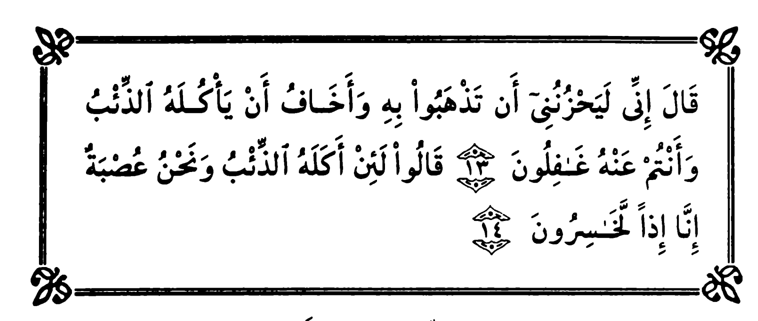
﴿يَرْتَعْ﴾: يتّسع في أكل الفواكه وغيرها من الرتعة وهي: الخصب.

﴿وَيَلْعَبْ﴾: بالإستباق بالأقدام والرّمي وقرئ يرتع من إرتعى، وبالكسر والياء فيه وفي يلعب وبالياء والسكون فيهما.

رآها يوسف حتى جرى من أمره ماجرى.

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٨٨.

٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٦ س١٨.



﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾: لِشدّة مفارقته عليّ وقلّة صبري عنه.

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: قيل: لأنّ الأرض كانت مذأبة[1]، وقرئ بدون الهمزة.

﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ * قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء.

﴿إِنَّآ إِذاً لَّخَٰسِرُونَ﴾: في المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله لا تلقّنوا الكذبَ فتكذّبوا، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذّئب يأكل الإنسان حتّى لقّنهم أبوهم[2].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام قرّب يعقوب لهم العلّة فاعتلّوا بها في يوسف[3].

العيّاشي: عنه عليه السلام إنّما ابتلى يعقوب بيوسف إذ ذبح كبشاً سميناً ورجل من أصحابه محتاج لم يجد ما يفطر عليه فأغفله ولم يطعمه، فابتلى بيوسف وكان بعد ذلك كلّ صباح مناديه ينادي: من لم يكن صائماً فليشهد غداء يعقوب، فإذا كان المساء نادى من كان صائماً فليشهد عشاء يعقوب[4].

وفي المجمع[5]، والعلل[6]، والعياشي: عن السّجاد عليه السلام مثله ببسط وتفصيل[7].

---

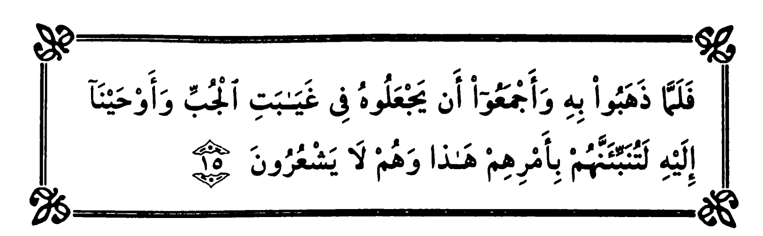
١ ـ قاله: البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٨٩.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢١٦.

٣ ـ علل الشرائع: ص٦٠٠، ح٥٦، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل.

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٦٧، ح٤. ٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ٢١٢.

٦ ـ علل الشرائع ص٤٥، ح١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها امتحن الله عزّوجلّ يعقوب وابتلاه بالرؤيا التي رآها يوسف حتى جرى من أمره ما جرى. ٧ ـ تفسير العياشي ج٢، ص ١٦٧، ح٥.



﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: وعزموا على إلقائه فيها جوابه[١] محذوف، أي فعلوا به ما فعلوا.

في العلل[٢]، والعياشيّ: عن السّجاد عليه السلام لمّا خرجوا من منزلهم لحقهم أبوهم مسرعاً فانتزعه من أيديهم فضمّه إليه واعتنقه وبكى ودفعه اليهم، فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم، فلمّا أيقنوا به أتوا به غيضة[٣] أشجار، فقالوا: نذبحه ونلقيه تحت هذه الشّجرة فيأكله الذّئب اللّيلة، فقال كبيرهم: لا تقتلوا يوسف ولكن اُلقوه في غيابت الجبّ يلتقطه بعض السيّارة إن كنتم فاعلين، فانطلقوا به إلى الجبّ وألقوه فيه، وهم يظنّون أنّه يغرق فيه، فلما صار في قعر الجبّ ناداهم ياولد رومين أقرؤوا يعقوب منّي السّلام، فلمّا سمعوا كلامه، قال بعضهم لبعض: لا تزالوا من هاهنا حتّى تعلموا أنّه قد مات، فلم يزالوا بحضرته حتّى آيسوا ورجعوا[٤].

والقمّي: فأدنوه من رأس الجبّ وقالوا له انزع قميصك فبكى وقال: يا إخوتي تجرّدوني؟ فسلّ واحد منهم عليه السّكين، وقال: لئن لم تنزعه لأقتلنّكَ، فنزعه فَدلوه في اليّم وتنحّوا عنه، فقال يوسف في الجبّ: يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ارحم ضعفي، وقلة حيلتي، وصغري.

---

١ ـ أي جواب «لمّا».

٢ ـ علل الشرائع: ص ٤٧، ح١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها إمتحن الله عزّ وجلّ يعقوب وابتلاه بالرؤيا التي رآها يوسف حتى جرى من أمره ما جرى.

٣ ـ الغيضة ـ بالفتح: الأجمة، ومجتمع الشجر في مغيض ماء. القاموس المحيط ج٢، ص ٣٣٩. مادة «غاض».

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٦٧ ـ ١٦٩، ح٥.

ثم قال القمّي: ونسب ابن طاوس قوله هذا إلى الصّادق عليه السلام ورجع إخوته فقالوا نعمد إلى قميصه فنلطخه بالدّم ونقول لأبينا: إنّ الذّئب أكله، فقال لهم أخوهم لاوي: يا قوم ألسنا بني يعقوب إسرائيل الله ابن اسحاق نبيّ الله ابن ابراهيم خليل الله؟ أفتظنّون أنّ الله عزّوجلّ يكتم هذا الخبر عن أنبيائه عليهم السلام؟ فقالوا: وما الحيلة؟ قالوا: نقوم ونغتسل ونصليّ جماعة، ونتضرّع إلى الله أن يكتم ذلك عن أنبيائه عليهم السلام فإنّه جواد كريم، فقاموا واغتسلوا وكانت في سنّة ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام أنّهم لا يصلّون جماعة حتّى يبلغوا أحد عشر رجلاً فيكون واحداً منهم إماماً وعشرة يصلّون خلفه، قالوا: وكيف نصنع وما[١] لنا إمام؟ فقال لاوي: نجعل الله إمامنا فصلّوا وتضرّعوا وبكوا، وقالوا: ياربّ اكتم علينا هذا[٢].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: أوحى الله تعالى إليه في صغره كما أوحى إلى يحيى وعيسى.

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا﴾: لتحدثنّهم بما فعلوا بك.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إنّك يوسف لعلوّ شأنك وطول العهد المغيّر للهيئات، إشارة إلى ما قال لهم: بمصرحين دخلوا عليه ممارين[٣][٤] فعرفهم وهم له منكرون، بشّره بما يؤول إليه أمره إيناساً له وتطييباً لقلبه.

القمي: عن الباقر عليه السلام يقول: لا يشعرون إنّك أنت يوسف، أتاه جبرئيل فأخبره بذلك[٥].

في العلل: عن السجاد عليه السلام أنّه سئل ابن كم كان يوسف يوم القوه في الجب؟ قال: كان ابن تسع سنين[٦].

والعياشي: عن الصادّق عليه السلام وكان ابن سبع سنين[٧].

---

١ ـ وفي نسخة: [وليس لنا إمام] كما في المصدر.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

٣ ـ وفي نسخة: [ممتارين].

٤ ـ الميرة ـ بالكسر ـ جلب الطعام ومار عياله يمير ميراً وأمارهم وأمتار لهم والميّار: جالب الميرة. القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٣٧.

٥ ـ تفسير القمي ج ١، ص ٣٤٠.

٦ ـ علل الشرائع: ص ٤٨، ح ١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها امتحن الله عزّوجلّ يعقوب وابتلاه بالرؤيا التي رآها يوسف حتى جرى من أمره ما جرى.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٧.

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾: آخر النّهار.

﴿يَبْكُونَ﴾: متباكين.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في العدو.

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمصدّق لنا.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾: لسوء ظنّك بنا، وفرط محبّتك ليوسف.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: مكذوب فيه، وصف بالمصدر للمبالغة.

القمّي: عن الباقر عليه السلام ذبحوا جدياً على قميصه[١].

والعياشي: عن الصّادق عليه السلام لمّا أُوتي بقميص يوسف على يعقوب، قال: اللّهمّ لقد كان ذئباً رفيقاً حين لم يشقّ القميص. قال: وكان به نضح من دم[٢].

والقمي: قال ما كان أشدّ غضب ذلك الذّئب على يوسف وأشفقه على قميصه حيث أكل يوسف ولم يمزّق قميصه[٣].

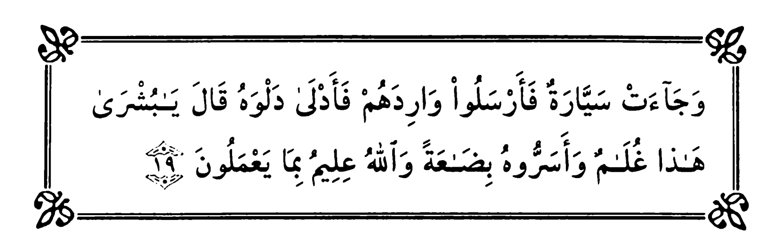
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً﴾: أي سهّلت لكم وهوّنت في أعينكم أمراً

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤١.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧١، ح ٩.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٢.



عظيماً من السّول، وهو الإسترخاء.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فأمري صبر جميل، وفي الحديث النّبوي ﷺ الصّبر الجميل: الّذي هو لا شكوى فيه إلى الخلق[١].

ورواه ابن عقدة عن الصادق عليه السلام[٢]، والعياشي: عن الباقر عليه السلام[٣].

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف.

في العلل[٤]، والعياشي: عن السّجاد عليه السّلام إنّه لما سمع مقالتهم استرجع واستعبر، وذكر ما أوحى الله إليه من الإستعداد للبلاء وأذعن[٥] للبلوى ـ يعني بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجائع ـ، فقال لهم: «بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً»، وما كان الله ليطعم لحم يوسف للذّئب من قبل أن أُري تأويل رؤياه الصّادقة[٦].

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة يسيرون فنزلوا قريباً من الجُبّ.

﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾: الّذي يرد الماء ويستسقي لهم.

﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾: فأرسلها في الجبّ ليملأها فتدلّى بها يوسف، فلمّا رآه.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص١٨١.

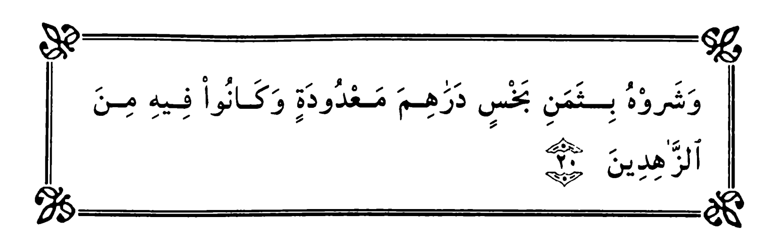
٢ ـ سعد السعود: ص١١٩ ـ ١٢٠، وفى البحار: ج١٢، ص٣١١، نقلاً عن سعد السعود وإليك نصّه: «قال: ذاك صبر ليس فيه شكوى إلى النّاس».

٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٨، ح٥٧، وإليك نصّه: «ذاك صبر ليس فيه شكوى إلى النّاس».

٤ ـ علل الشرائع: ص ٤٧، ح١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها امتحن الله عزّوجل يعقوب وابتلاه بالرؤيا التي رآها يوسف حتى جرى من أمره ما جرى.

٥ ـ هكذا في الأصل والصحيح «فصبر وأذعن» كما في العلل والعياشي.

٦ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٦٩، ح٥.



وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾: بشر نفسه أو قومه، وقرئ يا بشراي بالإضافة.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً﴾: أخفوه متاعاً للتجارة أي الوارد وأصحابه من سائر الرّفقة أو إخوة يوسف من الرّفقة جميعاً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: لم يخف عليه أسرارهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مبخوس ناقص.

﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة، كانوا يزنون الكثير ويعدّون القليل.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ﴾: في يوسف.

﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: الرّاغبين عنه، العياشي: عن الصّادق عليه السلام كانت عشرين درهماً[١].

والقمي[٢]، والعياشي: عن الرضّا عليه السلام مثله، وزاد والبخس: النّقص، وهي قيمة كلب الصّيد إذا قتل[٣].

وفي المجمع[٤]: عن الصّادق، والعيّاشي: عن الباقر عليهما السلام: كانت ثمانية عشر درهماً[٥]، والقمّي مثله[٦].

في العلل[٧]، والعيّاشي: عن السّجاد عليه السلام أنّهم لما أصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتّى ننظر

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٢، ح ١١ و ١٢.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤١.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٢، ح ١٥.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٢٠.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٧٢، ح ١٤.
٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤١.
٧ ـ علل الشرائع: ص ٤٨، ح ١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها، امتحن الله عزّوجلّ يعقوب وابتلاه بالرؤيا التي رآها يوسف حتى جرى من أمره ماجرى.

ما حال يوسف أمات أم هو حي؟ فلما انتهو إلى الجب وجدوا بحضرة الجبّ سيّارة وقد أرسلوا واردهم وأدلى دلوه فلّما جذب دلوه فإذا هو بغلام متعلّق بدلوه، فقال لأصحابه: يا بشرى هذا غلام، فلّما أخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف فقالوا: هذا عبدنا سقط منّا أمس في هذا الجبّ، وجئنا اليوم لنخرجه فانتزعوه من أيديهم وتنّحوا به ناحية، فقالوا: إمّا أن تقّر لنا أنّك عبدنا فنبيعك بعض هذه السيّارة أو نقتلك؟ فقال لهم يوسف: لا تقتلوني واصنعوا ماشئتم، فأقبلوا به إلى السيّارة فقالوا: أمنكم من يشتري منّا هذا العبد فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً. وكان إخوته فيه من الزّاهدين[١].

في الكافي[٢]، والقمي: عن الصّادق عليه السلام لمّا طرح إخوة يوسف يوسف في الجبّ. أتاه جبرئيل فدخل عليه، فقال: يا غلام ما تصنع هاهنا؟ فقال: إنّ إخوتي ألقوني في الجبّ. قال: فتحبّ أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله عزّ وجلّ إن شاء أخرجني، قال: فقال له إنّ ألله يقول لك: أدعني بهذا الدّعاء حتّى أُخرجك من الجبّ، فقال له: وما الدّعاءُ؟ قال: قل: اللّهم إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت المنّان، بديع السّموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، أن تصلّي على محمدّ وآل محمّد، وأن تجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً[٣].

وزاد القمّي: وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب، فدعا ربّه فجعل له من الجبّ فرجاً، ومن كيد المرأة مخرجاً، وأتاه مُلك مصر من حيث لا يحتسب[٤].

وفي المجمع[٥]، والعيّاشي: مافي معناه[٦].

وفي المجالس: عنه عليه السلام أنّه سئل ما كان دعاء يوسف عليه السلام في الجبّ فإنّا قد اختلفنا فيه؟ فقال: إنّ يوسف عليه السلام لمّا صار في الجبّ وآيس من الحياة، قال: اللّهم إن كانت الخطايا والذّنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً، ولن تستجيب لي دعوةً فإنّي أسألك بحقّ

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧١، ح ١٠.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧، ح ٤، باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٤.　　　　٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٤.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢١٧ س ١٧.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٦.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشّيخ يعقوب عليه السلام فارحم ضعفه، واجمع بيني وبينه فقد علمت رقّته عليّ وشوقي إليه[١].

القمي: فحملوا يوسف إلى مصر وباعوه من عزيز مصر[٢].

وفي العلل: عن السّجاد عليه السلام إنّه سئل كم كان بين منزل يعقوب يومئذ وبين مصر؟ فقال: مسيرة إثني عشر يوماً[٣].

وفي الكافي[٤]، والإكمال: عن الصّادق عليه السلام في حديث يذكر فيه يوسف وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، قال: ولقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر[٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾: قيل: هو العزيز الّذي كانَ على خزائن مصر، وكان إسمه قطفير أو إظفير، وكان الملك يومئذ ريّان بن الوليد العمليق، وقد آمن بيوسف ومات في حياته[٦].

---

١ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٢٩، ح٤، المجلس الثالث والستون.

٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٢.

٣ ـ علل الشرائع: ص٤٨، ج١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها امتحن الله عزوجل يعقوب وابتلاه بالرؤيا التي رآها يوسف حتى جرى من أمره ما جرى.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٣٣٦ ـ ٣٣٧، ح٤، باب في الغيبة.

٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٤٤ ـ ١٤٥، ح١١، باب ٥ ـ في غيبة يوسف عليه السلام.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٩١.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿لِامْرَأَتِهِ﴾: وكان اسمها زليخا كما يأتي عن الهادي عليه السلام[١].

﴿أَكْرِمِي مَثْوَيٰهُ﴾: إجعلي مقامه عندنا كريماً أي حسناً، والمعنى إحسني تعهّده.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنْفَعَنَآ﴾: في ضياعنا وأموالنا، ونستظهر به في مصالحنا.

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾: نتبنّاه، وذلك لما تفرّس منه الرّشد.

القمي: ولم يكن له ولد فأكرموه وربّوه فلمّا بلغ أشدّه هَوَته إمرأة العزيز وكانت لاتنظر إلى يوسف إمرأة إلّا هوته، ولا رجل إلّا أحبّه، وكان وجهه مثل القمر ليلة البدر[٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِ﴾: لا يمنع ممّا يشاءُ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لطائف صنعه وإنّ الأمر كلّه بيده.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: منتهى إشتداد جسمه وقوّته.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْماً﴾: حكمة.

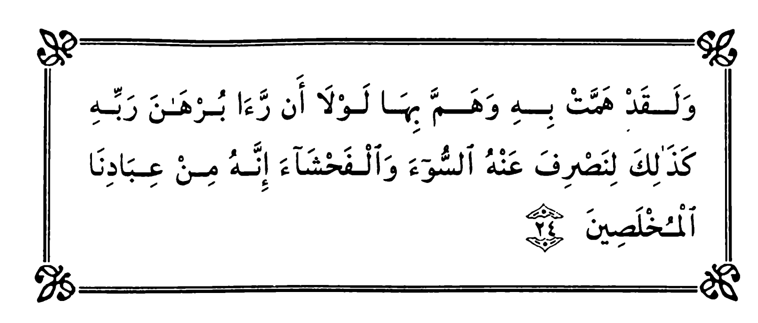
﴿وَعِلْماً وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: تنبيه على أنّه تعالى إنّما أتاه ذلك جزاءً على إحسانه في عمله واتّقائه في عنفوان[٣] أمره.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: طلبت منه، وتمحّلت[٤] أن يواقعها، من

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٧، س ١٣. ٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٢.

٣ ـ عنفوان الشيء: أوّله أو أوّلُ بهجته. القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٧٨، مادة «عنف».

٤ ـ المحل: الكيد. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٧٢، مادة «محل».



راد يرود: إذا جاء وذهب لطلب شيء.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: أي أقبل وبادر، وقرئ بالضم وبالفتح وكسر الهاء، وفي المجمع: عن عليّ عليه السلام بالهمزة وضمّ التّاء بمعنى تهيّأت لك[١].

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذ بالله معاذاً.

﴿إِنَّهُ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾: سيّدي ـ قطفير ـ أحسن تعهدي فليس جزاؤه أن أخونه في أهله، أو إنّ الله خالقي وأحسَنَ منزلتي بأن عطف عليّ قلبه فلا أُعصيه.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾: قصدت مخالطته.

﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِ﴾: معناه لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها فحذف جواب لولا لدلالة المذكور سابقاً عليه، هذا عند من لم يجوّز تقدمّ الجزاء على الشّرط، ومن جوّزه فلا حاجة له إلى هذا التّقدير.

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام البرهان: النّبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش، والحكمة الصّارفة عن القبائح[٢].

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: الّذين أخلصهم الله لطاعته، وقرئ بكسر اللّام أي الّذين أخلصُوا دينهم لله.

في العيون: عن الرّضا عليه السلام وقد سأله المأمون عن عصمة الأنبياء؟ لقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت به، لكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٢٢ في القراءة.   ٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٢٥ س ٢٤.

وقال: ولقد حدّثني أبي عن الصّادق عليه السلام: إنّه قال: همّت بأن تفعل، وهمّ بأن لا يفعل[١].

وفي رواية: أنّها همّت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها، والفاحشة، وهو قوله تعالى: «كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ» يعني القتل والزّنا[٢].

وعن السّجاد عليه السلام: قامت إمرأة العزيز إلى الصنم فألقت عليه ثوباً، فقال لها يوسف: أتستحيين ممّن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يأكل ولا يشرب ولا استحي أنا ممّ خلق الإنسان وعلّمه فذاك قوله تعالى: «لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ»[٣].

والعياشي: مثله عن الباقر عليه السلام بعدما كذب قول النّاس أنّه رأى يعقوب عاضّاً على أصبعه[٤].

والقمي: أيضاً روى قيامها إلى الصّنم عن الصّادق عليه السلام[٥].

وفي المجالس: عنه عليه السلام إنّ رضا النّاس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، وكيف تسلمون ممّا لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحجج الله ألم ينسبوا يوسف إلى أنّه هّم بالزّنا؟[٦].

أقول: وقد نسبت العامّة خذلهم الله إلى يوسف عليه السلام في هذا المقام اُموراً ورووا بها روايات مختلقة لا يليق للمؤمن من نقلها فكيف باعتقادها.

ونعم ماقيل: إنّ الّذين لهم تعلّق بهذه الواقعة: هم يوسف عليه السلام، والمرأة، وزوجها، والنّسوة، والشّهود، وربّ العالمين، وإبليس، وكلّهم قالوا ببراءة يوسف عن الذّنب فلم يبق

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص ٢٠١، ح١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص ١٩٣، ح١، باب ١٤ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الانبياء عليهم السلام أجمعين.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٤٥، ح١٦٢، باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٧٤، ح١٩.

٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٢.

٦ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٩١ ـ ٩٢، ح٣، المجلس: الثاني والعشرون.

لمسلم توقّف في هذا الباب.

أمّا يوسف: فقوله: «هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي»[١] وقوله «قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ»[٢].

وأمّا المرأة: فلقولها: «وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ»[٣] وقالتّ: «ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ[٤] ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ»[٥].

وأمّا زوجها: فلقوله: «إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ»[٦].

وأمّا النّسوة: فلقولهن: «ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ»[٧] وقولهنّ: «حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ»[٨].

وأمّا الشّهود قوله تعالى: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ» الآية[٩].

وأمّا شهادة الله بذلك فقوله عزّ من قائل: «كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ»[١٠].

وأمّا اقرار ابليس: بذلك فلقوله: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ»[١١] فقد أقر بأنه لا يمكنه إغواء العباد المخلصين، وقد قال الله تعالى: «إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ»[١٢] فقد أقرّ إبليسُ بأنّه لم يغوه، وعند هذا نقول إنّ هؤلاء الجهال الّذين نَسبُوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته[١٣].

---

١ ـ يوسف: ٢٦. ٢ ـ يوسف: ٣٣.

٣ ـ يوسف: ٣٢.

٤ ـ حصحص: بان وظهر. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٩٨، مادة (أحصص».

٥ ـ يوسف: ٥١. ٦ ـ يوسف: ٢٨.

٧ ـ يوسف: ٣٠. ٨ ـ يوسف: ٥١.

٩ ـ يوسف: ٢٦. ١٠ ـ يوسف: ٢٤.

١١ ـ ص: ٨٢ ـ ٨٣. ١٢ ـ يوسف: ٢٤.

١٣ ـ قاله المجلسي في بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠. وأضاف في القول: ولعلّهم يقولون: كنا في أوّل الأمر تلامذة إبليس إلّا أنّا تخرّجنا وزدنا عليه في السفاهة كما قال الحروي : ⇦

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾: أي تسابقا إليه، وذلك أنّ يوسف فرّ منها ليخرج، وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾: اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه، والقدّ: الشّقّ طولاً، والقّط: الشّقّ عرضاً.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾: وصادفا زوجها.

﴿لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بادرت إلى هذا القول إيهاماً بإنّها فرّت منه، تبرءة لساحتها عند زوجها، و«ما» نافية، أو استفهاميّة.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾: طالبتني بالمواتاة[1] وإنّما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السّجن، والعذاب، ولو لم تكذب عليه لما قاله.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: وهو صبيّ من أهلها زائر لها كما يأتي عن السّجاد عليه السلام[2].

⇦وكنت فتىً من جند إبليس فارتقى بي الأمر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

١ ـ المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة، وأصله الهمزة وخفف وكثر حتى صار يقال بالواو الخالصة، ومنه الحديث خير النساء المواتية. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢١، مادة «أتا».

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٤، ح ١٩.

وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

والقمي: عن الصّادق عليه السلام ألهم الله عزّوجلّ يوسف أن قال للملك: سل هذا الصّبي في المهد فإنه سيشهد أنّها راودتني عن نفسي، فقال العزيز للصّبيّ: فأنطق الله الصّبيّ في المهد ليوسف، فقال: «إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ»[1].

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾: لأنّه يدلّ على أنّها قدّت قميصه من قدّامه بالدّفع عن نفسها، أو أنّه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: لأنّه يدلّ على أنّها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته.

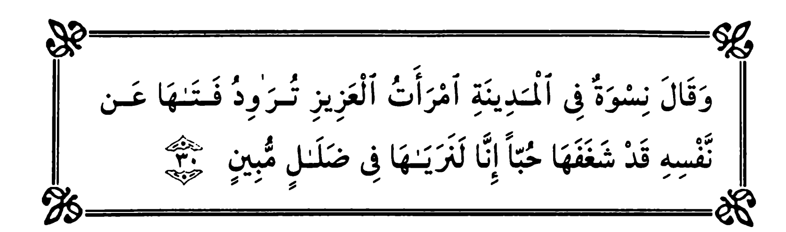
﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾: من حيلتكنّ والخطاب لها ولأمثالها من النّساء.

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: لأنّه يعلق بالقلب، ويؤثّر في النّفس لمواجهتهنّ به، بخلاف كيد الشّيطان فإنّه يوسوس به مسارقة.

﴿يُوسُفُ﴾: يا يوسف.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٣.



﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: اكتمه ولا تذكره.

﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ﴾: يازليخا.

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ﴾: من القوم المذنبين، من خطىء إذا أذنب متعمّداً، والتذكير للتّغليب.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾: تطلب مواقعة غلامها إيّاها.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: شقّ شغاف قلبها وهو حجابه حتّى وصل إلى فؤادها حبّاً.

القمي: عن الباقر عليه السلام يقول: قد حجبها حبّه عن النّاس فلا تعقل غيره[١] والشغاف: هو حجاب القلب، وقرئ شعَفَها بالمهملة أي أحرقها كما يحرق البعير بالقطران إذا هنيء به، ونسبها في المجمع[٢] والجوامع إلى أهل البيت عليهم السلام[٣].

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ﴾: عن الرّشد، وبعد عن الصّواب.

﴿مُّبِينٍ﴾: ظاهر، القمي: وشاع الخبر بمصر، وجعلن النّساء يتحدّثن بحديثها ويعذلنها[٤] ويذكرنها[٥].

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٧.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٢٨.

٣ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص١٨٦.

٤ ـ العذل: الملامة: مجمع البحرين: ج٥، ص٤٢٢، مادة «عذل».

٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٣. وفيه «فجمعتهنّ في منزلها وهيأت لهن مجلساً، ودفعت إلى كل إمرأة أترنجة وسكيناً... ».

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: باغتيابهنّ وتعييرهنّ، وإنّما سماه مكراً لأنّهنّ أخفينه كما يخفي الماكر مكره.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: تدعوهنّ.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾: طعاماً ومجلس طعام كما يأتي عن السّجاد عليه السلام فإنّهم كانوا يتّكئون للطعام والشّراب تترّفاً[1] ولذلك نهى عنه.

والقمي: «مُتَّكَئًا» أي اترجة[2][3] كأنّه قرأ باسكان التّاء وحذف الهمزة.

﴿وَءَاتَتْ﴾: أعطت.

﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: القمي: بعثت إلى كل أمرأة رئيسة فجمعن في منزلها، وهيّأت لهنّ مجلساً، ودفعت إلى كلّ إمرأة أترجة وسيكناً، فقالت: إقطعن[4].

﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: القمي: وكان في بيت[5].

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: عظّمنه، وهبن حسنه الفائق، في المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله رأيت

---

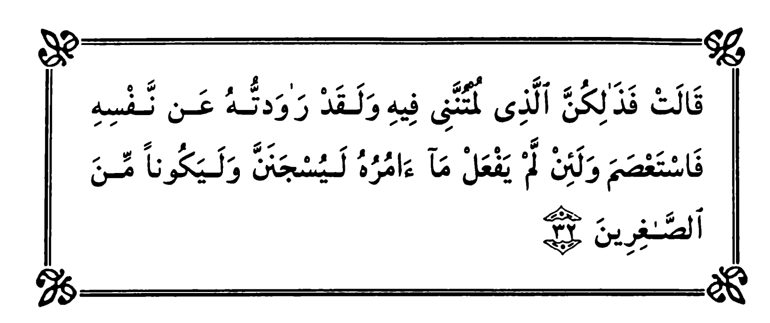
١ ـ المترف: المتقلب في لين العيش، والمترف: المتروك يصنع ما يشاء، وإنّما قيل للمتنّعم مترف لأنّه لا يمنع من تنعمه فهو مطلق فيه والمترف والمتنعم: المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، من الترفة بالضم وهي النعمة. مجمع البحرين: ج٥، ص ٣٠، مادة «ترف».

٢ ـ الأُترج، والأترجة، والترنجة، والترنج حامضة مسكن غلمة النساء ويجلو اللون. القاموس المحيط: ج١، ص ١٨٠، مادة «ترج»

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٣. وفيه «اترنجه».

٤ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٣.

٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٣.



في السّماء الثّانية رجلاً صورته صورة القمَر ليلة البدر فقلت لجبرئيل: من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف[١] يعني حين أسرى به.

والقمي: عن الصّادق عليه السلام ما يقرب منه[٢].

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها بالسكاكين من فرط الدّهشة.

﴿وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ﴾: تنزيهاً لله من صفات العجز، وتعجبّاً من قدرته على خلق مثِله، وقرئ حاشاكما هو الأصل.

﴿مَا هَـٰذَا بَشَراً﴾: لأنّ هذا الجمال غير معهود للبشر.

﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: لأنّ جماله فوق جمال البشر، ولأنّ الجمع بين الجمال الرائق، والكمال الفائق، والعصمة البالغة من خواصّ الملائكة.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: أي فهو ذلك العبد الكنعاني الّذي لمتنّني في الإفتتان به قبل أن تتصّورنه حقّ تصوّره ولو تصوّرتنّ بما عاينتنّ لعذرتنّني.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ﴾: فامتنع طالباً للعصْمة، أقرّت لهنّ حين عرفت إنّهنّ يعذرنها كي يعاونّها على إلانة عريكته[٣].

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾: الأذلّاء.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.　　٢ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص٨.

٣ ـ العريكة: الطبيعة، وفي الحديث: المؤمن ليّن العريكة: إذا كان سلساً مطواعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور، ولانت عريكته: إذا إنكسرت نخوته. مجمع البحرين: ج٥، ص٢٨٢، مادة «عرك».

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾: أي آثر عندي من مواتاتها[١] نظراً إلى العاقبة، وإسناد الدّعوة إليهنّ جميعاً لأنّهنَّ خوّفنه عن مخالفتها وزينّ له مطاوعتها[٢].

والقمي: فما أمسى يوسف في ذلك البيت حتّى بعثت إليه كل إمرأة رأته تدعوه إلى نفسها فضجر يوسف في ذلك البيت فقال: «رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ» الآية[٣].

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾: وإن لم تصرف عنّي.

﴿كَيْدَهُنَّ﴾: في تحبيب ذلك إليّ وتحسينه عندي بالتّثبيت على العصْمة.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل إلى إجابتهنّ أو إلى أنفسهنّ بطبعي ومقتضى شهوتي، والصّبو: الميل إلى الهوى.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: من السّفهاء بإرتكاب ما يدعونني إليه.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾: فأجاب الله دعائه الّذي تضمّنه قوله: «وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي».

---

١ ـ المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة، وأصله الهمزة وخفف وكثر حتّى صار يقال بالواو الخالصة. ومنه الحديث خير النساء المواتية. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢١، مادة «أتا».

٢ ـ كما يشهد له حديث أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام: أن النسوة لما خرجن من عندها أرسلت كل واحدة منهنّ إلى يوسف سرّاً من صاحبته تسأله الزيارة، مضافاً إلى ما قيل: بأنّ النسوة قلن له أطع مولاتك واقض حاجتها فإنّها المظلومة وأنت ظالم، ويؤيّده ما قيل أيضاً: بأنّ النسوة لما رأين يوسف إستأذن إمرأة العزيز بأن تخلو كلّ واحدة منهنّ به وتدعوه إلى ما أرادته منه إلى طاعتها، فلمّا خلون به دعته كلّ واحدة منهنّ إلى نفسها فلذلك قال: «مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ» أُنظر مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٣١، س ١٦.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٣.

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: فثبّته بالعصمة حتّى وطّن نفسه على مشقّة السّجن وآثرها على اللّذّة المتضمّنة للعصيان.

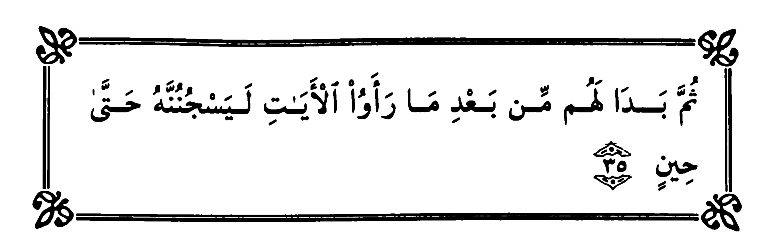
﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لدعاء الملتجئين إليه.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأحوالهم وما يصلحهم.

في العلل: عن السّجاد عليه السلام وكان يوسف عليه السلام من أجمل أهل زمانه، فلمّا راهق[1] يوسف عليه السلام راودته إمرأة الملك عن نفسه فقال لها: «مَعَاذَ ٱللَّهِ» أنا من أهل بيت لا يزنون، فغلّقت الأبواب عليها وعليه، وقالت: لا تخف وألقت نفسها عليه فأفلت عليه السلام منها هارباً إلى الباب ففتحه فلحقته فجذبت قميصه من خلفه فأخرجته منه فأفلت يوسف عليه السلام منها في ثيابه «وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءاً إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قال: فهمّ الملك بيوسف ليعذّبه، فقال له يوسف: وإله يعقوب ما أردت بأهلك سوءاً بل هي راودتني عن نفسي فسَل هذا الصّبيّ أيّنا راود صاحبه عن نفسه، قال: وكان عندها صبيّ من أهلها زائر لها فأنطق الله الصّبيّ لفصل القضاء، فقال: أيّها الملك اُنظر إلى قميص يوسف فإن كان مقدوداً من قدّامه فهو الّذي راودها، وإن كان مقدوداً من خلفه، فهي الّتي راودته. فلمّا سمع الملك كلام الصّبيّ وما اقتص أفزعه ذلك فزعاً شديداً فجيىء بالقميص فنظر إليه فلمّا رآه مقدوداً من خلفه قال لها: «إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» وقال ليوسف: «أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا» ولا يسمعه منك أحد وأكتمه، قال: فلم يكتمه يوسف وأذاعه في المدينة حتّى قلن نسوة منهنّ «ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِ» فبلغها ذلك فارسلت إليهنّ وهيأت لهنّ طعاماً ومجلساً ثمّ أتتهنّ بأترج وآتت كلّ واحدة منهنّ سكيناً، ثمّ قالت ليوسف أخرج عليهنّ فلمّا رأينه أكبرنه، وقطّعن، أيديهنّ، وقلن ما قلن فقالت لهنّ: هذا الّذي لمتنّني فيه، تعني في حبّه وخرجن النّسوة من عندها فأرسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف سراً من صواحبها تسأله الزيارة فأبى عليهن، وقال: «إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ» فصرف

---

١ ـ راهق الغلام: قارب الحلم. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٣٩، مادة «رهق».



الله عنه كيدهن[١][٢].

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَٰتِ﴾: من بعدما رأوا الشّواهد الدّالّة على براءة يوسف.

﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: وذلك لأنّها خدعت زوجها، وحملته على سجنه زماناً حتّى تبصر ما يكون منه أو يحسب النّاس أنّه المجرم.

القمّي: عن الباقر عليه السلام الآيات: شهادة الصّبيّ، والقميص المخرق من دبر، واستباقهما الباب حتى سمع مجاذبتها إيّاه على الباب، فلّما عصاها لم تزل مولعة بزوجها حتى حبسه[٣].

والقمّي: عن الرّضا عليه السلام: قال السّجان ليوسف: إنّي لأحبّك، فقال يوسف: ما أصابني إلّا من الحبّ، إن كانت خالتي أحبّتني سرّقتني، وإن كان أبي أحبّني حسدني إخوتي، وإن كانت إمرأة العزيز أحبّتني حبستني.[٤]

والعياشي: مثله، إلاّ أنّه ذكر العمّة مكان الخالة[٥]، وزاد القمّي: وشكا في السّجن إلى

---

١ ـ علل الشرائع: ص٤٨، ح١، باب ٤١ ـ العلة التي من أجلها امتحن الله عزوجل يعقوب وابتلاه بـالرؤيا التي رآها يوسف حتى جرى من أمره ما جرى.

٢ ـ العيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: إن يوسف خطب إمرأة جميلة كانت في زمانه، فردّت عـليه إن عـبد المـلك إيّاي يطلب، قال: فطلبها إلى أبيها، فقال له أبوها: إنّ الأمر أمرها، قال: فطلبها إلى ربه وبكى قال: فأوحي الله إليه: إنّي قد زوجتكها، ثم أرسل إليها إني أُريد أن أزوركم، فأرسلت إليه: أن تعال، فلما دخل عليها أضاءالبيت لنوره، فقالت: ما هذا إلّا ملك كريم، فاستسقى فقامت إلى الطاس لتسقيه، فجعل يتناول الطاس من يدها فتناوله فـاها فجعل يقول لها: إنتظري ولا تعجلي، قال: فتزوجها. منه ﷺ، راجع العيّاشي: ج٢، ص١٧٥، ح٢٠.

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٤.

٤ ـ تفسير القمي:: ج١، ص٣٥٤ وانظر بحار الأنوار: ج١٢، ص٢٤٧.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٧٥ ـ ١٧٦، ح٢١، كما ورد في مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٣٣، س٣١.

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

الله فقال: يا ربّ بما استحققت السّجنَ؟ فأوحى الله إليه أنت إخترته حين قلت: «رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ» هلّا قلت: العافية أحبّ إلي مما يدعونني إليه؟(١).

في الخصال: عن الصّادق: عليه السلام البكّاؤن خمسة إلى أن قال: وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السّجن، فقالوا: له إمّا أن تبكي اللّيل، وتسكت بالنّهار، وإمّا أن تبكي النّهار وتسكت باللّيل، فصالحهم على واحد منهما(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام ما بكى أحد بكاء ثلاثة إلى قوله: وأمّا يوسف: فإنّه كان يبكى على أبيه يعقوب وهو في السّجن فتأذى به أهل السجن فصالحه على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً(٣).

وفي الكافي: عنه عليه السلام جاء جبرئيل الى يوسف عليه السلام وهو في السّجن فقال له: يا يوسف قل: في دبر كلّ صلاة اللّهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا أحتسب (٤).

وفي المجمع: عنه عليه السلام ما في معنى الرّوايتين (٥).

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: القمي: عبدان للملك أحدهما خبّاز، والآخر

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٤.

٢ ـ الخصال: ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣، ح ١٥، باب الخمسة ـ البكّاؤون الخمسة ـ

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٧ ـ ١٧٨، ح ٢٨.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٤٩، ح ٧١، باب الدعاء في أدبار الصلوات.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٣٥، س ٢١.

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

صاحب الشّراب[1].

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِي﴾: أي أرى في المنام، وهي حكاية حال ماضية.

﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾: أي عنباً سمّاه بما يؤوّل إليه.

﴿وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾:

العياشي: عن الصادق عليه السلام قال: أحمل فوق رأسي جفنة فيها خبز تأكل الطّير منه[2].

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لمّا أمر الملك بحبس يوسف في السّجن ألهمه الله تعالى علم تأويل الرّؤيا فكان يعّبر لأهل السّجنْ رؤياهم وإنّ فتيين أُدخلا معه السّجن يوم حبسه لمّا باتا أصبحا فقالا له: إنّا رأينا رؤيا فعبّرها لنا، فقال: وما رأيتما فقال: أحدهما: «إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ» الآية[3].

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام كان يوسّع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضّعيف[4].

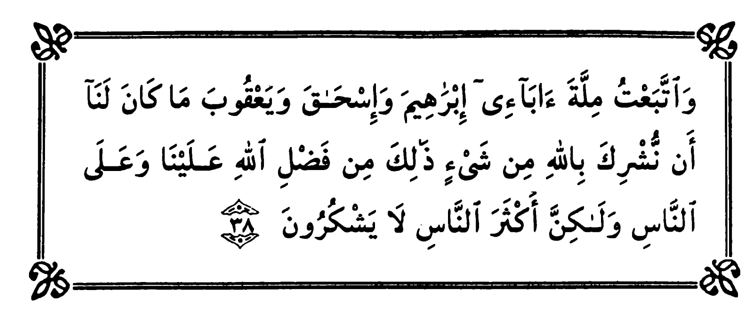
والقميّ: عنه عليه السلام كان يقوم على المريض، ويلتمس للمحتاج، ويوسّع على المحبُوس[5].

وقيل: ممّن يحُسن تأويل الرّؤيا[6] أي يعلمه.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾: أراد

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٤.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٧، ح ٢٥.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٦، ح ٢٣.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٧، ح ٣، باب حسن المعاشرة.
٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٤.
٦ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٩٥.



أن يدعوهما إلى التّوحيد، ويرشدهما الطّريق[١] القويم، قبل أن يسعف[٢] إلى ما سألا[٣] عنه[٤] كما هو طريقة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في الهداية والإرشاد، فقدّم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلّهما على صدقه في الدعوة والتّعبير.

﴿ذَٰلِكُمَا﴾: أي ذلك التّأويل.

﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾: بالإلهام والوحي وليس من قبيل التكهّن والتنجّم.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: تعليل لما قبله، وتمهيد للدّعوة، وإظهار أنّه من أهل بيت النبوّة لتقوّى رغبتهما في الإستماع إليه، والوثوق عليه.

﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾: ما صحّ لنا معشر الأنبياء.

﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: أيّ شيء كان.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التّوحيد.

﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾: بالوحي.

﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: وعلى سائر النّاس ببعثنا لإرشادهم وتنبيههم عليه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: المبعوث إليهم.

---

١ ـ هكذا في الأصل. والصحيح يرشدهما إلى الطريق القويم.

٢ ـ الإسعاف: الإعانة وقضاء الحاجة أي ينالني ما نالها، ويلم بي ما ألم بها. مجمع البحرين: ج٥، ص ٧٠، مادة «سعف».

٣ ـ هكذا في الأصل والصحيح سألاه عنه.

٤ ـ وفي نسخة: «منه».

يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: هذا الفضل والنّعمة فيعرضون عنه ولا ينتهون[1].

﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾: يا ساكنيه أويا صاحبيّ فيه كقولهم: يا سارقي اللّيلة.

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾: شتّى متعدّدة متساوية الأقدام.

﴿خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾: المتوحّد بالألوهيّة.

﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: الغالب الّذي لا يعادله شيء، ولا يقاومه غيره.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر.

﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ﴾: يعني إلّا أشياء سمّيتموها آلهة من غير حجّة تدلّ على إستحقاقها الإلهيّة وإنّما تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها فكأنكّم لا تعبدون إلّا الأسماء المجرّدة.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾: في أمر العبادة.

﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾: لأنّه المستحقّ لها بالّذات.

﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: الحق.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيخبطون في جهالاتهم.

---

١ ـ هكذا في الأصل. والصحيح أن يقال: هذا الفضل وهذه النعمة فيعرضون عنها ولا ينتبهون. وفي نسخة: [ولا ينتبهون].

يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْراً وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ ٱلْأَمْـرُ ٱلَّـذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّـجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾: يعني صاحب الشّراب.

﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْراً﴾: كما يسقيه قبل[1]، القمّي: قال له يوسف عليه السلام: تخرج من السّجن، وتصير على شراب الملك، وترتفع منزلتك عنده[2].

﴿وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ﴾: يعني الخبّاز.

﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾: القمّي: ولم يكن رأى ذلك وكذب، فقال له يوسف: إنّك يقتلك الملك: ويصلبك، وتأكل الطّير من دماغك، فجحد الرّجل فقال: إنّي لم أر ذلك، فقال يوسف عليه السلام: «قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ»[3].

﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: وهو ما يؤول إليه أمركما، يعني قطع وفرغ منه صدقتما أو كذبتما[4].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: علم نجاته.

﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: اذكر حالي عند الملك، وإنّي حبست ظلماً لكي يخلّصني من السّجن.

---

١ ـ هكذا في الأصل: والأفضل «كما كان يسقيه من قبل».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٤.　　３ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٤.

٤ ـ هكذا في الأصل والظاهر هنا تقديم وتأخير وعلى هذا تكون العبارة كما يلي قطع الأمر الذي تستفتيان فيه، وهو ما يؤول إليه أمركما صدقتما أو كذبتما.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾: قيل: فأنسى الشّيطان صاحب الشّراب أن يذكره لربّه، أو أنسى يوسف ذكر الله حتّى استعان بغيره[١].

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: سبع سنين[٢].

وعنه عليه السلام: لم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه فلذلك قال الله تعالى: «فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ» قال: فأوحى الله إلى يوسف في ساعته تلك يا يوسف من أراك الرؤيا الّتي رأيتها؟ فقال: أنت يا ربّي، قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن وجّه السيّارة إليك؟ فقال: أنت يا ربّ، قال: فمن علّمكَ الدّعاء الّذي دعوت به حتّى جعل لك من الجبّ فرجاً؟ قال: أنت يا ربيّ، قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن أنطق لسان الصّبّي بعذرك؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن صرف كيد إمرأة العزيز والنّسوة؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن ألهمك تأويل الرّؤيا؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فكيف استعنت بغيري ولم تستعن بي؟ وتسألني أن أُخرجك من السّجن واستعنت وأمّلت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟ إلبث في السجّن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد[٣].

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام اقتصر على بعضها وزاد في كلّ مرة فصاح، ووضع خدّه على الأرض، ثمّ قال: أنت يا ربّ[٤].

والقمي: مثله[٥]، وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام فقال: يوسف أسألك بحقّ آبائي عليك إلّا فرّجت عنّي، فأوحى الله إليه يايوسف: وأيّ حقّ لآبائك وأجدادك عليّ؟ إن كان أبوك آدم خلقته بيّدي ونفخت فيه من روحي، وأسكنته جنّتي، وأمرته أن لا يقرب شجرة منها فَعصَاني وسألني فتبت عليه، وإن كان أبوك نوح انتجبته من بين خلقي وجعلته رسولاً إليهم فلّما عصوا

---

١ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج٢، ص١٩١. كما ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج٢، ص٤٧٢. وهكذا قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٤٩٧، س١.

٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٧٨، ح٣٠.

٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٧٦، ح٢٣.

٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٧٨، ح٢٩.

٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

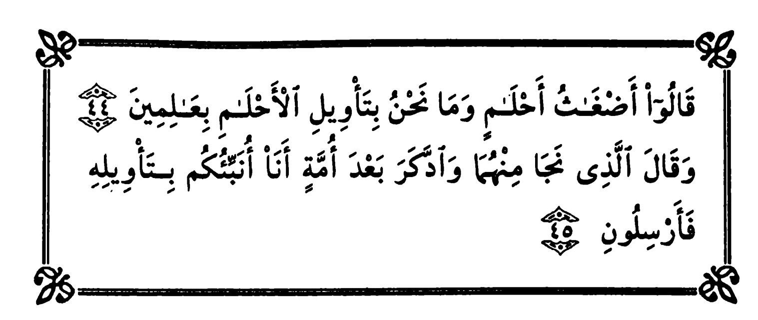
دعاني فاستجبت له وغرّقتهم وأنجيته ومن معه في الفلك، وإن كان أبوك ابراهيم اتخّذته خليلاً وانجيته من النّار، وجلعتها عليه برداً وسلاماً، وإن كان يعقوب: وهبت له إثني عشر ولداً فغيّبت عنه واحداً فما زال يبكي حتّى ذهب بصره وقعد على الطّريق يشكوني إلى خلقي فأيّ حقّ لآبائك عليّ، قال: فقال له جبرئيل: قل يا يوسف: أسألك بمنّك العظيم، واحسانك القديم، فقالها فرأى الملك الرّؤيا، وكان فرجه فيها[١].

وفي المجمع[٢]، والقمي[٣]، والعيّاشي: عنه عليه السلام لما انقضت المدّة وأذن الله له في دعاء الفرج وضع خدّه على الأرض، ثمّ قال: اللّهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإنّي أتوجّه إليك بوجوه آبائي الصّالحين إبراهيم، وإسمعيل، وإسحاق، ويعقوب، ففرّج الله عنه، قيل: أندعو نحن بهذا الدّعاء؟ قال: ادعوا بمثله: اللّهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإنّي أتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرّحمة: محمّد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة عليهم السلام[٤].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾: في المجمع[٥]، والعياشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ وسبع سنابل[٦].

﴿خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: وسبع[٧] يابسات التوت على الخضر حتّى غلبن عليها

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٣٥، س ٢٣.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٥.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٨، ح ٢٩.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٣٦، في القراءة.
٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٩، ح ٣٣.
٧ ـ وفي نسخة: [وسبعاً].



واستغنى عن بيان حالها بذكر حال البقرات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾: عبّروها.

﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: إن كنتم عالمين بتأويلها.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾: أي هذه اضغاث أحلام، وهي مخاليطها[1] وأباطيلها، وما يكون منها من وسوسة أو حديث نفس، جمع ضغث[2]، وأصله: ما جمع من أخلاط النّبات وحزم فاستعير للرّؤيا الكاذبة.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام الرّؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن، وتحذير من الشّيطان، وأضغاث أحلام[3].

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: يعنون الأحلام الباطلة خاصّة إعتذاراً لجهلهم بتأويله بأنّه ممّا ليس له تأويل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾: من صاحبي السّجن وهو الشّرابيّ.

﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: وتذكّر يوسف بعد جماعة من الزّمان مجتمعة أي مدّة طويلة.

القمي: عن أمير المؤمنين عليه السلام أي بعد وقت[4].

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾: أي إلى من عنده علمه.

---

١ ـ وفي نسخة: [تخاليطها].

٢ ـ هكذا في الأصل. والأفضل «والأضغاث: جمع ضغث».

٣ ـ الكافي: ج٨، ص ٩٠، ح ٦١، حديث الاحلام والحجة على أهل ذلك الزمان.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٤٥، وفيه «بعد حين».

يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: أي فأرسلوه إلى يوسف فأتاه، وقال له: يا «يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ»: أيّها البليغ في الصّدق، وإنّما قاله لأنّه جرّب أحواله، وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: أي في رؤيا ذلك.

﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: أعود إلى الملك ومن عنده.

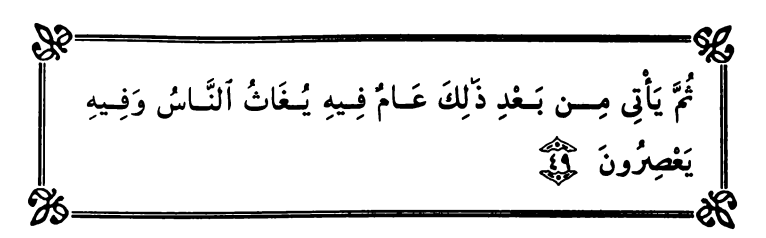
﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأويلها أو مكانك وفضلك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾: أي على عادتكم المستمرة، وقرئ بسكون الهمزة.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾: لئلّا تأكله السّوس نصيحة خارجة عن التّعبير.

﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: في تلك السّنين.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: أي يأكل أهلهنّ ما أدّخرتم لأجلهنّ، فاسند إليهنّ على المجاز تطبيقاً بين المعبّر والمعبّر به.



وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ: «ما قربتم لهن»[1].

والقمي: عنه عليه السلام إنّما أنزل: «ما قرّبتم لهنّ»[2].

﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تحرزون لبذور الزّراعة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث[3].

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: ما يعصر من الثمار والحبوب والزّروع، وقرئ بالتاء والياء على البناء للمفعول أي يمطرون أو ينجون من عصره إذا أنجاه.

وفي المجمع[4]، والعيّاشي: نسب هذه القراءة إلى الصّادق عليه السلام[5] وزاد العيّاشي: أنّه قال: أما سمعت قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصَرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً»[6][7].

والقمي: عنه عليه السلام قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام «ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ» يعني على البناء للفاعل، فقال: ويحك وأي شيء يعصرون يعصرون الخمر؟ قال الرّجل: يا أمير المؤمنين كيف أقرؤها؟ فقال: إنّما أنزلت: «عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يُعْصَرُونَ» يعني على البناء للمفعول، أي يمطرون بعد المجاعة، والدّليل على ذلك قوله تعالى، «وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصَرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً»[8].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٣٦، في القراءة. ٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٥.

٣ ـ هكذا في الأصل. والأنسب أن يقال: كلمة يغاث مأخوذة من الغوث.

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٣٦، في القراءة. ٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٠، ح٣٥.

٦ ـ النبأ: ١٤. ٧ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٠، ح٣٥.

٨ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٧٦

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾: بعد ما جاءه الرّسول بالتّعبير.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾: ليخرجه.

﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: العيّاشي مضمراً يعني العزيز[1].

﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: تأنّى في إجابة الملك، وقدّم سؤال النّسوة وفحص حاله ليظهر براءة ساحته ويعلم أنّه سجن ظلماً، ولم يتعرّض لإمرأة العزيز مع ما صنعت به كرماً ومراعاةً للأدب، في المجمع: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسّمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتّى اشترط أن يخرجوني من السّجْن، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرّسول، فقال: ارجع إلى ربّك ولو كنت مكانه ولبثت في السّجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم إلى الباب وما ابتغيت العذر أن كان لحليماً ذا إناة[2].

والعياشي: عنهما عليهما السلام إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لو كنت بمنزلة يوسف حين أرسل إليه الملك رسوله يسأله عن رؤياه ما حدّثته حتّى أشترط عليه أن يخرجني من السّجن، وتعجّبت لصبره عن شأن إمرأة الملك حتّى أظهر الله عذره[3].

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: استشهد بعلم الله عليه وعلى أنّه بريىء ممّا قذفته به.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٠، ح٣٧.
٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٤٠، س ١١.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٧٩، ح٣٢.

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: قال الملك: ما شأنكنّ؟.

﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: تعجباً من عفّته ونزاهته عن الزنية[1] ومن قدرة الله على خلق عفيف مثله، وقرئ حاشا.

﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: من ذنب.

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾: ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته[2] ليناخ أو أظهر من حصحصّ[3] شعره إذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه.

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: في قوله: «هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى»[4] ولا مزيد على شهادة الخصم بأنّ صاحبه على الحقّ، وهو على الباطل.

﴿ذَٰلِكَ﴾: التثبّت.

﴿لِيَعْلَمَ﴾: العزيز.

﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب في حرمته، قاله يوسف لمّا عاد إليه الرّسول

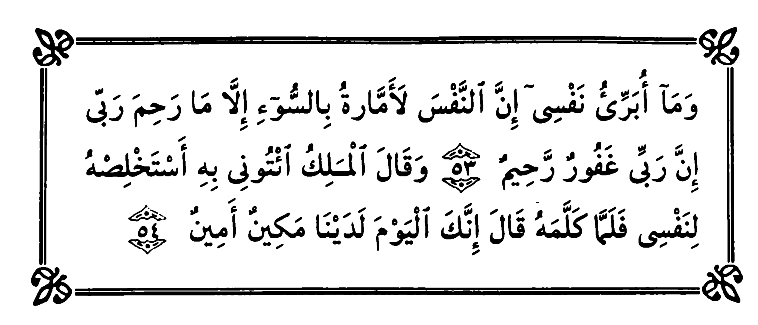
---

١ ـ وفي نسخة: [الريبة].

٢ ـ الثفنة ـ بكسر الفاء من البعير ـ الركبة وما مسّ الأرض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه. القاموس المحيط: ج٤، ص٢٠٦، مادة «ثفن».

٣ ـ وفي نسخة: [أو ظهر من حصّ شعره].

٤ ـ يوسف: ٢٥.



وأخبره بكلامهنّ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾: لا ينفذه ولا يسدّده، وفيه تعريض بـإمرأة العزيز وتأكيد لأمانته.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾: أي لا أُنزّهها، تواضع لله، وتنبيه على أنّه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله، بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتّوفيق.

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾: من حيث أنّها بالطّبع مايلة إلى الشّهَواتِ.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلّا وقت رحمة ربي أو إلّا ما رحمه الله من النّفوس، فعصمه عن ذلك، ويحتمل انقطاع الإستثناء أي ولكن رحمة ربيّ هي الّتي تصرف السّوء، وربّما يـقال: إنّ الآيتين من تتّمة كلام إمرأة العزيز، أي ذلك الّذي قلت ليعلم يوسف أنّي لم أكذب عليه في حال الغيب، وصدقت فيما سألت عنه وما أبرّىء مع ذلك من الخيانة فإنّي خنته حين قذفته وسجنته تريد الإعتذار مما كان فيها، وهذا التّفسير هو المستفاد من كلام القمي حيث قال: في قوله: «لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ» أي لا أكذب عليه الآن كما كذبت عليه من قبل[1].

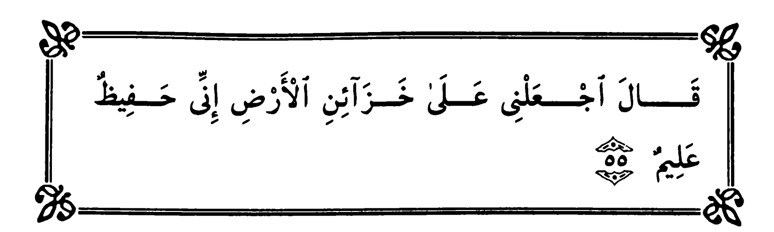
﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: يغفر ميل النفس ويرحم من يشاء بالعصمة.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾: أجعله خالصاً لنفسي[2].

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٦.

٢ ـ وفي المجمع: إن يوسف لما خرج من السجن دعا لأهله، وقال: اللهم إعطف عليهم بقلوب الأخيار، ولا تـعم عليهم الأخبار فلذلك يكون أصحاب السجن أعرف النّاس بالأخبار في كل بلدة، وكتب على باب السجن هـذا قبور الأحياء، وبيت الأحزان، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء. منه ﷺ. راجع مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٤٢.



﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: فلما أتوا به وكلّمه وشاهد منه الرّشد والأمانة واستدل بكلامه على عقله وبعفّته على أمانته.

﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة.

﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمن على كلّ شيءٍ.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾: ولّني أمرها، والأرض أرض مصر.

والقمي: يعني الكناديج[١] والأنابير[٢][٣].

﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: أحفظها من أن تجري عليها الخيانة.

﴿عَلِيمٌ﴾: بوجوه التصرّف، في العلل: عن الصّادق عليه السلام[٤]، وفي العيون[٥]، والعياشي: عن الرّضا عليه السلام قال: حفيظ بما تحت يدي، عليم بكلّ لسان[٦].

وإنّما طلب الولاية ليتوصّل بها إلى إمضاء أحكام الله، وبسط الحق، ووضع الحقوق مواضعها.

في المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله رحم الله، أخي يوسف لو لم يقل: «ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ» لولّاه من ساعته ولكنّه أخّر ذلك سنة[٧].

---

١ ـ الكندوج: شبه المخزن معرب كندو ـ القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٠٥، مادة «كنج».

٢ ـ الأنبار: بيت التاجر ينضد فيه المتاع، القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٣٧، مادة «نبر».

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٦.

٤ ـ علل الشرائع: ص ١٢٥، ح ٤، باب ١٠٥ ـ العلة التي من أجلها سمي النبي صلى الله عليه وآله الأمي.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٣٩، ح ١، باب ٤٠ ـ السبب الذي من أجله قبل علي بن موسى الرضا عليه السلام ولاية العهد من المأمون وفيه «حافظ لما في يدي، عالم بكل إنسان».

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨١، ح ٣٩.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٤٣، س ٣٥.

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام يجوز أن يزكيّ الرّجل نفسه إذا اضطرّ إليه أما سمعت قول يوسف: «ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» وقول العبد الصّالح: «وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ»[١][٢].

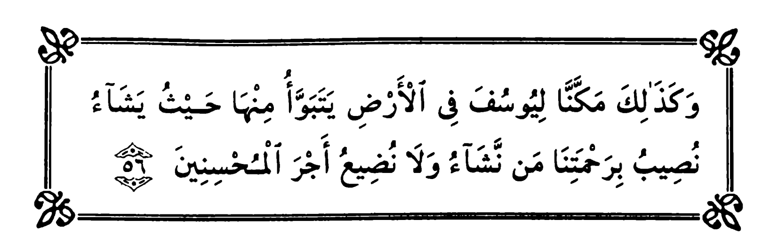
وفي الكافي: عنه عليه السلام لمّا صارت الأشياء ليوسف بن يعقوب عليهما السلام جعل الطّعام في بيوتٍ وأمر بعض وكلائه فكان يقول: بع بكذا وكذا والسّعر قائم فلمّا علم أنه يزيد في ذلك اليوم كره أن يجري الغلاء على لسانه، فقال: له إذهب وبع ولم يسمّ له سعراً فذهبَ الوكيل غير بعيد، ثم رجع إليه فقال له: إذهب فبع وكره أن يجري الغلاء على لسانه فذهب الوكيل فجاء أوّل من اكتّال، فلمّا بلغ دون ما كان بالأمس بكيال، قال المشتري حسبك إنّما أردت بكذا و كذا فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال ثمّ جاءه آخر فقال له: كل لي فكال فلّما بلغ دون الّذي كان للأوّل بمكيال قال له المشتري: حسبُك إنّما أردت بكذا وكذا فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال حتى صار إلى واحد واحد[٣].

والعيّاشي: عنه عليه السلام في حديث أنّ الغلاء إنّما حدث بتكاذب المشترين بعضهم بعضاً[٤].

وفي المجمع: عن الرضا عليه السلام وأقبل يوسف على جمع الطّعام فجمع في السّبع السّنين المخصبة فكبسه في الخزائن، فلّما مَضَتْ تلك السّنون وأقبلت السّنون المجدبة أقبل يوسف على بيع الطّعام فباعهم في السّنة الأولى بالّدراهم والدّنانير حتّى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلّا صار في ملكيّة يوسف، وباعهم في السّنة الثّانية بالحليّ والجواهر حتّى لم يبق بمصر وما حولها حليّ ولا جوهر إلّا صار في ملكيّة يوسف، وباعهم في السّنة الثّالثة بالدّوابّ والمواشي حتّى لم يبق بمصر وما حولها دابّة ولا ماشية إلّا صار في ملكية يوسف، وباعهم في السّنة الرابعة بالعبيَد والإماءِ حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلّا صار في ملكيّة

---

١ ـ الأعراف: ٦٨. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٨١، ح ٤٠.
٣ ـ الكافي: ج٥، ص١٦٣، ح٥، باب الأسعار.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧٩ و ١٨٠، ح٣٥.



يوسف، وباعهم في السّنة الخامسة بالدّور والعقار حتّى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار حتّى صار في ملكية يوسف، وباعهم في السنّة السّادسة بالمزارع والأنهار حتّى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة حتّى صار في ملكيّة يوسف، وباعهم في السنة السّابعة برقابهم حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حرّ حتّى صار عبد يوسف فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم، وقال النّاس: ما رأينا وما سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً، ثمّ قال يوسف للملك: أيّها الملك ما ترى فيما خوّلني[١] ربّي من ملك مصر وأهلها؟ أشر علينا برأيك فإنّي لم أصلحهم لأفسدهم، ولم أنجهم من البلاء لأكون وبالاً عليهم، ولكنّ الله نجاهم على يدي، قال له الملك: الرّأي رأيك، قال يوسف: إنّي أشهد الله واشهدك أيّها الملك إنّي قد اعتقت أهل مصر كلّهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك أيّها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلّا بسيرتي ولا تحكم إلّا بحكمي، قال له الملك إنّ ذلك لشرفي وفخري ألّا أسير إلّا بسيرتك، ولا أحكم إلّا بحكمك، ولولاك ما قويت عليه، ولا اهتديت له، ولقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام[٢]، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّك رسوله، فأقم على ما وليّتك فإنّك لدينا مكين أمين[٣].

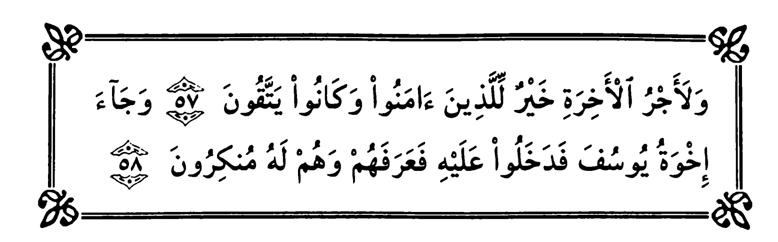
﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك التمكين الظّاهر.

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر، العيّاشي: عن الباقر عليه السلام ملك يوسف

١ ـ الخَوَلْ ـ محركة ـ ما أعطاك الله تعالى من النعم والعبيد والإماء وغيرهم. القاموس المحيط: ج٣، ص٣٧٢، مادة «خول».

٢ ـ الريم: الفضل والعلاوة والزيادة. القاموس المحيط: ج٤، ص١٢٣، مادة «ريم».

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ٢٤٤، س ١٣.



مصر وبراريها لم يتجاوزها إلى غيرها[١] ويأتي فيه حديث آخر.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: ينزل من بلادها حيث يهوى لإستيلائه على جميعها، وقرئ نشاء بالنّون.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾: في الدّنيا والآخرة.

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: بل نوفّي أجورهم عاجلاً وآجلاً.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: الشّرك والفواحش لعظمه ودوامه.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: للميرة[٢] وذلك لأنّه أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد من الجدب فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه.

﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾: أي عرفهم يوسف لأنّ همّته كانت معقودة بهم، ولم يعرفوه لطول العهد، ومفارقتهم إياه في سنّ الحداثة، ونسيانهم إيّاه، وتوهّمهم أنّه هلك، وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حيث فارقوه، وقلّة تأمّلهم في حِلاه[٣] من التهيّب والإستعظام[٤].

العياشي: عن الباقر عليه السلام ولم يعرفه إخوته لهيبة الملك وعزّه[٥].

---

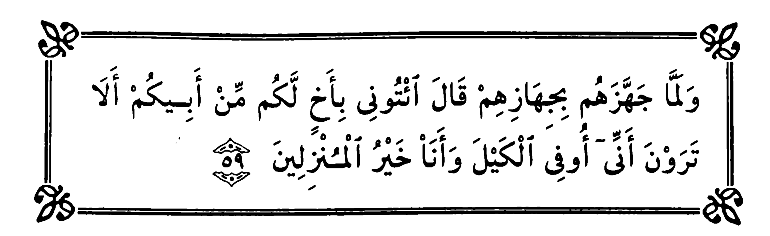
١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨١، ح٤١.

٢ ـ المِيْرَةَ بالكسر فالكسر: طعام يمتاره الإنسان أي يجلبه من بلد إلى بلد: ومارهم ميراً أتاهم بالمِيْرَةَ مجمع البحرين: ج٣، ص٤٨٦. مادة «مير».

٣ ـ الحِلْيَة ـ بالكسر ـ الخلقة والصورة والصفة القاموس المحيط: ج٤، ص٣٢٠ مادة «حلي».

٤ ـ اقتباس من أنوار التنزيل ج١، ص٥٠٠.

٥ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨١، ح٤٢. وفيه: «وعزّته» وهذا هو الأنسب.



والقمي: أمر يوسف أن يبني له كناديج من صخر وطيّنها بالكلس[١] ثم أمر بزرع مصر فحصدت، ودفع إلى كلّ إنسان حصتة، وترك في سنبله لم يدسّه فوضعها في الكناديج فـفعل ذلك سبع سنين، فلمّا جاء سني[٢] الجدب كان يخرج السّنبل فيبيع بماشاء، وكان بينه وبين أبيه ثمانية عشر يوماً، وكان في بادية، وكان النّاس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليمتاروا به طعاماً، وكان يعقوب و ولده نزولاً في بادية فيها مقل[٣] فأخذ إخوة يوسف من ذلك المقل، وحملوه إلى مصر ليمتاروا به طعاماً، وكان يوسف يتولّى البيع بنفسه فلمّا دخل إخوته عـليه عـرفهم، ولم يعرفوه كما حكى الله عزّوجلّ[٤].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام لمّا فقد يعقوب يوسف اشتّد حزنه عليه وبكاؤه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن، واحتاج حاجةً شديدة وتغيّرت حاله وكان يمتار القمح من مصر في السّنة مرّتين الشّتاء[٥] والصّيف وأنّه بعث عدّة من ولده ببضاعة يسيرة إلى مصر مع رفقة خرجت الحديث[٦].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: أصلحهم بعدّتهم وأوقر ركايبهم بما جـاؤوا لأجـله، وأصل الجهاز: ما يعدّ من الأمتعة المنقلة.

---

١ ـ الكلس ـ بالكسر والكون ـ الساروج يبني به مجمع البحرين ج٤، ص ١٠٠ ، مادة «كلس».

٢ ـ وفي نسخة: [سنوا الجدب].

٣ ـ المقل ـ بالضم ـ الكندر الذي يتدخّن به اليهود، وهو صمغ شجرة، ومنه هندي وعـربي وصـقلي، والكـل نافع للسعال، ونهش الهوام، والبواسير، وتنقية الرحم، وتسهيل الولادة، وإنـزال المشـيمة، وحـصاة الكـليه، والرياح الغليظة، مدر، باهي، مسمن، محلّل للأورام. القاموس المحيط: ج٤، ص ٥٠. مادة «مقل».

٤ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٦ ـ ٣٤٧.

٥ ـ وفي نسخة: [للشتاء والصيف].

٦ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨١ ، ح٤٢.

فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: القمي: أحسن لهم في الكيل، وقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله الّذي ألقاه نمرود في النّار فلم يحترق، فجعلها الله عليها برداً وسلاماً، قال: فما فعل أبوكم؟، قالوا: شيخ ضعيف، قال: فلكم أخ غيركم؟ قالوا: لنا أخٌ من أبينا لا من أُمّنا، قال: فإذا رجعتم إليّ فأتوني به[1].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال لهم يوسف: قد بلغني أنّ لكم أخوين لأبيكم[2] فما فعلا؟ قالوا أمّا الكبير منهما فإنّ الذّئب أكله، وأمّا الصّغير فخلّفناه عند أبيه، وهو به ضنين[3] وعليه شفيق، قال: فإنّي أحبّ أن تأتوني به معكم إذا جئتم تمتارون[4].

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أتمه ولا أبخس أحداً شيئاً.

﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾: المضيفين، وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: ولا تدخلوا دياري، نهي أو نفي.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه من أبيه.

﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: ذلك لا نتوانىٰ فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾: لغلمانه الكيّالين، وقرئ لفتيته.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٧. ٢ ـ وفي نسخة: [من أبيكم].

٣ ـ الضنين: البخيل. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٤٤، مادة «ضنن».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٨١، ح ٤٢ وفيه: «قد بلغني أنّه كان لكم اخوان لأبيكم».

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ﴾: يعني ثمن طعامهم، وما كانوا جاؤوا به.

﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾: في أوعيتهم، وإنّما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم وترّفعاً من أن يأخذ ثمن الطّعام منهم، وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾: لعلّهم يعرفون حقّ ردّها والتكرّم باعطاء بدلين.

﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾: وفتحوا أوعيتهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلّ معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرّجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾: أرادوا قول يوسف: «فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى» لأنّه إذا أعلمهم بمنع الكيل إذ لم يذهبوا ببنيامين فقد منعهم الكيل حينئذ[١].

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نرفع المانع من كيل ما نحتاج إليه من الطّعام، وقرئ يكتل بالياء أي يكتل أخونا لينضمّ إكتياله إلى إكتيالنا.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾: عن أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي لا آمنكم عليه.

﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: يوسف.

﴿مِن قَبْلُ﴾: وقد قلتم فيه: «إِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ» ثمّ لم تفوا بضمانكم.

---

١ ـ الظاهر أن العبارة مشوشة والصحيح أن يقال: «لأنّه أعلمهم بمنع الكيل إذ لم يذهبوا ببنيامين إليه».

وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا﴾: فأتوكّل على الله وأُفوّض أمري إليه، وقرئ حافظ.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: يرحم ضعفي وكبر سنّي فيحفظه ويردّه عليّ، ولا يجمع عليّ مصيبتين، في المجمع: في الخبر أنّ الله سبحانه قال: فبعزّتي لأردنّهما إليك بعد ما توكلت عليّ[١].

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ﴾: أي أوعية متاعهم.

﴿وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾: ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك؟ أكرمنا، وأحسن مثوانا، وباع منّا، وردّ علينا متاعنا، أو المعنى لا نطلب وراء ذلك إحساناً أو ما نريد منك بضاعة أُخرى.

﴿هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نستظهر بها، ونمير أهلنا بالرّجوع إلى الملك.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: وسق بعير باستصحاب أخينا.

﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: أي مكيل قليل لا يكفينا، استقلّوا ما كيل لهم، فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو أرادوا أنّ كيل بعير يسير لا يضايقنا فيه الملك.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ﴾: إذ رأيت منكم ما رأيت.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٤٨، س٦.

وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: حتى تعطوني ما أتوثّق به من عند الله، أي عهداً مؤكدّاً بذكر الله.

﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلّا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك، أو إلّا أن تهلكوا جميعاً.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾: عهدهم.

﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: رقيب مطّلع إن أخلفتم أنتصف لي منكم.

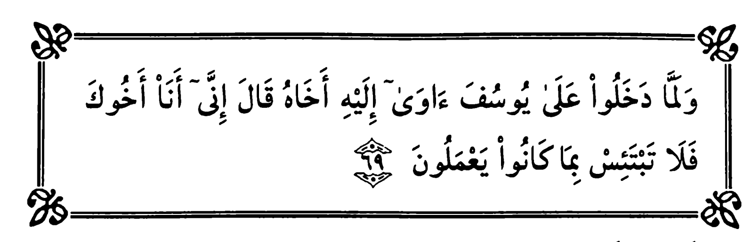
﴿وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾: لأنّهم كانوا ذوي جمال وبهاء وهيئة حسنة، وقد شهروا في مصر بالقربة من الملك والتكرمة الخاصّة الّتي لم تكن لغيرهم فخاف عليهم العين.

﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: يعني وإن أراد الله بكم سوءاً لم ينفعكم، ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التّفرقة[1]، وهو مصيبكم لا محالة فإنّ الحذر لا يمنع القدر.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُواْ

---

١ ـ وفي نسخة: [التفرق].



مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾: أي من أبواب متفرّقة.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾: رأي يعقوب وأتباعه.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: ممّا قضيناه[1] عليهم كما قاله يعقوب: فسرقوا وأخذ بنيامين وتضاعفت المصيبة على يعقوب.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: استثناء منقطع، أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا.

﴿قَضَىٰهَا﴾: أظهرها ووصّى بها.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾: لذو يقين ومعرفة بالله من أجل تعليمنا إيّاه ولذلك قال: «وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ»، ولم يغترّ بتدبيره.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: سر القدر وأنّه لا يغني عنه الحذر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضمّ إليه بنيامين.

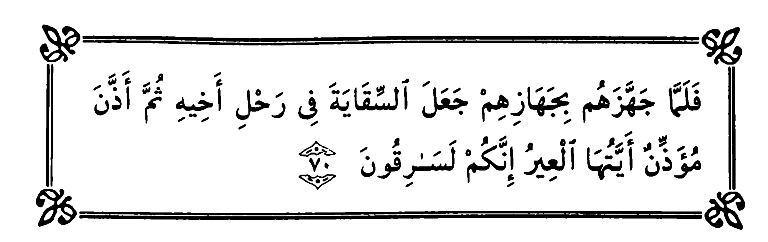
﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَاْ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن من البؤس.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: في حقّنا فإنّ الله قد أحسن إلينا وجمعنا، في المجمع[2] والعياشي: عن الصادق عليه السلام وقد كان هيأ لهم طعاماً فلّما دخلوا عليه قال: ليجلس كلّ بني أُمّ على مائدة، قال: فجلسوا و بقي بنيامين قائماً، فقال له يوسف: مالك لا تجلس؟ قال له: إنّكَ قلتَ ليجلس كلّ بني أمّ على مائدة، وليس لي فيهم ابن أمّ، فقال: أما كان لك ابن أُمّ؟ قال له بنيامين: بلى، قال يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء إنّ الذّئب أكله، قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي أحد عشر ابناً كلّهم اشتققت له اسماً من إسمه، فقال له يوسف: أراك قد عانقت النّساء

---

١ ـ وفي نسخة: [ممّا قضاه عليهم].

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٥١ ـ ٢٥٢.



وشممت الولد من بعده؟ قال له بنيامين: إنّ لي أباً صالحاً وإنّه قال: تزوّج لعلّ الله أن يخرج منك ذرّية تثقل الأرض بالتّسبيح، فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي، فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله يوسف وأخاه حتّى أن الملك قد أجلسه معه على مائدته[١].

وفي رواية أُخرى: أنّه حين أجلسه معه على المائدة تركوا الأكل، وقالوا: إنّا نريد أمراً ويأبى الله إلّا أن يرفع ولد ياميل علينا[٢].

والقمي: فخرجوا وخرج معهم بنيامين، وكان لا يؤاكلهم، ولا يجالسهم، ولا يكلّمهم، فلما وافوا مصر دخلوا على يوسف وسلّموا فنظر يوسف إلى أخيه فعرفه فجلس منهم بالبعيد، فقال يوسف: أنت أخوهم؟قال: نعم، قال: فلم لا تجلس معهم؟ قال: لأنّهم أخرجوا أخي من أُمّي وأبي، ثمّ رجعوا ولم يردّوه، وزعموا أنّ الذّئب أكله، فآليت على نفسي أن لا اجتمع معهم على أمر مادمت حياً، قال: فهل تزوجت؟ قال: بلى، قال: فولد لك ولد؟ قال: بلى، قال: كم ولد لك؟ قال: ثلاثة بنين، قال: فما سمّيتهم؟ قال: سمّيت واحداً منهم الذّئب، وواحداً القميص، وواحداً، الدّم، قال: وكيف إخترت هذه الأسماء؟ قال: لئلّا أنسى أخي كلّما دعوت واحداً من ولدي ذكرت أخي، قال لهم يوسف: أُخرجوا وحبس بنيامين، فلّما خرجوا من عنده قال يوسف لأخيه: أنا أخوك يوسف، فلا تبتئس بما كانوا يعملون، ثم قال له: أنا أُحبّ أن تكون عندي، فقال: لا يدعوني إخوتي فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن يردّوني إليه، قال: أنا أحتال بحيلة فلا تنكر إذا رأيت شيئاً ولا[٣] تخبرهم، فقال: لا[٤].

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾: المشربة.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٣ ـ ١٨٤، ح٤٥.
٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٣، ح٤٤.
٣ ـ وفي نسخة: [فلا].
٤ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٨.

﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى مناد.

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: أي القافلة، وهي إسم الإبل الّتي عليها الأحمال: فقيل: لأصحابها[١].

القمي: معناه يا أهل العير، ومثله قولهم لأبيهم: «وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا»[٢].

﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾: القمي: عن الصّادق عليه السلام ما سرقوا، وما كذب يوسف، فإنّما عنى سرقتهم يوسف من أبيه[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال يوسف: إرادة الإصلاح[٤].

وعنه عليه السلام الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين النّاسِ[٥].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا كذب على مصلح، ثم تلا «أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ»، ثم قال: والله ما سرقوا، وما كذب[٦].

وعن الباقر عليه السلام: والله ما كانوا سارقين وما كذب[٧]. وزاد في العلل[٨]، والعياشي: ألا ترى قال لهم: حين قالوا: «مَّاذَا تَفْقِدُونَ»؟ قالوا: نفقد صواع الملك، ولم يقولوا سرقتم صواع الملك، إنّما عنى سرقتم يوسف من أبيه[٩].

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٠٣.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٩.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٩.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، ح ١٧، باب الكذب.
٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٦، باب الكذب.
٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٤٣، ح ٢٢، باب الكذب.
٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٠٠، ح ٧٠.
٨ ـ علل الشرائع: ص ٥٢، ح ٤، باب ٤٣ ـ العلة التي من أجلها أذن مؤذن العير التي فيها إخوة يوسف: أيتها العير أنكم لسارقون.
٩ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨٥، ح ٥٠.

قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾

﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾: أيّ شيء ضاع منكم.

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾: يعني صاعه المعبّر عنه آنفاً بالسّقاية لأنّه كان مشربته أيضاً.

العياشي: عن الباقر عليه السلام قال: صواع الملك: الطّاس الّذي يشرب منه[1].

وعن الصّادق عليه السلام كان قدحاً من ذهب، وكان صواع يوسف إذا كيل كيل به[2].

والقمّي: وكان الصّاع الّذي يكيلون به من ذهب فجعلوه في رحله من حيث لم يقف عليه إخوته[3].

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: من الطّعام جعلاً له.

﴿وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ﴾: كفيل أُؤدّيه إلى من ردّه.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجّب.

﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما ثبت عندهم دلائل دينهم، وأمانتهم، وحسن سيرتهم، ومعاملتهم معهم مرّة بعد أُخرى.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٥، ح٥١.

٢ ـ تفسر العياشي: ج٢، ص١٨٥، ح٥٢.

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٨، س ١٥.

قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَآؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُۥٓ﴾: فما جزاء السّرق أو السّارق أو الصّواع بمعنى سرقته بحذف المضاف.

﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾: في إدعائكم البراءة منه.

﴿قَالُواْ جَزَآؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾: أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه وهكذا كان شرع يعقوب، القمي: من وجد في رحله: فأحبسه[1].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام يعنون السّنّة الّتي كانت تجري فيهم أن يحبسه[2].

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: بالسّرقة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: بنيامين دفعاً للتّهمة.

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾: أي السّقاية.

﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: القمّي: فتشّبثوا بأخيه فحبسوه[3].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل هذا الكيد.

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٨، س٢١.
٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص ١٨٦، ح٥٤.
٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٨، س٢٢.

قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: بأن علّمناه إياه.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: ملك مصر لأنّ حكم السّارق في دينه أن يضرب ويغرم لا أن يستعبد.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾: بالعلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ درجات بالتنوين.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: أرفع درجة منه في علمه.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾: القمّي: يعنون يوسف[1].

والعيّاشي: عن الرّضا عليه السلام يعنون المنطقة[2][3].

وعنه عليه السلام قال: كانت لإسحاق النّبي عليه السلام منطقة يتوارثها الأنبياء والأكابر، وكانت عند عمة يوسف، وكان يوسف عندها، وكانت تحبّه فبعث إليها أبوه أن أبعثيه إلّي وأردّه إليك فبعثت إليه أن دعه عندي الليلة أشمه، ثمّ أرسله إليك غدوة، فلّما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصاً وبعثت به إليه، وقالت: سرقت المنطقة فوجدت عليه، وكان إذا سرق أحد في ذلك الزّمان دفع به إلى صاحب السّرقة فأخذته فكان عندها[4].

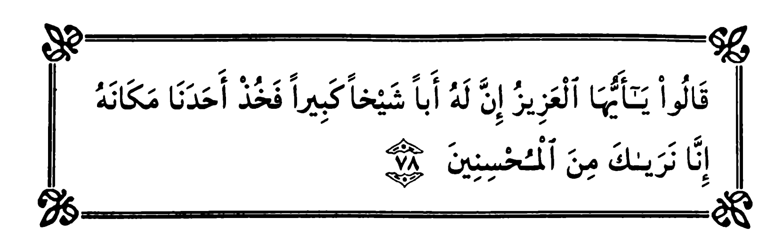
---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٩، س٦.

٢ ـ المنطق ـكمنبرـ ما يشد به الوسط. وشقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل أعلاها على أسفلها إلى الركبة والأسفل إلى الأرض. مجمع البحرين: ج٥، ص٢٣٩، مادة «نطق».

٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٦، ذيل ح٥٤.

٤ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٨٥، ح٥٣.



وفي العيون[١]، والقمي[٢]، والعيّاشي: أيضاً عنه عليه السلام في معناه ما يقرب منه[٣].

وكذا في الخرائج: عن أبي محمّد عليه السلام ببيان أبسط، وفي آخره فقال لها يعقوب فإنّه عبدك على أن لا تبيعية ولا تهبيه، قالت فأنّا أقبله على أن لا تأخذه منّي وأعتقه السّاعة فأعطاها إيّاه وأعتقته[٤].

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: أكنّها ولم يظهرها لهم.

﴿قَالَ﴾: في نفسه.

﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً﴾: منزلة في سرقتكم أخاكم، وسوء صنيعكم به.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: وهو يعلم أنّ الأمر ليس كما تصفون وأنّه لم يسرق.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾: في السّنّ أو القدر، وذكروا له حاله إستعطافاً له عليه.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: بدله فإنّ أباه ثكلان[٥] على أخيه الهالك مستأنس به.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: عادتك الإحسان، العياشي: عن الباقر عليه السلام نرايك من المحسنين إن فعلت[٦].

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٧٦ ـ ٧٧، ح٥ و ٦، باب ٣٢ ـ في ذكر ما جاء عن الرّضا عليه السلام من العلل.

٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٥.

٢ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٥، ح٥٣.

٤ ـ الخرائج والجرائح: ج٢، ص٧٣٨، ح٥٣، باب ١٥ ـ في الدلالات والبراهين على صحّة إمامة الإثني عشر إماماً عليهم الصلاة والسّلام. وانظر بحار الأنوار: ج١٢، ص٢٩٨، ح٨٦.

٥ ـ الثكل ـ بالضم ـ الموت والهلاك، وفقدان الحبيب أو الولد. القاموس المحيط: ج٣، ص٣٤٣، مادة «ثكل».

٦ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٢، ذيل ح٤٢، س١٨.

قَالَ مَعَاذَ ٱللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّـآ إِذاً لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِنَ ٱللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللهِ﴾: نعوذ بالله معاذاً.

﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾: فإنّ أخذ غيره ظلم على فتواكم، فلو أخذ أحدكم مكانه «إِنَّآ إِذاً لَّظَـٰلِمُونَ».

﴿إِنَّآ إِذاً لَّظَـٰلِمُونَ﴾: عندكم هذا ظاهر كلامه، وباطنه أنّه تعالى أمرني بأخذ بنيامين واحتباسه لمصالح علمها في ذلك فلو أخذت غيره كنت ظالماً عاملاً بخلاف ما أمرت به.

القمي: قال: إلّا مَن وجدنا متاعنا عنده ولم يقل إلّا من سرق متاعنا[١].

قال: فاجتمعوا إلى يوسف عليه السلام، وكانوا يجادلونه في حبسه، وكانوا إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر وتقطر من رؤوسها دم أصفر، وهم يقولون له: خذ أحدنا مكانه إنّا نراك من المحسنين فاطلق عن هذا[٢].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام ما يقرب منه[٣].

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾: يئسُوا من يوسف وإجابتهِ إيّاهم، وزيادة السّين والتّاء للمبالغة.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٩، س ١٣.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤٩، س ٨.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٨٦، ح ٥٥.

﴿خَلَصُواْ﴾: انفردوا واعتزلوا.

﴿نَجِيّاً﴾: متناجين.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: العياشي: عن الصّادق عليه السلام قال هم يهودا وكان أكبرهم[١].

والقمّي: قال لهم: لاوي[٢].

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عهداً وثيقاً.

﴿وَمِن قَبْلُ﴾: ومن قبل هذا.

﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: قصّرتم في شأنه.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: فلن اُفارق أرض مصر.

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾: في الرّجوع إليه.

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: أويقضي الله لي بالخروج.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: لأنّه لا يحكم إلّا بالحقّ، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام[٣]، والقمي: قال: فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم، وتخلّف يهودا فدخل على يوسف يكلّمه في أخيه حتى ارتفع الكلام بينهما، حتى غضب يهودا وكان على كتفه شعرة إذا غضب قامت الشّعرة فلا تزال تقذف بالدّم حتّى يمسّه بعض ولد يعقوب، قال: وكان بين يدي يوسف ابن له صغير في يده رمّانة من ذهب يلعب بها فلّما رآه يوسف قد غضب وقامت الشّعرة تقذف بالدّم، أخذ الرّمّانة من يد الصّبيّ ثمّ دحرجها نحو يهودا وتبعها الصّبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهودا فذهب غضبه، قال: فارتاب يهودا ورجع الصّبي بالرّمانة إلى يوسف، ثمّ عاد يهودا إلى يوسف فكلّمه في أخيه حتّى ارتفع الكلام بينهما حتى غضب يهودا، وقامت الشّعرة فجعلت تقذف بالدّم، فلّما راى ذلك يوسف دحرج الرّمانة نحو يهودا وتبعها الصّبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهودا فسكن غضبه، قال: فقال يهودا: إنّ في البيت معنا لبعض ولد يعقوب حتى صنع ذلك ثلاث مرّات[٤].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٨٦، ح٥٦.
٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٩، س١٤.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج١، ص١٨٦ ـ ١٨٧، ح٥٦.
٤ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠.

ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾: على ما شاهدنا من ظاهر الأمر.

﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾: عليه.

﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: بأن رأينا أنّ الصّواع استخرج من وعائه.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: لباطن الحال.

﴿حَٰفِظِينَ﴾: فلا ندري أنّه سرق أو دُسّ الصّاع في رحله.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصّة.

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وأصحاب العير الّتي توجّهنا فيهم وكنّا معهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: تأكيد في محلّ القسم.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: يعني فلمّا رجعوا إلى أبيهم وقالوا له: ما قال لهم أخوهم، قال: بل سوّلت أي زينّت وسهّلت.

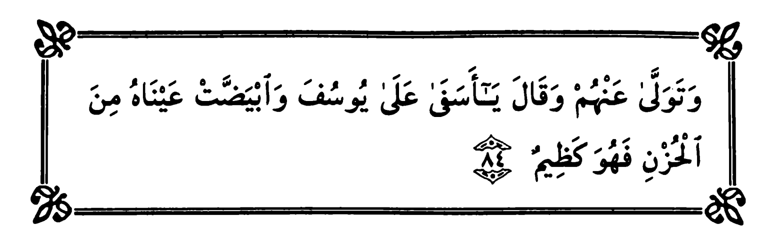
﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً﴾: أردتموه لتعليمكم[1] إيّاه إنّ السّارق يؤخذ بسرقته.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فأمري صبر جميل لا شكوى فيه إلى النّاس[2].

---

١ ـ وفي نسخة: [كتعليمكم].

٢ ـ أنظر جوامع الجامع: ج٢، ص١٨١، وسعد السعود: ص١١٩ ـ ١٢٠، وتفسير العيّاشي: ج٢، ص١٨٨، ح٥٧



﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾: بيوسف وبنيامين ويهودا.

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالي وحالهم.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبيرها.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: وأعرض عنهم.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: تعال فهذا أوانك، والأسف: أشدّ الحزن والحسرة، والألف بدل من ياءِ المتكلّم، تأسّفه على يوسف دون غيره دليل على أنّه لم يقع فايت عنده موقعه وإن مصابه به كان عنده غضّاً طريّاً مع طول العهد.

العيّاشي[١][٢]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى بأولادها[٣].

وزاد العيّاشي: قيل له: كيف يحزن يعقوب على يوسف وقد أخبره جبرئيل أنّه لم يمت، وأنّه سيرجع إليه؟ فقال له: إنّه نسى ذلك[٤].

وزاد القمّي: وإن يعقوب لم يعرف الإسترجاع فمن هنا قال: وا أسفى على يوسف[٥].

وفي الحديث النّبوي: لم يعط اُمّة من الأمم إنّا لله وإنّا إليه راجعون عند المصيبة إلّا اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله الا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصاب لم يسترجع وقال «يَٰٓأَسَفَىٰ» الآية[٦].

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾: لكثرة بكائه من الحزن وكأنّ العبرة محقت

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٨٨، ح٥٨.

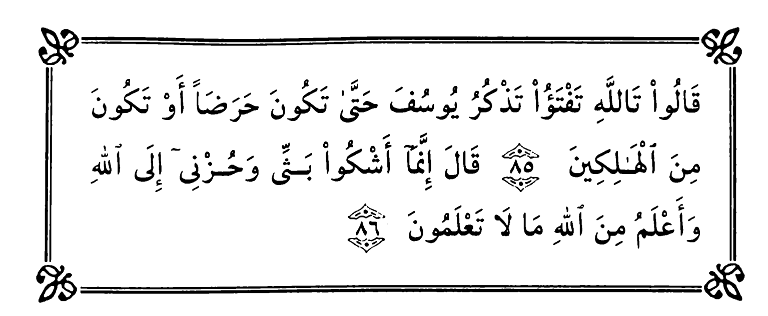
٢ ـ وفي العيّاشي: «ثكلى حري» مكان «ثكلى بأولادها». منه رحمه الله.

٣ ـ تفسير القمي: ج١، ص ٣٥٠، س١١.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج١، ص١٨٨، ح٥٩.

٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص ٣٥٠، س١٢.

٦ ـ أنوار التنزيل: ج١، ص٥٠٦.



سوادها، والقمّي: يعني عميت من البكاء[١].

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملّو من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾: أي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجّعاً عليه حذف لا لعدم الإلتباس بالإثبات.

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً﴾: مريضاً من الهمّ مشفياً على الهلاك.

﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾: الميّتين، في الخصال: عن الصّادق عليه السلام البكّاؤون خمسة إلى أن قال: وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره حتّى قيل له: «تَاللهِ تَفْتَؤُاْ» الآية[٢].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ﴾: همّي الّذي لا أقدر الصّبر عليه.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: لا إلى غيره فخلّوني وشكايتي.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من صنعه ورحمته.

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: وحُسن ظني به أن يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب.

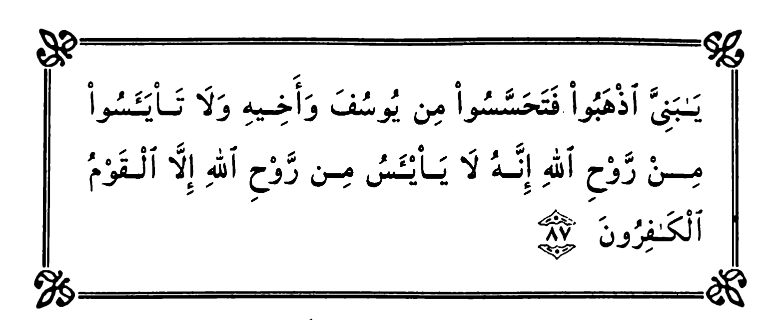
في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ يعقوب عليه السلام لمّا ذهب عنه بنيامين نـادى يـا ربّ أمّـا ترحمني أذهبت عيني وأذهبت ابني فأوحى الله تعالى: لو أمتّهما لأحييتهما لك حتّى أجمع بينك وبينهما ولكن تذكّر الشّاة الّتي ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان إلى جانبك صائم لم تُـنِلْهُ مـنها شيئاً[٣].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٥٠، س ١٠.

٢ ـ الخصال: ص ٢٧٢، ح ١٥، باب الخمسة ـ البكاؤون خمسة.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٦٦ ـ ٦٦٧، ح ٤، باب حق الجوار.



﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: تفحّصوا من حالهما، وتطلّبوا خبرهما.

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه ورحمته.

﴿إِنَّهُ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: لأنّ المؤمن من الله على خير يرجوه عند البلاءِ ويشكره في الرّخاء.

في الكافي[١]، والعلل[٢]، والعيّاشي[٣]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل أن يعقوب حين قال لولده: «ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ» أكان علم أنّه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة، وذهبت عيناه من الحزن؟ قال: نعم علم أنّه حيّ، قيل: وكيف علم؟ قال: أنّه دعا في السّحر أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه تربال وهو ملك الموت فقال له تربال: ما حاجتك يا يعقوب؟ قال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟ فقال: بل متفرقة روحاً روحاً، قال: فمرّ بك روح يوسف قال: لا، فعند ذلك علم أنّه حيّ، فقال لولده: «ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ»[٤].

وفي الاكمال: عن الصّادق عليه السلام مثله باختصار[٥].

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص١٩٩، ح٢٣٨.

٢ ـ علل الشرائع: ص٥٢، ح١، باب ٤٤ ـ العلة التي من أجلها قال يعقوب لبنيه: يا بني إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٨٩ ـ ١٩٠، ح٦٤.

٤ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٠، س١٦.

٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٤٤، ذيل ح١٠، باب ٥ ـ في غيبة يوسف عليه السلام.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾

وفي الخرائج: عنه عليه السلام إنّ اعرابياً اشترى من يوسف طعاماً، فقال له: إذا مررت بوادي كذا فناد يا يعقوب، فإنّه يخرج إليك شيخ، فقل له: إنّي رأيت رجلاً بمصر يقرؤك السّلام، ويقول: إنّ وديعتك عند الله محفوظة لن تضيع، فلّما بلّغه الأعرابي خرّ يعقوب مغشيّاً عليه، فلّما أفاق قال: هل لك من حاجة؟ قال: لي إبنة عمّ وهي زوجتي لّم تلد، فدعا له فرزق منها أربعة أبطن في كلّ بطن اثنين[1].

وفي الإكمال: مثله بأبسط منه، وقال: سيخرج[2] إليك رجل عظيم جميل وسيم[3] وقال: في آخره فكان يعقوب يعلم أنّ يوسف حيّ لم يمت، وأنّ الله سيظهره له بعد غيبته وكان يقول لبنيه: إنّي «أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» وكان أبناؤه وأهله وأقرباؤه يفنّدونه[4] على ذكر يوسف[5].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾: بعدما رجعوا إلى مصر.

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: الشدّة.

﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: رديّة. العيّاشي: عن الرّضا عليه السلام كانت المقل، وكانت بلادهم بلاد المقل، وهي البضاعة[6].

---

١ ـ الخرائج والجرائح: ج٢، ص٩٣١.

٢ ـ وفي نسخة: [وقال: فإنّه سيخرج].

٣ ـ الوسامة أثر الحسن. القاموس المحيط: ج٤، ص١٦٨، مادة «وسم».

٤ ـ الفند ـ بالتحريك ـ نقصان عقل يصدر من هرم، وقيل أصل الفند: الخرف، يقال: أفند الرجل: إذا جهل، وأصله من ذلك. مجمع البحرين: ج٣، ص١٢٢، مادة «فند».

٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٤١، ١٤٢، ح٩، باب ٥ ـ في غيبة يوسف عليه السلام.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٩٢، ح٦٧.

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾: وتفضّل علينا بالمسامحة، وزدنا على حقّنا أو بأخينا بنيامين كما يأتي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: يثيبهم على صدقاتهم بأفضل منها فرقّ لهم يوسف ولم يتمالك أن عرّفهم نفسه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ﴾: قاله شفقة ونصحاً لمّا رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريباً إيثاراً لحقّ الله على حقّ نفسه في ذلك المقام الّذي ينفث[1] فيه المصدور[2] ولعلّ فعلهم بأخيه إفراده عن يوسف.

قيل: وإذلاله حتّى لا يستطيع أن يكلّمهم إلّا بعجز وذلة[3].

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام كلّ ذنب عمله العبد، إن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته: «قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ» فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله[4].

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾: استفهام تقرير، وقرئ على الايجاب.

---

١ ـ نفث ينفُثُ وَينْفِث: وهو كالنفخ وأقل من التفل، ونفث الشيطان الشعر القاموس المحيط: ج١، ص١٧٥، مادة «نفث».

٢ ـ رجل مصدور: للذي يشتكي صدره. مجمع البحرين: ج٣، ص٣٦٣، مادة «صدر».

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٠٧.

٤ ـ مجمع البيان: ج٣ ـ ٤، ص٢٢، س٩.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾

﴿قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى﴾: من أبي وأُمّي ذكره تعريفاً لنفسه وتفخيماً لشأنه.

﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾: أي بالسّلامة والكرامة.

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: أي من يتّق الله.

﴿وَيَصْبِرْ﴾: على البليّات، وعن المعاصي.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: اختارك علينا بحسن الصّورة، وكمال السّيرة.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ﴾: وإنّ شأننا وحالنا إنّا كنّا مذنبين بما فعلنا معك لاجرَمَ أنّ الله أعزّك واذلّنا، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قالوا: فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا[1].

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾: لا عيب ولا تعيير ولا تأنيب[2].

﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: فيما فعلتم.

﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3]: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام في حديث طويل أنّ يعقوب كتب إلى يوسف «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ» الى عزيز مصر، ومظهر العدل، وموفي الكيل، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرّحمن، صاحب نمرود الّذي جمع له

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٩٢، ذيل ح ٦٥.

٢ ـ أنّبه تأنيباً: لامه أو بكّته أو سأله. القاموس المحيط: ج١، ص٣٧، مادة «أنب».

٣ ـ ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه، وقالوا: إنّك تدعونا بالبكرة والعشي إلى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منّا فيك، فقال: إن أهل مصر كانوا ينظرون إليَّ بالعين الأولى ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام. منه قدس سره.

النّار ليحرقه بها، فجَعلهَا الله عليه برداً وسلاماً، وأنجاه منها، اُخبرك أيّها العزيز إنّا أهل بيت لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله ليبلونا عند السّرّاءِ والضّرّاء، وإنّ المصائب تتابعت عليّ منذ عِشرين سنة، أوّلها أنّه كان لي ابن سمّيته يوسف، وكان سروري من بين ولدي، وقرّة عيني، وثمرة فؤادي، وأنّ إخوته من غَير اُمّه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرة فجاؤوني عشّياً يبكون، وجاؤوا على قميصه بدم كذب وزعمُوا أنّ الذّئب أكله فاشتدّ لفقده حزني، وكثر على فراقه بكائي حتّى ابيضّت عيناي من الحزن، وأنّه كان له أخ وكنت به معجباً، وكان لي أنيساً وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فيسكن بعض ما أجد في صدري، وأنّ إخوته ذكروا أنّك سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به وإن لم يأتوك به منعتهم الميرة، فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا إليّ وليس هو معهم، وذكروا أنّه سرق مكيال الملك، ونحن أهل بيت لا نسرق، وقد حبسته عنّي وفجّعتني به، وقد اشتدّ لفراقه حزني حتّى تقوّس لذلك ظهري، وعظمت به مصيبتي مع مصائب تتابعت عليّ، فمن عليّ بتخلية سبيله وإطلاقه من حبسك، وطيّب لنا القمح، واسمح لنا في السّعر، وأوف لنا الكيل، وعجّل سراح آل إبراهيم، قال: فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك، و«قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ» إلى آخر الآية، «وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَآ» بأخينا بنيامين، وهذا كتاب أبينا يعقوب أرسله إليك في أمره يسألك تخلية سبيله فمنّ به علينا، فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبّله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتّى بلّت دموعه القميص الّذي عليه، ثم أقبل عليهم و«قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ» من قبل[١][٢].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام في حديث له قال: واشتّد حزن يعقوب حتّى تقوّس ظهره وأدبرت الدّنيا عنه وعن ولده حتّى احتاجوا حاجةً شديدة، وفنيت ميرتهم فعند ذلك قال،

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٦١، س١.

٢ ـ وفي رواية العامة: ثم كان لي ابن، وكان أخاه من اُمّه وكنت أتسلّى به، فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا: إنّه سرق، وانك حبسته لذلك. وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإنّ رددته عليّ وإلّا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام. قالوا: فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وكتب في الجواب: إصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فإنّهم صبروا وظفروا. منه رحمه الله. راجع الكشاف: ج٢، ص٥٠١.

يعقوب لولده، «ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ» الآية فخرج منهم نفر وبعث منهم ببضاعة، يسيرة وكتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطفه على نفسه وولده، وأوصى ولده أن يبدؤوا بدفع كتابه قبل البضاعة فكتب وذكر صفة الكتاب مثل ما ذكر في المجمع إلى قوله: وعجّل سراح آل إبرهيم وأورد آل يعقوب بدل آل إبراهيم، ثمّ قال: فلمّا مضى ولد يعقوب، من عنده نحو مصر بكتابه نزل جبرئيل على يعقوب فقال له: يا يعقوب إن ربّك يقول لك: من ابتلاك بمصائبك الّتي كتبت بها إلى عزيز مصر؟ قال يعقوب: أنت بلوتني بها عقوبة منك وأدباً لي، قال الله: فهل كان يقدر على صرفها عنك أحد غيري؟ قال يعقوب: «اللّهمّ لا» قال: فما استحييت منّي حين شكوت مصائبك إلى غيري ولم تستغث بي وتشكو ما بك إليّ؟ فقال: يعقوب أستغفرك يا إلٰهي وأتوب إليك وأشكو بثّي وحزني إليك، فقال الله تبارك وتعالى: قد بلغت بك يا يعقوب وبولدك الخاطئين الغاية في أدبي، ولو كنت يا يعقوب شكوت مصائبك إليّ عند نزولها بك، واستغفرت وتبت إليّ من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إيّاها عليك، ولكن الشّيطان أنساك ذكري فصرت إلى القنوط من رحمتي وأنا الله الجواد الكريم أحبّ عبادي المستغفرين التّائبين الرّاغبين إليّ فيما عندي، يا يعقوب أنا رادّ إليك يوسف وأخاه، ومعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك، ورادٌّ إليك بصرك ومقوّم لك ظهرك، وطب نفساً وقرّ عيناً، وإنّما الّذي فعلته بك كان أدباً منّي لك فأقبل أدبي، قال: ومضى ولد يعقوب بكتابه إلى آخر ما ذكر في المجمع إلّا أنّه قال: وأنّه كان له أخ من خالته وكنت به معجباً[1] ثم ذكر صفة الكتاب برواية أُخرى أخصر منه وقال: في آخره فلمّا أُوتي يوسف عليه السلام بالكتاب فتحه وقرأه فصاح، ثمّ قام فدخل منزله فقرأه وبكى، ثمّ غسل وجهه، ثمّ خرج إلى إخوته، ثمّ عاد فقرأه فصاح وبكى، ثمّ قام فدخل منزله فقرأه وبكى، ثمّ غسل وجهه وعاد إلى اخوته، فقال: «هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ» وأعطاهم قميصه وهو قميص إبراهيم، وكان يعقوب بالرّملة[2][3].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٠، ح ٦٥.
٢ ـ تفسير العياشيّ: ج ٢، ص ١٩٢ ـ ١٩٣، ح ٦٨.
٣ ـ الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطاً للمسلمين، وكانت دار ملك داود وسليمان، وهي في الإقليم الثالث فبينها وبين البيت المقدّس ثمانية عشر يوماً. معجم البلدان: ج ٣، ص ٦٩. مادة «رمل».

ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَـلَىٰ وَجْـهِ أَبِى يَأْتِ بَـصِيراً وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَـٰهُ عَـلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِى﴾: أنتم وأبي.

﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾: من مصر وخرجت من عمرانها.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: لمن حضره.

﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تنسبوني إلى الفَنَد، وهو نقصان عقل يحدث من الهَرَم، وجواب «لولا» محذوف، وتقديره لصدّقتموني.

﴿قَالُواْ تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصواب قدماً بإفراطك في محبّة يوسف واكثارك ذكره والتّوقّع للقائه.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾: في الإكمال: عن الصّادق عليه السلام وهو يهودا إبنه[1].

﴿أَلْقَـٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: طرح القميصَ على وجهه.

﴿فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾: عاد بصيراً لما انتعش فيه من القوّة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من حياة يوسف وإنزال

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٤٢، ح٩، باب ٥ ـ في غيبة يوسف عليه السلام.

الفرج من الله، ويحتمل أن يكون إنّي أعلم مستأنفاً، والمقول محذوفاً دلّ عليه الكلام السّابق.

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كتب عزيز مصر إلى يعقوب أمّا بعد فهذا ابنك يوسف اشتريته بثمن بخس دراهم معدودة واتّخذته عبداً، وهذا ابنك بنيامين قد سرق فاتّخذته عبداً، قال: فما ورد على يعقوب بشيء أشدّ عليه من ذلك الكتاب، فقال للرّسول مكانك حتّى أجيبه فكتب إليه يعقوب أمّا بعد فقد، فهمت كتابك إنّك أخذت ابني بثمن بخس وأخذته عبداً، وإنّك أتّخذت ابني بنيامين، وقد سرق واتّخذته عبداً، فإنّا أهل بيت لا نسرق، ولكنا أهل بيت نبتلى وقد ابتلى أبونا ابراهيم بالنّار فوقّاه الله، وابتلى أبونا اسحاق بالذّبح فوقّاه الله، وإني قد ابتليت بذهاب بصري، وذهاب ابنيّ، وعسى الله أن يأتيني بهم جميعاً، قال: فلّما ولّى الرّسول عنه رفع يده إلى السّماءِ، ثم قال: يا حَسَنَ الصّحّبة، ياكريم المعونة، يا خيراً كُلّه، إئتني بروحٍ[1] وفرج من عندك، قال: فهبط عليه جبرئيل فقال ليعقوب: ألا أُعلّمك دعوات يردّ الله عليك بها بصرك، ويردّ عليكَ ابنيك، فقال: بلى؟ فقال: قل: يا من لا يعلم أحدٌ كيفَ هو، وحيث هو، وقدرته إلّا هو، يامن سدّ الهواء بالسّماء، وكبس[2] الأرض على الماءِ، واختار لنفسه أحْسَنَ الأسماء، إئتني بروحٍ مِنكَ وفرج من عندك، فما انفجر عمود الصّبح حتّى أُتي بالقميص وطُرِحَ على وجهه فردّ الله علَيه بصره وردّ عليه ولده[3].

والقمي: أورد هذا الحديث بأبسط من هذا وذكر في كتاب عزيز مكان قد سرق قد وجدت متاعي عنده،وذكر في جواب يعقوب ابتلاءه بإبنيه على نحو كتابه الّذي قد سبق ذكره[4] وقال فيه: وقد كان له أخ من أُمّه كنت آنِس به فخرج مع إخوته إلى أن قال: وقد حبسته وأنا أسألك بإله ابراهيم وإسحاق ويعقوب إلّا مننت عليّ به، وتقربت إلى الله ورددته إليّ، قال: فلّما ورد الكتاب على يوسف أخذه ووضعه على وجهه وقبّله وبكى بكاءً شديداً، ثم نظر إلى

---

١ ـ الرَوْح ـ بفتح أوله ـ: الراحة والاستراحة، والحياة الدائمة مجمع البحرين ج ٢، ص ٣٥٣، مادة «روح».

٢ ـ في الدعاء: يا من كبس الأرض على الماء أي أدخلها فيه، من قولهم: كبس رأسه في ثوبه: أخفاه وأدخله فيه أو جمعها فيه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٩٩، مادة « كبس».

٣ ـ العياشي: ج ٢، ص ١٩٥، ح ٧٨. ٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥١ س ٥.

إخوته فقال: «هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ» الآيات قال: فلمّا ولّى الرّسول الحديث[١].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: اذهبوا بقميصي هذا الّذي بلّته دموع عيني فألقوه على وجه أبي يرتدّ بصيراً، لو قد شمّ ريحي وأتوني بأهلكم أجمعين، وردّهم إلى يعقوب في ذلك اليوم وجهّزهم بجميع ما يحتاجون إليه فلّما فصلت عيرهم من مصر، وجد يعقوب ريح يوسف فقال لمن بحضرته من ولده: «لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ» قال: وأقبل ولده يحثّون السّير بالقميص فرحاً وسروراً بما رأوا من حال يوسف والملك الّذي أعطاه الله والعزّ الّذي صاروا إليه في سلطان يوسف، وكان مسيرهم من مصر إلى يعقوب تسعة أيّام، فلمّا أن جاء البشير ألقى القميص على وجهه فارتدّ بصيراً، وقال لهم: ما فعل ابن ياميل؟ قالوا خلّفناه عند أخيه صالحاً، قال: فحمد الله يعقوب عند ذلك وسجد لربّه سجدات الشّكر ورجع إليه بصره وتقوّم له ظهره، وقال لولده: تحوّلوا إلى يوسف في يومكم هذا بأجمعكم فصاروا إلى يوسف ومعهم يعقوب، وخالة يوسف ياميل فحثّوا السّير فرحاً وسروراً فساروا تسعة أيّام إلى مصر[٢].

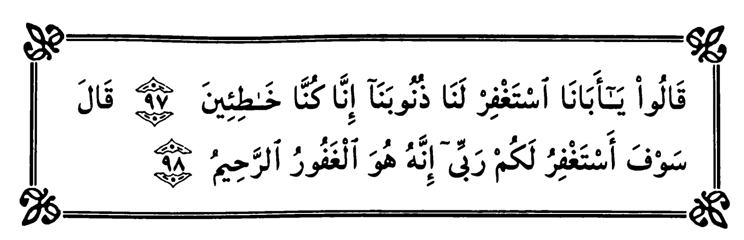
وعن الصّادق عليه السلام: وجد يعقوب ريح قميص ابراهيم حين فصلت العيرُ مَن مصر، وهو بفلسطين[٣].

وفي الكافي[٤]، والإكمال[٥]، والقمّي[٦]، والعيّاشي: عنه عليه السلام أتدري ما كان قميص يوسف؟ قيل: لا، قال: إنّ إبراهيم لمّا أوقدت له النّار نزل إليه جبرئيل بالقميص[٧].

والقمّي: بثوب من ثياب الجنّة وألبسه إيّاه فلم يضرّ معه حرّ ولا برد، فلّما حضرته الوفاة جعله في تميمة وعلّقه على اسحاق، وعلقه إسحاق على يعقوب عليه السلام، فلّما ولد يوسف علّقه عليه، وكان في عضده حتّى كان من أمره ما كان فلّما أخرجه يوسف عليه السلام بمصر من التّميمة، وجد

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٢، س ٤.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٦، ح ٧٩.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩٣، ح ٦٩.
٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٣٢، ح ٥، باب ماعند الأئمة من آيات الانبياء عليهم السلام.
٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٤٢، ح ١٠، باب ٥ في غيبة يوسف عليه السلام.
٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٣، ح ٧١.



يعقوب ريحه وهو قوله عزّوجلّ حكايةً عنه «إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ» وهـو ذلك القميص الّذي أُنزل من الجنّةِ، قيل: جعلت فداك فإلى من صار هذا القميص؟ قال: إلى أهله ثمّ يكون مع قائمنا إذا خرج، ثم قال: كلّ نبيّ ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمّد ﷺ.

وزاد القمّي: وكان يعقوب بفلسطين، وفصلت العير من مصر فوجد يعقوب ريحه وهو من ذلك القميص الّذي أُنزل من الجنّة، ونحن ورثته[1].

والعيّاشي مرفوعاً: إنّ يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشرة ليال، وكان يعقوب ببيت المقدس ويوسف بمصر، وهو القميص الّذي نزل على إبراهيم من الجنّة فـدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب ودفعه يعقوب إلى يوسف عليه السلام[2].

وفي العلل[3]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كان القميص الذي أُنزل به على إبراهيم من الجنّة في قصبة من فضّة وكان إذا لبس كان واسعاً كبيراً، فلمّا فـصلوا ويـعقوب بـالرّملة[4]، ويوسف بمصر قال يعقوب: «إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ» يعني ريح الجنّة حين فصلوا بالقميص لأنّه كان من الجنّة[5].

أقول: يعني إنّه كان من عالم الملكوت والباطن قد برز إلى عالم الملك والظّاهر وصار محسوساً.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ

١ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٥. ٢ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٩٤، ح٧٣.

٣ـ علل الشرائع: ص٥٣، ح١، باب ٤٥ـ العلّة التي من أجلها وجد يعقوب ريح يوسف من مسيره عشرة أيّام.

٤ـ تقدم ذكرها سابقاً في نفس هذا المجلد، ص ١٥٩، وقلنا بأنّها مدينة عظيمة بفلسطين وكـانت قـصبتها قـد خربت الآن، والبعد بينها وبين البيت المقدس ثمانية عشر يوماً. معجم البلدان: ج٣، ص٦٩.

٥ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٩٤، ح٧٢.

لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير وقت دعوتم الله فيه الأسحار وتلا هذه الآية في قول يعقوب «قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ» وقال: أخّرهم إلى السّحر[1].

وفي الفقيه[2]، والمجمع[3]، والعيّاشي: عنه عليه السلام أخّره إلى السّحر ليلة الجمعة[4].

والعيّاشي: عنه عليه السلام أخّرهم إلى السّحر وقال: يا ربّ إنّما ذنبهم فيما بيني وبينهم فأوحى الله قد غفرت لهم[5].

وفي العلل: عنه عليه السلام إنّه سئل عن يعقوب إنّه لمّا قال له بنوه: «يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ» فأخّر الإستغفار لهم ويوسف عليه السلام لمّا قالوا له: «تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ» قال لأنّ قلب الشّابّ ارق من قلب الشّيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف وجنايتهم على يعقوب إنّما كانت بجنايتهم على يوسف فبادر يوسف إلى العفو عن حقّه وأخّر يعقوب العفو لأن عفوه إنّما كان عن حقّ غيره فأخّرهم إلى السّحر ليلة الجمعة[6].

في الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل ما كان أولاد يعقوب أنبياء قال: لا ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكن يفارقوا الدّنيا إلّا سعداءِ تابوا وتذكّروا ما صنعوا وإنّ الشّيخين فارقا الدّنيا ولم يكن يتوبا، ولم يذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام، فعليهما لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين[7].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٧٧، ح ٦، باب الاوقات والحالات التي ترجى فيها الاجابة.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٧٢، ح ١٢٤٠ / ٢٤، باب ٥٧ ـ وجوب الجمعة وفضلها ومن وضعت عنه والصلاة والخطبة فيها.

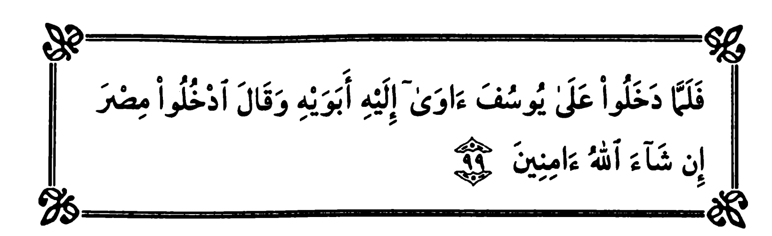
٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٦٣، س ٢٠.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٦، ح ٨١.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٦، ح ٨٠.

٦ ـ علل الشرائع: ص ٥٤، ح ١، باب ٤٦ ـ العلة التي من أجلها قال يوسف لأخوته: لا تثريب عليكم اليوم للوقت. ويعقوب قال لهم: سوف استغفر لكم ربي.

٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٤٦، ح ٣٤٣.



والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل أكان إخوة يوسف أنبياء قال: لا ولا بررة أتقياء: كيف وهم يقولون لأبيهم يعقوب: «تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ»[١].

وعنه عليه السلام إنّه سئل ما حال بني يعقوب هل خرجوا من الإيمان؟ فقال: نعم، قلت: فما تقول في آدم قال: دع آدم عليه السلام[٢].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: ضمّ إليه أباه وأُمّه راحيل كما مضى عن الباقر عليه السلام في أوّل السّورة في تأويل الرّؤيا[٣].

أو اباه، وخالته ياميل لما سبق في رواية العيّاشي إنّها هي الّتي صارت معهم إلى مصر[٤].

ولما يأتي في روايته أنّه رفع أباه وخالته على سرير الملك[٥] فإن صحّت هذه الرّواية فلعلّها نزلت منزلة الأمّ كما نزل العمّ منزلة الأب في قوله: «وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ»[٦].

ولما روى أنّها ربّته بعد أُمّه والرّابّة تدعى أُمّاً[٧].

﴿وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: يعني إن شاء الله دخلتموه آمنين،

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٤، ح ٧٤، وص ١٩٥، ح ٧٧.

٢ ـ تفسير العيّاشي ج ٢، ص ١٩٤، ح ٧٥. ٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٩، س ١٧.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٦، ذيل ح ٧٩.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩٧، ح ٨٣.

٦ ـ البقرة: ١٣٣.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص٢٦٤ س٢٦، أنوار التنزيل: ج ١، ص٥٠٨.

وإنّما دخلوا عليه قبل دخولهم مصر لأنّه استقبلهم يوسف، ونزل لهم في بيت أو مضرب هناك فدخلوا عليه وضمّ إليه أبويه.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ يوسف لمّا قدم عليه الشّيخ يعقوب دخله عليه السلام عزّ الملك فلم ينزل إليه، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا يوسف إبسط راحتك فخرج منها نور ساطع فصار في جوّ السّماءِ، فقال يوسف: يا جبرئيل ما هذا النّور الّذي خرج من راحتي؟ فقال: نزعت النّبوّة من عقبك عقوبةً لما لم تنزل إلى الشّيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبيّ[1].

وفي العلل: عنه عليه السلام لمّا تلقّ يوسف يعقوب ترجّل له يعقوب ولم يترجّل له يوسف فَلم ينفصلا من العناق حتّى أتاه جبرئيل فقال له: يا يوسف ترجّل لك الصّديق ولم ترجّل له؟ إبسط يدك، وذكر مثل ما في الكافي[2].

وفي رواية أُخرى هَمّ بأن يترجّل ليعقوب ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل الحديث[3].

القمي: لمّا وافى يعقوب وأهله وولده مصر قعد يوسف على سريره ووضع تاج الملك على رأسه فأراد أن يراه أبوه على تلك الحالة فلّما دخل عليه أبوه لم يقم له فخرّوا كلّهم سجّداً[4].

ثمّ روى عن الهادي عليه السلام: إخراج جبرائيل نور النبوة من بين أصابعه ومحوها من صلبه وجعَلها في ولد لاوى أخيه لأنّه نهى إخوته عن قتله، ولأنّه قال: «لَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ»[5] الآية قال: فشكرالله له ذلك، وكان أنبياء بني اسرائيل من ولده، وكان موسى من ولده، وهو موسى ابن عمران، بن يصهر، بن واهث، بن لاوي، بن يعقوب[6].

١ـ الكافي ج ٢، ص ٣١١ ـ ٣١٢، ح١٥، باب الكبر.
٢ـ علل الشرائع: ص٥٥، ح ١، باب ٤٧ـ العل التي من أجلها لم يخرج من صلب يوسف نبي.
٣ـ علل الشرائع ص٥٥، ح ١، باب ٤٧ـ العلة التي من أجلها لم يخرج من صلب يوسف نبي.
٤ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٥٦، س ١.
٥ـ وفي التنزيل: «فَلَنْ أبرِح».
٦ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٥٦ ـ ٣٥٧.

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِّن بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام العرش السّرير، وكان سجودهم ذلك عبادة لله[1].

﴿وقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ﴾: رأيتها في أيّام الصِّبا.

﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقّاً﴾: صدقاً، العيّاشي: عن الكاظم عليه السلام إنّه سئل في كم دخل يعقوب من ولده على يوسف؟ قال في أحد عشر إبناً له، فقيل له: أسباط؟ قال: نعم[2].

وعن الباقر عليه السلام: لمّا دخلوا على يوسف في دار الملك إعتنق أباه وبكى، ورفعه ورفع خالته على سرير الملك، ثمّ دخل منزله فادّهن واكتحل، ولبس ثياب العزّ والملك ثم خرج إليهم، فلمّا رأوه سجدُوا له إعظاماً له وشكراً لله فعند ذلك قال: «يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ» قال: ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهّن ولا يكتحل ولا يتطيّب ولا يضحك ولا يمسّ النّساء حتّى جمع الله بيعقوب شمله، وجمع بينه وبين يعقوب واخوته[3].

وفي المجمع عنه عليه السلام مثله[4].

أقول: لعلّ المراد بنفي مسّه النّساء عدم مسّهنّ للإلتذاذ والشّهوة، فلا ينافي ما سَبَق أنّه

١ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٧، ح ٨٥.
٢ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩٧، ح ٨٤.
٣ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٧، ح ٨٣.
٤ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٦٤، س ١٤.

كان له ابن يلعب برمّانة بين يديه حين خاصمه أخوه في أخيه[١] فلعلّه إنّما مسّهنّ لتثقيل الأرض بتسبيح الولد كما مضى في إعتذار أخيه في مثله[٢].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام لمّا دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه، وكان ذلك السّجود لله[٣].

وعن الهادي عليه السلام: وقد سُئِل عن سجود يعقوب وولده ليوسف عليه السلام وهم أنبياء؟ قال: أمّا سجود يعقوب وولده فإنّه لم يكن ليوسف وإنّما كان من يعقوب وولده طاعةً لله وتحيّة ليوسف كما كان السّجود من الملائكة لأدم وإنّما كان ذلك منهم طاعة لله وتحيّة لآدم فسجد يعقوب وولده يوسف معهم شكراً لله لإجتماع شملِهم ألم تر أنّه يقول في شكره ذلك الوقت: «رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ» الآية[٤].

وفي الجوامع عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ «وخرّوا لله سـجدين»[٥].

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾: لعلّه لم يذكر الجبّ لئلّا يكون تثريباً عليهم.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: من البادية لأنّهم كانوا أصحاب المواشي وأهل البدو ينتقلون في المياه والمناجع[٦].

﴿مِّن بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾: أفسد بيننا وحرّش.

﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾: في تدبير عباده يسهّل لهم العسر ويلطفه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بوجوه المصالح والتّدابير.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الّذي يفعل كلّ شيءٍ في وقته، وعلى وجه تقتضيه حكمته.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص١٨٧، ح٥٦ والحديث طويل.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٨٣ ـ ١٨٤، ح٤٥.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٥٦.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٥٦.

٥ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢١٠، س ١٣.

٦ ـ الإنتجاع: طلب النبات والعلف والماء. مجمع البحرين: ج ٤، ص٣٩٤، مادة «نجع».

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

القمي: عن الهادي عليه السلام قال يعقوب لإبنه: أخبرني ما فعل بِك إخوتك حين أخرجوك من عندي؟ قال: يا أبت إعفني من ذلك، قال: فأخبرني ببعضه، قال: إنّهم لمّا أدنوني من الجبّ قالوا: انزع القميص، فقلت لهم: يا إخوتي اتّقوا الله ولا تجردّوني، فسلّوا عليّ السّكيّن، وقالوا: لئن لم تنزع لنذبحنك، فنزعت القميصَ وألقوني في الجبّ عرياناً، قال فشهق يعقوب شهقة وأُغمي عليه، فلّما أفاق قال: يابنّي حدّثني، قال: يا أبت أسألك بإله إبراهيم، واسحاق، ويعقوب، إلّا أعفيتني، فاعفاه[1].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام[2]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما في معناه[3].

وفي المجمع: روى أنّ يوسف عليه السلام قال ليعقوب: لا تسألني عن صنيع إخوتي، واسأل عن صنيع الله بي[4].

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: بعض الملك، وهو ملك مصر.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث يذكر فيه يوسف فكان من أمره الّذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن[5].

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلّا

---

١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٧ س٢.
٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦٥، س٢٧.
٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٩٨، ح٨٦.
٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٦٥، س٣١.
٥ ـ الكافي: ج٥، ص٧٠، ذيل ح١، باب دخول الصوفية على أبي عبدالله عليه السلام واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عنه من طلب الرّزق.

أربعة إلى أن قال: وأمّا يوسف فملك مصر وبراريها، ولم يتجاوزها إلى غيرها[١].

﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: بعض تأويلها.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مبدعهما.

﴿أَنتَ وَلِيِّ﴾: ناصري ومتولّي أمري.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾: تتولاني بالنّعمة فيهما، وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي.

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ﴾: في الرتّبة والكرامة[٢].

في الإكمال عن الصّادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام، عن جدّه عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله عاش يعقوب بن إسحاق مائة وأربعين سنة، وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة[٣].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: دخل يوسف السّجن وهو إبن اثنتي عشرة سنة ومكث فيها ثماني عشرة سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشر سنين[٤].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر؟ قال: عاش حولين، قيل: فمن كان الحجّة لله في الأرض يعقوب أم يوسف؟ قال: كان يعقوب، وكان الملك ليوسف، فلّما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشّام فدفن في بيت المقدس فكان يوسف عليه السلام بعد يعقوب الحجّة، قيل: فكان يوسف رسولاً نبيّاً؟ قال: نعم أما تسمع قوله عزّوجلّ: «وَلَقَدْ جَـاءَكُم يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَـاتِ»[٥][٦].

---

١ ـ الخصال: ص٢٤٨، ح١١٠، باب الاربعة ـ ملوك الأنبياء في الأرض أربعة.

٢ ـ روت العامة: أن يوسف طاف بأبيه عليهما الصلاة والسلام في خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال: يا بنيّ ما أفضلك! عندك هذه القراطيس وما كتبت إليّ علىٰ ثمان مراحل، قال: أمرني جبريل عليه السلام قال: أوما تسأله؟ قال: أنت أبسط مني إليه فاسأله، فقال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك ـ وأخاف أن يأكله الذئب ـ قال: فهلا خفتني؟ منه رحمه الله راجع أنوار التنزيل: ج١، ص٥٩٠، س٧.

ورووا أنهما لما إلتقيا قال: يا أبت كيف بكيت عليّ حتّى ذهب بصرك؟ ألم تعلم أنّ القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى، ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحا ل بيني وبينك، منه رحمه الله. راجع الكشاف: ج٢، ص٥٠٥.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٥٢٣ ـ ٥٢٤، ح٣، باب ٤٦ ـ ماجاء في التعمير وفيه: «عاش يعقوب بن إسحاق ماءة وعشرين سنة».

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٦٦، س١١.

٥ ـ غافر: ٣٤.

٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٦٦، س٧.

والعيّاشي: عنه عليه السلام مايقرب منه[١].

وفي الفقيه: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمرانَ أن أخرج عظام يوسف من مصر[٢] فاستخرجه مِن شاطيء النّيل وكان في صندوق مرمر فحمله إلى الشّام فـلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشّام، وهو يوسف بن يعقوب وماذكر الله يوسف في القـرآن غيره[٣].

وفي العلل عنه عليه السلام إستأذنت زليخا على يوسف فقيل لها: إنّا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه، قالت إنّي لا أخاف من يخاف الله، فلّما دخلت قال لها: يا زليخا مالي أراكِ قد تغيّر لونك؟ قالت: الحمد لله الّذي جَعَل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العَبيدَ بطاعتهم ملوكاً، فقال لها ما الّذي دعاكِ إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يقال له: محمّد صلى الله عليه وآله يكون في آخر الزّمان أحسن منّي وجهاً، وأحسن منّي خلقاً، وأسمح منّي كفّاً، قالت صدقت، قال: وكيف علمت أنّي صدقت؟ قالت: لأنّك حين ذكرته وقع حبّه في قلبي فأوحى الله عزّوجلّ إلى يوسف أنّها قد صدقت وإنّي قد أحببتها لحبّها محمّداً صلى الله عليه وآله، فأمره الله عزّ وجلّ أن يتزوجها[٤].

والقمّي: عن الهادي عليه السلام: لمّا مات العزيز في السّنين الجـدبة افـتقرت إمـرأة العـزيز، واحتاجت حتّى سألت، فقالوا لها: لوقعدت للعزيز، وكان يوسف سمى العزيز، وكل ملك كان لهم سمي بهذا الإسم، فقالت: أستحي منه، فلم يزالوا بها حتّى قعَدَت له، فأقبل يوسف في موكبه فقامت إليه: فقالت سبحان الّذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً، وجعل العَبيد بالطّاعة ملوكاً، فقال لها يوسف: أنت هاتيك؟ فقالت: نعم، وكان اسمها زليخا، فقال لها: هل لكِ فيّ رغبة؟

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٩٨، ح٨٧.

٢ ـ إعلم أن الماتن رحمه الله قد حذف من الرواية بمقدار خمسة أسطر.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٢٣ ـ ١٢٤، ح٥٩٤/٣٦، باب ٢٧ ـ النوادر.

٤ ـ علل الشرائع: ص٥٥، ح١، باب ٤٨ ـ العلة التي من أجلها تزوج يوسف زليخا.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

قالت: دعني بعد ما كبرت أتهزأ بي؟ قال: لا، قالت: نعم، فأمر بها فحوّلت إلى منزله، وكانت هرمة، فقال لها: ألست فعلت بي كذا وكذا؟ فقالت: يا نبيّ الله لا تلمني فإنّي بليت بثلاثة لم يبتلِ بها أحد، قال: وما هي؟ قالت: بليت بحبّك ولم يخلق الله لك في الدّنيا نظيراً، وبليت بأنه لم يكن بمصر إمرأة أجمل منّي، ولا أكثر مالاً منّي، نزع عنّي، وبليت بزوج عنّين[١]، فقال لها يوسف: فما تريدين؟ فقالت: تسأل الله أن يردّ عليّ شبابي، فسأل الله فردّ عليها شبابها فتزّوجها وهي بكر[٢].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمّد.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف.

﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على ما همّوا به.

﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: لم تعرف ذلك إلّا بالوحي.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾: على إيمانهم، وبالغت في إظهار الآيات عليهم.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: لعنادهم، وتصميمهم على الكفر.

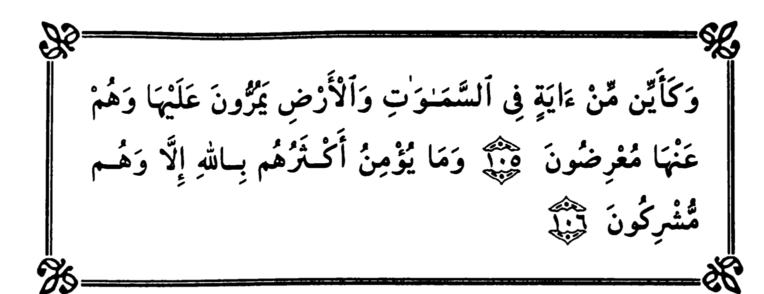
﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على التّبليغ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من جعلٍ.

---

١ ـ العنّين: الذي لا يقدر على أتيان النساء، ولا يشتهي النساء، وإمرة عنينة لا تشتهي الرجال. مجمع البحرين: ج٦، ص٢٨٣، مادة «عنن».

٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٧، س٨.



﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة من الله.

﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾: عامّة.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تدلّ على حكمة الله وقد رته في صنعه.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: ويشاهدونها.

﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرّون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: في الطّاعة، وبالنّظر إلى الأسباب، في الكافي عن الصّادق عليه السلام[1]، والقمّي[2]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام شرك طاعة، وليس شرك عبادة[3].

وزاد القمّي[4]، والعيّاشي: والمعاصي الّتي يرتكبون فهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشّيطان فأشركوا بالله في الطّاعة لغيره، وليس باشراك عبادة أن يعبدوا غير الله[5][6].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية يطيع الشّيطان من حيث لا يعلم فيشرك[7].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٩٧، ح ٤، باب الشرك.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٥٨، س ٧.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٩، ح ٩٣.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٥٨، س ٨.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٠، ح ٩٨.
٦ ـ وفي رواية أُخرى للعيّاشي: المعاصي التي ترتكبون ممّا أوجب الله عليها النار. منه قدس سره. أنظر تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٩، ح ٩٥.
٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٩٧، ح ٣، باب الشرك.

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

وفي التّوحيد: عنه عليه السلام هم الّذين يلحدُونَ في أسمائه بغير علم فيضعونها غير مواضعها(١).

والعيّاشي: عنه عليه السلام هو الرّجل يقول: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قيل: فيقول: لولا أن منّ الله علي بفلان لهلكت، قال: نعم لا بأس بهذا(٢).

وعن الباقر عليه السلام: من ذلك قول الرّجل: لا وحياتك(٣).

وعنهما عليهما السلام: شرك النّعم(٤).

وعن الرّضا عليه السلام شرك لا يبلغ به الكفر(٥).

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عذَابِ ٱللَّهِ﴾: عقوبة تغشاهم وتشملهم.

﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأة من غير سابقة علامَة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بإتيانها غير مستعدّين لها.

﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِىٓ﴾: يعني الدّعوة إلى التّوحيد، والإعداد للمعاد.

﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: تفسير للسبّيل.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

١ ـ التوحيد: ص ٣٢٤، ذيل ح ١، باب ٥ ـ العرش وصفاته.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٠، ح ٩٦.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٩، ح ٩٠.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٠، ح ٩٧.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩٩، ح ٩٢.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

وأمير المؤمنين، والأوصياء عليهم السلام من بعدهما[1].

وعنه عليه السلام: علي اتّبعه[2].

وعن الجواد عليه السلام: حين أنكروا عليه حداثة سنّه قال: وما ينكرون؟ قال الله لنبيّه: «قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ» الآية فوالله ما تبعه إلّا علي وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين[3].

والقمّي[4]، والعيّاشي: ما يقرب من هذه الرّوايات[5].

﴿وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾: وانزّهه تنزيهاً.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن تفسير «سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ» قال: أنفة لله[6][7].

أما ترى الرّجل إذا عجب من الشّيء قال: سُبحان الله!

وفي رواية اُخرى: قال: تنزيه[8].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً﴾: ردّ لقولهم: «لَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً»[9].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص٤٢٥، ح٦٦، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص٤٧٦، ح٢٤٠.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٠، ح ١٠٠.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص٣٥٨، س١٣.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠١، ح ١٠١.

٦ ـ أنف من الشيء من باب تعب يأنف أنفاً: إذكرهه وعزفت نفسه عنه، وفي الحديث: سألته عن سبحان الله فقال: «أنفة» وهو كقصبة، أي تنزيه الله تعالى. كما أن سبحان: تنزيه. مجمع البحرين: ج٥، ص٢٨، مادة «أنف».

٧ و ٨ ـ الكافي: ج ١، ص١١٨، ح ١٠ و ١١، باب معاني الاسماء وإشتقاقها.

٩ ـ إقتباس من قوله تعالى: «لو شآءَ ربُّنا لأنزل ملـٰٓئكَة» فصلت: ١٤.

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾: كما أوحى إليك وتميّزوا بذلك عن غيرهم، وقرئ نوحي بالنّون[١].

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: لأنّ أهلها أعلم وأحكم من إهل البدو، وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ» يعني إلى الخلق «إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ» فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمّة وحكّاماً وإنّما أُرسلوا إلى أنبياءِ الله[٢].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: قد سبق تفسيرها بأرض القرآن.

﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من المكذّبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ومن المشعوفين[٣] بالدّنيا المتهالكين عليها فينقلعوا عن حبّها ويزهدوا فيها.

﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: الشِّركَ والمعاصي.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم ليعرفوا أنّها خير، وقرئ بالتّاء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: غاية لكلام محذوف دلّ عليه الكلام كأنّه قيل: قد تأخّر نصرنا إيّاهُم كما أخّرناه عن هذه الأُمّة حتّى إذا استيأسوا عن النّصر.

---

١ ـ قرأ حفص عن عاصم «إلّا رجالاً نوحي إليهم» بالنون حيث كان، وقرئ الباقون «يُوحى» بالياء وفتح الحاء. مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٦٨ في القراءة.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٧٠، ح١، باب ٢٧ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في هارون وماروت.

٣ ـ الشَّغَفِ ـ محركة ـ شدة الحب، وشعفه الحب شعفاً ـ من باب نفع ـ أحرق قلبه، مجمع البحرين: ج٥، ص٧٥، مادة «شعف».

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾: أي وظنّ الرّسل أنّهم قد كذّبتهم قومهم فيما وعدوا من العذاب والنّصرة عليهم، وقرئ كذبوا بالتّخفيف.

في الجوامع: أنّه قراءة أئمة الهدى عليهم السلام ومعناه وظنّ المرسل إليهم أنّ الرّسُل قد كذّبوهم فيما أخبروهم من نصرة الله ايّاهم[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام «وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ» مخفّفة قال: ظنّت الرّسل أنّ الشّياطين تمثّل لهم على صورة الملائِكةِ[٢].

﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: بارسال العذاب على الكفّار.

﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾: فنخلّص من نشاءُ من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون، وقرئ فنجّي على الماضي المبني للمفعول.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: إذا نزل، في العيون: عن الرّضا عليه السلام فيما سأله المأمون في عصمة الأنبياء يقول الله: «حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ» من قومهم وظنّ قومهم أنّ الرّسل قدكذبوا جاء الرّسل نصرنا[٣].

والقمي: عن الصّادق عليه السلام وكّلهم الله إلى أنفسهم فظنّوا أنّ الشّياطين قد تمثّلت لهم في صورة الملائكة[٤].

والعيّاشي: عنه عليه السلام وكّلهم الله إلى أنفسهم أقلّ من طرفة عين[٥].

وعنه عليه السلام: أنّه سئل كيفَ لم يخف على رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك ما ينزغ به الشّيطان؟ فقال: إنّ الله إذا إتّخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، وكان يأتيه من قبل الله مثل الّذي يراه بعينه[٦].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٢١٣.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠١، ح١٠٢.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٠٢، ح١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٥٨، س١٨.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠١، ح١٠٣.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠١، ح١٠٦.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾: قصص الأنبياء وأممهم.

﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: يعني أُولي العقول الكاملة.

﴿مَا كَانَ﴾: القرآن.

﴿حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ﴾: يختلق.

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله من الكتب الإلهيّة، القمّي: يعني من كتب الأنبياء.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه في الدّين.

﴿وَهُدىً﴾: من الضّلال.

﴿وَرَحْمَةً﴾: ينال بها خير الدّارين.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدّقونه، في ثواب الأعمال[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سورة يوسف في كلّ يوم أو في كلّ ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله على جمال يوسف، ولا يصيبه فزع يوم القيامة، وكان من خيار عباد الله الصّالحين[٢].

وزاد العيّاشي: أو من في الدّنيا أن يكون زانياً، أو فحّاشاً[٣].

وفي ثواب الأعمال: قال: وكانت في التّوراة مكتوبة[٤].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام لا تعلّموا نساءكم سورة يوسف عليه السلام ولا تقرؤهنّ

---

١ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٦، ثواب من قرأ سورة يوسف.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص١٦٦، ح١.   ٣ ـ تفسير العيّاشي ج ٢، ص١٦٦، ح١.

٤ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٦، ثواب من قرأ سورة يوسف.

إيّاه فإنّ فيها الفتن، وعلّموهنّ سورة النّور فإنّ فيها المواعظ[١].

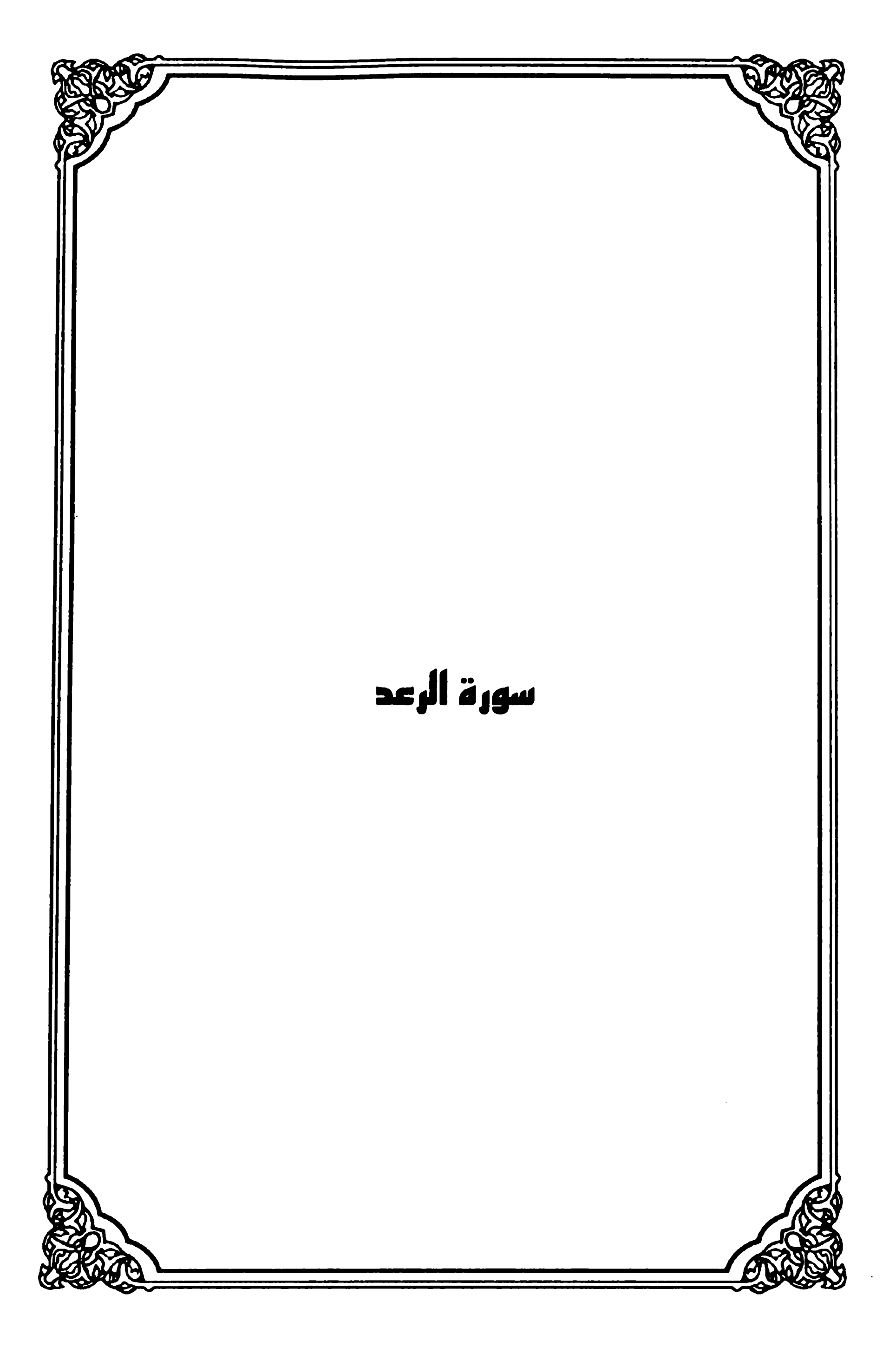
وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام يكره لهنّ تعلّم سورة يوسف عليه السلام[٢].

❊ ❊ ❊

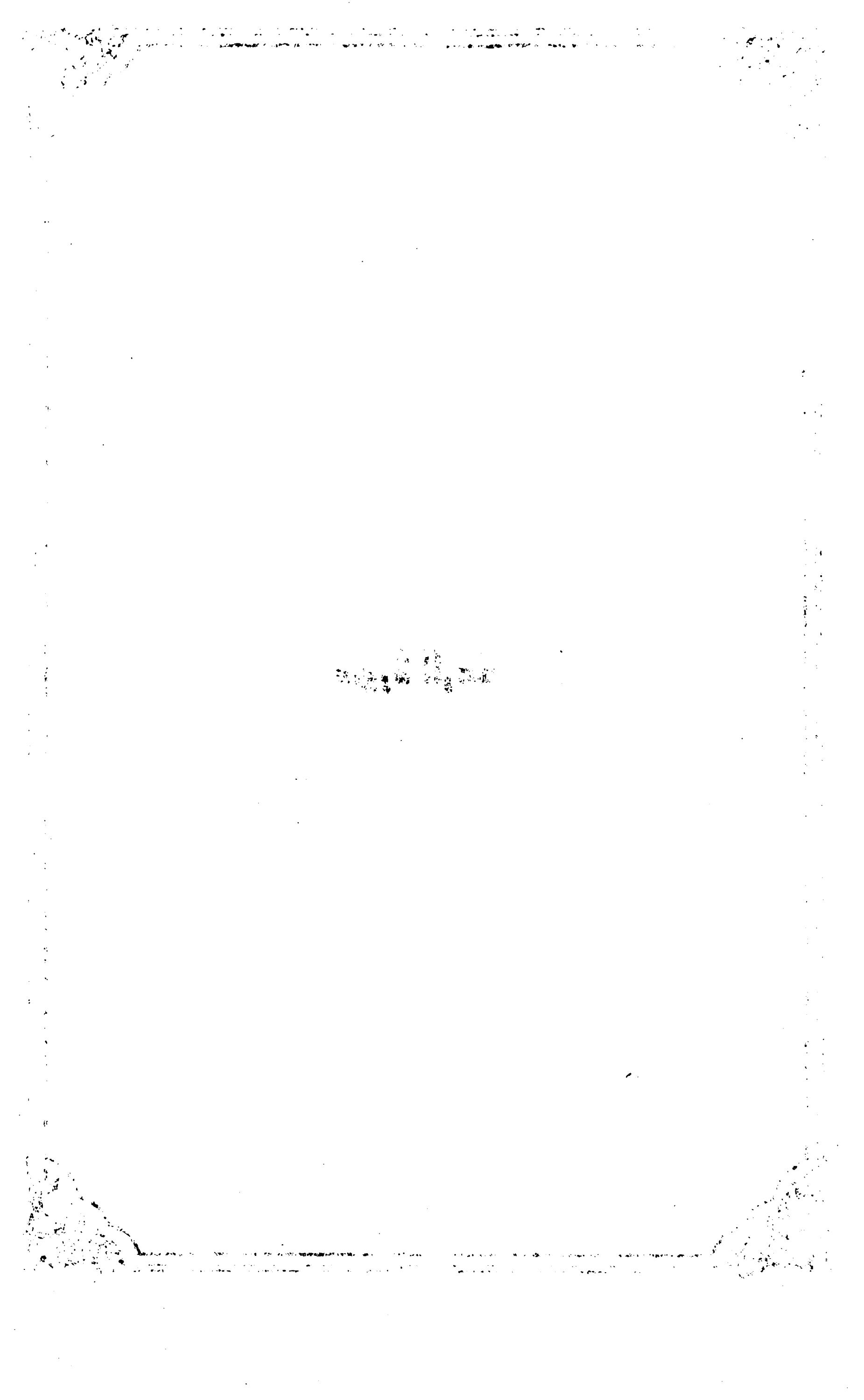
---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٥١٦، ح٢، باب في تأديب النساء.

٢ ـ الخصال: ص٥٨٦، س١٠، ح١٢، أبواب السبعين وما فوقه، ثلاث وسبعون خصلة في آداب النساء والفرق بين احكامهن واحكام الرجال.



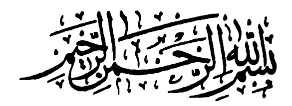
سورة الرعد



بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمْ

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

سورة الرّعدِ: مَكيّةٌ كلّها وقيل إلّا آخر آية منها، وقيل مدنية إلّا آيتين نزلتا بمكّة: «وَلَوْ أَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ» وما بعدها[1] عدد آيها ثلاث وأربعون آية.



﴿الٓمٓر﴾: قد سبق الكلام فيهِ وفي نظائره، وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام معناه أنا الله المحي المُميتُ الرّزاق[2].

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: يعني القرآن.

﴿ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * ٱللهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ

---

١ ـ الرعد: ٣١ ـ ٣٢.

٢ ـ معاني الأخبار ص٢٢، ح١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰراً وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

عَمَدٍ﴾: بغير أساطين.

﴿تَرَوْنَهَا﴾: صفة لعمد، القمّي[1]، والعيّاشي: عن الرّضا عليه السلام فثَمّ عمد ولكن لا ترونها[2].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: سبق معناه في سورة الأعراف[3].

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لمدّة معيّنة يتمّ فيها أدواره، أو لغاية مضروبة ينقطِع دونها سيره وهي «إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ»[4].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾: يُنزّلها ويبيّنها.

﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: لكي تتفكروا فيها وتتحقّقوا إكمال قدرته وصنعه في كل شيء فتعلموا أنّه بِكلّ شيءٍ محيط، وهذا كقوله: «أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ»[5].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بسطها طولاً وعرضاً ليثّبت فيه الأقدام، ويتقلّب عليها الحيوان.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٩، س ٥.

٢ ـ تفسير العيّاشي ج ٢، ص ٢٠٣، ح ٣.

٣ ـ الأعراف: ذيل الآية ٥٤.

٤ ـ التكوير: ١ ـ ٢.

٥ ـ فصلت: ٥٤.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَأَنْهَٰراً﴾: تتولّد منها.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: وجعل فيها من جميع أنواعها صنفين إثنين أسود وأبيض، حلواً وحامضاً، رطباً ويابساً، صغيراً وكبيراً، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة.

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يلبس ظلمة اللّيل ضياء النّهار، فيصير الهواء مظلماً بعد ما كان مضيئاً وقرئ يغشيّ بالتشديد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: متلاصقة من طيّبة وسبخة ورخوة وصلبة وصالحة للزّرع دون الشّجر، وبالعكس وغير صالحة لشيء منها.

﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾: فيها أنواع الأعناب والزّروع[1] والنّخيل، وقرئ وزرع ونخيل بالرّفع وكذلك في معطوفها.

﴿صِنْوَانٌ﴾:[2] نخلات أصلها واحد.

﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: متفرّقات مختلفة الأُصول أو أمثال وغير أمثال، وفي الحديث

---

١ ـ وفي نسخة: (والزّرع والنخيل).

٢ ـ الصنوان: جمع صنوة وهي النخلة التي لها رأسان وأصلها. واحد. جوامع الجامع: ج٢، ص٢١٧. والكشاف: ج٢، ص٥١٣.

وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰباً أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٥﴾

النّبويّ عمّ الرّجل صنو أبيه[1] وقرئ صنوان بالضمّ.

﴿يُسْقَىٰ﴾: وقرئ بالياء.

﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾: وقرئ بالياء.

﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾: في الثمر شكلاً وقدراً ورائحةً وطعماً. والعيّاشي: عنهم عليهم السلام يعني هذه الأرض الطيّبة مجاورة لهذه الأرض المالحة، وليست منها كما يجاور القوم القوم وليسوا منهم[2].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال لعليّ عليه السلام: النّاس من شجر شتّى، وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثمّ قرأ هذه الآية[3].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم بالتفكّر فيهتدون إلى عظمة الصّانع وعلمه وحكمته البالغة وقدرته النّافذة وتدبيره الكامل، ولطفه الشّامل، وحسن تربيته وصنايعه شيئاً فشيئاً إلى بلوغها منتهى كمالاتها اللّايقة بها.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾: يا محمّد من قولهم في إنكار البعث.

﴿فَعَجَبٌ﴾: من.

﴿قَوْلُهُمْ﴾: فحقيق بأن يتعجّب منه فإنّ من قدر على إنشاء ما قصّ عليك كانت الإعادة أهون عليه.

---

١ ـ النّهاية لابن الأثير ج ٣، ص ٥٧، ومجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٧٦، س ٢٠.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٣، ح ٤.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٧٦، س ٢٧.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰباً أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾: لإنكارهم قدرته وتماديهم في الكفر.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾: مقيّدون بالضّلال لا يرجى خلاصهم لإصرارهم.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: لا ينفكّون عنها.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: بالعقوبة قبل العافية، وذلك أنّهم استعجلوا بالعذاب استهزاءاً.

﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾: مضت.

﴿مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ﴾: عقوبات أمثالهم من المكذّبين فما بالهم لم يعتبروا بها.

في نهج البلاغة إحذروا ما نزل بالأُمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، وذميم الأعمال، فتذكّروا في الخير والشّرّ أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم[١].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: أي مع ظلمهم أنفسهم بالذّنوب.

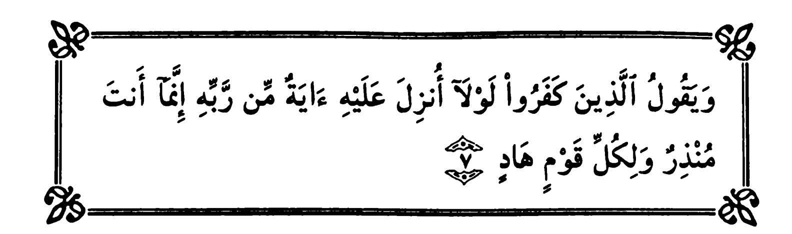
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: في المجمع: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش، ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كلّ أحد[٢].

وفي التّوحيد: عن الرّضا عليه السلام حين تذاكروا الكبائر، وقول المعتزلة فيها إنّها لا تغفر،

---

١ ـ نهج البلاغة: ص٢٩٦، الخطبة ١٩٢.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٧٨، س ١٩. وفيه لاتّكل كل واحد.



قال أبو عبدالله عليه السلام: قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله جلّ جلاله: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ»[1].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: لم يعتدّوا بالآيات المنزلة عناداً واقترحوا نحو ما أوتي موسى وعيسى.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مرسل للإنذار كغيرك من الرّسل، وما عليك إلّا الإتيان بما يصحّ به أنّك رسول مخوّف ومنذر، والآيات كلّها متساوية في حصول الغرض.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: يهديهم إلى الدّين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خص بها، في المجمع: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر، وعليّ الهادي من بعدي، يا علي بك يهتدي المهتدون[2].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله: المنذر، ولكلّ زمان منّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله، ثمّ الهداة من بعده عليّ، ثمّ الأوصياء واحد بعد واحد[3].

وعن الصّادق عليه السلام: كلّ إمام هاد للقرن الّذي هو فيهم[4].

ومثله في الإكمال[5]، ورواه القمّي[6]، والعيّاشي[7]، و غير واحد من الخاصّة والعامّة

---

١ ـ التوحيد: ص ٤٠٦، ح٤، باب ٦٣ ـ الامر والنهي والوعد والوعيد.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦ ص٢٨٧، س٣٢.

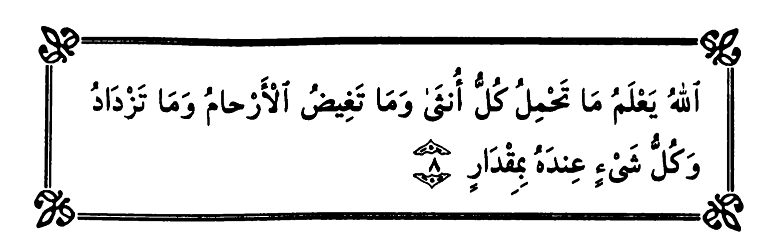
٣ ـ الكافي: ج١، ص١٩١ ـ ١٩٢، ح٢، باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة.

٤ ـ الكافي: ج١، ص١٩١، ح١، باب إنّ الأئمة عليهم السلام هم الهداة.

٥ ـ إكمال الدين واتمام النعمة: ص ٦٦٧، ح١٠، باب ٥٨ ـ في نوادر الكتاب.

٦ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٥٩، س١٨.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٤، ح٧.



في غير واحد من الأسانيد[١].

والقمّي: هو ردّ على من أنكر أن في كل عصر وزمان إماماً، وأنّه لا تخلو الأرض من حجّة[٢].

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: من ذكر أو أُنثى، تامّ وناقص، حسن وقبيح، سعيد وشقيّ.

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾: وما تنقصه.

﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: في المدّة والعدد والخلقة، في الكافي[٣]، والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام الغيض: كل حمل دون تسعة أشهر، وما تزداد: كلّ شيءٍ يزداد على تسعة أشهر، فكلّما رأت المرأة الدّم في حملها من الحيض فإنّها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدّم[٤].

والعيّاشي عن الصّادق عليه السلام ما تحمل كلّ انثى: الذّكر والأنثى، وما تغيض الأرحام: ما كان من دون التّسعة وهوغيض، وما تزداد: مارأت الدّم في حال حملها إزداد به على التّسْعة أشهر[٥].

وفي رواية ما تغيض: مالم يكن حملاً، وما تزداد: الذكّر والأُنثى جميعاً[٦].

والقمّي: وما تغيض: ما تسقط من قبل التّمام، وما تزداد: يعني على تسعة أشهر، كلّما

---

١ ـ شواهد التنزيل: ج ١، ص ٣٨١ ـ ٣٩٥ ح ٣٩٨ ـ ٤١٦.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥٩، س ١٨.
٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٢، ح ٢، بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٤، ح ١٠.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٥، ح ١٤.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٥، ح ١٣.

عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

رأت المرأة من حيض في أيام حملها زاد ذلك على حملها[١].

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾: بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما لا يدركه الحسّ.

﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: ما يدركه.

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العظيم الشّأن الّذي كلّ شيءٍ دونه حقير.

﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: المستعلي على كلّ شيءٍ بعظمته.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾: في نفسه.

﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾: لغيره.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾: طالب للخفاء في مختبأ باللّيل.

﴿وَسَارِبٌۢ﴾: بارز.

﴿بِٱلنَّهَارِ﴾: يراه كلّ أحد، القمّي: عن الباقر عليه السلام يعني السّرّ والعلانية عنده سواء[٢].

﴿لَهُۥ﴾: لمن أسرّ أو جهر أو استخفى أو سرب.

﴿مُعَقِّبَـٰتٌ﴾: ملائكة يعقّب بعضهم بعضاً في حفظه وكلاءته.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص ٣٦٠.

٢ ـ تفسير القمي: ج١، ص ٣٦٠.

﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: من جوانبه.

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: قيل: من أجل أمر اللهِ، أي من أجل أنّ الله أمرهم بحفظه[١].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّ هذه الآية قرئت عنده فقال: لقارئها ألستم عرباً؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه؟ وإنّما المعقّب من خلفه فقال الرّجل: جعلت فداك كيف هذا؟ فقال: إنّما أُنزلت «له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله» ومن ذا الّذي يقدر أن يحفظ الشّيء من أمر الله؟ وهم الملائكة الموكّلُونَ بالنّاس[٢].

ومثله العيّاشي: عنه عليه السلام[٣].

وفي المناقب[٤]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام «مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ» يقول: بأمر الله من أن يقع في ركي[٥] أو يقع عليه حائط أو يصيبه شيء حتّى إذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه يدفعونه إلى المقادير، وهما ملكان يحفظانه باللّيل، وملكان بالنّهار يتعاقبانه[٦].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام ما يقرب منه[٧].

وفي المجمّع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير فيخلّون بينه وبين المقادير[٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من العافية والنِّعمة.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة، العيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّ الله قضى قضاءاً حتماً لا ينعم على عبده نعمة فيسلبها إيّاه قبل أن يحدث العبد ذنباً يستوجب بذلك الذّنب سلب تلك النّعمة، وذلك قول الله: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

١ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج٢، ص٥١٧.

٢ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٠، س١٤.

٣ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٥، ح١٥.

٤ـ مناقب إبن شهرآشوب: ج٤، ص١٩٧.

٥ـ الركيّة: بالفتح وتشديد الياء ـ: البئر، والجمع ركايا وركيّ مجمع البحرين ج١، ص١٩٥، مادة «ركا».

٦ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٠، س١٨.

٧ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٥، ح١٦.

٨ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص٢٨١، س٣.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ»[١].

وفي المعاني: عن السّجّاد عليه السلام الذنوب الّتي تغيّر النعم: البغي على النّاس، والزّوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النّعم، وترك الشّكر، ثم تلا الآية[٢].

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾: من يلي أمرهم ويدفع[٣] عنهم السُّوء.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً﴾: من أذاه.

﴿وَطَمَعاً﴾: في الغيث، في العيون: عن الرّضا عليه السلام خوفاً لِلمسافِرِ وطمعاً للمقيم[٤].

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: القمّي: يعني يرفعها من الأرض[٥].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾: روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه سئل عن الرّعد فقال: ملك موكّل بالسّحاب معه مخاريق[٦] من نار يسوق بها السّحاب[٧].

وفي الفقيه: روي أنّ الرعد: صوت ملك أكبر من الذّباب، وأصغر من الزّنبور[٨].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٦، ح١٩.

٢ ـ معاني الأخبار: ص٢٧٠، ح٢، باب معنى الذنوب التي تغير النعم. ٣ ـ وفي نسخة: [فيدفع عنهم السوء].

٤ ـ عيون أخبار الرّضا: ج١، ص٢٩٤، ح٥١، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة. ٥ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦١، س٣.

٦ ـ المخاريق: جمع مخراق: وهي في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً مجمع البحرين: ج٥، ص١٥٤، مادة «خرق». ٧ ـ الكشاف: ج٢، ص٥١٨ ـ ٥١٩.

٨ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص ٣٣٤، ح١٥٠١ / ١١، باب ٨٠ ـ صلاة الاستسقاء.

وفيه[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه بمنزلة الرّجل يكون في الإبل فيزجرها، هاى هاى كهيئة ذلك[٢].

وفي المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله إذا سمع صوت الرّعد قال: سبحان من سبّح الرّعد بحمده[٣].

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: من خوفه وإجلاله.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾: فيهلكه.

﴿وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾: حيث يكذّبون رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يصفه من التفرّد بالأُلوهيّة وإعادة النّاس ومجازاتهم.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: أي المماحلة[٤] والمكائدة لأعدائه.

وقيل: من المحلّ بمعنى القوّة[٥].

والقمّي: أي شديد الغضب[٦].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام شديد الأخذ[٧].

وفي الأمالي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث رجلاً إلى فرعون من فراعنة العرب يدعوه إلى الله عزّ وجلّ، فقال للرّسول: أخبرني عن الّذي تدعوني إليه أمن فضّة هو؟ أم من ذهب؟ أم من حديد؟ فرجع إلى النّبي صلى الله عليه وآله فأخبره بقوله: فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: إرجع إليه فادعه، قال: يا نبيّ الله إنّه أعتى من ذلك، قال: ارجع إليه، فرجع إليه، فقال: كقوله، فبينا هو يكلّمه إذ رعدت سحابة رعدة فألقت على رأسه صاعقة ذهب بقحف[٨] رأسه فأنزل الله جلّ ثناؤه: «وَيُرْسِلُ

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٣٤، ح٩/١٤٩٩، باب ٨٠ ـ صلاة الإستسقاء.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٧، ح٢٣.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٨٣، س٧.

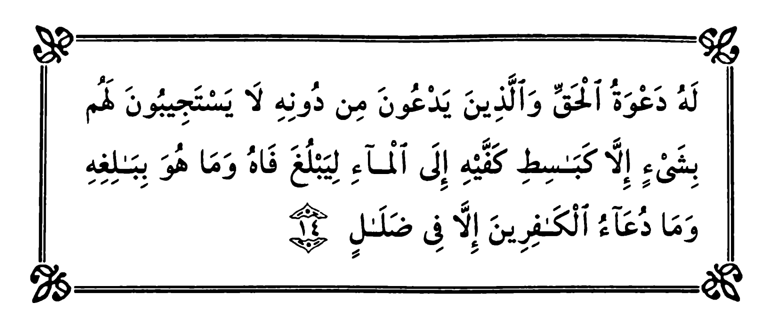
٤ ـ المماحلة: المكايدة، وتمحّل: أي إحتال فهو متمحّل. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٧٣، مادة «محل».

٥ ـ أنوار التنزيل: ج١، ص٥١٦.

٦ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦١، س٥.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص٢٨٣، س٢٧.

٨ ـ القحف: العظم الذي فوق الدماغ، وبجمعه جاء المثل: «رماه بأقحاف رأسه» إذا أسكته بداهية يوردها عليه. الصحاح: ج ٤، ص١٤١٣ . مادة «قحف».



ٱلصَّوَٰعِقَ» الآية[١].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الصّواعق لا تصيب ذاكراً، قيل: وما الذّاكر؟ قال: من قرأ مائة آية[٢].

﴿لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: فإنّه يدعى فيستجيب.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يدعوهم المشركون.

﴿مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾: من الطّلبات.

﴿إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾: إلّا إستجابة كاستجابة من بسط كفّيه.

﴿إِلَى ٱلْمَـآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: يطلب منه أن يبلغه من بعيد أو يغترف مع بسط كفّيه ليشربه.

﴿وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِ﴾: لأنّ الماء جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته ولا يستقّر في الكفّ المبسوطة وكذلك آلهتهم.

القمّي عن الباقر عليه السلام هذا مثل ضربه الله للّذين يعبدون الأصنام، والّذين يعبدون الآلهة من دون الله فلا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعهم إلّا كباسط كفيه إلى الماء ليتناوله من بعيد ولا يناله[٣].

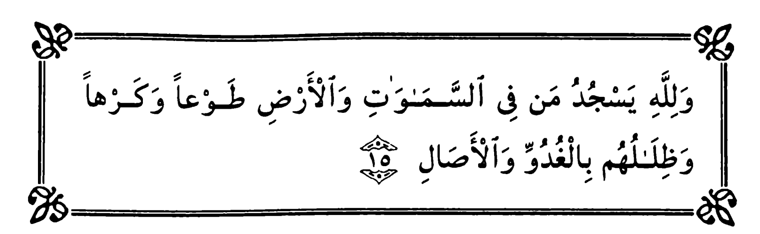
﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾: في ضياع وبطلان.

---

١ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٨٥، ح١٠٦٢/٣١، المجلس السابع عشر.

٢ ـ الكافي: ج٢، ص٥٠٠، ح٢، باب أن الصاعقة لا تصيب ذاكراً.

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦١، س٧.



﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَـٰلُهُم بِالْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾: العشيّ، القمّي: عن الباقر عليه السلام أمّا من يسجد من أهل السّماوات طوعاً فالملائكة يسجدون لله طوعاً، ومن يسجد من أهل الأرض فمن ولد في الإسلام فهويسجد له طوعاً، وأمّا من يسجد له كرهاً: فمن جبر على الإسلام، وأمّا من لم يسجد، فظلّه يسجد بالغداة والعشي[1].

والقمّي: قال: تحويل كل ظلّ خلقه الله هو سجود لله لأنّه ليس شيء إلّا له ظلّ يتحرّك بتحريكه، وتحويله سجوده[2] ذكره في سورة النّحل.

وقيل: أُريد بالظّل: الجسد، وإنّ ما يقال للجسم: الظّلّ لأنّه عنه الظّل ولأنّه ظلّ للرّوح لأنّه ظلماني والرّوح نوراني، وهو تابع له يتحرّك بحركتهِ النّفسانيّة ويسكن بسكونه النّفساني[3].

القمّي: قال: ظلّ المؤمن يسجد طوعاً، وظلّ الكافر يسجد كرهاً، وهو نموّهم وحركتهم وزيادتهم ونقصانهم[4].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في قوله: «وَظِلَـٰلُهُم بِالْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ» قال: هو الدّعاء قبل طلوع الشّمس وقبل غروبها، وهي ساعة إجابة[5].

وفي نهج البلاغة: فتبارك الّذي يسجد له من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً

١ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٢، س ٣. ٢ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٦، س ٤.

٣ـ لم نعثر على نصه، وقريب منه راجع مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦ ـ ص ٢٨٤.

٤ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٢، س ١.

٥ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٢٢، ح ١، باب القول عند الاصباح والإمساء.

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾

ويعفّر له خدّاً ووجهاً، ويلقي بالطّاعة إليه سلماً وضعفاً، ويعطي القِيادَ رهبة وخوفاً[1]، قال: وسجدت له بالغُدوّ والآصال الأشجار[2].

أقول: كما يجوز أن يراد بكلّ من السّجود، والظّلّ، والغُدوّ والآصال، معناه المعروف كذلك يجوز أن يراد بالسّجود: الإنقياد، وبالظّلّ: الجسد، وبالغدّو والآصال: الدّوام، ويجوز ايضاً أن يراد بكلّ منها ما يشمل كلا المعنيين فيكون في كلّ شيءٍ بحسبه، وعلى ما يليق به، وبهذا تتلائم الرّوايات والأقوال، ويأتي لهذا المعنى زيادة بيان في سورة النّحل إن شاء الله.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالقهما ومتولّي أمرهما.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: اجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه، ولأنّه البيّن الّذي لا مرية فيه.

﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ﴾: ثم ألزمهم بذلك.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾: فكيف لغيرهم.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: القمّي: يعني الكافر والمؤمن.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ﴾: قال: الكفر والإيمان، وقرئ يستوي بالياء.

﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: بل أجَعَلوا لله شركاء، والهمزة للإنكار.

---

١ ـ نهج البلاغة: ص ٢٧٢، الخطبة: ١٨٥.
٢ ـ نهج البلاغة: ص ١٩١، الخطبة ١٣٣.

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾: صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار.

﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خلق الله وخلقهم، والمعنى أنّهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتّى يتشابه الخلق عليهم فيقولوا: هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقّوا العبادة كما استحقّها، ولكنّهم إتّخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً عمّا يقدر عليه الخالق.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: ولا خالق غيره فيشاركه في العبادة.

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾: المتوحّد بالألوهيّة الغالب على كلّ شيءٍ.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾: في الصغر والكبر وعلى حسب المصلحة.

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: مرتفعاً.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾: من أنواع الفلزّات كالذّهب والفضّة والحديد والنّحاس، وقرئ توقدون بالتّاء.

﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾: طلب حلية.

﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾: كالأواني، والآت الحرث والحرَب.

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾: أي وممّا توقدون[1] عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾: أي مثلهما مثل الحقّ في إفادته وثباته بالماء الّذي ينزل من السّماء فتسيل به الأودية على وجه الحاجة والمصْلَحَةِ فينتفع به أنواع المنافع، ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منابعه، ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والآبار، وبالفلزّ الّذي ينتفع به في صوغ الحليّ، وإتّخاذ الأمتعة المختلفة، ويدوم ذلك مدّة متطاولة، والباطل في قلّة نفعه وسرعة إضمحلاله بزبدهما.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: يجفأ به أي يرمى به السّيل والفلز[2] المذاب.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: كالماء وخلاصة الفلزّ.

﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ينتفع به أهلها.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾: لإيضاح المشتبهات[3]. القمّي: يقول: أنزل الحقّ من السّماء فاحتمله القلوب بأهوائها ذو اليقين على قدر يقينه، وذو الشكّ على قدر شكّه فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجفاءاً فالماء: هو الحقّ، والأودية: هي القلوب، والسّيل: هو الهوى، والزّبد وخبث الحلية: هو الباطل، والحلية والمتاع: هو الحقّ، من أصاب الحلية والمتاع في الدّنيا انتفع به، وكذلك صاحب الحقّ يوم القيامة ينفعه، ومن أصاب الزّبد وخبث الحلية في الدّنيا لم ينتفع، به وكذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به[4].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام قد بيّن الله تعالى قصص المغيّرين فضرب مثلهم

---

١ ـ وفي نسخة: (يوقدون). ٢ ـ وفي نسخة: (أو الفلزّ).

٣ ـ قال قتادة: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد، شبّه نزول القرآن بالماءالذي ينزل من السماء، وشبّه القلوب بالأودية والأنهار، فمن استقصى في تدبره وتفكّر في معانيه أخذ حظّاً عظيماً منه كالنّهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير، ومن رضي بما أدّاه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل حظاً منه كالنهر الصغير فهذا مثل ثم شبّه الخطرات ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من خبث التربة لا عين الماء كذلك ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلاً ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباءاً باطلاً، ويبقى الحق فهذا مثل ثانٍ والمثل الثالث قوله: «ومما يوقدون عليه في النار» إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبيث الذي لا ينتفع به، والإيمان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به، مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٨٧، س١٩.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٢، س١٣.

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُ مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

بقوله: «فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ» فالزّبدُ في هذا الموضع كلام الملحدين الّذين أثبتوه في القرآن فهو يضمحلّ ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والّذي ينفع النّاس منه فالتّنزيل الحقيقي الّذي «لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»[١] والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع: هي محلّ العلم وقراره الحديث[٢].

وقد مضى تمامه في المقدّمة السّادسة[٣].

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الإستجابة الحسنى.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾: يعني كذلك يضرب الله الأمثال للفريقين وما بعده كلام مبتدأ لبيان مال غير المستجيبين، ويحتمل عدم تعلّقه بما قبله، ويراد بالحسنى المثوبة الحسنى ويكون ما بعده متعلّقاً به.

﴿لَوْ أَنَّ لَهُ مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام هو أن لا تقبل لهم حسنة، ولا تغفر لهم سيّئة[٤].

وقال في الحديث: من نوقش في الحساب عذّب[٥].

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المستقر، القمّي: يمهدون في النّار[٥].

---

١ ـ فصلت: ٤٢.

٢ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ ج ١، ص ٨٢ ـ ٨٣.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٨٧، س ٣٤.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٨٧، س ٣٢.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٣، س ١١.

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: فيستجيبُ.

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: أعمى القلب لا يستبصر فيستجيبُ، والهمزة للإنكار، يعني لا شبهة في عدم تشابههما بعدما ضرب من المثل فإنّ بينهما من البون[1] ما بين الزّبد والماءِ والخبث والإبريز[2].

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذوو العقول المبرّأة عن مشابهة الإلفِ، ومعارضة الوهم، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه خاطب شيعته بقوله: أنتم أُولو الألباب في كتاب الله قال الله: «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ».

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: ما عقدوه على أنفسهم لله.

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد، وهو تعميم بعد التخصيص، القمّي: عن الكاظم عليه السلام نزلت هذه الآية في آل محمد عليهم السلام، وما عاهدهم عليه، وما أخذ عليهم من الميثاق في الذّر من ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بعده[3].

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: من الرّحم، ولا سيّما رحم آل

---

١ ـ البون ـ بالفتح فالسكون ـ: الفضل والمزيد وهو مصدر بانَهُ بَوْناً إذا فضله، وبينهما بَوْن: أي بين درجتيهما أو بين اعتبارهما في الشرف، وأمّا في التباعد الجسماني، فيقال بينهما «بين» بالياء. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢١٦ ـ ٢١٧، مادة «بون».

٢ ـ الإبريز: الذهب الخالص من الكدوارت، معرّب والهمزة والياء زائدتان. مجمع البحرين: ج٤، ص٨، مادة «برز».

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص٣٦٣، س١٦.

محمّد ﷺ، ويندرج فيه موالاة المؤمنين ومراعاة حقوقهم، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام نزلت في رحم آل محمّد، وقد تكون في قرابتك، ثمّ قال: فلاتكوننّ ممّن يقول للشّيء: إنّه في شيء واحد[١].

وفيه[٢]، والعيّاشي: عنه عليه السلام الرّحم معلّقة بالعرش، تقول: اللّهم صِل من وصلني، واقطع من قطعني، وهو رحم آل محمّد ﷺ، وهوقول الله: «وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ» ورحم كلّ ذي رحم[٣].

والعيّاشي: ورحم كلّ مؤمن[٤].

وفي المجمع[٥]، والقمّي[٦]، والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام مثله[٧].

وفي الكافي[٨]، والعيّاشي: عن الصّادق وممّا فرض الله في المال من غير الزّكاة قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ»[٩].

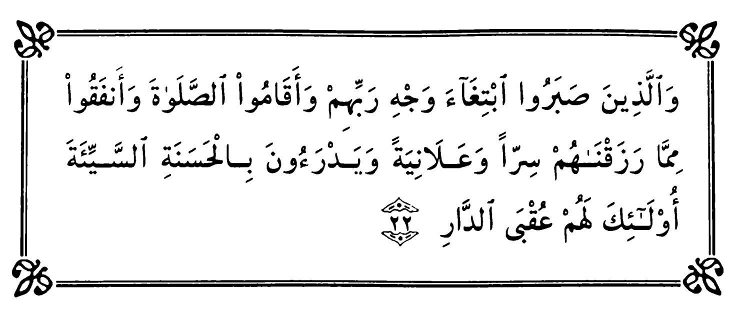
وفي المجمع: مثله عن الرّضا عليه السلام[١٠].

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾: خصوصاً، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا، في الكافي[١١]، والعيّاشي[١٢]، والمعاني[١٣]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه تلا هذه الآية حين وافى رجلاً استقصى حقّه من أخيه، وقال: أتراهم يخافون أن يظلمهم ويجور عليهم؟ لا ولكنّهم خافوا الإستقصاء والمداقّة فسمّاه الله سوء الحساب، فمن استقصى فقد أساء[١٤].

وفي المجمع[١٥]، والعيّاشي: عنه عليه السلام أن تحسب عليهم السّيئات، وتحسب لهم الحسنات،

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥، ح ٢٨، باب صلة الرحم.
٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥١، ح ٧، باب صلة الرحم.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٨، ح ٢٧ و ٢٩.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٨، ح ٢٧.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٨٩، س ١١.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٣، س ١٥.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٨، ح ٢٩.
٨ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٩٨، ح ٨، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.
٩ ـ تفسير العيّاشي ج ٢، ص ٢٠٩، ح ٣٥.
١٠ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٨٩، س ١٣.
١١ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٠٠ ـ ١٠١، ح ١، باب في آداب إقتضاء الدين، مع اختلاف.
١٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢١٠، ح ٣٩ و ٤٠ و ٤١، مع اختلاف يسير في جميعها.
١٣ ـ معاني الأخبار: ص ٢٤٦، ح ١، باب معنى سؤ الحساب، مع اختلاف.
١٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٤، س ١، مع إختلاف.
١٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٨٩، س ١٥.



وهو الإستقصاء[١].

وفي مصباح الشّريعة: عنه عليه السلام لو لم يكن للحساب مهولة إلّا حياء العرض على الله وفضيحة هتك السّتر على المخفيات لحقّ للمرءِ أن لا يهبط من رؤس الجبال، ولا يأوي إلى عمران، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلّا عن اضطرار متّصل بالتّلف[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على القيام بأوامر الله، ومشاقّ التّكاليف، وعلى المصائب في النّفوس والأموال، وعن معاصي الله.

﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: طلباً لرضاه.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: يدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان ويتبعون الحسنة السّيّئة فتمحوها.

القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ ما من دار فيها قرحة[٣][٤] إلّا تبعها مرحة[٥][٦]، وما من همّ إلّا وله فرح إلّا همّ أهل النّار، إذا عملت سيّئة فأتبعها بحسنة تمحها سريعاً، وعليك بصنايع الخير فانّها تدفع مصاريع السّوء، وإنّما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: على حدّ تأديب النّاس، لا بأنّ لأمير المؤمنين عليه السلام سيّئات عملها[٧].

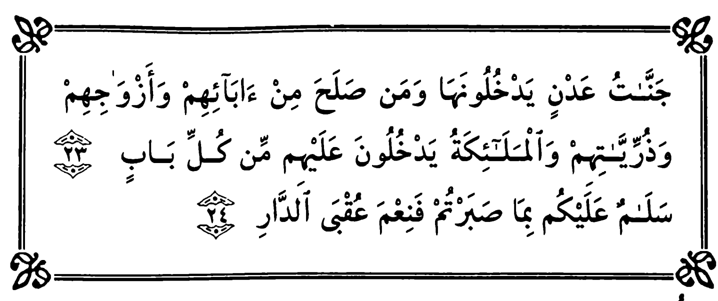
---

١ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص٢١٠، ح٣٨. ٢ ـ مصباح الشريعة: ص٨٥.

٣ ـ القرح بالضم الألم. القاموس المحيط: ج١، ص٢٤٢، مادة «قرح». وفي هامش الصحاح: ج١، ص٣٩٥: القرح بالفتح: الجراح والقرح بالضم ألم الجراح، وقد نقله الأزهري عن الفراء. ٤ ـ وفي نسخة: (فرحة) كما في المصدر.

٥ ـ المرح: شدة الفرح، والنشاط. الصحاح: ج١، ص٤٠٤، مادة «مرح».

٦ ـ وفي نسخة: (ترحة) كما في المصدر، والترحة: المرّة من الترح بالتحريك الذي ضد الفرح وهو الهلاك والانقطاع وتَرِحَ تَرَحاً: إذا حزن. مجمع البحرين: ج٢، ص٣٤٤ مادة «ترح». ٧ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٤، س٦.



﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنّة.

﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: العدن الإقامة، أي جنات يقيمون فيها، وقد مضى في شأنها أخبار في سورة التّوبة[1].

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾: يلحق بهم من صلح منهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم وليكونوا مسرورين بهم آنسين بصحبتهم.

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن الرّجل المؤمن له إمرأة مؤمنة يدخلان الجنّة يتزوّج أحدهما الآخر؟ فقال: إنّ الله حكم عدل إذا كان أفضل منها خيّره، فإن اختارها كانت في[2] أزواجه، وإن كانت هي خيراً منه خيّرها فإن اختارته كان زوجاً لها[3].

وفي الخصال: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ أمّ سلمة قالت له: بأبي أنت وأمّي المرأة يكون لها زوجان فيموتان فيدخلان الجنّة لأيّهما تكون؟ فقال: يا أُمّ سلمة تخيّر أحسنهما خلقاً وخيرهما لأهله، يا أمّ سلمة إنّ حسن الخلق ذهب بخير الدّنيا والآخرة[4].

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: من أبواب غرفهم وقصورهم.

﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: هذا بسبب صبركم.

---

١ ـ التوبة ذيل الآية ٧٢.

٢ ـ وفي نسخة: (من أزواجه).

٣ ـ لم نعثر عليه في تفسير العيّاشي بل وجدناه في مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٢١٠ نقلاً عن العيّاشي وفي بحار الأنوار: ج٨، ص١٠٥، ح٢٣ نقلاً عن العيّاشي.

٤ ـ الخصال: ص٤٢، ح٣٤ ـ باب الاثنين ـ المرأة يكون لها زوجان من أهل الجنة لأيهما تكون في الجنّة.

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: القمّي: نزلت في الأئمّة عليهم السلام، وشيعتهم الّذين صبروا[١].

وعن الصّادق عليه السلام: نحن صبّر، وشيعتنا أصبر منّا لأنّا صبرنا بعلم، وشيعتنا صبروا على ما لا يعلمون[٢].

في الكافي[٣]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله في حديث يصف فيه حال المؤمن إذا دخل الجنان والغرف وسنذكر صدره في سورتي فاطر[٤] والزّمر[٥] إن شاء الله قال: ثمّ يبعث الله له ألف ملك يهنّؤونه بالجنّة ويزوّجونه بالحوراء، فينتهون إلى أوّل باب من جنانه فيقولون للملك الموكّل بأبواب الجنان: إستأذن لنا على وليّ الله فإنّ الله قد بعثنا مهنئين، فيقول الملك: حتّى أقول للحاجب فيعلّمه مكانكم، قال: فيدخل الملك إلى الحاجب، وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل باب فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهُم ربّ العالمين جاؤوا يهنّئون ولي الله، وقد سألوني أن أستأذن هم عليه، فيقول له الحاجب: إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على ولي الله وهو مع زوجته، قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنتان فيدخل الحاجب على القيّم، فيقول له: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين يهنّئون ولي الله فاعلموه، فأستأذن لهم فيقوم القيّم إلى الخدّام فيقول لهم: أن رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم يهنّئون وليّ الله، فاعلموه مكانهم، قال: فيعلمونه الخدام مكانهم، قال: فيؤذن لهم فيدخلون على وليّ الله وهو في الغرفة ولها ألف باب، وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به، فإذا أذن للملائكة بالدّخول على ولي الله فتح كلّ ملك بابه الّذي قد وكّل به فيدخل كل ملك من باب من أبواب الغرفة فيبلّغونه رسالة الجبّار، وذلك قول الله عزّوجلّ: «وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ» يعني من أبواب الغرفة «سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ»[٦].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص٣٦٥، س ٣.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص٣٦٥، س ٤.
٣ ـ الكافي: ج ٨ ص٩٨، س ٤، ح ٦٩، حديث الجنان والنوق.
٤ ـ ذيل الآية: ٣٥ من سورة فاطر.
٥ ـ ذيل الآية: ٢٠ من سورة الزمر.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٤٧، ٢٤٨، س ١٧.

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ﴾: من بعدما أوثقوه به من الإقرار والقبول، القمّي: يعني في أمير المؤمنين، وهو الّذي أخذ الله عليهم في الذّر، وأخذ عليهم رسول الله ﷺ بغدير خم[١].

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: من الرّحم وغيرها.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالظّلم وتهييج الفتن.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: عذاب النّار.

﴿ٱللَّهُ﴾: وحده.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه ويضيّقه دون غيره.

﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم فيها.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: في جنب الآخرة.

﴿إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾: إلّا شيء قليل يتمتّع به، ثم يفنى ولا يدوم كعجالة[٢] الرّاكب يعني إنّهم إنّما اشتروا بما أنالوا من الدّنيا، ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة، واغترّوا بما هو في جنبه نزر قليل النّفع سريع الزّوال.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٣، س ٢٠.

٢ ـ والعجالة ـ بالضم ـ: ما تعجلته من شيء، والتمر عُجَالَةُ الراكب. يقال عـجَّلتم. الصـحاح: ج ٥، ص ١٧٦٠، مادة «عجل».

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾: باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: من أقبل إلى الحقّ ورجع عن العناد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: تسكن إليه أنسابه واعتماداً عليه ورجاء منه، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام بمحمّد صلى الله عليه وآله تطمئن وهو ذكر الله وحجابه[1].

والقمّي «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ»: الشّيعة، وذكر الله: أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام[2].

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: من الطّيب مصدر كبشرى وزلفى.

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: مرجع في الكافي: عن الصّادق عليه السلام طوبى: شجرة في الجنّة أصلها في دار النّبي صلى الله عليه وآله وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به ذلك، ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها غراب[3] ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً ألا في هذا فارغبوا[4].

---

١ ـ تفسير العيّاشي ج٢، ص٢١١، ح٤٤.
٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٥، س٦.
٣ ـ وإنما خص الغراب بالذكر لأنّه أطول الطيور عمراً.
٤ ـ الكافي: ج٢، ص٢٣٩، ح٣٠، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله[١].

وفي الإكمال: عن الصّادق عليه السلام طوبى لمن تمسّك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ[٢] قلبه بعد الهداية، فقيل له: وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنّة أصلها في دار عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وليس مؤمن إلّا وفي داره غصن من أغصانها، وذلك قول الله: «طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ»[٣].

والأخبار: في تفسير طوبى بالشجرة الّتي في الجنّة، وذكر أوصاف تلك الشّجرة كثيرة رواها القمّي[٤]، والعيّاشي[٥]، وفي العيون[٦]، والخصال[٧]، والإحتجاج[٨]، وغيرها[٩].

وفي المجمع: عن الكاظم عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه سئل عن طوبى؟ قال شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة، ثمّ سُئِل عنها مرّة أُخرى فقال صلى الله عليه وآله: في دار علي عليه السلام فقيل له في ذلك؟ فقال: إنّ داري ودار عليّ عليه السلام في الجنّة بمكان واحد[١٠].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٣، ح٥٠.

٢ ـ الزيغ: الميل عن الحق، مجمع البحرين: ج٥، ص١٠، مادة «زيغ».

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٣٥٨، ح٥٥، باب ٣٣ ـ ماروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته، وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٤ ـ تفسير القمّي:: ج١، ص٣٦٥، س٩.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٢ ـ ٢١٣، ح٤٨و ٤٩و ٥٠.

٦ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٣٠٤، ح٦٣، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرّقة.

٧ ـ الخصال: ص ٥٥٨، ح٣١، أبواب الأربعين وما فوقه احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بمثل هذه الخصال على النّاس يوم الشورى.

٨ ـ لم نعثر عليه في الإحتجاج والظاهر هنا إشتباه إما من النساخ أو من قلمه الشريف والصحيح هكذا: «والخصال في الإحتجاج» أي في باب إحتجاج أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على النّاس في يوم الشورى.

٩ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٢٢٩، س٣.

١٠ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٩١، س٣٠.

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الإرسال.

﴿أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ﴾: تقدمتها.

﴿أُمَمٌ﴾: أُرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليها.

﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: لتقرأ عليهم الكتاب الّذي أوحينا إليك.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـٰنِ﴾: وحالهم إنّهم يكفرون بالواسع الرّحمة الّذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كلّ شيءٍ رحمته فلم يشكروا نعمه، وخصوصاً إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز عليهم.

﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾: أي الرّحمان خالقي ومتولّي أمري.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا يستحقّ العبادة إلّا هو تعالى عن الشّركاء.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: في نصرتي عليكم.

﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: زعزعت عن مقارّها.

﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: تصدّعت من خشية الله وتشقّقت.

﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فتسمع فتجيب لكان هذا القرآن لعظم قدره وجلالة شأنه،

القمّي: قال: لو كان شيء من القرآن كذلك لكان هذا[١].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام وقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي فيه ما تسير به الجبال، وتقطع به البلدان، وتحيي به الموتى[٢].

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً﴾: بل لله القدرة على كلّ شيءٍ.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: قيل: أي أفلم يعلم وهي لغة قوم من النّخع[٣].

وقيل: إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه لإنّ اليائس عن الشّيء عالم بأنّه لا يكون[٤].

وفي المجمع: قرأ عليّ، وعليّ بن الحسين، وجعفر بن محمّد، عليهم السلام أفلم يتبين[٥].

قيل: وينسب هذه القراءة إلى جماعة من الصّحابة، والتّابعين وهو تفسيره[٦].

﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: من الكفر وسوء الأعمال[٧].

﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم من صنوف المصائب في نفوسهم وأموالهم.

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾: القارعة.

﴿قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ﴾: فيفزعون منها، ويتطاير إليهم شررها كالسّرايا[٨] الّتي يبعثها

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٥، س١٧.
٢ ـ الكافي ج١، ص٢٢٦، ح٧، باب إن الأئمة ورثوا علم النّبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.
٣ ـ قاله الطبرسي: في جوامع الجامع: ج٢، ص٢٣٠.
٤ ـ قاله الطبرسي: في جوامع الجامع: ج٢، ص٢٣٠.
٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٩٢، في القراءة.
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٢٠، س٢٠.
٧ ـ وفي نسخة: (وسوء الأفعال).
٨ ـ السرّية: من خمس أنفس إلى ثلاثمائة وأربعمائة منه قدّس سرّه.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

رسول الله صلى الله عليه وآله فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام: «وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ» وهي النّقمة «أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ» فتحلّ بقوم غيرهم فيرون ذلك ويسمعون به والّذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم ولا يتّعظ بعضهم ببعض، ولن يزالوا كذلك «حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ» الّذي وعد المؤمنين من النّصر، ويخزي الله الكافرين[1].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله، و وعيد للمستهزئين به، والمقترحين عليه، والإملاء: أن يترك ملاة من الزّمان في أمن ودعة، والقمّي: أي طوّلت لهم الأمل، ثمّ أهلكتهم[2].

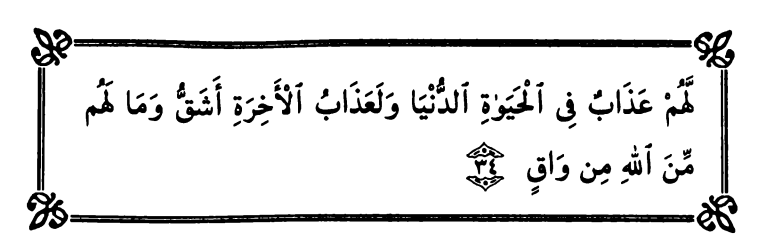
﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: عقابي إيّاهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: رقيب عليه، وحافظ.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦، س ٢٠.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٦، س ٣.



﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خير وشرّ فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم، ولا يفوت عنده شيء من جزائهم كمن ليس كذلك.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: مَنْ هُمْ أوصفوهم فانظروا هل هم ما يستحقّون به العبادة، ويستأهلون الشّركة؟.

﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾: بل أتنبّؤنه؟.

﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السّموات والأرض فإذا لم يعلمهم فإنّهم ليسوا بشيء يتعلّق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء.

﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: أم تسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار كتسمية الزّنجيّ كافوراً، وهذه الأساليب في الإحتجاج ينادي بلسان فصيح إنّها ليست من كلام البشر.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾: تمويههم فتخيّلوا أباطيل ثم خالوها.

﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الحقّ، وقرئ بفتح الصاد.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: يخذله.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: يوفّقه للهدى.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتل والأسر وسائر المصائب.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ﴾: لشدّته ودوامه.

﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: من دافع.

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: صفتها الّتي هي مثل في الغرابة.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾: لا مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿وَظِلُّهَا﴾: كذلك.

﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ * وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام أي يفرحون بكتاب الله إذا يتلى عليهم، وإذا تلوه تفيض أعينهم دمعاً من الفزع والحُزن[١].

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: وممن تحزّب على رسول الله صلى الله عليه وآله بالعداوة.

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: وهو ما يخالف شرائعهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦ﴾: فإنكاركم إنكار لعبادةالله وتوحيده.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾: لا إلى غيره.

﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: وإليه مرجعي لا إلى غيره، قيل: يعني هذا هوالمتّفق عليه بين الأنبياء فأمّا ما عدا ذلك من التّفاريع فمّا يختلف بالأعصار والأُمم، فلا معنى لإنكاركم والمخالفة فيه وأنتم تقولون مثل ذلك[٢].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص ٣٦٦، س١٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٢٢.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ﴾: ومثل هذا الإنزال أنزلناه مأموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدّعوة إليه وإلى دينه.

﴿حُكْماً عَرَبِيّاً﴾: حكمة عربيّة مترجمة بلسان العرب.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: في اُمور يدعونك إلى أن توافقهم عليها.

﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بنسخ ذلك.

﴿مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: ينصرك.

﴿وَلَا وَاقٍ﴾: يمنع العقاب عنك، وهو حسم لأطماعهم، وتهييج للمؤمنين على الثّبات في دينهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ﴾: بشراً مثلك.

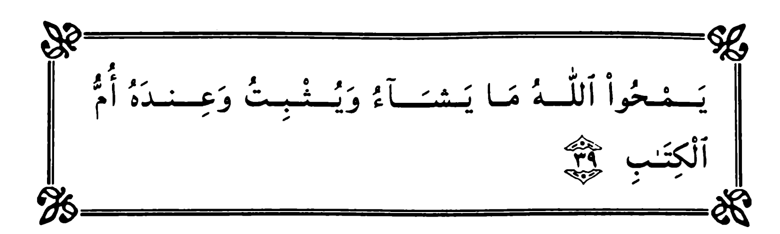
﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجاً وَذُرِّيَّةً﴾: نساءاً وأولاداً كما هي لك، في الجوامع: كانوا يعيّرون رسول الله بكثرة تزوّج النّساء، فقيل: إنّ الرّسل قبله كانوا مثله ذوي أزواج، وذرّية[1].

العيّاشي عن الصّادق عليه السلام فما كان رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا كأحد أولئك جعل الله له أزواجاً، وجعل له ذرّيّة، ثم لم يسلم مَعَ أحد من الأنبياء من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل بيته، أكرم الله بذلك رسوله صلى الله عليه وآله[2].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٣٤، س ١٣.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢١٣ ـ ٢١٤، ح ٥١.



وفي رواية اُخرى: فنحن ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾: وما صحّ له ولم يكن في وسعِهِ.

﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾: تقترح عليه، وحكم يلتمس منه.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: فإنّه القادر على ذلك.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكلّ وقت حكم يكتب على العِبادِ ولهم ما يقتضيه صلاحهم.

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: وقرئ بالتّشديد.

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يعني أصل الكتب وهو اللّوح المحفوظ عن المحو والتّبديل وهو جامع للكلّ[٢] ففيه إثبات المثبت وإثبات الممحّو، ومحوه وإثبات بدله ينسخ ما ينبغي نسخه، ويثبت ما يقتضيه حكمته ويمحو سيّئات التّائب ويثبت الحسنات مكانها ويمحو من كتاب الحفظة مالا يتعلّق به جزاءاً ويترك غيره مثبتاً أو يثبت ما رآه في صميم قلب عبده ويمحو الفاسدات ويثبت الكائنات، ويمحو قرناً ويثبت آخرين، والأخير مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، رواه في المجمع[٣] وهو أحد معانيها المراد بها كلّها قال: وهو كقوله تعالى: «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ»[٤] وقوله: «كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ»[٥].

وفي الكافي[٦]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية هل يمحى إلّا ما كان ثابتاً؟ وهل يثبت إلّا ما لم يكن؟[٧].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢١٤، ح ٥٣.
٢ ـ وفي نسخة: [وهو جامع مع الكل].
٣ ـ مجمع البيان: ج ١، ص ٢٩٨.
٤ ـ المؤمنون: ٣١.
٥ ـ طه: ١٢٨.
٦ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٦ ـ ١٤٧، ح ٢، باب البداء.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢١٥، ح ٦٠. مع تقديم وتأخير.

والقمّي[١]، والعيّاشي: عنه عليه السلام إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والرّوح والكتبة إلى سماء الدُّنيا، فكتبوا ما يكون من قضاء الله تعالى تلك السّنة، فإذا أراد الله أن يقدّم شيئاً أويؤخّره أو ينقص شيئاً أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثمّ يثبت[٢] الّذي أراد[٣].

وفي الكافي: ما في معناه[٤].

والعيّاشي عن الباقر عليه السلام إنّ الله عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم الحديث[٥].

وقد مضى في أواخر سورة البقرة نقلاً من العِلل[٦].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه سئل عن قوله الله تعالى: «ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ»[٧]، قال: كتبها لهم، ثمّ محاها، ثمّ كتبها لأبنائهم فدخلوها، والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب[٨].

وعنه: عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلّا ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، إنّ المرء ليقطع رحمه، وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فينقصها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى، قال: وكان الصّادق عليه السلام يتلو هذه الآية[٩].

وعنه: عليه السلام إنّه سئل عن قول الله تعالى: «يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ» قال: إنّ ذلك الكتاب كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت فمن ذلك[١٠] الذي يردّ الدّعاء القضاء وذلك الدّعاء مكتوب عليه الّذي يردّ به القضاء حتّى إذا صار إلى أُمّ الكتاب لم يغن الدّعاء فيه شيئاً[١١].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٦، س٢٠. وفيه: «فيكتبون».
٢ ـ وفي نسخة: [ثم أثبت] كما في المصدرين.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٦، ح٦٢. وفيه: «فيكتبون».
٤ ـ الكافي: ج٣، ص١٥٧، ح٣، باب ليلة القدر.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٩، ح٧٣.
٦ ـ علل الشرائع: ص٥٥٣، ح١، باب ٣٤١ ـ العلة التي من أجلها أمر الله تبارك وتعالى عباده إذا تداينوا وتعاملوا أن يكتبوا بينهم كتاباً.
٧ ـ المائدة: ٢١.
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج١، ص٣٠٤، ح٧٢.
٩ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٠، ح٧٥.
١٠ ـ أي من قبيل المحو والإثبات الحديث الذي ورد أن الدعاء يردّ القضاء. منه رحمه الله.
١١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٠، ح٧٤.

وفي المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله هما كتابان كتاب سوى أمّ الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت، وأمّ الكتاب لا يغيّر منه شيء[١].

وعن الصّادق: عليه السلام هما أمران موقوف ومحتوم، فما كان من محتوم أمضاه، وما كان من موقوف فله فيه المشيّة يقضي فيه ما يشاء[٢].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول لولا آية في كتاب الله لحدّثتكم ما يكون إلى يوم القيامة، فقلت له أيّة آية؟ قال: قول الله: «يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ»[٣].

ومثله في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

وفي الكافي[٥]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يطّلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون، يقدّم منه ما يشاء، ويؤخّر ما يشاء، ويثبت ما يشاء[٦].

أقول: وربّما يعلّم نادراً من علمه المخزون بعض رسله كما جاءت به الأخبار[٧] وبه يحصل التّوفيق بين هذا الحديث والّذي قبله، وتمام تحقيق هذا المقام يطلب من كتابنا المسّمى بالوافي في أبواب معرفة مخلوقات الله وأفعاله من الجزء الأوّل منه[٨].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٩٨، س١١.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٩٨، س١٦.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٥، ح٥٩.

٤ ـ التوحيد: ص ٤٤٤، س ١٥، ح ١، باب ٦٦ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي متكلّم خراسان عند المأمون في التّوحيد.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٦، باب البداء.

٦ ـ العيّاشي: ج ٢، ص ٢١٧، ح ٦٧.

٧ ـ الكافي: ج ١، ص١٤٧، ح٨، باب البداء.

٨ ـ الوافي: ج ١، ص٥٠٧ ـ ٥١٦.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: وكيف ما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو توفّيناك قبله.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾: لا غير.

﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾: للمجازاة لا عليك ولا[1] تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإنّا فاعلون له وهذا طلايعه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بذهاب أهلها، في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني بذلك ما يهلك من القرون فسمّاه إتياناً[2].

وفي الفقيه: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: فقد العلماء[3].

والقمّي: قال موت علمائها[4].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّه يسخى نفسي في سرعة الموت والقتل، فينا قول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» وهو ذهاب العلماء[5].

أقول: وعلى هذا التفسير يكون الأطراف جمع طرف أو طرف بالتّسكين بمعنى العلماء

---

١ ـ وفي نسخة: [فلا تحتفل] أي لا تهتم.

٢ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، س ١٥، احتجاج أمير المؤمنين على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١١٨، ح ٥٦٠ / ٢ ،باب ٢٧ ـ النوادر.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٧، س ٣.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٨، ح ٦، باب فقد العلماء.

وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

والأشراف كما ذكره في الغريبين(١).

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾: لا رادّ له والمعقّب الّذي يعقّب الشّيء فيبطله.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فيحاسبهم عمّا قليل.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: بأنبيائهم والمؤمنين منهم.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاً﴾: إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره، القمّي: قال: المكر من الله: هو العذاب(٢).

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: فيعدّ جزاؤه فيأتيه من حيث لا يشعر(٣).

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ﴾: وقرئ الكافر.

﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: من الحزبين، يعني العاقبة الممدوحه(٤)، وهذا كالتفسير لمكر الله بهم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: فإنّه أظهر من الحجج على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: في الكافي(٥)، والخرائج(٦)، والعيّاشي: عن

---

١ ـ الغريبين: مخطوط لا يوجد لدينا هذا الكتاب، والمراد منه غريب القرآن وغريب الحديث للعلامة الهروي، ووجدت منه نسخة جيّدة الخط في مكتبة الملك العامرة في طهران.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٧، س٥.

٣ ـ وفي نسخة: [من حيث لا يشعرون].

٤ ـ وفي نسخة: [المحمودة].

٥ ـ الكافي: ج١، ص٢٢٩، ح٦، باب إنّه لم يجمع القرآن كله إلّا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله.

٦ ـ الخرائج: ج٣، ص٧٩٩، ح٨.

الباقر عليه السلام: إيانا عنى، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله[١].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام مثله[٢].

وفي الإحتِجاج: سأل رجل عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عن أفضل منقبة له فقرأ الآيه، وقال: إيّاي عني بـ«مَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ»[٣].

وفي المجالس: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه سئل عن هذه الآيـة قـال: ذاك أخـي عـليّ بـن أبي طالب عليه السلام[٤].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه قيل له هذا إبن عبدالله بن سلام يزعم أنّ أباه الّذي يقول الله «قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ» قال: كذب، هو: عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥].

وعنه عليه السلام: نزلت في عليّ عليه السلام إنه عالم هذه الأُمّة بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله[٦].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام هو أمير المؤمنين عليه السلام[٧] وسئل عن الّذي عنده عـلم مـن الكتاب أعلم أم الّذي عنده علم أُمّ الكتاب؟ فقال: ما كان علم الّذي عنده علم من الكتاب عند الّذي عنده علم أُمّ الكتاب إلّا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماءِ البحر[٨].

وقال: أمير المؤمنين عليه السلام ألَا إنّ العلم الّذي هَبَط به آدم من السّماء إلى الأرضْ وجميع ما فضّلت به النّبيّونَ إلى خاتم النّبيّين في عترة خاتم النّبيين عليهم السلام[٩].

وفي الكافي: عنه عليه السلام هل وجدت فيما قرأت في كتاب الله تعالى: «قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ»[١٠][١١].

---

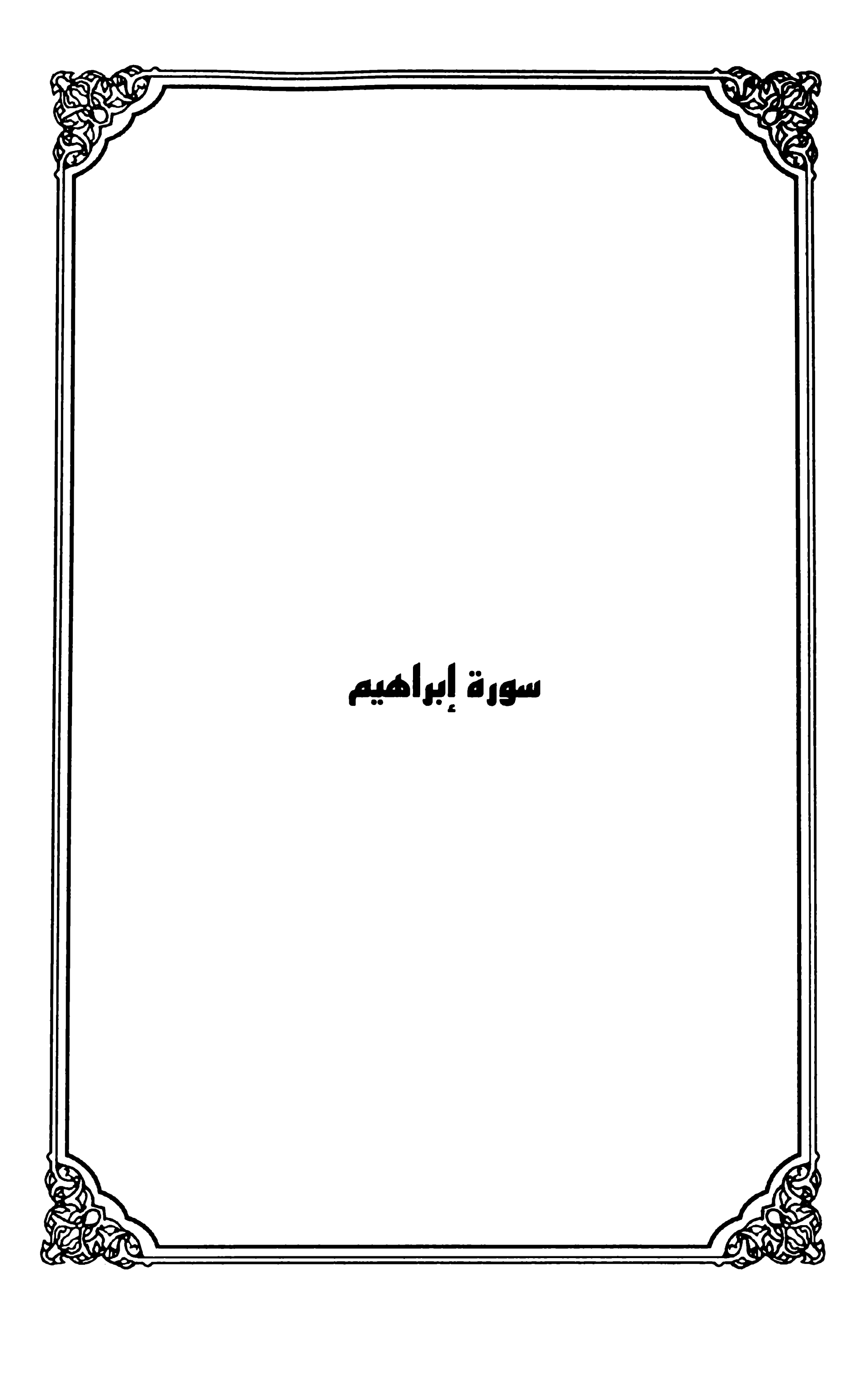
١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٧٦.
٢ ـ مجمع البيان: ٥ ـ ٦، ص ٣٠١، س ٨.
٣ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٢٣٢، احتجاج أمير المؤمنين على الناكثين.
٤ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤٥٣، ح ٣، المجلس ٨٣.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٧٧.
٦ ـ تفسير العيّاشي ج ٢، ص ٢٢١، ح ٧٩.
٧ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٧، س ٨.
٨ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٧، س ٨.
٩ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٧، س ١١.
١٠ ـ النمل: ٤٠.
١١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٥٧، ح ٣، باب نادر فيه ذكر الغيب.

ثم ذكر ما يقربُ ممّا ذكر بنحو أبسط وقال: في آخره «عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ»: والله كلّه عندنا «عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ»: والله عندنا كلّه[1].

في ثواب الأعمال[2]، والعيّاشي: عن الصّادق صلوات الله عليه من أكثر قراءة سورة الرّعد لم يصبه الله بصاعقة أبداً ولو كان ناصبيّاً، وإذا كان مؤمناً دخل الجنّة بـغير حسـاب، ويشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته وإخوانه[3].

* * *

١ ـ الكافي: ج١، ص٢٥٧، ح٣، باب نادر فيه ذكر الغيب.
٢ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٦ ـ ١٠٧، ثواب من قرأ سورة الرعد.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٢، ح١.

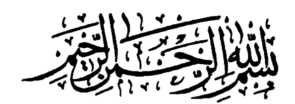


سورة إبراهيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾

سورة إبراهيم عليه السلام: هي مَكيّة إلّا آيتين نزلتا في قتلى بدرٍ مِنَ المشركين «أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ» إلى قوله: «وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ»[1] عدد آيها خمس وخمسون آية.



﴿الٓر كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾: بدعوتهم إلى ما فيه.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾: من الكفر، وأنواع الضّلال.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إلى الإيمان، والهدى.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بتوفيقه، وتسهيله.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: بدل من قوله: «إِلَى ٱلنُّورِ».

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وقرئ اللهُ بالرّفع.

---

١ ـ إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـٰئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

﴿وَوَيْلٌ لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: الويل: الهلاك، نقيض الوال، وهو النّجاة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ﴾: يختارونها عليها.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾: يطلبون لسبيل الله إعوجاجاً ليقدحوا فيها.

﴿أُوْلَـٰئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ﴾: ضلّوا عن الحقّ، ووقعوا عنه بمراحل.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾: إلّا بلغة قومه الّذين هو منهم، وبعث فيهم.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: ما أُمروا به فيفقهوه بيسر وسرعة، في الخصال: عن النّبي صلّى الله عليه وآله في حديث ومنّ عليّ ربيّ وقال: يا محمّد قد أرسلت كلّ رسول إلى أُمّته بلسانها، وأرسلناك[1] إلى كلّ أحمر وأسود من خلقي[2].

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾: بالخذلان.

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: بالتّوفيق.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: فلا يغالب على مشيّته.

---

١ ـ وفي نسخة: (وأرسلتك).

٢ ـ الخصال: ص٤٢٥، س١٨، ح١، باب العشرة ـ أسماء النبيّ صلّى الله عليه وآله: عشرة.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الّذي لا يفعل ما يفعل إلّا بالحكمة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾: قيل: بوقائعه الواقعة على الأُمَمِ الماضية وأيام العرب، يقال: لحروبها[1].

وفي المجمع[2]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام بنعَمِ الله وآلائه[3].

والقمّي: أيّام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الموت، ويوم القيامة[4].

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام أيّام الله: يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة، ويوم القيامة[5].

أقول: لا منافاة بين هذه التّفاسير لأنّ النّعمة على المؤمن نقمة على الكافر، وكذا الأيّام المذكورة نعم لقوم ونقم لآخرين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ

١ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٢٥.
٢ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص٣٠٤، س٩.
٣ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٢، ح٢.
٤ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٧، س٢٠.
٥ـ الخصال: ص١٠٨، ح٧٥، باب الثلاثة ـ أيام الله عزّ وجلّ ثلاثة.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يكلّفونكم.

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: إستعبادكم بالأفعال الشّاقّة كما مضى في سورة البقرة[١].

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: إبتلاء منه أو وفي الإنجاءِ نعمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: واذكروا إذا علم ربكم.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾: يا بني اسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاءِ، وغيره بالايمان والعمل الصّالح.

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: نعمة إلى نعمة.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد[٢].

وفي المجمع: ما في معناه[٣].

والقمّي[٤]، والعيّاشي: مثله، وزادا وهو قوله تعالى: «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»[٥].

وفي الكافي: عنه عليه السلام من عرف نعمة الله بقلبه استوجب المزيد من الله قبل أن يظهر شكرها على لسانه[٦].

وعنه: عليه السلام ما أنعم الله على عبدٍ بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلّا

---

١ ـ البقرة: ذيل الآية ٤٩.
٢ ـ الكافي: ج٢، ص٩٥، ح٩، باب الشكر.
٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٠٥، س١٠.
٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٨، س١.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٢، ح٣ و ٤.
٦ ـ الكافي: ج٨، ص١٢٨، س١٥، ح٩٨، باب حديث نادر.

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

أدّى شكرها[١].

وفي رواية أُخرى وكان الحمد أفضل من تلك النّعمة[٢].

وعنه عليه السلام: في تفسير وجوه الكفر ـ الوجه الثّالث من الكفر ـ كفر النّعم قال «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»[٣].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً﴾: من الثّقلين.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾: عن شكركم.

﴿حَمِيدٌ﴾: مستحقّ للحمد في ذاته وإن لم يحمده حامد محمود يحمده نفسه وتحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرّات المخلوقات فما ضررتم بالكفران إلّا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الأنعام وعرضتموها للعذاب الشّديد.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: لكثرة عددهم.

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: القمّي: أي في أفواه الأنبياء[٤].

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص٩٦، ح١٤، باب الشكر. ٢ ـ الكافي ج٢، ص٩٦، ح١٣، باب الشكر.
٣ ـ الكافي ج٢، ص٣٩٠، ح١، باب وجوه الكفر. ٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٨، س٤.

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

أقول: يعني منعوهم من التكلّم، وهو تمثيل، وفي تفسير هذه الكلمة وجوه أُخر ذكرها المفسّرون.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ﴾: هم.

﴿رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقتٍ سمّاهُ الله وجعله آخر أعماركم.

﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لا فضل لكم علينا فلم خصصتم بالنّبوة دوننا.

﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجّة واضحة أرادوا بذلك ما اقترحوه من الآيات تعّنتاً[1] وعناداً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: سلّموا مشاركتهم في البشريّة، وجعلوا الموجب لإختصاصهم بالنّبوة فضل الله

---

١ ـ العنت ـ بالتحريك ـ: الوقوع في الإثم، والعنت الفجور والزنا والعنت: الهلاك وأصله المشقة والصعوبة، والعنت: الخطأ، والعنت: الضرر والفساد. مجمع البحرين: ج٢، ص٢١١، مادة «عنت».

وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

ومنّه عليهم بخصائص فيهم ليست في أبناء جِنسِهم.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي ليس إلينا الإتيان بما اقترحتموه، وإنّما هو أمر يتعلّق بمشيّة الله فيخصّ كلّ نبي بنوع من الآيات.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فليتوكّل بالصّبرِ على معاداتكم، أي معاداة القوم عمّموا للإشعار بما يوجب التوكّل وهو الإيمان، وقصدوا به أنفسهم قصداً أوّليّاً.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أى أيّ عذر لنا في أن لا نتوكّل.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: الّتي بها نعرفه ونعلم أنّ الأُمور كلّها بيده.

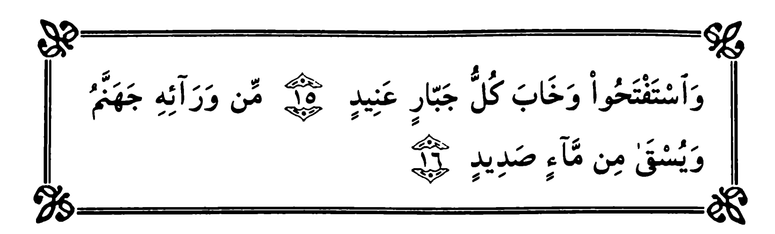
﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾: حلفوا على أن يكون أحد الأمرين، والعود بمعنى الصّيرورة لأنّهم لم يكونوا على ملّتهم قطّ.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾: أي إلى الرّسل.

﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾: أي أرضهم وديارهم، القمّي مرفوعاً: عن النّبيّ ﷺ من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورثه الله داره، وقرأ هذه الآية[١].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٨، س ٦.



وفي المجمع: جاء في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره[١].

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي إهلاك الظّالمين وإسكان المؤمنين.

﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾: أي موقفي للحساب.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: أي وعيدي بالعذاب.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾: سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعاديهم من الفتاحة بمعنى الحكومة.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: في التّوحيد: عن النّبي صلّى الله عليه وآله يعني من أبى أن يقول: «لا إله إلّا الله»[٢].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام العنيد: المعرض عن الحقّ[٣].

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾: من بين يدي هذا الجبّار، نار جهنّم فإنّه مرصد[٤] بها، واقف على شفيرها[٥] في الدّنيا، مبعوث إليها في الآخرة.

﴿وَيُسْقَىٰ﴾: أي يلقى فيها ويسقى.

﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام أي ويسقى ممّا يسيل من الدّم

---

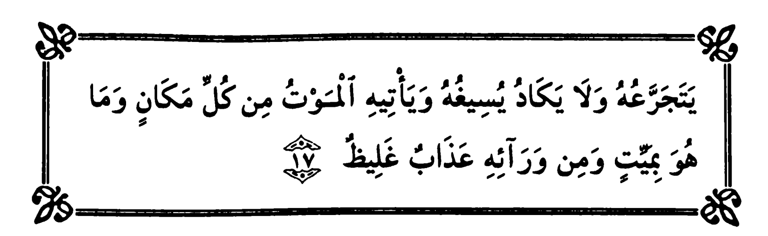
١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٠٨، س١٥.

٢ ـ التّوحيد: ص ٢٠ ـ ٢١، ح٩، باب ١ ـ ثواب الموحدين والعارفين.

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٨، س١٠.

٤ ـ الرصد والترصّد: الترقّب. مجمع البحرين: ج٣، ص٥٢، مادة «رصد».

٥ ـ شفير الوادي وشفره: ناحيته من أعلاه، وفي الحديث: «حتّى وقفوا على شفير جهنّم» أي جانبها وحرفها، وشفير كلّ شيء حرفه. لسان العرب: ج٧، ص ١٤٩، مادة «شفر».



والقيح من فروج الزّواني في النّار[١].

وعن النّبي صلى الله عليه وآله: قال: يقرب إليه فيكرهه فإذا أُدني منه شوي وجهه ووقعت فروة[٢] رأسه فإذا شرب قطع أمعاؤه حتى يخرج من دبره، يقول الله عزّوجلّ: «وَسُقُواْ مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ»[٣] ويقول: «وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ[٤] يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ»[٥][٦].

والقمّي: ما يقرب منه[٧].

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يتكلّف جرعه.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه[٨].

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: أي أسبابه من الشّدائد فتحيُط به من جميع الجهات.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: فيستريح.

﴿وَمِن وَرَآئِهِ﴾: ومن بين يديه.

﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: أي يستقبل في كلّ وقت عذاباً أشدّ ممّا هو عليه. العيّاشي: عن

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٠٨، س٢٤.

٢ ـ الفروة: جلدة الرأس. القاموس المحيط: ج٤، ص٣٧٣، مادة «فرو».

٣ ـ محمّد: ١٥.

٤ ـ المهل: دردي الزيت، يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب من حرارته وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه، ويقال: القيح والصديد. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٧٦، مادة «مهل».

٥ ـ الكهف: ٢٩.

٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٠٨، س٢٧.

٧ ـ تفسير القمّي ج١، ص٣٦٨.

٨ ـ ساغ الشراب يسوغ سوغاً: أي سهل مدخله في الحلق. الصحاح: ج٤، ص١٣٢٢، مادة «سوغ».

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

الصّادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام: إنّ أهل النّار لمّا غلى الزّقّوم والضّريع[١] في بطونهم كغلي الحميم، سألوا الشّراب فأتوا بشراب غسّاق[٢] وصديد[٣] «يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ» حميم تغلي به جهنّم منذ خلقت «كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً»[٤][٥][٦].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾: صفتهم الّتي هي مثل في الغرابة.

﴿أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: حملته وأسرعت الذّهاب به.

﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: العصف اشتداد الريّح، وصف اليوم به للمبالغة كقولهم: نهاره صائم، شبّه مكارمهم من الصّدقة، وصلة الرّحِم، وعتق الرّقاب، وإغاثة الملهوف في حبوطها، وذهابها هباءاً منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله، والتوجّه بها إليه برماد طيّرته الرّيح العاصف.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾: يوم القيامة.

---

١ ـ الضريع: شيء يكون في النّار يشبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة وأشد حراً من النار. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٦٤، مادة «ضرع».

٢ ـ الغسّاق ـ بالتشديد والتخفيف ـ: ما يغسق من صديد أهل النّار. أي يسيل يقال: غسقت العين: إذا سالت دموعها ويقال: الحميم يحرق بحرة والغسّاق يحرق ببرد. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٢٣ . مادة «غسق».

٣ ـ الصديد: قيح ودم، وقيل: هو القيح كأنه الماء في رقته والدم في شكله مجمع البحرين: ج ٣ ص ٨٤. مادة «صدد».

٤ ـ إرتفق: إتكأ على مرفق يدِه أو على المخدة. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٣٦، مادة «رفق».

٥ ـ الكهف: ٢٩.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٢٣، ح ٧.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾: منها.

﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: يعني لا يرون لشيء منها ثواباً.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي ضلالهم مع حسبانهم أنّهم محسنون.

﴿هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: في غاية البعد عن الحقّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة والغرض الصّحيح ولم يخلقها عبثاً باطلاً، وقرئ خالق السّماوات.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: يعدمكم ويخلق مكانكم خلقاً آخرين.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر أو متعسّر.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾: يعني يبرزون يوم القيامة وذكر بلفظ الماضي لتحقّق وقوعه.

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾: ضعفاء الرّأي يعني الأتباع.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾: لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم، في مصباح المتهجّد: في خطبة الغدير لأمير المؤمنين عليه السلام بعد تلاوته لها أفتدرون الإستكبار ما هو؟ هو ترك الطّاعة لمن اُمروا بطاعته، والترفّع على من ندبوا إلى متابعته[١].

---

١ ـ المصباح المتهجد: ص٧٠١، س٧.

وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾: في تكذيب الرسّل والإعراض عن نصائحهم.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾: دافعون عنّا.

﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: للإيمان والنّجاة من العذاب، والقمّي: الهدى هنا الثّواب(١).

﴿لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: منجى ومهرب من العذاب.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: القمّي: أي لمّا فرغ من أمر الدّنيا من أوليائه(٢).

والقمّي(٣)،والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام كلّما في القرآن،«وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ» يريد به الثّاني(٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾: وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم.

﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾: خلاف ذلك.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٨، س٢١.   ٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩، س٢٢.

٣ ـ لم نعثر عليه، بل وجدنا ما يدلّ عليه، أنظر: ج٢، ص٣٥٦، وإليك نصّه: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: «إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ» قال: فلان.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٣، ح٨. وإليك نصّه: عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ» قال: هو الثاني، وليس في القرآن شيء «وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ» إلّا وهو الثاني.

وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾: ولم أوف لكم بما وعدتكم.

﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: تسلّط فأُجبركم على الكفر والعصيان.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾: إلّا دعائي إياكم، إليها بتسويلي[1] ووسوستي.

﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِى﴾: أسرعتم اجابتي.

﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾: بوسوستي فإنّ من صرّح بعداوته لا يلام بأمثال ذلك.

﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾: حيث اغتررتم بي واطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربّكم إذ دعاكم.

﴿مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم من العذاب.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾: بمغيثيّ لا ينجي بعضنا بعضاً وقرياً بكسر الباء.

﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: تبرّأت منه واستنكرته كقوله: «وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ»[2]. في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام[3]، وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الكفر في هذه الآية: البراءة[4].

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: من تتّمة كلامه أو إستيناف، وفي حكاية أمثاله لطف للسّامعين، وإيقاظ لهم حتّى يحاسبوا أنفسهم ويتدبّروا عواقبهم.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

---

١ ـ التسويل: تحسين الشيء، وتزيينه، وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله: مجمع البحرين: ج٥، ص٣٩٩، مادة «سول».

٢ ـ فاطر: ١٤.

٣ ـ التّوحيد: ص ٢٦٠، س١٥، ح٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٤ ـ الكافي: ج٢، ص ٣٩٠، س١٦، ح١، باب وجوه الكفر.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: قولاً حقّاً، ودعاءاً إلى صلاحٍ.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: يطيب ثمرها كالنّخلة، وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ هذه الشجرة الطّيّبة: النّخلة[1].

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: في الأرض ضارب بعروقه فيها.

﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا﴾: تعطي ثمرها.

﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كلّ وقت وقّته الله لإثمارها.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بإرادة خالقها.

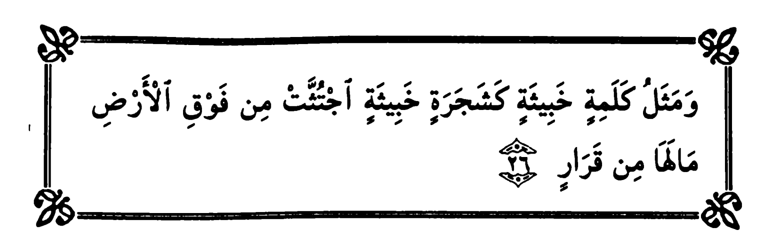
﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لأنّ في ضرب الأمثال تذكيراً وتصويراً للمعاني بالمحسوسات لتقريبها من الأفهام.

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هذا مثل ضربه الله لأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله ولمن عاداهم[2].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن الشّجرة في هذه الآية؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها، وأمير المؤمنين عليه السلام: فرعها، والأئمة من ذريتهما: أغصانها، وعلم الأئمة: ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون: ورقها، قال: والله إنّ المؤمن ليولد فتورّق ورقة فيها: وأنّ المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها[3].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣١٢، س٢٦. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٥، ح١٥.
٣ ـ الكافي ج١، ص٤٢٨، ح٨٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.



وفي الإكمال: والحسن والحسين عليهما السلام: ثمرها، والتّسعة من ولد الحسين عليهم السلام أغصانها[1].

وفي المعاني: وغصن الشّجرة: فاطمة عليها السلام، وثمرها: أولادها، وورقها: شيعتها[2].

وزاد في الإكمال: «تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ» ما يخرج من علم الإمام إليكم في كلّ سنة «مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»[3][4][5].

وفي المجمع[6]، والقمي[7]، والعيّاشي: ما يقرب من هذه الأخبار[8].

ويأتي فيه حديث آخر في سورة بني إسرائيل عند قوله تعالى: «وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ»[9] إن شاء الله.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: قول باطل، ودعاء إلى ضلال أو فساد.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: لا يطيب ثمرها، كشجرة الحنظل.

﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: أُستوصلت وأُخذت جثّته بالكلّيّة.

﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾: لأنّ عروقها قريبة منها.

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٣٤٥، ح ٣٠، باب ٣٣ ـ ماروي عن الصادق عليه السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنّه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٢ ـ معاني الأخبار: ص ٤٠٠، ح ٦١، باب نوادر المعاني.

٣ ـ الحج: ٢٧.

٤ ـ الفج: الطريق الواسع بين الجبلين «ومن كل فج عميق» أي مسلك بعيد الغامض. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٢١، مادة «فجج».

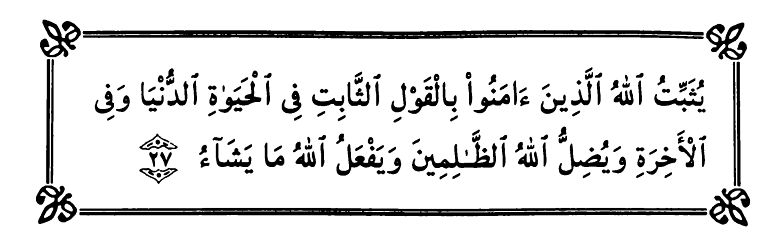
٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٤٥، ح ٣٠، باب ٣٣ ـ ماروي عن الصّادق عليه السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وإنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام وفيه «من حج وعمرة».

٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣١٣.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦٩، س ٨.

٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٢٤، ح ١١.

٩ ـ الإسراء: ٦٠.



﴿مَالَهَا مِن قَرَارٍ﴾: استقرار، في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّ هذا مثل بني اُمّية[١].

والقمّي: عنه عليه السلام كذلك الكافرون لا تصعدا أعمالهم إلى السّماء، وبنو اُميّة لا يذكرون الله في مجلس، ولا في مسجد، ولا تصعد أعمالهم إلى السّماء إلّا قليل منهم[٢].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾: الّذي ثبت بالحجّة والبرهان عندهم وتمكن في قلوبهم وإطمأنّت إليه أنفسهم.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ولا يزالون إذا افتتنوا في دينهم.

﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾: فلا يتلعثمون[٣] إذا سئلوا عن معتقدهم.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الّذين ظلمُوا أنفسهم بالجحود والإقتصار على التّقليد فلا يهتدون إلى الحقّ، ولا يثبتون في مواقف الفتن، في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام يعني يضلّهم يوم القيامة عن دار كرامته[٤] كما يأتي في سورة الكهف عند قوله تعالى: «وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً»[٥].

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: من تثبيت المؤمنين وخذلان الظّالمين، في الفقيه[٦]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الشّيطان ليأتي الرّجل من أوليائنا عند موته عن يمينه، وعن شماله، ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله عزّوجلّ له ذلك، وذلك قول الله عزّوجلّ: «يُثَبِّتُ ٱللَّهُ

---

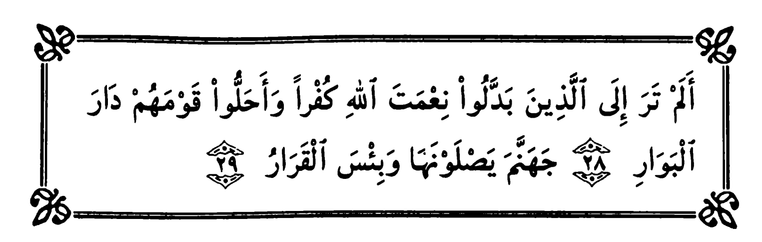
١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣١٣، س١٤. ٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٩، س١٥.

٣ ـ لعثم فيه لعثمة وتلعثم: تمكث وتوقف وتأني، أو نكص عنه وتبصّره القاموس المحيط: ج٤، ص١٧٦ . مادة «لعثم».

٤ ـ التّوحيد: ص٢٤١، ص١٦، ح١، باب ٣٥، تفسير الهدى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تعالى.

٥ ـ الكهف: ١٧.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٨٠ ـ ٨١، ح٣٦٣ / ١٨، باب ٢٣ غسل الميت.



ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» الآية[١].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث سؤال القبر فيقولان له من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: الله ربّي، وديني الإسلام، ونبيّ محمدّ صلى الله عليه وآله. فيقولان: ثبّتك الله فيما يحبّ ويرضى، وهو قول الله: «يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» الآية[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: في سؤال القبر وإن كان كافراً إلى أن قال: ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً[٣] والشّيطان يغمّه غمّاً، قال: ويسمع عذابه من خلق الله إلّا الجنّ والإنس وإنّه ليسمع خفق[٤] نعالهم ونفض أيديهم، وهو قول الله عزّوجلّ: «يُثَبِّتُ ٱللَّهُ» إلى قوله: «وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ»[٥].

والعيّاشي[٦]، والقمّي: ما يقرب من الحديثين[٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دار الهلاك بحملهم على الكفر.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: وبئس المقرّ جهنّم، في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٢٥، ح١٦.

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٣٢، س٥، ح ١، باب إن الميت يمثل له ماله وولده وعمله قبل موته. وفيه «فيقولان له: ثبّتك الله فيما تحب وترضى».

٣ ـ نهشة الحيّة ـ من بابي ضرب ونفع ـ: لسعته وعضّته. مجمع البحرين: ج ٤، ص١٥٦، مادة «نهش».

٤ ـ الخفق: صوت النعل، ومنه حديث الميّت: «إنّه ليسمع خفق نعالهم حين يولّون عنه» أي يسمع صوت نعالهم على الأرض، أي صوت مباشري دفنه وغيرهم عند دوسها على الأرض. مجمع البحرين: ج٥، ص١٥٥، مادة «خفق».

٥ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ذيل ح ١٢، باب المسألة في القبر، ومن يسأل ومن لا يسأل.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٢٦، ذيل ح١٨.   ٧ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧١.

سئل عن هذه الآية؟ فقال: ما يقولون في ذلك؟ قيل: يقولون هما الأفجران من قريش بنو أُميّة، وبنو المغيرة، فقال: هي والله قريش قاطبة إنّ الله تبارك وتعالى خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله فقال: إنّي فضّلت قريشاً على العرب، وأتممت عليهم نعمتي، وبعثت إليهم رسولي، فبدّلوا نعمتي كفراً، وأحلّوا قومهم دار البوار[١].

وعن الصّادق عليه السلام: عنى بها قريشاً قاطبة الّذين عادوا رسول الله، ونصبوا له الحرب، وجحدوا وصيّه[٢].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّهم كفار قريش، كذّبوا نبيّهم، ونصبُوا له الحرب والعداوة، قال: وسأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية فقال: هما الأفجران من قريش، وبنو أميّة، وبنو المغيرة، فأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين[٣]، وأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر[٤].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام نزلت في الأفجرين من قريش، بني المغيرة، وبني أميّة، فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرهم، وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين، ثمّ قال: ونحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز[٥].

وفي الكافي[٦]، والقمّي: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما بال أقوام غيرّوا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعدلوا عن وصيّه ولا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب؟ ثمّ تلا هذه الآية ثم قال: نحن النّعمة الّتي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة[٧].

والعيّاشي: عنه عليه السلام آخر الحديث وشطراً ممّا سَبق[٨].

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص١٠٣، ح٧٧.
٢ ـ تفسير العيّاشي ج٢، ص٢٢٩، ذيل ح٢٣.
٣ ـ متاع إلى حين: أي إنتفاع يعيش إلى إنقضاء حالكم. والمتاع: المنفعة، وكلّ ما ينتفع به كالطعام البر، وأثاث البيت. مجمع البحرين: ج٤، ص٣٨٩، مادة «متع».
٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣١٤، س٣٢.
٥ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧١. وفيه: «من قريش، ومن بني أُميّة وبني المغيرة».
٦ ـ الكافي: ج١، ص٢١٧، ح١، باب أن النعمة التي ذكرها الله عزّوجلّ في كتابه الأئمة عليهم السلام.
٧ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٨٦، س٢.
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٩، ح٢٤.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ﴾: الّذي هو التّوحيد، وقرئ بفتح الياء وليس الإضلال ولا الضّلال غرضهم في إتّخاذ الأنداد لكن لمّا كان نتيجته جعل كالغرض.

﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾: إيذان بأنّهم كأنّهم مأمورون بالتمتّع لانغماسهم فيه، وأنّهم لا يعرفون غيره.

﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ * قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي أقيموا الصلاة، يقيموا أو ليقيموا.

﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾: العيّاشي: مضمراً أنّه من الحقوق الّتي هي غير الزّكاة المفروضة[1].

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: فيبتاع المقصّر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي[2] به نفسه.

﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾: ولا مخالّة[3] فيشفع لك خليل، والقمّي: أي لا صداقة[4].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص ٢٣٠، ح ٢٩.

٢ ـ وفي نسخة: [ويفدي].

٣ ـ الخلّة ـ بالضم ـ: مودّة متناهية في الإخلاص، وصداقة قد تخلّلت القلب وصارت خلاله أي باطنه، ومثله قوله: «لا بيع فيه ولا خلال» أي لا مخالّة ولا مصادقة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦٤، مادة «خلل».

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧١، س ١٢.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: تعيشون به، وهو يشمل المطعوم والملبوس وغيرهما.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: إلى حيث وجّهتم[1].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾: جعلها معدّة لإنتفاعكم، وتصرّفكم، وعلّمكم كيفيّة إتخاذها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾: في مرضاته، يدأبان[2] في مسيرهما[3] لأيفتران في منافع الخلق، وإصلاح ما يصلحان من الأرض والنّبات والأبدان[4].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: يتعاقبان لسباتكم[5] ومعاشكم.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: في المجمع: عنهما عليهما السلام إنّهما قرءا «مِّن كُلٍّ مَا

---

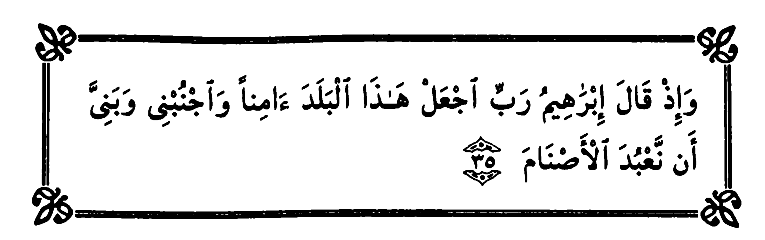
١ ـ وفي نسخة: [توجهتم].

٢ ـ الدأب: الملازمة للشيء. مجمع البحرين: ج٣، ص٥٤، مادة «دأب».

٣ ـ وفي نسخة: [سيرهما] كما في مجمع البحرين: ج٢، ص٥٤، مادة «دأب».

٤ ـ كذا ذكره الشيخ أبو علي، كما جاء في مجمع البحرين: ج٢، ص٥٤ مادة «دأب».

٥ ـ السبات: النوم وأصله الراحة، والسبات: أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه لسان العرب: ج٦، ص١٤١، مادة «سبت».



سَأَلْتُمُوهُ» بالتّنوين[١].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام الثّواب والشّيء الّذي لم تسأله إياه أعطاك[٢].

ولعلّ المراد بـ«مَا سَأَلْتُمُوهُ» ما كان حقيقاً بأن يسأل سأل أو لم يسأل.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تعدّوها ولا تطيقوا حصر أنواعها فضلاً عن إفرادها، في الكافي: عن السّجاد عليه السلام إنّه إذا قرأ هذه الآية يقول: سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمة إلّا المعرفة بالتّقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم إنّه لا يدركه فشكر تعالى معرفة العارفين بالتّقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتّقصير شكراً كما علم علم العالمين إنّهم لايدركونه فجعله إيماناً علماً منه أنّه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فإنّ شيئاً من خلقه لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى[٣] عبادته من لا مدى له ولا كيف تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[٤].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ﴾: للنّعمة لا يشكرها.

﴿كَفَّارٌ﴾: يكفرها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: بلد مكّة.

﴿ءَامِناً﴾: ذا أمن لمن فيها قد سبق بيانه في سورة البقرة[٥].

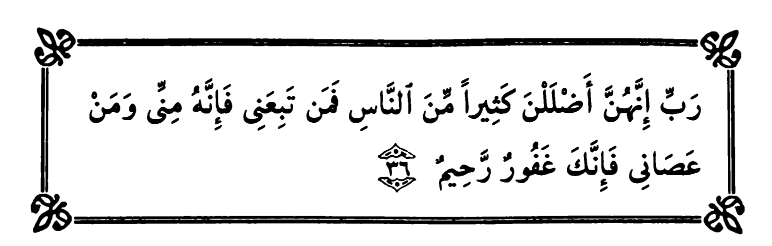
﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّه أتاه رجل فسأله عن شيء فلم يجبه، فقال له الرّجل: فإنّ كنت إبن أبيك فإنّك من أبناء عبدة الأصنام،

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣١٥، في القراءة. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص ٢٣٠، ح ٣٠.

٣ ـ المدى ـ كالفتى ـ: الغاية وللبصر منتهاه. القاموس المحيط: ج٤، ص ٢٨٩، مادة «مدى».

٤ ـ الكافي: ج٨، ص ٣٩٤، ح٥٩٢. ٥ ـ البقرة: ذيل الآية ١٢٦.



فقال له: كذبت إنّ الله أمر ابراهيم عليه السلام أن ينزل اسماعيل بمكّة ففعل، فقال إبراهيم عليه السلام: «رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ» فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً، ولكنّ العرب عبدة الأصنام، وقالت بنو اسماعيل هؤلاء شفعاؤنا وكفرت ولم تعبد الأصنام(١).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قد خطر على من مسّه الكفر تقلّد ما فوّضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله لإبراهيم عليه السلام: «لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ»(٢) أي المشركين لأنّه سمّى الشّرك ظلماً بقوله: «إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»(٣) فلّما علم إبراهيم إنّ عهد الله بالإمامة لاينال عبدة الأصنام قال: «وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ»(٤).

وفي الأمالي: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ما يقرب منه وقال في آخره: فانتهت الدّعوة إليّ وإلى أخي علي لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ فاتّخذني الله نبيّاً وعليّاً وصيّاً(٥).

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: صرن سبباً لاضلالهم كقوله: «وغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَـٰوةُ ٱلدُّنْيَا»(٦).

﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام من اتّقى الله منكم وأصلح فهو منا أهل البيت، قيل: منكم أهل البيت؟ قال: منّا

١ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١، ح٣١. ٢ـ البقرة: ١٢٤.
٣ـ لقمان: ١٣.
٤ـ الاحتجاج: ج١، ص٣٧٣، س ٢٠، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.
٥ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٧٨ ـ ٣٧٩، ح ٨١١ / ٦٢، المجلس الثالث عشر.
٦ـ الأنعام: ٧٠.

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

أهل البيت، قال: فيها إبراهيم، فمن تبعني فإنّه منّي[1].

وعن البّاقر عليه السلام: ومن أحبّنا فهو منّا أهل البيت، قيل: منكم؟ قال: منّا والله، أما سمعت قول إبراهيم: «فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي»؟[2][3].

وعن الصّادق عليه السلام: «وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» قال: تقدر إن تغفر له وترحمه[4].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾: بعض ولدي وهو إسماعيل ومن ولد منه العيّاشي: عن الباقر عليه السلام نحن هم، ونحن بقيّة تلك الذّريّة[5].

والعيّاشي[6]، والقمّي: عنه عليه السلام نحن والله بقيّة تلك العترة[7].

وزاد في المجمع: وكانت دعوة إبراهيم عليه السلام لنا خاصّة[8].

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: يعني وادي مكّة.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: الّذي حرّمت التعرّض له، والتهاون به.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: بعضهم، العيّاشي: عن

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣١، ح ٣٣.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣١، ح ٣٢.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣١، ح ٣٤. واليك نصه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من تولى آل محمد وقدّمهم على جميع النّاس بما قدّمهم من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو من آل محمّد صلى الله عليه وآله لتولّيه آل محمّد لا أنّه من القوم بأعيانهم، وإنّما هو منهم بتوليه إليهم واتباعه إيّاهم، وكذلك حكم الله في كتابه: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فإنَّه مِنْهُمْ» وقول إبراهيم: «فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيم».

٤ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٣٢، س ٢١.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣١، ح ٣٥.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢، ح ٣٦.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧١، س ٢٠.

٨ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣١٨، س ٢٦.

الباقر عليه السلام أما إنّه لم يعن النّاس كلّهم أنتم أولئك ونظراؤكم، إنّما مثلكم في النّاس مثل الشّعرة البيضاء في الثّور الأسود، أو مثل الشّعرة السّوداء في الثّور الأبيض، ينبغي للنّاس ان يحجّوا هذا البيت ويعظّموه لتعظيم الله إيّاه، وإن يلقونا حيث كنّا نحن الأدلّاء على الله[١].

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تسرع إليهم شوقاً، ووداداً، وقرئ بفتح الواو، ونسبها في الجوامع إلى أهل البيت عليهم السلام[٢] من هوى كرضى إذا أحبّ وتعدْيته بـ«إِلَى» لتضمين معنى النّزوع.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام ولم يعن البيت فيقول: «إليه» فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام[٣].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام والأفئدة من النّاس تهوي إلينا، وذلك دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ»[٤].

وفي البصائر: عن الصّادق عليه السلام في حديث: وجعل أفئدة من النّاس تهوى إلينا[٥].

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: تلك النّعمة فأجاب الله دعوته فجعله حرماً آمناً يجبىٰ إليه ثمرات كلّ شيء، والقمّي عن الصّادق عليه السلام يعني من ثمرات القلوب[٦] أي حبّبهم إلى النّاس ليأتوا إليهم ويعودوا.

وفي العوالي: عنه عليه السلام هو ثمرات القلوب[٧].

وعن الباقر عليه السلام: إنّ الثّمرات تحمل إليهم من الآفاق، وقد استجاب الله له حتّى لا توجد في بلاد الشّرق والغرب ثمرة إلّا توجد فيها، حتّى حكي أنّه يوجد فيها في يوم واحد فواكه ربيعية، وصيفيّة، وخريفيّة، وشتائية[٨].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٣، ح ٣٩.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٥٢، س ٧، مع تقديم وتأخير والنص للبيضاوي المقتبس من جوامع الجامع.

٣ ـ الكافي ج ٨، ص ٣١١ ـ ٣١٢، ح ٤٨٥.

٤ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٢٣٥، إحتجاجه، عليه السلام على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها.

٥ ـ بصائر الدرجات: ص ١٤٩، ح ٢، الجزء الثالث، باب ٧ ـ في أن الأئمة عليهم السلام أنّهم اعطوا علم ما مضى وما بقي إلى يوم القيامة.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧١، س ١٨.

٧ ـ عوالي اللئالي: ج ٢، ص ٩٦، ح ٢٥٧.

٨ ـ عوالي اللئالي: ج ٢، ص ٩٦، ح ٢٥٨.

وفي العلل: عن الرّضا عليه السلام حديث آخر سبق في سورة البقرة عند قوله: «وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ»(١)(٢).

القمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّ إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام فلمّا ولد له من هاجر إسماعيل إغتمّت سارة من ذلك غمّا شديداً لأنّه لم يكن له منها ولد، وكانت تؤذي إبراهيم عليه السلام في هاجر وتغمّه فشكا إبراهيم عليه السلام ذلك إلى الله عزّوجلّ فأوحى الله إليه إنّما مثل المرأة مثل الضّلع العوجاء إن تركتها استمتعت بها، وإن أقمتها كسرتها، ثم أمره أن يخرج اسماعيل وأُمّه عنها، فقال: يا ربّ إلى أيّ مكان؟ قال: إلى حرمي وأمني، وأوّل بقعة خلقتها من الأرض، وهي مكّة فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر واسماعيل وابراهيم عليهم السلام وكان إبراهيم عليه السلام لا يمرّ بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلّا وقال يا جبرئيل إلى هاهنا وإلى هاهنا، فيقول جبرئيل: لا إمض امضِ حتّى وافى مكّة، فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتّى يرجع إليها، فلمّا نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلوا تحته فلما سرّحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الإنصراف عنهم إلى سارة، قالت له هاجر: يا إبراهيم لم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الله الّذي أمرني أن أضعكم في هذ المكان حاضر عليكم، ثم انصرف عنهم فلمّا بلغ كدا(٣) وهو جبل بذي طوى(٤) إلتفت إليهم إبراهيم عليه السلام فقال عليه السلام: «رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي» الآية، ثم مضى وبقيت هاجر فلّما ارتفع النّهار عطش إسماعيل وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى(٥) فنادت هل في الوادي من أنيس فغاب إسماعيل عليه السلام عنها فصعدت على الصّفاء ولمع لها السّراب في الوادي وظنّت أنّه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت

---

١ ـ ألبقرة: ١٢٦.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣، ح٢، باب ١٨٩ ـ العلة التي من أجلها سمي الطائف طائفاً.

٣ ـ وكداء ـ بالفتح والمد ـ: الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر وهو المعلا وكُدِي ـ بالضم والقصر ـ: الثنية السفلى مما يلي باب العمرة واماكديّ بالضم وتشديد الياء فهو موضع بأسفل مكة. النهاية لإبن أثير: ج٤، ص١٥٦.

٤ ـ ذو طوى: مثلثة الطاء وينون ـ: عين قرب مكة. القاموس المحيط ج٤، ص٣٥٨. مادة «طوى».

٥ ـ وفي نسخة: (في موضع السّعي).

فلّما بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل ثمّ لمع لها السّراب في ناحية الصّفا فـهبطت إلى الوادي لطلب[١] الماء فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتّى بلغت الصّفا فنظرت حتّى فعلت ذلك سبع مرات، فلمّا كان في الشّوط السّابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجله فعدت حتّى جمعت حوله رملاً فإنّه كان سائلاً فزمّته[٢] بما جعلته حوله فلذلك سمّيت زمزم وكان جرهم[٣] نازلة بذي المجاز[٤] وعرفات، فلمّا ظـهر المـاء بمكّـة عكـفت الطّـير و الوحش على الماء، فنظرت جرهم على تعكّف الطّير في ذلك المكان واتّبعوها حتّى نظروا إلى إمرأة وصبيّ نازلين في ذلك الموضع قد استظلّا بشجرة، وقد ظهر الماء لهما، فقالوا لهاجر: مـن أنت؟ وما شأنك؟ وشأن هذا الصّبي؟ قالت: أنا أُمّ ولد إبراهيم خليل الرّحمن، وهذا إبنه أمره الله أن ينزلنا ها هنا فقالوا: لها فتأذنين أن نكون بالقرب منكم؟ فلّما زارهم إبراهيم عليه السلام يـوم الثالث، قالت هاجر: يا خليل الرحمان إنّ ها هنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منّا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم عليه السلام: نعم فأذنت هاجر لجرهم فـنزلوا بالقرب منهم، وضربوا خيامهم فآنست هاجر وإسماعيل بهِم، فلمّا رآهم إبراهيم عليه السلام في المرّة الثّالثة نظر إلى كثرة النّاس حولهم فسرّ بذلك سروراً شديداً الحديث[٥] وقد مضى تمامه في سورة البقرة[٦].

والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام إنّ إبراهيم عليه السلام لمـا أسكـن إسماعـيل عليه السلام وهـاجر مكّـة وودّعهما لينصرف عنهما بكياً، فقال لهما إبراهيم عليه السلام: ما يـبكيكما؟ فـقد خـلّفتكما في أحبّ الأرض إلى الله، وفي حرم الله، فقالت له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى نبيّاً مـثلك يـفعل مـا

---

١ ـ وفي نسخة: (تطلب الماء).

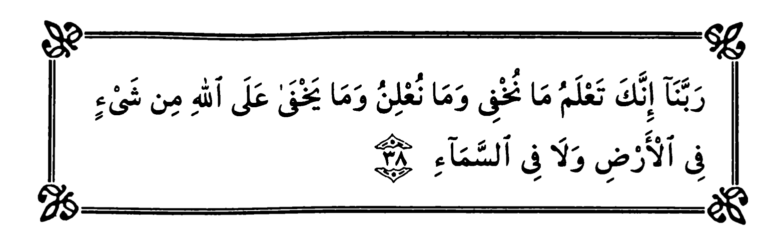
٢ ـ زمته زمّاً ـ من باب قتل ـ شدت عليه زمامه، وزمزم كجعفر اسم بئر بمكة سميت به لكثرة مائها، وقيل: لزم هاجر مائها حين إنفجرت. مجمع البحرين: ج٦، ص ٨٠ ـ ٨١ مادة «زمم».

٣ ـ جُرهُمُ ـ كقنفذ ـ: هي من اليمن تزوج فيهم اسماعيل عليه السلام القاموس المحيط: ج٤، ص ٨٩. مادة «جرم».

٤ ـ ذو المجاز: سوق كانت لهم على فرسخ من عرفة بناحية كبكب القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٧٠ ـ ١٧١، مادة «جاز».

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٠ ـ ٦١، س ٤.

٦ ـ البقرة: ذيل الآية: ١٢٥ ـ ١٢٧.


﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

فعلت، قال: وما فعلت؟ قالت إنّك خلّفت إمرأة ضعيفة وغلاماً ضعيفاً، لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر، ولا ماء يظهر، ولا زرع قد بلغ، ولا ضرع يحلب، قال: فرقّ إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتى إنتهى إلى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضادتي الكعبة ثم قال: اللّهمّ «إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي» الآية قال: فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن أصعد أبا قبيس فناد في النّاس يا معشر الخلائق إنّ الله يأمركم بحج هذا البيت الذي بمكة محرماً من استطاع إليه سبيلاً فريضة من الله فمدّ الله لإبراهيم عليه السلام في صوته حتّى أسمع به أهل المشرق والمغرب وما بينهما من جميع ما قدر الله وقضى في أصلاب الرّجال من النّطف، وجميع ما قدّر الله، وقضى في أرحام النّساء إلى يوم القيامة، فهناك وجب الحجّ على جميع الخلايق، والتلبية من الحاجّ في أيّام الحجّ هي إجابة لنداء إبراهيم عليه السلام يومئذ بالحجّ[١].

وفي الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه نظر إلى النّاس يطوفون حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية إنّما أُمروا أن يطوّفوا بها ثمّ ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودّتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم، ثمّ قرأ هذه الآية: «فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ» وزاد العيّاشي: فقال: آل محمّد، آل محمّد صلوات الله عليهم، ثم قال: إلينا إلينا[٣].

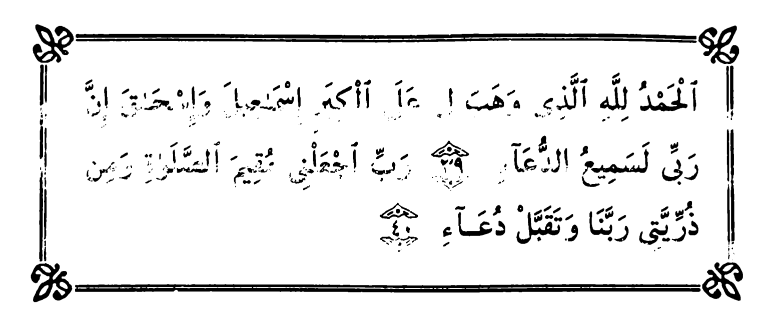
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: تعلم سرّنا كما تعلم علانيتنا، والمعنى: إنّك أعلم بأحوالنا ومصالحنا، وأرحم بنا منّا بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطّلب لكنّا ندعوك إظهاراً

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٢، ح ٣٧.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٩٢، ح ١، باب إن الواجب على الناس بعد ما يقضون منا سكهم أن يأتوا الامام فيسألونه عن معالم دينهم.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٤، ح ٤٣.



لعبوديتك وإفتقاراً إلى رحمتك وإستعجالاً لنيل ما عندك.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه ولكنّه يحبّ أن يبث إليه الحوائج، فاذا دعوتم فسمّوا حاجتكم[1].

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: لأنّه العالم بعلم ذاتيّ يستوي نسبته إلى كل معلوم و«من» للإستغراق.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾: أي وهب لي وأنا كبير السّنّ، آيس من[2] الولد، قيّد الهبة بحال الكبر استعظاماً للنّعمة، وإظهاراً لما فيه من الآية.

﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾: قيل: إنّه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين، واسحاق لمأة واثنتي عشر سنة[3].

﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: أي لمجيبه من قولك: سمع الملك كلامي إذا إعتدّ به، وفيه إشعار بأنّه دعا ربّه وسأل منه الولد فأجابه حين ما وقع اليأس منه.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: معدلاً لها مواظباً عليها.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾: وبعض ذرّيتي.

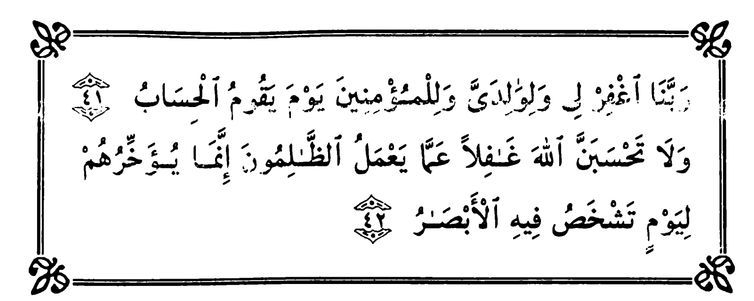
﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: عبادتي.

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص٤٧٦، ح١، باب تسمية الحاجة في الدعاء.

٢ ـ وفي نسخة: [آيس عن الولد].

٣ ـ الكشاف: ج٢، ص٥٦١، س٣. وأنوار التنزيل: ج١، ص٥٣٣، س٢٣.



﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾: العيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام قال: آدم وحوّاء[1]، وقرئ ولولدي، ونسبها في الجوامع: إلى أهل البيت عليهم السلام[2].

والقمّي: إنّما نزلت ولولديّ إسماعيل وإسحاق[3].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام إنّه كان يقرأ: «رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ» يعني اسماعيل وإسحاق[4].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل عنها فقال: هذه الكلمة صحّفها الكتّاب إنّما كان استغفاره لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه، وإنّما قال: «رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ» يعني إسماعيل وإسحاق[5].

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: وعيد للظّالم، وتسلية للمظلوم.

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يؤخّر عذابهم.

﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: القمّي: قال: تبقى أعينهم مفتوحة من هول جهنّم لا يقدرون أن يطرفوا[6].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ح ٤٦.
٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٥٣.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٤، ح ٤٥.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٥، ح ٤٧.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢، س ٢.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الدّاعي أو مقبلين بأبصارهم لا يطرفون هيبة وخوفاً والإهطاع: الإقبال على شيء.

﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾: رافعيها.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: بل بقيت عيونهم شاخصةً لا تطرف.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾: قيل: خلاء أي خالية عن العقول، لفرط الحيرة والدّهشة، لا قوّة لها ولا جرأة ولا فهم[١].

والقمّي: قال: قلوبهم يتصدّع من الخفقان[٢].

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾: يا محمّد.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾: أمهلنا إلى أمد من الزّمان قريب نتدارك ما فرّطنا فيه من إجابة دعوتك وإتّباع رسلك.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾: على إرادة القول.

﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾: القمّي: أي لا تهلكون[٣].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص٥٣٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢، س ٣.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢، س ٦.

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر والمعاصي.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم، وما تواتر عندكم من أخبارهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾: فلم تعتبروا.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾: المستفرغ فيه جهدهم لإبطال الحقّ وتقرير الباطل.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: ومكتوب عنده مكرهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاءً لمكرهم وابطالاً له.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾: في العظم والشّدّة.

﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾: عن أماكنها، القمّي: قال: مكر بني فلان[1].

وقرئ لتَزَول بفتح اللّام والرّفع.

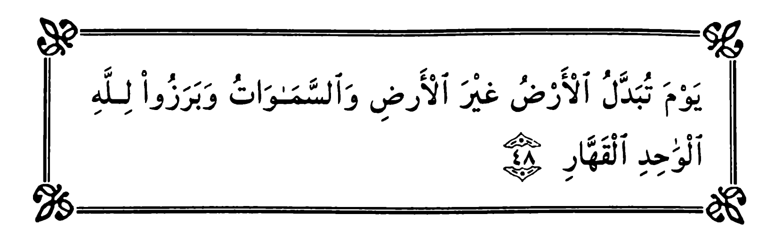
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾: مثل قوله: «إِنَّا لَنَنْصُر رُسُلَنَا»[2] «كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي»[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ.

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: لأوليائه من أعدائه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢، س ٩.
٢ ـ غافر: ٥١.
٣ ـ المجادلة: ٢١.



﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَاتُ﴾: يعني والسّماوات غير السّماوات. من طريق العامّة: عن عليّ عليه السلام أرضاً من فضّة وسماوات من ذهب[1].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام تبدل الأرض خبزة نقيّة يأكل النّاس منها حتّى يفرغوا من الحساب، قيل: إنّ النّاس لفي شغل يومئذ عن الأكل والشّرب، فقال: هم في النّار لا يشتغلون عن أكل الضّريع وشرب الحميم وهم في العذاب فكيف يشتغلون عنه في الحساب[2].

وفي رواية أُخرى إنّ الله خلق ابن آدم أجوف لابدّ له من الطّعام والشّراب أهم أشدّ شغلاً يومئذ أم من في النّار؟ فقد استغاثوا والله يقول: «وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ»[3][4].

والقمّي[5]، والعيّاشي: عنه عليه السلام ما يقرب منهما[6].

وعن السّجاد عليه السلام: وتبدّل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكتسب عليها الذّنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أوّل مرّة[7].

وفي المجمع: من طريق العامّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله يبدّل الله الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدّها مدّ الأديم العكاظي[8] لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص٥٣٥، س١٥.

٢ ـ الكافي: ج ٦، ص٢٨٦، ح ١، باب إن ابن آدم أجوف لابد له من الطعام.

٣ ـ الكهف: ٢٩.

٤ ـ الكافي: ج ٦، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧، ح ٤، باب إن ابن آدم أجوف لابد له من الطعام.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٣٧، ح ٥٣.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧، ح ٥٢.

٨ ـ عكاظ: اسم سوق للعرب بناحية مكة، كانوا يجتمعون به في كل سنة فيقيمون شهراً يتبايعون به ⇐

هذه المبدّلة في مثل مواضعهم من الأُولى، ما كان في بطنها كان في بطنها، وما كان في ظهرها كان على ظهرها[١].

وعنه صلى الله عليه وآله: يحشر النّاس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[٢] كقرصة النّـقيّ ليس فيها معلم[٣] لأحد[٤].

وعنه صلى الله عليه وآله: إنّه سئل عن هذه الآية: وقيل: له فأين الخلق عند ذلك؟ فقال: أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه[٥].

وفي الإحتجاج: عنه صلى الله عليه وآله إنّه سئل عن هذه الآية؟ وقيل له: فأين النّاس يومئذ؟ فقال: في الظّلمة دون المحشر[٦].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: المتحابّون في الله عزّوجلّ يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين[٧][٨].

وعن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن فإنّ صدقته تظلّه[٩].

وفي الخصال[١٠]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام لقد خلق الله في الأرض منذ خلقها سبعة

⇐ ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون، وكل متاع فاخر يباع في ذلك الشهر هناك وينقل إلى أطراف الأرض وينسب إليه فيقال أديم عكاظي، مجمع البحرين: ج٤، ص٢٨٧. مادة «عكظ».

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٢٤، س٢٥.

٢ ـ الأعفر: الأبيض وليس بالشديد البياض، والشاة عفراء: يعلو بياضها حمرة. الصحاح: ج ٢، ص ٧٥٢. مادة «عفر».

٣ ـ المَعْلَمْ: الأثر يستدل به على الطريق. مجمع البحرين: ج٦، ص١٢٣، مادة «علم».

٤ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٢٤، س ٣١.

٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٢٥، س٤.

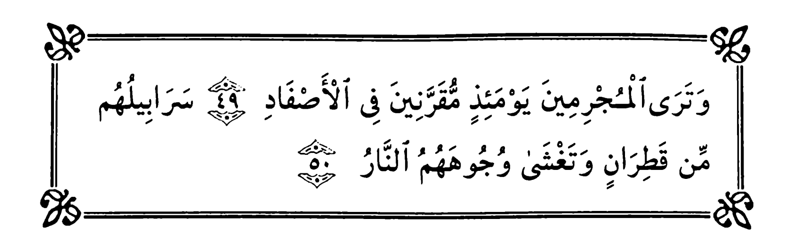
٦ ـ الإحتجاج: ج ١، ص٥٨، س١٥، في إحتجاجه صلى الله عليه وآله على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

٧ ـ وكلتا يديه يمين: أي أنّ يَديه تبارك وتعالى بصفة الكمال، لا نقص في واحدة منهما، لأن الشمال تنقص عن اليمين، وكلّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي واليمين وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى فإنّما هو على سبيل المجاز والإستعارة. والله منزّه عن التشبيه والتجسيم. النهاية لابن الأثير: ج٥، ص٣٠١.

٨ ـ الكافي: ج ٢، ص١٢٦، ح٧، باب الحب في الله والبغض في الله.

٩ ـ الكافي: ج٤، ص٣، ح٦، باب فضل الصدقة.

١٠ ـ الخصال: ص٣٥٨ ـ ٣٥٩، ح٤٥، باب السبعة: خلق الله عزّوجلّ في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين.



عالمين ليس هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنوها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثمّ خلق الله آدم أبا هذا البشر وخلق ذرّيته منه ولا والله ما خلت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها الله ولا خلت النار من أرواح الكلافرين منذ خلقها الله لعلّكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة وصيّر الله أبدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة وصيّر أبدان أهل النّار مع أرواحهم في النّار إنّ الله تبارك وتعالى لا يعبد في بلاده، ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه، بلى وليخلقنّ خلقاً من غير فحول ولا إناث يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه، ويخلق لهم أرضاً تحملهم وسماءاً تظلّهم أليس الله يقول: «يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غيْرَ ٱلْأَرضِ وَٱلسَّمَـٰوَاتُ» وقال الله: «أَفَعَيِيْنَا بِالْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ»[١][٢].

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: لمحاسبته ومجازاته.

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: القمّي قال: مقيّدين بعضهم إلى بعض[٣].

قيل: ولعلّه بحسب مشاركتهم في العقائد والأخلاق والأعمال[٤].

﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قمصانهم[٥].

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: وهو ما يطلى به الإبل الجربى فيحرق الجرب والجلد وهو أسود منتن تشتعل فيه النّار بسرعة، وقرئ من قطرٍ آنٍ والقطر: النّحاس والصّفر المذاب، والآني: المتناهي حرّه.

---

١ ـ ق: ١٥. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٨، ح ٥٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢، س ١١.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٣٥، س ٢٤.

٥ ـ قيل: السربال من قطران: تمثيل لما يحيط بجوهر النفس والملكات المردية والهيئات الموحشه المؤلمة. منه ﷺ.

لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: خصّ الوجوه لأنّ الوجه أعزّ موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال: «تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ»[١] ولأنّهم لم يتوجّهوا بها إلى الحقّ ولم يستعملوا في تدبّره مشاعرهم وحواسّهم الّتي خلقت لأجله كما تطّلع على أفئدتهم لأنّها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات، القمّي: عن الباقر عليه السلام «سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ» قال: هو الصّفر الحارّ الذّائب يقول الله: إنتهى حرّه وتغشى وجوههم النّار سربلوا ذلك الصّفر فتغشى وجوههم النّار[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال: جبرئيل عليه السلام لو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النّار علّق بين السّماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه ووهجه[٣][٤].

وفي نهج البلاغة: وألبسهم سرابيل القطران، ومقطّعات النّيران في عذاب قد اشتدّ حرّه، وباب قد أطبق على أهله[٥].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾: أي يفعل بهم ذلك ليجزي كلّ نفسٍ.

﴿مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لأنّه لا يشغله حساب عن حساب، وقد سبق بيانه في سورة البقرة[٦].

﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾: كفاية لهم في الموعظة لينصحوا.

---

١ ـ الهمزة: ٧.
٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٢، س١٢.
٣ ـ الوهْج ـ بالتسكين ـ مصدر وَهجت النّار تهجُ وهْجاً ووهْجاناً. إذا اتقدت. مجمع البحرين: ج٢، ص٣٣٥. مادة «وهج».
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨١، س٩.
٥ ـ نهج البلاغة: ص١٨٥، الخطبة ١٠٩.
٦ ـ البقرة: ذيل الآية: ٢٠٢.

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: بالنّظر والتدبّر فيه.

﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: أولو العقول والنّهى[١].

والقمّي: «هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ» يعني محمّداً صلى الله عليه وآله[٢].

في ثواب الأعمال[٣]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سورة إبراهيم عليه السلام و الحجر في ركعتين جميعاً في كلّ جمعة لم يصبه فقر أبداً ولا جنون ولا بلوى إن شاء الله[٤].

* * *

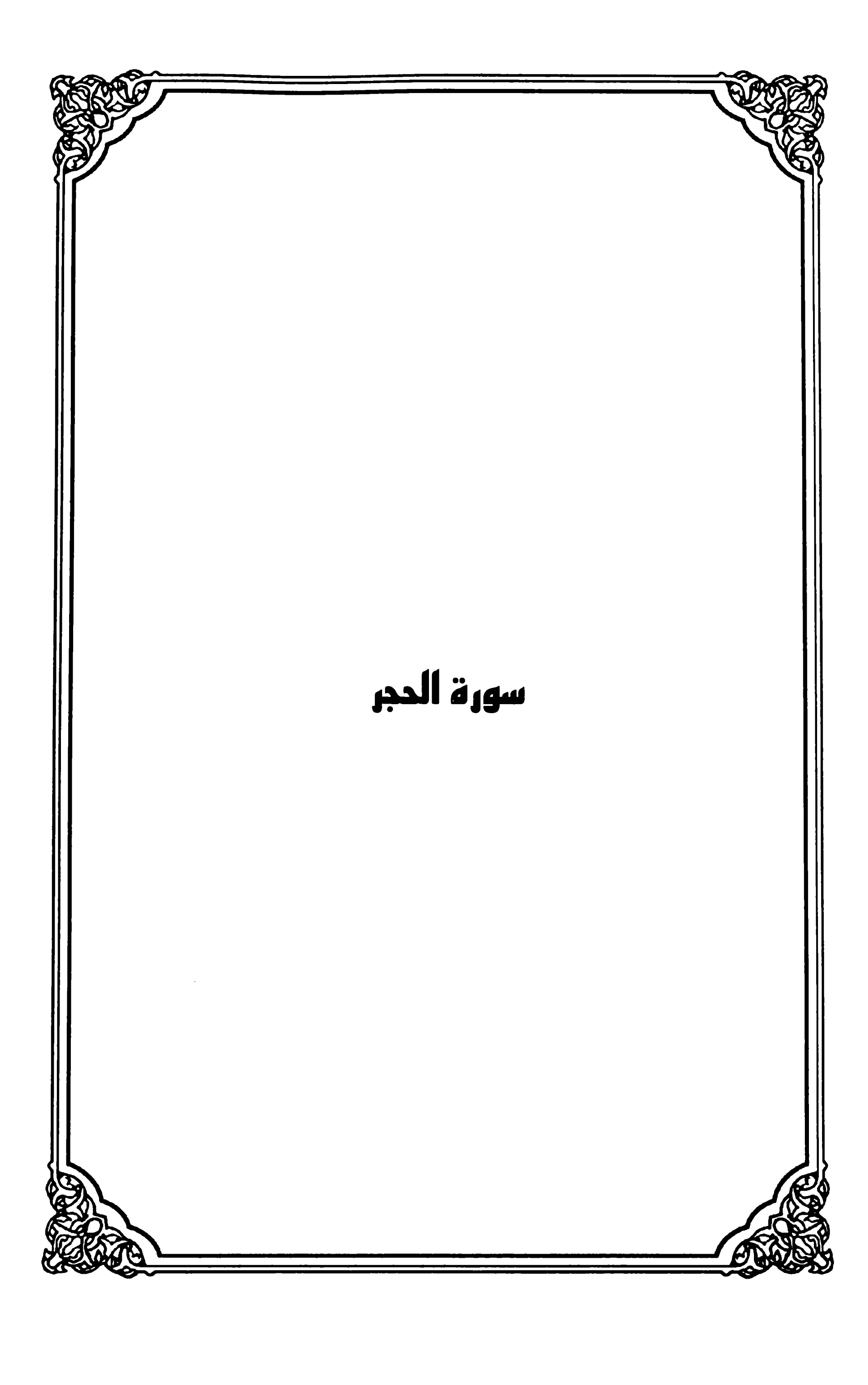
---

١ ـ وفي الحديث «خياركم أولوا النهى» وهم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام غافلون. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٢٦، مادة «نها».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢، س ١٥.

٣ ـ ثواب الأعمال ص ١٠٧، باب ثواب من قرأ سورة إبراهيم والحجر.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ١.



سورة الحجر

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمْ

الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

سورة الحجر: مكية، وقيل: إلّا قوله: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَـبْعاً مِّـنَ ٱلْمَـثَانِي وَٱلْـقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ»[1]، وقوله: «كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ»[2]، وهي تسع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا﴾: وقرئ بالتّخفيف.

﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾: إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين قالوا: يا ليتنا كنّا مسلمين.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام[3]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إذا كان يوم القيامة نادى مناد من عند الله لا يدخل الجنّة إلّا مسلم فيومئذ «يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ»[4].

وفي المجمع: ما في معناه[5] وفيه مرفوعاً عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إذا إجتمع أهل النّار في النّـار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفّار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا

---

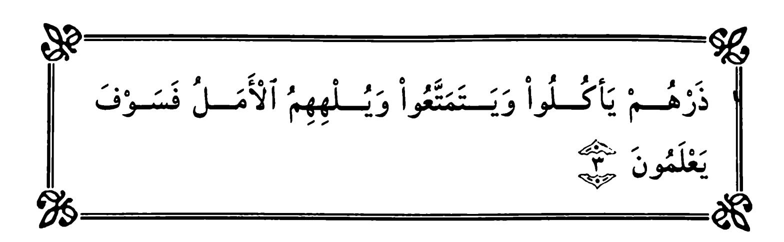
١ ـ الحجر: ٨٧.

٢ ـ الحجر: ٩٠ ـ ٩١.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٩، ح ١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣٢٨، س ٣٢.



فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النّار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخِذنا بها فسمع الله عزّ اسمه ما قالوا، فأمر من كان في النّار من أهل الإسلام فأُخرجوا منها، فحينئذ يقول الكفّار: يا ليتنا كنّا مسلمين[1].

وقد سبق حديث آخر في هذه الآية في سورة البقرة عند قوله سبحانه: «لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ»[2].

﴿ذَرْهُمْ﴾: دعهم.

﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾: بدنياهم.

﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾: ويشغلهم توقّعهم لطول الأعمار وإستقامة الأحوال من الإستعداد للمعاد.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: سوء صنيعهم إذا عاينوا الجزاء، وهذا إيذان بأنّهم لا ينفعهم الوعظ ولا ينجع[3] فيهم النّصح، ومبالغة في الإنذار، وإلزام للحجّة، وتحذير عن إيثار التنّعم، وتطويل الأمل.

في الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّما أخاف عليكم اثنتين إتّباع الهوى، وطول الأمل، أمّا إتّباع الهوى: فإنّه يصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل: فينسي الآخرة[4].

وعنه عليه السلام ما أطال عبد الأمل إلّا أساء العمل، وكان يقول: لو رأى العبد أجله

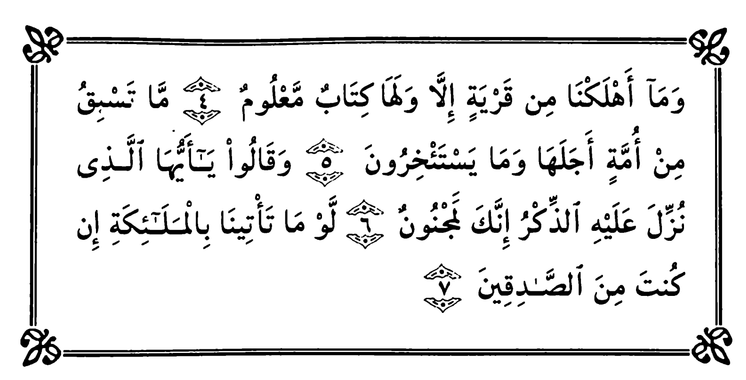
---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩، س٣٣.

٢ ـ البقرة: ٤٨.

٣ ـ نجع فيه الأمر والخطاب والوعظ: إذا أثر فيه ونفع. مجمع البحرين: ج٤، ص٣٩٤، مادة «نجع».

٤ ـ الكافي: ج٢، ص٣٣٥ ـ ٣٣٦، ح٣، باب إتباع الهوى.



وسرعته إليه لأبغض العمل في طلب الدّنيا(١).

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا استحقّت ولاية الله والسّعادة جاء الأجل بين العينين، وذهب الأمل وراء الظّهر، وإذا استحقت ولاية الشّيطان والشّقاوة جاء الأمل بين العينين وذهب الأجل وراء الظّهر(٢).

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: أجل مقدّر كتب في اللّوح المحفوظ.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ﴾: عنه.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾: نادوه على سبيل التهكّم والإستهزاء كما دلّ عليه ما بعده.

﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: لتقول قول المجانين حين تدّعي إنّ الله نزّل عليك الذّكر أي القرآن.

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾: هلّا تأتينا.

﴿بِالْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: ليصدّقوك ويعضدوك على الدّعوة كقوله: «لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً»(٣).

---

١ ـ الكافي: ج٣، ص٢٥٩، ح٣، باب النوادر.

٢ ـ الكافي: ج٣، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨، ح٢٧، باب النوادر.

٣ ـ الفرقان: ٧.

مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذاً مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: في دعواك.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾: أي تتنزّل، وقرئ بضمّ التّاء وبالنّون ونصب الملائكة.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة والمصلحة.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذاً مُّنظَرِينَ﴾: ممهلين يعني لا يمهلهم ساعة، القمّي: قال: لو أنزلنا الملائكة لم ينظروا وهلكوا[1].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: ردّ لإنكارهم وإستهزائهم، ولذلك أكدّه من وجوه.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾: من التّحريف[2]، والزيادة، والنّقصان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: في فرقهم، وطوائفهم، والشّيعة: الفرقة إذا اتّفقوا في مذهب وطريقة، من شاعه إذا تبعه.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾: حكاية حال ماضية.

﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: كما يفعل هؤلاء، وهو تسلية للنّبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾: قيل: ندخل الذّكر وننظمه[3].

﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: يعني نلقيه في قلوبهم مكذّباً به غير مقبول.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٣، س ٦.

٢ ـ وفي نسخة: [من التحريف والتغيير والزيادةِ والنقصان].

٣ ـ قاله: البيضاوي في أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٣٨.

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾

وقيل: الضّمير للإستهزاء[١].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالذّكر.

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي سنّة الله فيهم بأن خذلهم، وسلك الكفر في قلوبهم أو بأن أهلكهم حين كذّبوا رسلهم فيكون وعيداً لأهل مكة.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾: على هؤلاء المقترحين.

﴿بَاباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: يصعدون إليها طول نهارهم.

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾: سدّت من الأبصار بالسّحر، وخيّل إلينا على غير حقيقة، وقرئ سكرت بالتّخفيف.

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: قد سحرنا محمّد ﷺ بذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام هي اثنا عشر برجاً[٢].

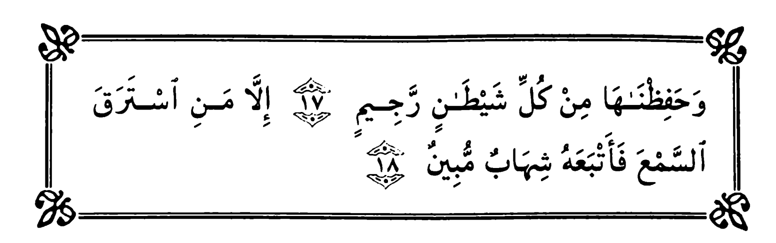
والقمّي: عن الباقر عليه السلام البروج الكواكب: والبروج الّتي للرّبيع والصّيف: الحمل، والثّور، والجوزاء، والسّرطان، والأسد، والسّنبلة، وبروج الخريف والشّتاء: الميزان، والعقرب والقوس والجدي، والدّلو، والحوت، وهي إثنا عشر برجاً[٣].

---

١ ـ قاله البيضاوي في أنوار التنزيل: ج١، ص٥٣٨، س١٧.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٣١، س٣٠.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٦.



والقمّي: هي منازل الشّمس والقمر[١].

أقول: معنى البروج القصور العالية سمّيت الكواكب بها لأنّها للسّيّارات كالمنازل لسكّانها، وإشتقاقه من التبرّج لظهوره.

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ للشمس ثلاث مائة وستّين برجاً كلّ برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب تنزل كلّ يوم على برج منها فإذا غابت انتهت إلى حدّ بطنان العرش فلم تزل ساجدة إلى الغد، ثم تردّ إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها[٢].

أقول: وذلك لأنّ سير الشمس إنما يكون في كلّ برج من البروج الاثني عشر ثلاثين يوماً تقريباً، فبهذا الإعتبار ينقسم كلّ منها إلى ثلاثين برجاً فتصير ثلاثمائة وستّين.

﴿وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام بالكواكب النيّرة[٣].

﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرّف في أمرها ويطّلع على أحوالها.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: اختلسه سرّاً.

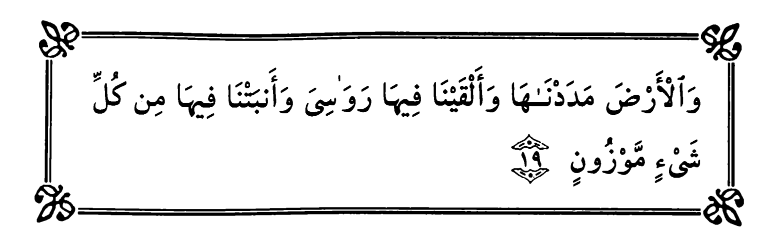
﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾: ولحقه.

﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين. والشّهاب: شعلة نار ساطعة. وقد يطلق للكواكب والسّنان لما فيهما من البريق.

في المجالس: عن الصّادق عليه السلام كان إبليس لعنه الله يخترق السّماوات السّبع فلمّا ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات فلمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٣، س٩.
٢ ـ الكافي: ج٨، ص١٥٧، ح١٤٨.
٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٣١، س٣٠.



حجب عن السّبع كلّها، ورميت الشّياطين بالنّجوم، وقالت قريش: هذا قيام السّاعة الّذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أُميّة وكان من أرجز أهل الجاهليّة: أنظروا هذه النّجوم الّتي يهتدى بها ويعرف بها أزمان الشّتاء والصّيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كلّ شيءٍ وإن كانت تثبت ورمي بغيرها فهو أمر حدث الحديث[1].

والقمّي: قال: لم تزل الشّياطين تصعد إلى السّماء وتتجسّس حتّى ولد النّبيّ ﷺ ثم ذكر مقالة عمرو بن أُميّة ونسبها إلى وليد بن المغيرة، ثم قال: وكان بمكّة يهودي يقال له: يوسف فلّما رأى النّجوم تتحرّك وتسير في السّماء خرج إلى نادي قريش فقال: يا معشر قريش هل ولد فيكم اللّيلة مولود؟ فقالوا: لا، فقال: أخطأتم والتّوراة قد ولد في هذه اللّيلة آخر الأنبياء وأفضلهم، وهو الّذي نجده في كتبنا أنّه إذا ولد ذلك النّبي ﷺ رجمت الشّياطين، وحجبُوا من السّماء فرجع كلّ واحد إلى منزله فسأل أهله، فقالوا: قد ولد لعبد الله بن عبد المطّلب بن عبد مناف الحديث[2].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾: بسطناها.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثوابت.

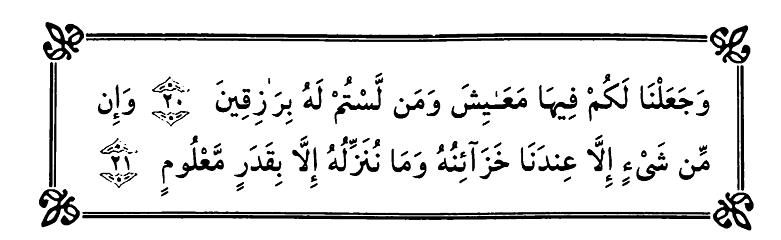
﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: مقدّر، القمّي: قال: لكلّ ضرب من الحيوان قدّرنا شيئاً موزوناً[3].

وعن الباقر ؏: في هذه الآية إنّ الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال: الذهب، والفضّة، والجوهر، والصّفر، والنّحاس، والحديد، والرّصاص، والكحل، والزّرنيخ، وأشباه

---

١ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢٣٥، ح١، المجلس الثامن والأربعون.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٣ ـ ٣٧٤. ٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٤، س١٧.



هذه لا تباع إلّا وزناً[١].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾: تعيشون بها من المطاعم، والملابس.

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَٰزِقِينَ﴾: وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العيال والخدم والمماليك والحيوانات وسائر ما تحسبون أنّكم ترزقونه حسباناً كاذباً، فإنّ الله يرزقكم وإيّاهم.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: قيل: الخزائن عبارة عن القدرة على إيجاده[٢].

والقمّي: قال: الخزانة الماءِ الّذي ينزل من السّماء فينبت لكلّ ضرب من الحيوان ما قدّر الله له من الغذاء[٣].

أقول: الأوّل كلام من خلا عن التّحصيل، والثّاني تمثيل للتّقريب من أفهام الجمهور، وتفسير في الظّاهر، وأمّا في الباطن والتّأويل فالخزائن: عبارة عمّا كتبه القلم الأعلى أوّلاً على الوجه الكلّي في لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل الّذي منه يجري ثانياً على الوجه الجزئي في لوح القدر الّذي فيه المحووالإثبات مدرجاً على التّنزيل فإلى الأوّل أُشير بقوله «وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ» وبقوله: «وَعِندَهُ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ»[٤] وإلى الثاني بقوله: «وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» ومنه ينزل ويظهر في عالم الشّهادة.

وعن السّجاد عليه السلام: إنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله من البرّ والبحر، قال: وهذا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

٢ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٥٧٤.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٥، س ٣.

٤ ـ الرعد: ٣٩ و ٤٣.

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾

تأويل قوله: «وَإِن مِّن شَيْءٍ» الآية[1] أراد عليه السلام به ما ذكرناه.

وتمام تحقيق هذا المقام يطلب من كتابنا المسمّى بعلم اليقين فإنّه كاف في بيانه.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾: القمّي: قال: التي تلقح الأشجار[2].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسبّوا الرّيح فإنّها بشر، وإنّها نذر، وإنّها لواقح، فاسألوا الله من خيرها وتعوّذوا به من شرّها[3].

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾: نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله: «وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ» أي نحن الخازنون للماء القادرون على خلقه في السّماءِ وإنزاله منها، ولا تقدرون على ذلك.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: القمّي: أي نرث الأرض ومن عليها[4].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام المؤمنون من هذه الأُمّة[5].

---

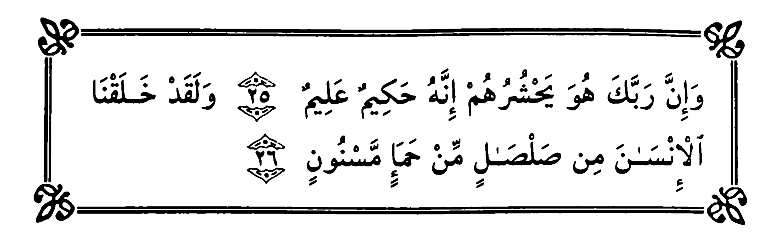
١ ـ تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٧، ح١٩.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٥، س٤.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٣٩، ح٤.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٥، س٦.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٠، ح٦.



﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾: القمّي: قال: هو الماء المتصلصِل بالطّين[١].

﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: قال: حمأ متغيّر[٢]، وفي حديث خلق آدم: فاغترف جلّ جلاله غرفة من الماء فصَلصلها فجمدت، الحديث[٣]، وقد مضى في سورة البقرة[٤].

والصّلصال: يقال للطّين اليابس الّذي يصلصل أي يصوّت إذا نقر، وهوغير مطبوخ فإذا طبخ فهو فخار، والحمأ: الطّين الأسود المتغيّر[٥].

والمسنون: يقال: للمصور، وللمصبوب المفرّغ وللمنتن، كأنّه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتّى إذا نقر صلصل، ثمّ غيّر فصيّر إنساناً.

وفي نهج البلاغة: ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض[٦]، وسهلها، وعذبها، وسبخها، تربة سنّها[٧] بالماء حتّى خلصت، ولاطها[٨] بالبلّة حتّى لزبت[٩]، فجعل منها صورة ذات

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٥، س ٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٥، س ٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧، س ١٩.

٤ ـ البقرة: ذيل الآية ٣٠.

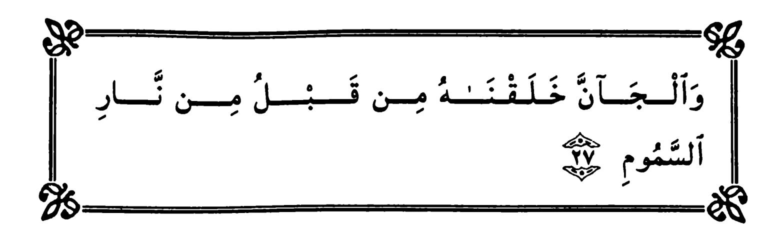
٥ ـ انظر الكشاف: ج ٢، ص ٥٧٦.

٦ ـ حَزْن الأرض: وعرها: وقال الطريحي: الحَزْن ـ كفلس ـ: ما غلظ من الأرض وهو خلاف السهل. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٣٢، مادة حزن.

٧ ـ سن الماء: أي صبّه.

٨ ـ لاطها: أي خلطها وعجنها، وقال الطريحي: ولُطْتُ الحوض بالطين لوطاً: أي ملّطته وطيّنته. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٧٢، مادة «لوط».

٩ ـ طين لآزب: أي ممتزج متماسك يلزم بعضه بعضاً. يقال طين لازب لازق باليد لاشتداده، واللازب واللاصق بمعنى، ولزب الشيء ـ من باب قعد ـ: إشتد. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٦٦، مادة «لزب».



أحناء[١] ووصول، وأعضاء وفصول: أجمدها حتى إستمسكت، وأصلدها[٢] حتّى صلصلت[٣] لوقت معدود، وأجل معلوم، ثمّ نفخ فيها من روحه فمثّلت[٤] إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرّف فيها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرّق بها بين، الحق والباطل والأذواق والمشامّ، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة والسّرور. الحديث[٥].

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: يعني أبا الجانّ، القمّي: قال: أبو إبليس[٦].

﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل خلق الإنسان.

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: من نار الشّديد الحرِّ النّافذ في المسام[٧].

في الخصال: عن الصّادق عليه السلام الآباء ثلاثة: آدم ولد مؤمناً والجانّ ولد مؤمناً وكافراً،

---

١ ـ الإحناء: جمع حنو ـ بالكسر ـ: وهو الجانب من البدن.

٢ ـ أصلدها: جعلها صلبة ملساء متينة.

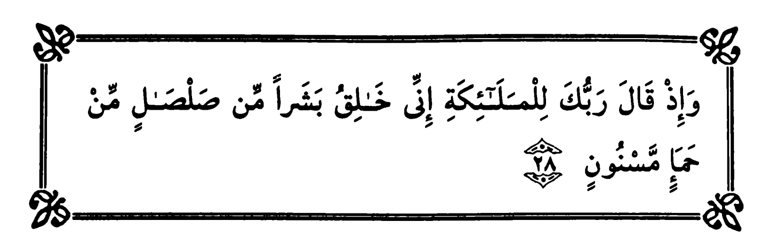
٣ ـ صلصلت: أي يبست حتى كانت تسمع لها صلصله إذا هبت عليها الرياح، وقال الطريحي: الصلصال: الطين اليابس الذي لم يطبخ إذا نقر به صوت كما يصوّت الفخار، والفخار ما طبخ من الطين. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٠٦، مادة «صلل».

٤ ـ مثل ـ ككرم وفتح ـ: قام منتصباً، وقال الطريحي: يقال: مثل بين يديه مثولاً: أي إنتصب قائماً بين يديه. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٧١، مادة «مثل».

٥ ـ نهج البلاغة: ص٤٢، الخطبة: ١، في صفة خلق آدم عليه السلام. بإختلاف يسير.

٦ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٥، س٩.

٧ ـ مسام البدن: ثقبه التي يبرز عرقه، وبخار باطنه منها. مجمع البحرين: ج٦، ص٩٢، مادة «سمم».



وإبليس ولد كافِراً، وليس فيهم نتاج إنّما يبيض ويفرخ، وولده ذكور وليس فيهم أُناث[١].

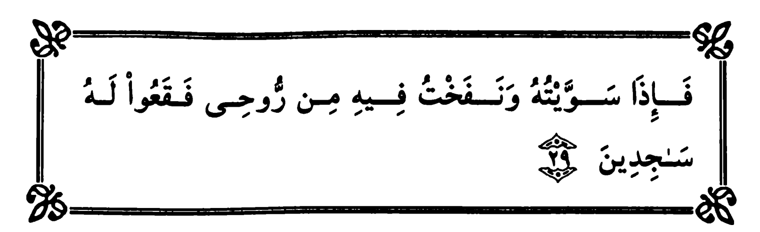
والقمّي: قال: الجنّ من ولد الجانّ، منهم مؤمنون وكافرون، يهود ونصارى، وتختلف أديانهم، والشّياطين من ولد إبليس وليس فيهم مؤمنون إلّا واحد إسمه هام بن هيم بن لا قيس بن إبليس جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فرآه جسيماً عظيماً وامرءاً مهولاً فقال له: من أنت؟ قال: أنا هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، كنت يوم قتل قابيل هابيل غلام إبن أعوام أنهى عن الإعتصام وآمر بإفساد الطّعام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس لعمري الشّاب المؤمّل والكهل المؤمّر، فقال: دع عنك هذا يا محمّد، فقد جرت توبتي على يد نوح، ولقد كنت معه في السّفينة فعاتبته على دعائه على قومه، ولقد كنت مع إبراهيم عليه السلام حيث أُلقي في النّار فجعلها الله برداً وسلاماً، ولقد كنت مع موسى حين غرّق الله فرعون ونجّى بني إسرائيل، ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فعاتبته، ولقد كنت مع صالح فعاتبته على دعائه على قومه، ولقد قرأت الكتب فكلّها تبشّرني بك، والأنبياء يقرؤونك السّلام، ويقولون: أنت أفضل الأنبياء وأكرمهم فعلّمني ممّا أنزل الله علَيك شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: علّمه، فقال هام: يا محمّد إنّا لا نطيع إلّا نبيّاً أو وصيّ نبيّ، فَمَنْ هذا؟ قال: هذا أخي، ووصيّي، ووزيري، ووارثي، عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: نعم نجد إسمه في الكتب: إليّا، فعلّمه أمير المؤمنين عليه السلام فلّما كانت ليلة الهرير بصفّين جاء إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكر وقت قوله.

---

١ ـ الخصال: ص١٥٢، ح١٨٦، باب ٣ ـ الآباء ثلاثة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦، س٩.



﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: عدّلت خلقته.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾: حتّى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فَحيي.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: في العلل[١]، والقمّي[٢]، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم الحديث[٣].

وقد سبق مع صدره وذيله في سورة البقرة عند قوله تعالى: «إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً»[٤].

وفي التّوحيد: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن قوله تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى» فقال: روح إختاره الله، واصطفاه، وخلقه، وأضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الأرواح، فنفخ منه في آدم[٥].

وفيه[٦]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عنه؟ فقال: إنّ الله خلق خلقاً وخلق روحاً، ثم أمر ملكاً فنفخ فيه فليست بالّتي نقصت من الله شيئاً هي من قدرته[٧].

وفيه[٨]، وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل كيف هذا النّفخ؟ فقال: إنّ الرّوح متحرّك

١ـ علل الشرائع: ص١٠٥ ـ ١٠٦، ح١، باب ٩٦ ـ علة الطبائع والشهوات والمحبات.

٢ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧، س١٨. ٣ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤٠، ح٧.

٤ـ البقرة ذيل الآية: ٣٠.

٥ـ التّوحيد: ص ١٧٠، ح١، باب ٢٧ ـ معنى قوله عزّوجلّ: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى».

٦ـ التّوحيد: ص١٧٢، ح٦، باب ٢٧ ـ معنى قوله عزّوجلّ: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى».

٧ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤١، ح١٠.

٨ـ التّوحيد: ص ١٧١، ح٣، باب ٢٧ ـ معنى قوله عزّوجلّ: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى».

كالرّيح وإنّما سمّي روحاً لأنّه اشتقّ إسمه من الرّيح، وإنّما اخرجت على لفظة الرّوح لأنّ الرّوح مجانس الريح وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على سائر الأرواح كما اصطفى بيتاً من البيوت، فقال: بيتي، وقال: رسول من الرّسل خليلي، وأشباه ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبّر[١].

أقول: لمّا كان الرّوح يتعلّق أولاً بالبخار اللّطيف المنبعث من القلب، وتفيض عليه القوة الحيوانيّة فيسري حاملاً لها في تجاويف الشّرايين إلى أعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخاً فهو تمثيل لما به تحصّل الحياة، وذلك لأنّ الرّوح ليس من عالم الحسّ والشّهادة وإنّما هو من عالم الملكوت والغيب، والبدن بمنزلة قشر وغلاف وقالب له، وإنّما حياته به وهو الخلق الآخر المشار إليه بقوله سبحانه: «ثُمَّ أَنْشَأْنَـٰهُ خَلْقاً ءَاخَرَ»[٢] أي خلقاً لا يشبه هذا الخلق.

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن الرّوح؟ فقال: هي من قدرته من الملكوت[٣].

وممّا يدلّ على ذلك ما سبق من الأخبار في سورة آل عمران عند قوله سبحانه: «وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَآءٌ»[٤].

وفي البصائر: عن الصادق عليه السلام مثل المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا أُخرجت الجوهرة منه طرح الصّندوق ولم يعبأ به، وقال: إنّ الأرواح لا تمازج البدن ولا تداخله إنّما هي كالكلل[٥] للبدن محيطة به[٦].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام الرّوح لا توصف بثقل ولا خفّة وهي جسم رقيق اُلبس قالباً كثيفاً فهي بمنزلة الرّيح في الزّق فإذا نفخت فيه إمتلأ الزّقّ منها فلا يزيد في وزن الزّقّ ولوجها ولا ينقصها خروجها وكذلك الرّوح، ليس لها ثقل ولا وزن، قيل: أفيتلاشى الرّوح بعد

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ١٣٣ ـ ١٣٤، ح ٣، باب الروح.

٢ ـ المؤمنون: ١٤.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤١، ح ١١.

٤ ـ آل عمران: ١٦٩.

٥ ـ الكلة ـ بالكسر ـ: الستر يخاط كالبيت يتوقى به من البق: مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٦٥، مادة «كلل».

٦ ـ بصائر الدرجات: ص ٤٨٣، ح ١٣، باب ١٨ ـ الروح التي قال الله يسألونك عن الروح. قل الروح من أمر ربي إنّها في رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام.

خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصّور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ اعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها وذلك أربعمائة سنة نسيت[١] فيها الخلق وذلك بين النّفختين، وقال عليه السلام أيضاً إن الرّوح مقيمة في مكانها روح المحُسن في ضياء وفسحة، وروح المسيئ في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً الحديث[٢].

وروى إنّه قال: وبها يؤمر البدن وينهى، ويثاب ويعاقب، وقد تفارقه، ويلبسها الله سبحانه غيره كما تقتضيه حكمته[٣].

قوله عليه السلام: «وقد تفارقه ويلبسها الله غيره»: صريح في أنّها مفارقة عن البدن مستقلّة، وأن ليس المراد بها الرّوح البخاري وأمّا اطلاق الجسم عليها فلأنّ نشأة الملكوت ايضاً جسمانيّة من حيث الصّورة وإن كانت روحانيّة من جهة المعنى غير مدركة من هذه الحواس [٤].

وأمّا قوله: «فهي بمنزلة الرّيح في الزّقّ» فهو تمثيل لما به تحصل الحياة، وبيان لمعنى نفخها في البدن كما مرّت الإشارة إليه آنفاً.

وليعلم أنّ الأرواح متعدّدة في بدن الإنسان ويزيد عددها بزيادة صاحبها في الفضل والشّرف كما إستفاضت به الأخبار عن الأئمّة الأطهار سلام الله عليهم، ففي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه جاء رجل إليه فقال: يا أمير المؤمنين إنّ اناساً زعموا أنّ العبد لا يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الرّبا وهو مؤمن، ولا يسفك الدّم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل عليّ هذا وحرج منه صدري حين أزعم أنّ هذا العبد يصلّي صلاتي ويدعو دعائي ويناكحني وأُناكحه ويوارثني وأُوارثه وقد خرج من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والدّليل عليه كتاب الله خلق الله عزّوجلّ النّاس على ثلاث طبقات، وأنزلهم على ثلاث منازل، وذلك قول الله

---

١ ـ قوله نُسيت فيه الخلق أي تُركت في هذه المدة الخلائق مصعوقه كما قال سبحانه: «فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ». منه قدس سره.

٢ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٩٧ و ٩٨، إحتجاج الصادق عليه السلام على الزنديق. وفيه «يسبت فيها الخلق». والسبات: النوم.

٣ ـ بحار الأنوار: ج ٦١، ص ٣٦، ح ٧.

٤ ـ وفي نسخة: [بهذه الحواس].

عزّوجلّ في الكتاب: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسّابقون[١]، فأمّا ما ذكره من أمر السّابقين فإنّهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشّهوة، وروح البدن، فبروح القدس: بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين، وبها علموا الأشياء، وبروح الإيمان: عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوّة: جاهدوا عدوّهم وعالجوا معاشهم، وبروح الشّهوة أصابوا الذيذ الطّعام ونكحُوا الحلال من شباب النّساء، وبروح البدن دبّوا[٢] ودرجوا[٣] فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم، ثم قال: قال الله تعالى: «تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللهَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ»[٤] ثمّ قال: في جماعتهم وأيّدهم بروح منه يقول: أكرمهم بها ففضّلهم على من سواهم فهؤلاء مغفور لهم مصفوح[٥] عن ذنوبهم، ثم ذكر أصحاب الميمنة: وهم المؤمنون حقّاً بأعيانهم جعل الله فيهم أربعة أرواح: روح الايمان، وروح القوّة، وروح الشّهوة، وروح البدن، فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربعة حتّى تأتي عليه حالات فقال الرّجل: يا أمير المؤمنين ما هذه الحالات فقال: أمّا أُولاهنّفهو كما قال الله عزّوجلّ: «وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً»[٦] فهذا ينتقص منه جميع الأرواح وليس بالّذي يخرج من دين الله، لأنّ الفاعل به ردّه إلى أرذل العمر فهو لا يعرف للصّلاة وقتاً، ولا يستطيع التهجّد باللّيل ولا بالنّهار، ولا القيام في الصّفّ مع النّاس، فهذا نقصان من روح الإيمان، وليس يضرّه شيئاً، ومنهم من ينتقص منه

---

١ ـ اقتباس من قوله تعالى في سورة الواقعة: ٨ ـ ١٠ «فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ».

٢ ـ دب الشيخ من باب ضرب ـ: مشى رويداً ومثله دب الصبي، ودب الجيش دبيباً سار سيراً ليناً. مجمع البحرين: ج ٢، ص٥٥، مادة «دبب».

٣ ـ درج الصبي دروجاً ـ من باب قعد ـ: مشى قليلاً أول ما يمشي. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٩٩، مادة «درج».

٤ ـ البقرة: ٢٥٣.

٥ ـ الصفح: العفو والتجاوز، وأصله من الأعراض بصفحة الوجه وصفحت عن الذنب صفحاً ـ من باب نفع ـ: عفوت عنه. مجمع البحرين: ج ٢، ص٣٨٦، مادة «صفح».

٦ ـ النّحل: ٧٠.

روح القوّة ولا يستطيع جهاد عدوّه، ولا يستطيع طلب المعيشة، ومنهم من ينتقص منه روح الشّهوة فلو مرّت به أصبح بنات آدم لم يحنّ إليها، ولم يقم ويبقى روح البدن فيه فهو يدبّ ويدرج حتّى يأتيه ملك الموت فهذا بحال خير لأنّ الله عزّوجلّ هو الفاعل به، وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه فيهمّ بالخطيئة فتشجّعه روح القوّة، وتزيّن له روح الشّهوة، وتقوده روح البدن حتّى توقعه في الخطيئة فإذا لامسها نقص من الايمان وتفصّى منه فليس يعود فيه حتّى يتوب فإذا تاب تاب الله عليه، وإن عاد أدخله الله نار جهنّم فأمّا، أصحاب المشأمة فهم اليهود والنّصارى، يقول الله عزّوجلّ: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ»[1] يعرفون محمّداً ﷺ والولاية في التّوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم «وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ»[2] إنّك الرّسول إليهم «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ»[3] فلمّا جحدوا ما عرفوا إبتلاهم بذلك فسلبهم روح الايمان وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح روح القوّة، وروح الشّهوة، وروح البدن، ثمّ أضافهم إلى الأنعام فقال: «إِنْ هُمْ كَالْأَنْعَٰمِ»[4] لأنّ الدّابّة إنّما تحمل بروح القوّة، وتعتلف بروح الشّهوة، وتسير بروح البدن، فقال السّائل: أحييت قلبي بإذن الله يا أمير المؤمنين[5].

وروي عن كميل بن زياد: أنّه قال: سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عليّاً فقلت: يا أمير المؤمنين أُريد أن تعرّفني نفسي، قال: يا كميل وأيّ الأنفس تريد أن أُعرّفك؟ قلت: يا مولاي هل هي إلّا نفس واحدة؟ قال: يا كميل إنّما هي أربعة: النّامية، النّباتية، والحسّيّة الحيوانيّة، والنّاطقة القدسيّة، والكلّيّة الإلهيّة، ولكلّ واحدة مِن هذه: خمس قوى وخاصيّتان، فالنّامية النّباتيّة لها خمس قوى: ماسكة، وجاذبة، وهاضمة، ودافعة، ومربّية، ولها خاصيّتان: الزّيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد، والحسّيّة الحيوانيّة: لها خمس قوى. سمع، وبصر، وشمّ، وذوق، ولمس، ولها خاصيّتان: الرّضا والغضب، وإنبعاثها من القلب، والنّاطقة القدسيّة: لها خمس

---

١ ـ البقرة: ١٤٦.
٢ ـ البقرة: ١٤٦ ـ ١٤٧.
٣ ـ البقرة: ١٤٧.
٤ ـ الفرقان: ٤٤.
٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٨١ ـ ٢٨٤، ح ١٦، باب الكبائر.

فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

قوى فكر، وذكر، وعِلمٌ، وحِلم، ونباهة[1] وليس لها إنبعاث وهي أشبه الأشياء بالنّفوس الملكيّة ولها خاصيّتان: النزاهة والحكمة والكلّيّة الإلهيّة لها خمس قوىً: بقاء في فناء، ونعيم في شقاء، وعزّ في ذلّ، وفقر في غناء، وصبر في بلاء، ولها خاصّيّتان الرّضا، والتّسليم، وهذه هي الّتي مبدءها من الله وإليه تعود، قال الله تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى» وقال تعالى «يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً»[2] والعقل وسط الكلّ[3].

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾: لا يصحّ، منّي وينافي حالي، وأنا ملك روحانيّ أن أسجد.

﴿لِبَشَرٍ﴾: جسمانيّ كثيف.

﴿خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: وهو أخسّ العناصر، وخلقتني من نارٍ وهي أشرفها، غرّته الحميّة، وغلبت عليه الشّقوة، وتعزّز بخلقة النّار، واستوهن خلق الصّلصال، وقد سبق جوابه في سورة الأعراف[4] مع كلمات أُخر.

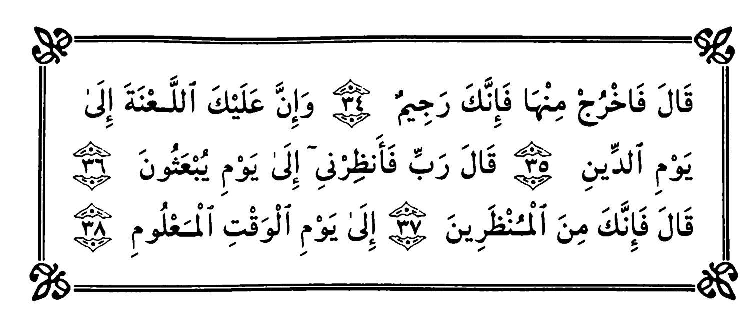
---

١ ـ نبه الرجل ـ بالضم ـ: شرف وإشتهر، ينبه نباهةً فهو نبيه ونابه وهو خلاف الخامل. الصحاح: ج٦، ص٢٢٥٢، مادة «نبه» وذكر الفيروز آبادي في قاموسه: ج٤، ص٢٩٣، النُبه ـ بالضم ـ: الفطنة والقيام من النوم.

٢ ـ الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

٣ ـ بحار الأنوار ج٦١، ص٨٤ ـ ٨٥، ح٤٢. وفيه «بالنفوس الفلكية».

٤ ـ الأعراف: ذيل الآية ١٢.



قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: من المنزلة الّتي أنت عليها في السّماء، وزمرة الملائكة.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود من الخير والكرامة، وقد سبق في معنى الرّجيم حديث في الإستعاذة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾: فإنّه منتهى أمد اللّعن.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾: فأمهلني.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أراد أن يجد فسحة في الإغواء ونجاة من الموت، وقد سبق في سببه حديث في سورة الأعراف(١).

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: في العلل: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عنه فقال: يوم الوقت المعلوم: يوم ينفخ في الصّور نفخة واحدة فيموت إبليس مابين النّفخة الأُولى والثّانية(٢).

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه سئل عنه؟ فقال: اتحسب أنّه يوم يبعث فيه النّاس إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتّى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول : يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه فذلك يوم الوقت المعلوم(٣).

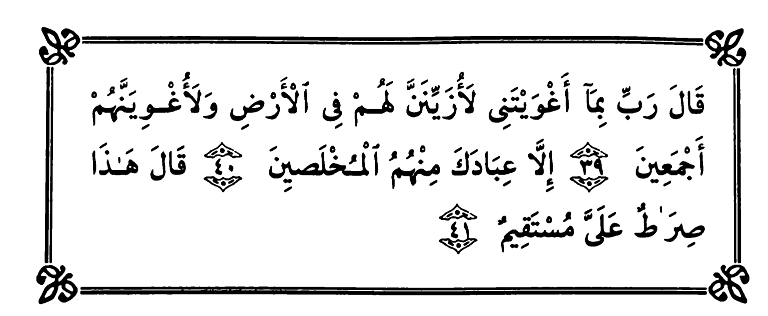
والقمّي: عنه عليه السلام قال: «يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصّخرة

---

١ ـ الأعراف: ذيل الآية ١٤.

٢ ـ علل الشرائع: ص٤٠٢، ح٢، س١٣، باب ١٤٢ ـ علّة وجوب الحج والطواف بالبيت وجميع المناسك.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٢، ح١٤.



الّتي في بيت المقدس(١).

أقول: يعني عند(٢) الرجّعة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: بسبب إغوائك إيّاي، وهو تكليفه إيّاه بما وقع في الغيّ.

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾: المعاصي.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: الذّين أخلصتهم لطاعتك، وطهّرتهم من الشّوائب(٣) فلا يعمل فيهم كيدي، وقرئ بكسر اللّام أي الّذين أخلصوا نفوسهم لك.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾: أي هذا طريق حقّ عليّ أن أُراعيه.

﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لا إنحراف عنه، وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي المخلصين، وقرئ «عليّ» على وزن فعيل بالرّفع ونسبها، في المجمع: إلى الصّادق عليه السلام، ويفسّر بعلوّ الشّرف(٤).

وفي الكافي: عنه عليه السلام هذا صراط عليّ مستقيم(٥) وهذا يحتمل الإضافة أيضاً.

والعيّاشي: عن السّجاد عليه السلام هو أمير المؤمنين عليه السلام(٦).

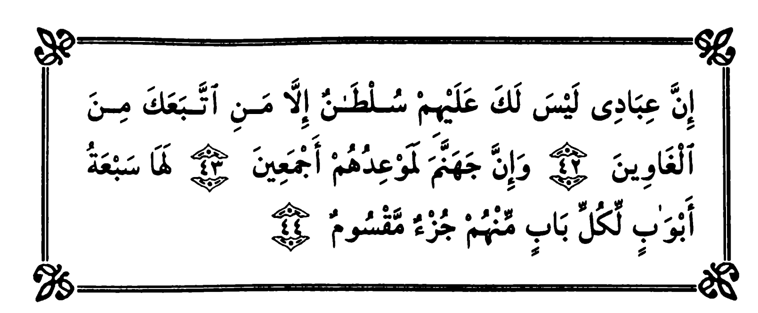
---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٤٥، س٦. ٢ ـ وفي نسخة: [في الرجعة].

٣ ـ الشوائب: الأقذار والأدناس. مجمع البحرين: ج٢، ص٩٣، مادة «شوب» وذكر مثله الفيروز آبادي في قاموسه: ج١، ص٩٠، مادة «شوب». ٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٣٦، في القراءة.

٥ ـ الكافي: ج١، ص٤٢٤، ح٦٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٢، ح١٥.



﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: بيان لما أجمله. العيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن تفسيره؟ فقال: قال الله: إنّك لا تملك أن تدخلهم جنّة ولا ناراً[1].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام والله ما أراد بهذا إلّا الأئمّة، وشيعتهم[2].

والعيّاشي: عنه عليه السلام ما في معناه[3].

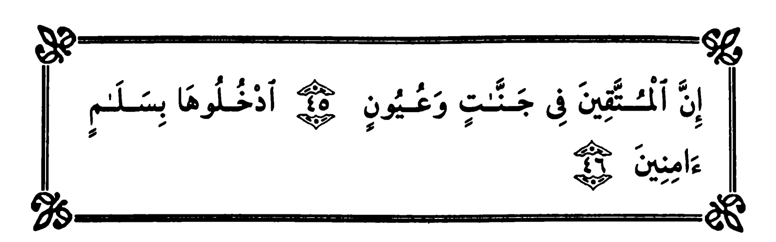
﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لموعد الغاوين المتّبعين. القمّي: عن الباقر عليه السلام وقوفهم على الصّراط[4].

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾: القمّي: قال: يدخل في كلّ باب أهل ملّة[5].

وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام، إنّ للنّار سبعة أبواب: باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون والكفّار ومن لم يؤمن بالله طرفة عين، وباب يدخل منه بنو أُميّة، هو لهم خاصّة لا يزاحمهم فيه أحد، وهو باب لظى، وهو باب سعير، وهو باب الهاوية، يهوي بهم سبعين خريفاً[6]، فكلّما هوى بهم سبعين خريفاً

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٢، ح١٦.
٢ ـ الكافي: ج٨، ص٣٥، س١٩، ح٦.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٢، ح١٧.
٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٦، س٦.
٥ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٧٦، س٥.
٦ ـ ذكر الصدوق رحمه الله في كتابه معاني الأخبار: ص٢٢٦ في معنى الخريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عبداً يمكث في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة. وذكر الطريحي في مجمع البحرين: ج٥، ص٤٣ في بعض ⇐



فار بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً، ثمّ هوى بهم هكذا سبعين خريفاً، فلا يزالون هكذا أبداً خالدين مخلّدين وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا وأنّه لأعظم الأبواب وأشدها حراً، ثمّ قال: والباب الذي يدخل منه بنو أُميّة هو لأبي سفيان، ومعاوية، وآل مروان خاصّة، يدخلون من ذلك الباب فتحطِمهم النّار فيه حطماً، لا يسمع لهم واعية[١]، ولا يحيون فيها ولا يموتون[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: سبعة أبواب للنّار مطابقات[٣].

وفي المجمع: عنه عليه السلام إن جهنّم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض ووضع إحدى يديه على الأُخرى فقال: هكذا وإنّ الله وضع الجنان على العرض، وضع النّيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنّم، وفوقها لظّى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السّعير، وفوقها الهاوية، وقال: وفي رواية أسفلها الهاوية وأعلاها جهنّم[٤].

والقمّي: سبع درجات، ثمّ ذكر تفصيلها مبسوطاً بنحو آخر ولم يذكر أصحابها[٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾: على إرادة القول.

⇐ الروايات قلت ما الخريف جعلت فداك؟ قال: زاوية في الجنة يسير الراكب فيها أربعين عاماً والمراد من قوله عليه السلام بأربعين خريفاً: أربعون سنة لأنّ الخريف لا يكون في السنة إلّا مرة واحدة فإذا إنقضى أربعون خريفاً فقد مضت أربعون سنة وفي مواضع من كتب الحديث: الخريف: ألف عام والعام ألف سنة. والجميع محتمل.

١ ـ الواعية: الصراخ على الميت: مجمع البحرين: ج١، ص٤٤٤، مادة «وعا».

٢ ـ الخصال: ص٣٦١، ح٥١، باب ٧ ـ للنار سبعة أبواب باختلاف يسير.

٣ ـ الخصال: ص٥٩٧، س١٥، ح١، باب الواحد إلى الماءة.

٤ ـ مجمع البيان: ح٥ ـ ٦، ص٣٣٨، س٥.

٥ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٦، س٧.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: القمّي: العداوة[١].

﴿إِخْوَٰناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾: في الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنتم والله الّذين قال الله: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم» الآية[٣].

وفي رواية: والله ما اراد بهذا غيركم[٤].

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب وعناء.

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾: فإنّ تمام النّعمة بالخلود.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾: فارجوا رحمتي وخافوا عذابي.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰماً﴾: نسلم عليك سلاماً.

﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائفون وذلك لأنّهم امتنعوا عن الأكل كما سبق في سورة هود[٥].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٧، س ٦.
٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢١٤ ـ ٢١٥، ح ٢٦٠.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤٤، ح ٢٣.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤٤، ح ٢٢. وفيه «ما عن غيركم».
٥ ـ هود: ذيل الآية ٧٠.

قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَـٰكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام الغلام العليم: هو إسماعيل من هاجر[١].

وعن الصّادق عليه السلام: فمكث إبراهيم عليه السلام بعد البشارة ثلاث سنين، ثمّ جاءته البشارة من الله بإسماعيل مرّة بعد أُخرى بعد ثلاث سنين[٢].

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾: تعجب من أن يولد له مع مسّ الكِبر إيّاه.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: فإنّه لا يتصّور وقوعه عادةً[٣].

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَـٰكَ بِالْحَقِّ﴾: بما يكون لا محالة يقيناً.

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾: من الآيسين من ذلك فإنّه تعالى قادر عليه فإنّه كما يفعل بالأسباب الجليّة يفعل بالأسباب الخفّية.

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: أي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله، وكمال قدرته، وقرئ يقنط بكسر النّون.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: بعد البشارة.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٢٦، س ١١. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤٤، ح ٢٥.
٣ ـ وفي نسخة: [فإنه ممّا لا يتصور وقوعه عادة].

﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: يعني قوم لوط إنّهم كانوا قوماً فاسقين، لننذرهم عذاب ربّ العالمين، كذا في العلل[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام[٢].

وفي العلل: عنه عليه السلام قال: ولم يزل لوط وإبراهيم عليهما السلام يتوقّعان نزول العذاب على قوم لوط، وكانت لإبراهيم عليه السلام ولوط منزلة من الله عزّوجلّ شريفة، وأنّ الله عزّوجلّ كان إذا أراد عذاب قوم لوط أدركته مودّة إبراهيم عليه السلام وخلّته ومحبّة لوط فيراقبهم فيؤخّر عذابهم، قال: فلّما اشتدّ أسف[٣] الله على قوم لوط وقدّر عذابهم، وقضى أن يعوّض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلّي به مصابه بهلاك قوم لوط فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم عليه السلام يبشّرونه باسماعيل[٤] فدخلوا عليه ليلاً ففزع منهم وخاف أن يكونوا سرّاقاً، فلّما رأته الرّسل فزعاً مذعوراً: قالوا سلاماً: قال: سلام إنّا منكم وجلون، قالوا: لا توجل إنّا رسل ربّك نبشّرك بغلام عليم قال: والغلام العليم، هو اسماعيل من هاجر، فقال إبراهيم عليه السلام للرّسل: «أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ» الآيات[٥].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا قضى عذاب قوم لوط وقدّره أحبّ أن يعوّض إبراهيم عليه السلام من عذاب قوم لوط بغلام عليم يسلي به مصابه بهلاك قوم لوط[٦] الحديث كما ذُكِر.

---

١ ـ علل الشرائع: ص٥٤٩، س١٨، ح٤، باب٣٤٠ ـ علة تحريم اللواط والسحق.

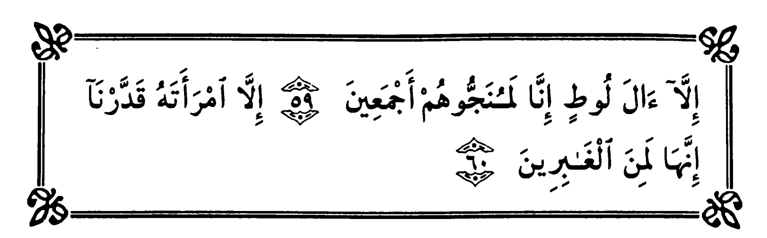
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٦، ح٢٦، س٣. وفيه «غلام حليم».

٣ ـ الأسف: الحزن، «غضبان أسفا» أي شديد الغضب متلهفاً على ما أصابه. مجمع البحرين: ج٥، ص٢٣، مادة «أسف».

٤ ـ ذعرته ذعراً من باب ـ نفع ـ: أفزعته والإسم الذُعر ـ بالضم ـ وقد ذعر فهو مذعور. مجمع البحرين: ج٣، ص٣٠٨، مادة «ذعر».

٥ ـ علل الشرائع: ص٥٤٩، س٧، ح٤، باب ٣٤٠ ـ علة تحريم اللواط والسحق.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٥٢، ح٤٤.



﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾: وقرئ بالتّخفيف.

﴿أَجْمَعِينَ * إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَآ﴾: وقرئ بالتّخفيف.

﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: الباقين مع الكفرة لتهلك معهم.

العيّاشي[1]: عن الصّادق عليه السلام يا ويح[2] القدريّة[3] إنّما يقرؤون هذه الآية «إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ»، ويحهم من قدّرها إلّا الله تبارك وتعالى[4].

---

١ ـ قوله والعيّاشي الخ... أورده في سورة الأعراف وليس هناك «قدرنا». منه قدّس سرّه.

٢ ـ ويح: كلمة ترحم وتوجع لمن وقع في هلكة، وقد يقال للمدح والتعجب، ومنه «ويح ابن عباس» كأنّه أعجب بقوله. مجمع البحرين: ج ٢، ص٤٢٥، مادة «ويح».

٣ ـ القدرية قوم يجحدون القدر، مُوَلّدة. التهذيب: والقدرية: قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدّر الله من الأشياء، وقال بعض متكلمهم: لا يلزمنا هذا اللقب لأنّا ننفي القدر عن الله عزّوجلّ، ومن أثبته فهو أولى به، قال: وهذا تمويه منهم لأنّهم يثبتون القدر لأنفسهم ولذلك سموا. لسان العرب: ج ١١، ص٥٦، مادة «قدر».

وفي سفينة البحار: ج٧، ص٢٣٧، نقلاً عن شارح المقاصد: لا خلاف في ذم القدريّة، وقد ورد في صحاح الأحاديث «لعن الله القدريّة على لسان سبعين نبيّاً» والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيّته، سموا بذلك لمبالغتهم في نفيه.

وقالت المعتزلة: القدرية هم القائلون بأن الخير والشر كله من الله وبتقديره ومشيّته لأنّ الشايع نسبة الشخص إلى ما يثبته. ويقول كالجبريّة والحنفيّة والشافعيّة لا إلى ما ينفيه، وردّ بأنّه صح من النبي صلى الله عليه وآله قوله: «القدريّة مجوس أُمتي» وقوله: «إذا قامت القيامة نادى مناد أهل الجمع: أين خصماء الله؟ فتقوم القدريّة» ولا خفاء في أن المجوس هم الذين ينسبون الخير إلى الله والشر إلى الشيطان ويسمّونها يزدان، وأهرمن، وإن من لا يفوّض الأمور كلها إلى الله تعالى ويفرز بعضها فينسبه إلى نفسه يكون هو المخاصم لله تعالى، وأيضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدّعي كونه الفاعل والمقدّر أولى باسم القدريّ ممّن يضيفه إلى ربه، إنتهى.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٣، ح٥٧، والآية فيها هكذا «إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ» النمل: ٥٧.

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشرّ.

﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾. من عذاب الله.

﴿وَأَتَيْنَـٰكَ بِالْحَقِّ﴾: لتنذر قومك بالعذاب.

﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ * فَأَسْرِ﴾: سر ليلاً.

﴿بِأَهْلِكَ﴾: يالوط.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: إذا مضى نصف اللّيل.

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ﴾: وكن على أثرهم لتكون عيناً عليهم فلا يتخلّف أحد منهم.

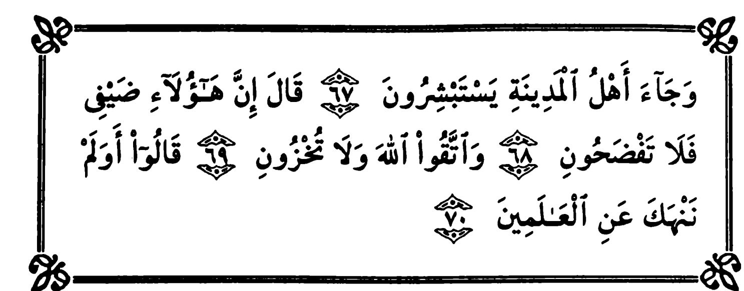
﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: إلى ما ورائه.

﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيث أُمرتم بالذّهاب إليه.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: إلى لوط.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾: مبهم يفسره ما بعده.

﴿أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: آخرهم.


وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

﴿مَقْطُوعٌ﴾: يعني يستأصلون عن آخرهم حتّى لا يبق منهم أحد[١].

﴿مُّصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصّباح[٢].

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: مدينة سدوم[٣].

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بأضياف لوط طمعاً فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾: بفضيحة ضيفي فإنّ من أسى إلى ضيفه فقد أسى إليه.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في ركوب الفاحشة.

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ولا تذلّوني من الخزي بمعنى الهوان أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء.

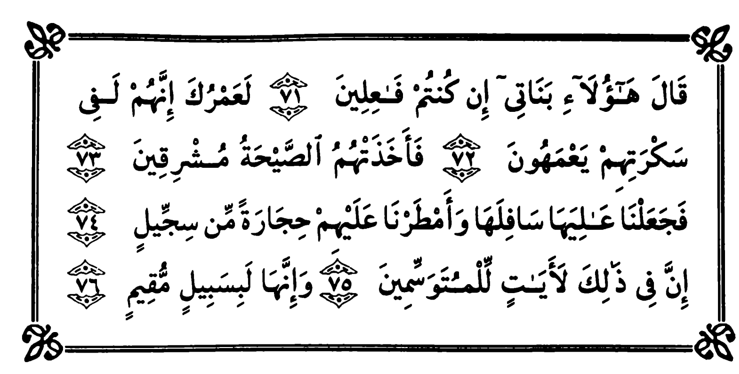
﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: قد سبق عن الباقر عليه السلام: إنّ المراد به النّهي عن ضيافة النّاس وإنزالهم[٤].

---

١ ـ وفي نسخة: [لا يبق أحد منهم]. ٢ ـ وفي نسخة: [في الصبح].

٣ ـ سدوم فعول من السدم، قال أبو منصور: مدينة من مدائن قوم لوط، كان قاضيها يقال له سدوم، وقال أبو حاتم في كتاب المزال والمفسد: إنّما هو سدوم، بالذال المعجمة قال: والدال خطأ، قال الأزهري: وهو الصحيح وهو أعجمي، وقال الشاعر: كذلك قوم لوط حين أضحوا كعصف في سدو مهم رميم
وهذا يدل على أنه إسم البلد لا إسم القاضي، إلّا أن قاضيها يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم. وذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سدوم هي سرمين بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم، وكان من جوره أنّه حكم على أنّه إذا أرتكبوا الفاحشة من أحد أخذ منه أربعة دراهم. معجم البلدان: ج٣، ص ٢٠٠.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٣٥.



﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾: قد سبق تفسيره[١].

﴿لَعَمۡرُكَ﴾: القمّي: أي وحياتك يا محمّد قال: فهذه فضيلة لرسول الله ﷺ على الأنبياء[٢].

﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: لفي غوايتهم الّتي أزالت عقولهم يتحيّرون فكيف يسمعون النّصح.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: صيحة جبرئيل.

﴿مُشۡرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شروق الشّمس.

﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾: عالي قريتهم.

﴿سَافِلَهَا﴾: وصارت منقلبةً بهم.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرّسين الّذين يتثبّتون في نظرهم حتّى يعرفوا حقيقة الشّيء بسمته.

﴿وَإِنَّهَا﴾: قيل: وإنّ آثارها[٣].

---

١ ـ ذيل الآيات: ٧٧ ـ ٨٠ من سورة هود، راجع تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٣٥.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٧، س ١٠.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٤٥، س ١٥.

﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه النّاس ولم يندرس بعدوهم يبصرون تلك الآثـار، وهو تنبيه لقريش كقوله: «وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ»[١].

وفي المجمع: قد صّح عن النّبي ﷺ أنّه قال: إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بـنور الله[٢] وقال: إنّ لله عباداً يعرفون النّاس بالتوسّم، ثم قرأ هذه الآية[٣].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: قال: أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تـعالى: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ» كـان رسـول الله ﷺ المـتوسّم، وأنـا مـن بـعده، والأئمّـة مـن ذرّيّـتي المتوسّمون[٤].

وفيه[٥]، والعيّاشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: هم الأئمّة، قال رسول الله ﷺ: اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله في هذه الآية[٦].

وعن الصّادق : أنّه سئل عـن هـذه الآيـة فـقال: نحـن المـتوسّمون، والسّـبيل فـينا مقيم[٧].

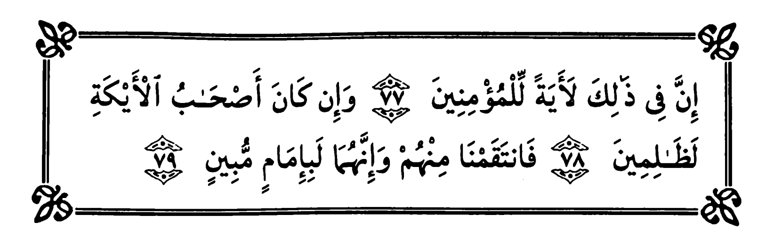
وزاد القمّي والسّبيل: طريق الجنّة[٨].

وعنه عليه السلام: «وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ» قال: لا يخرج منّا أبداً[٩].

وفي البصائر: عن الباقر عليه السلام ليس مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم، وليس محجوباً عن الأئمة عليهم السلام من آل محمّد صلوات الله عليهم، ثم ليس يدخل

---

١ ـ الصافات: ١٣٧.
٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٤٣، س١٣.
٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٤٣، س١٤.
٤ ـ الكافي: ج١، ص٢١٨ ـ ٢١٩، ح٥، باب إنّ المتوسمين الذين ذكـرهم الله تـعالى في كـتابه هـم الأئمّـة عليهم السلام والسبيل فيهم مقيم.
٥ ـ الكافي: ج١، ص٢١٨، ح٣، باب إن المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة عليهم السلام والسبيل فيهم مقيم.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٧، ح٢٨.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٧، ح٢٩.
٨ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٢٧٧، س١٢.
٩ ـ الكافي: ج١، ص٢١٨، ح٤، باب أن المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة عليهم السلام والسبيل فيهم مقيم.



عليهم أحد إلّا عرفوه مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية[١].

وفي الإكمال: عن الصّادق عليه السلام إذا قام القائم عليه السلام لم يقم بين يديه أحد من خلق الرّحمان إلّا عرفه صالحٌ هو أم طالح، وفيه آيات للمتوسّمين، وهو السّبيل المقيم[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام في الإمام عليه السلام آية للمتوسّمين، وهو السّبيل المقيم، ينظر بنور الله، وينطق عن الله لا يعزب[٣] عنه شيء ممّا أراد[٤].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَإِن كَانَ﴾: وإنّه كان.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: يعني الغيضة، وهي الشّجرة المتكاثفة.

﴿لَظَٰلِمِينَ﴾: هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعث الله إليهم فكذّبوه فأُهلكوا بالظّلّة[٥].

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: بالإهلاك.

﴿وَإِنَّهُمَا﴾: يعني سدوم والأيكة.

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٣٧٤، ح١، باب ١٧ ـ الأئمة عليهم السلام إنهم المتوسمون في الأرض وهم الذين ذكر الله في كتابه يعرفون الناس بسياهم. باختلاف يسير في بعض ألفاظه.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٦٧١، ح٢٠، باب ٥٨ ـ نوادر الكتاب.

٣ ـ عزب الشيء من باب ـ قعد ـ: بَعُدَ عني وغاب، وعزب من بابي ـ قتل وضرب ـ غاب وخفي. مجمع البحرين: ج٢، ص١٢٠، مادة «عزب».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٨، ح٣١.

٥ ـ قيل لما كذبوا شعيباً أصابهم غيم وحر شديد فرفعت لهم سحابة، فخرجوا يستظلّون بها فسالت عليهم فأهلكتهم. مجمع البحرين: ج٥، ص٤١٥، مادة «ظلل» وذكر الفيروز آبادي في قاموس المحيط: ج٤، ص١٠، وعذاب يوم الظله: قالوا: غيم تحته سموم، أو سحابة أظلّتهم فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأُطبقت عليهم.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبطريق واضح يؤمّ ويتّبع ويهتدي.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: يعني ثمود كذّبوا صالحاً، والحجر واديهم وهو ما بين المدينة والشّام وكانوا يسكنونها.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: كالنّاقة وسقياها وشربها ودرّها.

﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾: من الإنهدام ونقب اللّصوص، وتخريب الأعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: من بناء البيوت الوثيقة وإستكثار الأموال والعدد.

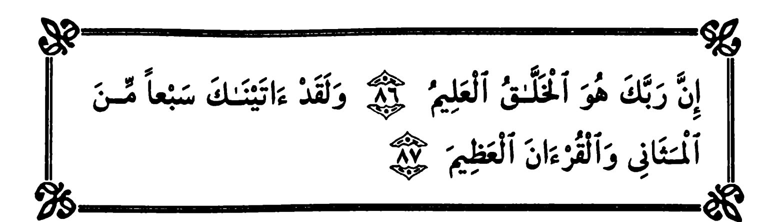
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: فلا يلائم إستمرار الفساد، ودوام الشّرّ فلذلك إقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء، وإزاحة فسادهم من الأرض.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾: فينتقم الله لك فيها ممّن يكذّبك.

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾: في العيون: عن الرّضا عليه السلام يعني العفو من غير عتاب[1].

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٩٤، ح٥٠، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.



﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ﴾: الّذي خلقك وخلقهم، وبيده أمرك وأمرهم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالك وحالهم، فهو حقيق بأن تكل إليه ليحكم بينكم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَـثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾: المثاني من التـثنية أو الثّناء، في العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرّحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله تعالى قال لي: يا محمّد «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَـثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ» فأفرد الإمتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: هي سورة الحمد، وهي سبع آيات، منها بسم الله الرحمن الرّحيم، إنّما سمّيت المثاني لأنّها تثني في الرّكعتين[٢].

وعن أحدهما: عليهما السلام إنّه سئل عنها فقال: فاتحة الكتاب يثنى فيها القول[٣].

وكذا في المجالس: عن السّجاد عليه السلام[٤].

وفي المجمع: عن عليّ والباقر والصّادق عليهم السلام[٥]، والقمّي: إنّها الفاتحة[٦].

وفي الكافي: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أُعطيت السّور الطّوال مكان التّوراة، وأُعطيت المئين مكان الانجيل، وأُعطيت المثاني مكان الزّبور[٧].

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٣٠٢، ح٦٠، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج١، ص١٩، ح٣.

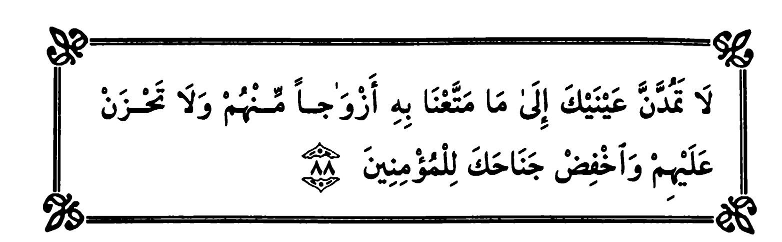
٣ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٤٩، ح٣٤.

٤ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٤٨، ح٢، المجلس: ٣٣.

٥ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص٣٤٤. س٢٨.

٦ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٧، س١٤.

٧ـ الكافي: ج٢، ص٦٠١، ح١٠، باب فضل القرآن.



وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل زاد الله محمّداً صلى الله عليه وآله السّبع الطّول، وفاتحة الكتاب، وهي السّبع المثاني، والقرآن العظيم[1].

وفي التّوحيد[2]، والعيّاشي[3]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام نحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا[4].

قال الصّدوق طاب ثراه قوله: «نحن المثاني» أي نحن الّذين قرننا النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى القرآن وأوصى بالتّمسك بالقرآن وبنا، وأخبر اُمّته إنّا لا نفترق حتّى نرد عليه حوضه[5].

أقول: لعلهم عليهم السلام إنّما عدّوا سبعاً باعتبار أسمائهم فإنّها سبعة، وعلى هذا فيجوز أن يجعل المثاني من الثّناء، وأن يجعل من التّثنية باعتبار تثنيتهم مع القرآن، وأن يجعل كناية عن عددهم الأربعة عشر بأن يجعل نفسه واحداً منهم بالتّغاير الإعتباريّ بين المعطي والمعطى له.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لا تطمح ببصرك طموح راغب.

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفّار فإنّه مستحقر في جنب ما اُوتيته.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: إن لم يؤمنوا فيتقوّى بهم الإسلام وأهله.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وتواضع لمن معك من المؤمنين وارفق بهم وطب

---

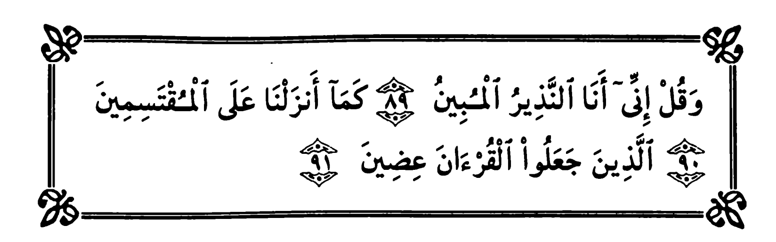
١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢٠، س ١٣، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود ممن قرأ الصحف.

٢ ـ التّوحيد: ص ١٥٠، ح ٦، باب ١٢ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ «كُل شيءٍ هَالكٌ إلّا وَجْهه».

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠، ح ٣٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٧، س ١٦.

٥ ـ التّوحيد: ص ١٥١.



نفساً عن إيمان الأغنياء والأقرباء[١].

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اُوتي القرآن فظنّ إنّ أحداً من النّاس اُوتي أفضل ممّا اُوتي فقد عظم ما حقّر الله، وحقّر ما عظمّ الله[٢].

والقمّي: عنه عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية: «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ» قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يتعزّ بعزاء الله[٣] تقطّعت نفسه على الدّنيا حسرات، ومن رمي ببصره ما في يدي غيره كثر همّه، ولم يشف غيظه، ومن لم يعلم أنّ لله عليه نعمة إلّا في مطعم او ملبس فقد قصر عمله ودنا عذابه، ومن أصبح على الدّنيا حزيناً أصبح على الله ساخطاً، ومن شكا مصيبة نزلت به فإنّما يشكو ربّه، ومن دخل النّار من هذه الاُمّة ممّن قرأ القرآن فهو ممّن يتّخذ آيات الله هزُواً، ومن أتى ذا ميسرة فيخشع له طلب ما في يديه ذهب ثلثا دينه[٤].

وفي المجمع: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينظر إلى ما يستحسنُ من الدّنيا[٥].

﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾: اُنذركم ببيان وبرهان إنّ عذاب الله نازل بكم إنّ لم تؤمنوا واُبيّن لكم ما تحتاجون إليه وما أرسلت به إليكم.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾: قيل: أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على اليهود والنّصارى: «ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ» أجزاء وأعضاء، وقالوا

---

١ ـ وفي نسخة: [الأقوياء].

٢ ـ الكافي: ج٢، ص٦٠٤، ح٥، باب فضل حمل القرآن.

٣ ـ العزاء ممدوداً ـ: الصبر، يقال: عزي يعزي من باب ـ تعب ـ: صبر على ما نابه، وأراد بالتعزي بعزاء الله: الصبر والتسلي عند المصيبة، ومعنى بعزاء الله: أي بتعزية الله إيّاه فأقام الاسم مقام المصدر: مجمع البحرين: ج١، ص٢٩٠. مادة «عزاء».

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨١، س٨.

٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٤٥، س١٧.

فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

لعنادهم: بعضه حقّ موافق للتّوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما، فاقتسموه إلى حقّ وباطل(١).

وقيل: مثل العذاب الّذي أنزلنا عليهم(٢).

والقمّي: قال: قسموا القرآن ولم يؤلّفوه على ما أنزله الله(٣).

والعيّاشي: عنهما عليهما السلام إنّهما سئلا عن هذه الآية فقالا: هم قريش(٤).

وعن أحدهما عليهما السلام: في الّذين أبرزوا القرآن عضين قالوا: هم قريش(٥).

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم عليه.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهر به وأظهره. العيّاشي: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا»(٦) قال: نسختها: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ»(٧).

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: فلا تلتفت إلى ما يقولون.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾: بقمعهم وإهلاكهم.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمرهم في

---

١ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٧٢، س ١٠.
٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٧٢، س ١٣.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٧، س ١٨.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٢، ح ٤٤.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥١، ح ٤٣.
٦ ـ الاسراء: ١١٠.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٢، ح ٤٥.

الدّارين، في الإكمال: عن الصّادق عليه السلام إكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله مختفياً خائفاً خمس سنين ليس[1] يظهر أمره وعلي عليه السلام معه وخديجة، ثم أمره الله أن يصدع بما أُمر فظهر فأظهر أمره، قال: وفي خبر آخر ثلاث سنين[2].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: إكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة سنين ليس يظهر، وعليّ عليه السلام معه وخديجة، ثم أمره الله أن يصدع بما يؤمر، فظهر فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب فإذا أتاهم قالوا كذّاب إمض عنّا[3].

والقمّي: نزلت بمكّة بعد أن نبئ رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث سنين وذكر الحديث بأبسط ممّا في الإكمال: قال: وكان المستهزؤون برسول الله صلى الله عليه وآله خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطّلب، والأسود بن عبديغوث، والحرث بن طلاطلة الخزاعي[4].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: كان المستهزؤون خمسة من قريش، وذكر هؤلاء، ثم قال: فلمّا قال الله: «إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ» علم رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه قد أخزاهم فأماتهم الله بشرّ ميتات[5].

وفي الإحتجاج: عن الصّادق، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام في حديث فأمّا المستهزؤن فقال الله عزّ وجلّ: «إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ» فقتل الله خمستهم كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد، فأمّا الوليد بن المغيرة فمر بنبل لرجل من خزاعة قد راشه[6] ووضعه في الطّريق فأصابه شظية منه[7] فقطع أكحله[8][9] حتّى أدماه فمات، وهو

---

١ ـ وفي نسخة: [لم يظهر أمره] وهذا هو الأصح.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٣٤٤، ح٢٨، باب ٣٣ ماروي عن الصّادق عليه السلام من النص على القائم وذكر غيبته. وفيه: «فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وأظهر أمره. وفي خبر آخر أنه عليه السلام كان مختفياً بمكة ثلاث سنين».

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٥٣، ح٤٧

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٧٨، س١.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٥٢، ح٤٦

٦ ـ راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش. القاموس المحيط: ج٢، ص٢٧٦.

٧ ـ الشظية: القوس وعظم الساق، وكل فلقة من شيء. والجمع شظايا والشظي عُظَيمٌ لازقٌ بالركبة أو بالذراع. القاموس المحيط: ج٤، ص٣٤٨، مادة «شظى».

٨ ـ وفي نسخة: [فإنقطع أكحله] كما في المصدر.

٩ ـ الأكحل: عرق في اليد أو هو عرق الحياة. القاموس المحيط: ج٤، ص٤٤ مادة «كحل».

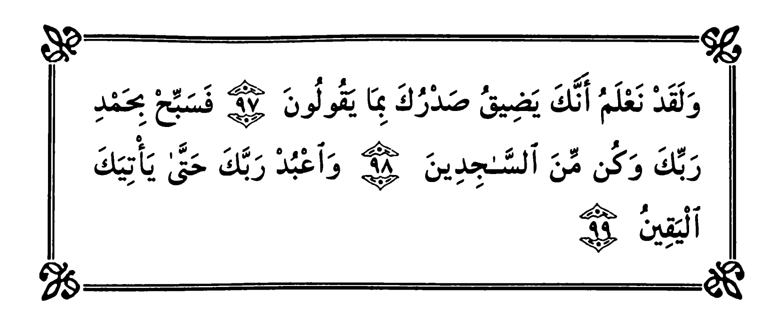
يقول: قتلني ربّ محمّد، وأمّا العاص بن وائل السّهمي: فإنّه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده تحته حجر فسقط فتقطّع قطعة قطعة فمات، وهو يقول: قتلني ربّ محمّد، وأمّا الأسود بن عبد يغوث: فإنّه خرج يستقبل إبنه زمعة فاستظلّ بشجرة فأتاه جبرئيل فأخذ رأسه فنطح به الشجرة، فقال لغلامه: إمنع هذا عنّي فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلّا نفسك فقتله، وهو يقول: قتلني ربّ محمّد، وأمّا الأسود بن المطلب: فإنّ النّبي صلى الله عليه وآله دعا عليه أن يعمى بصره وأن يثكله ولده فلمّا كان في ذلك اليوم خرج حتّى صار إلى موضع فأتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي، وبقي حتّى أثكله الله ولده، وأمّا الحرث بن الطلاطلة: فإنّه خرج من بيته في السّموم فتحوّل حبشيّاً فرجع إلى أهله فقال: أنا الحرث فغضبوا عليه فقتلوه، وهو يقول: قتلني ربّ محمّد[1] قال: وروي أنّ الأسود بن عبد يغوث أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتّى إنشقّت بطنه فمات، وهو يقول: قتلني ربّ محمّد، كلّ ذلك في ساعة واحدة، وذلك أنّهم كانوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا محمّد: ننتظر بك إلى الظّهر فإن رجعت عن قولك وإلّا قتلناك فدخل النّبي صلى الله عليه وآله منزله فأغلق عليه بابه مغتّماً لقولهم: فأتاه جبرئيل عليه السلام عن الله من ساعته، فقال: يا محمّد السّلام يقرأ عليك السّلام، وهو يقول: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ» يعني أظهر أمرك لأهل مكّة وأدعهم إلى الإيمان قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني، قال له: «إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ» قال: يا جبرئيل كانوا السّاعة بين يدي قال: قد كفيتهم فأظهر أمره عند ذلك[2].

والقمّي: بعد ما ذكر المستهزئين وكيفية كفايتهم قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش: يا معشر العرب: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، وإنّي رسول الله آمركم بخلع الأنداد والأصنام فأجيبوني تملكوا به العرب، وتدين لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة، فاستهزؤوا منه، وقالوا: جنّ محمّد بن عبدالله، ولم يجسروا عليه

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممّن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وكثير من فضائله. وفيه «وأما الحرث بن أبي الطلالة».

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢٢، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممّن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وكثير من فضائله.



لموضع أبي طالب[١].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾: من تكذيبك، والطّعن فيك، وفي القرآن، وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام يعني فيما يذكره في فضل وصيّه[٢].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾: فافزع إلى الله فيما نابك[٣] بالتّسبيح والتّحميد والصّلاة يكفِك الهمّ ويكشف عنك الغمّ، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام عليك بالصّبر في جميع أُمورك فإنّ الله عزّوجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق فصبر حتّى نالوه بالعظائم ورموه بها فضاق صدره فأنزل الله عزّوجلّ: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ» الآية[٤].

وفي المجمع: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أحزنه أمر فزع إلى الصّلاة[٥].

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾: ودم على عبادة ربّك حتّى يأتيك الموت، يعني ما دمت حيّاً، وفضل قراءة هذه السّورة سبق في آخر سورة إبراهيم عليه السلام[٦].

❊ ❊ ❊

---

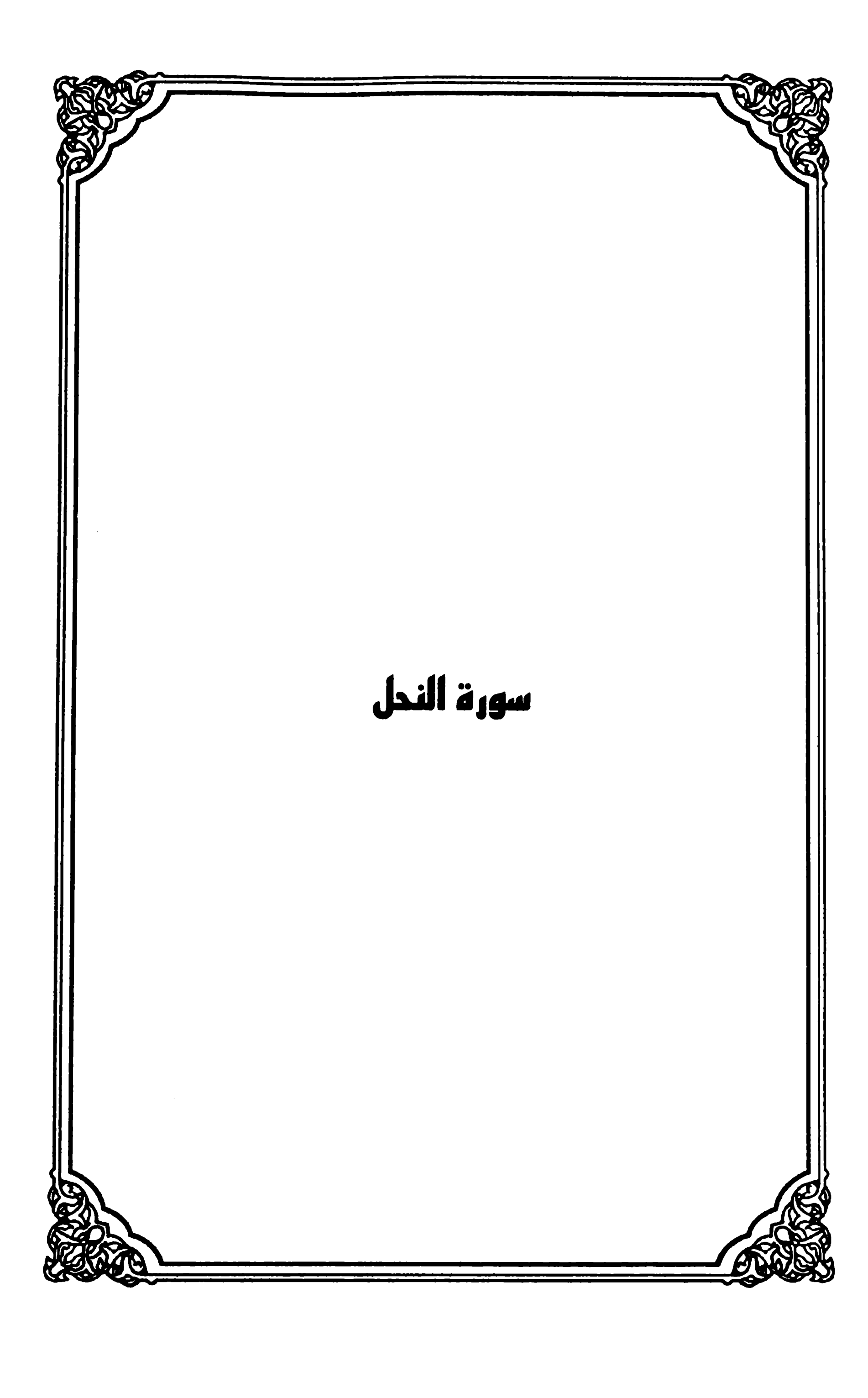
١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٧٩، س ١٠.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٩٤، س ٣، ح ٣، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ النائبة: ما ينوب الإنسان، أي تنزل به من المهمات والحوادث. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٧٧، مادة «نوب».

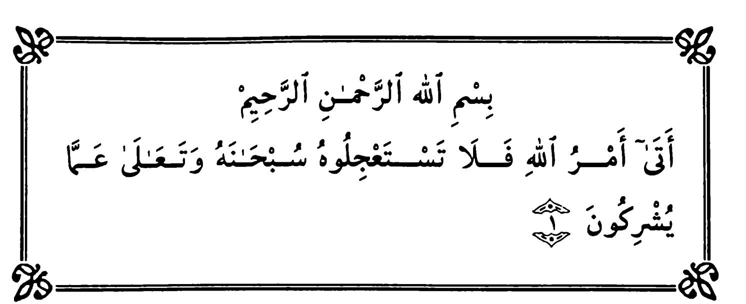
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٨٨، س ٣، ح ٣، باب الصبر. ٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣٤٧، س ١٢.

٦ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٧، ثواب من قرأ سورة إبراهيم والحجر.



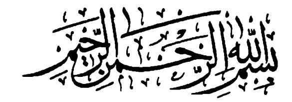
سورة النحل

[illegible] قاسم



سورة النّحل: أربعون آية من أوّلها مكّية والباقي من قوله: «وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى الله»[1] إلى آخر السورة مدنيّة.

وقيل مكّية كلّها غير ثلاث آيات: «وَإِنْ عَاقَبْتُم»[2]، إلى آخر السّورة، عدد آيها مأة وثمان وعشرون آية.



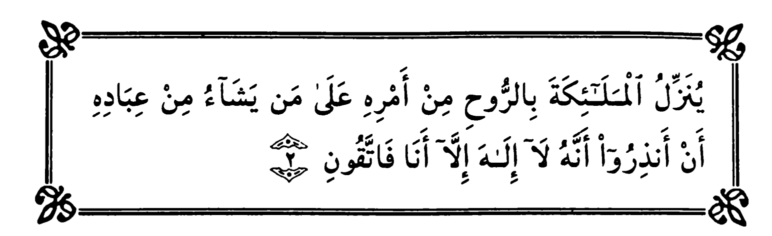
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: قيل: كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرّسول ﷺ من قيام السّاعة، وإهلاك الله إيّاهم كما فعل يوم بدر استهزاءاً وتكذيباً، ويقولون: إنّ صّح ما تقوله: فالأصنام تشفع لنا، وتخلّصنا منه فنزلت، والمعنى إنّ الأمر المـوعود بـه بمـنزلة الآتي المتحقّق من حيث أنّه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فإنّه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه[3].

القمّي: قال: نزلت لمّا سألت قريش رسول الله ﷺ أن ينزّل عليهم العذاب، فأنزل الله:

---

١ ـ النحل: ٤١ـ ١٢٨. ٢ ـ النحل: ١٢٧ ـ ١٢٨.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص٥٤٨، س٤.



«أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ»[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إذا أخبر الله إنّ شيئاً كائن فكأنه قد كان[٢].

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تبرأ وجلّ أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم، وقرئ بالتّاء.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾: بما يحيى به القلوب الميّتة بالجهل من الوحي والقرآن، القمّي يعني بالقوّة الّتي جعلها الله فيهم[٣].

وعن الباقر عليه السلام: يقول: بالكتاب، والنّبوة[٤]، وقرئ ينزل من أنزل وينزل على المبني للمفعول والتّشديد.

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: من ملكوته.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾: في البصائر: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال جبرئيل: الّذي نزل على الأنبياء والرّوح يكون معهم، ومع الأوصياء لا يفارقهم يفقّههم ويسدّدهم من عند الله الحديث[٥].

ويأتي كلام آخر في الرّوح في سورة بني إسرائيل إن شاء الله وقد سبق تمام تحقيقه في سورة الحجر[٦].

﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾: بأن اعلموا، من أنذرت بكذا إذا أعلمته.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٢، س ٤.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٤، ح ٢.
٣ ـ تفسير القمّي ج ١، ص ٣٨٢، س ٦.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٢، س ٨.
٥ ـ بصائر الدرجات: ص ٤٨٣، ح ١، باب ١٩ ـ الروح التي قال الله عزّوجلّ تنزل الملائكة بالروح من أمره وهي تكون مع الأنبياء والأوصياء.
٦ ـ الحجر ذيل الاية: ٢٩.

خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: القمّي: قال: خلقه من قطرة ماءٍ منتن فيكون خصيماً متكلّماً بليغاً[1].

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ﴾: الأزواج الثّمانية.

﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: القمّي: ماتستـدفئون به ممّا يتّخذ من صوفها ووبرها[2].

﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾: نسلها ودرّها وظهورها وإثارة الأرض وما يعوّض بها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أي تأكلون ممّا يؤكل منها كاللّحوم، والشّحوم، والألبان.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة.

﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردّونها من مراعيها إلى مراحها[3] بالعشيّ.

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها بالغداة إلى المرعى فإنّ الأفنية تتزيّن بها في الوقتين، ويجلّ[4] أهلها في أعين النّاظرين إليها، وتقديم الاراحة لأنّ الجمال فيها أظهر فإنّها تقبل ملئ البطون حافلة[5] الضّروع، ثم تأوى إلى الحظائر[6] حاضرة لأهلها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٢، س ٩.
٢ ـ نفس المصدر السابق.
٣ ـ المراح ـ بالضم ـ: مأوى الماشية بالليل. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٦٢، مادة «روح».
٤ ـ جل فلان يجلّ ـ بالكسر ـ جلالة: أي عظم قدره. فهو جليل. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٣٩، مادة «جلل».
٥ ـ حفل الماء واللبن يحفل حفلاً: إجتمع، وضرع حافل: كثير لبنه. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٥٨، مادة «حفل».
٦ ـ الحظيرة: هي التي تعمل للإبل من شجر تقيها البرد والحر. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٧٣، مادة «حظر».

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أحمالكم.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ﴾: إن لم تكن فضلاً عن أن تحملوها على ظهوركم إليه.

﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾: إلّا بكلفة ومشقّة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم بها، وسهولة الأمر عليكم.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: القمّي: قال: العجائب الّتي خلقها الله في البرّ والبحر[١].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: هداية الطّريق المستقيم الموصل إلى الحقّ ونحوه «إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ»[٢].

﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾: حائد عن القصد.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: إلى القصد.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: ومنه يكون نبات.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون مواشيكم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٢، س ١٧.
٢ ـ الليل: ١٢.

يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيستدلّون بها على عظمة خالقها وكمال قدرته وحكمته، وقرئ ننبت بالنّون.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ﴾: بأن هيّأها لمنافعكم.

﴿مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: وقرئ برفع النّجوم ومسخّرات وبرفع الشّمس والقمر إيضاً.

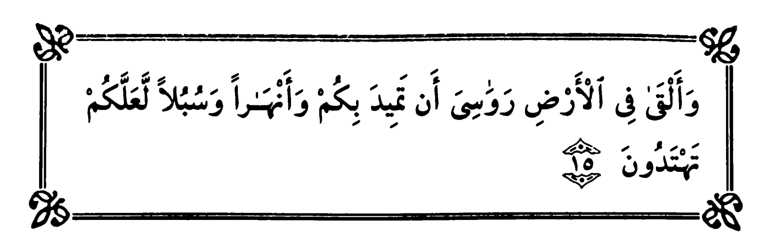
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: جمع الآيات هنا، وذكر العقل دون الفكر، لأنّ في الآثار العلوية أنواعاً من الدّلالة ظاهرة للعقلاء على عظمة الله.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وسخّر لكم ما خلق لكم في الأرض من حيوان ونبات ومعدن.

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾: أي أصنافه فإنّها تتخالف باللّون غالباً.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ﴾: لكم.

﴿ٱلْبَحْرَ﴾: ذلله بحيث تتمكّنون من الإنتفاع به بالركوب والإصطياد والغوص.



﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو السّمك.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: كاللؤلؤ والمرجان.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: السّفن.

﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواري فيه تشّقه بحيازيمها[1] من المخر وهو شقّ الماء.

وقيل: صوت جري الفلك[2].

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: من سعة رزقه بركوبها للتجارة.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي تعرفون نعمة الله فتقومون بحقّها.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن تميل بكم وتضطرب، في الخصال: عن الصّادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق البحار فخرت، وزخرت[3] وقالت: أي شيء يغلبني؟ فخلق الله الفلك فأدارها به وذلّلها، ثم إنّ الأرض فخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني فخلق الله الجبال فاثبتها في ظهرها أوتاداً منعها من أن تميد[4] بما عليها فذلّت الأرض واستقرّت[5].

---

١ ـ الحيازيم: جمع حيزوم، والحيزوم: ما استدار بالصدر والظهر والبطن، ومنه قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

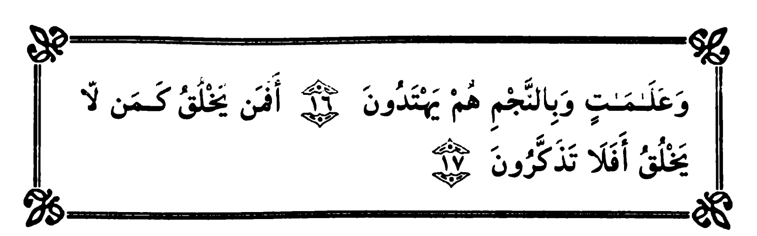
أشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت ... إذا حل بناديك

مجمع البحرين: ج ٦، ص ٤٠، مادة «حزم».

٢ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف نقلاً عن فرّاء: ج ٢، ص ٥٩٨.

٣ ـ زخر البحر ـ كمنع ـ زخر وزخوراً: مد وكثر ماؤه وارتفعت أمواجه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣١٦، مادة «زخر». ٤ ـ ماد الشيء يميد ميداً ـ من باب باع ـ وميداناً ـ بفتح الياء ـ: إذا تحرك ومادت الأغصان تمايلت. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٧، مادة «ميد». ٥ ـ الخصال: ص ٤٤٢ ح ٣٤، باب ١٠ ـ عشرة أشياء بعضها أشد من بعض.



وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله جعل الأئمة عليهم السلام أركان الأرض أن تميد بأهلها[١].

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله[٢].

﴿وَأَنْهَـٰراً﴾: وجعل فيها أنهاراً.

﴿وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم.

﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ﴾: هي معالم الطّرق، وكلّ ما يستدلّ به المارّة من جبل وسهل وغير ذلك.

﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: باللّيل في البراري، والبحار، في الكافي[٣]، والمجمع[٤]، والقمّي[٥]، والعيّاشي: في أخبار كثيرة عنهم عليهم السلام نحن العلامات، والنّجم: رسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله بالنّجم هم يهتدون، هو الجدي لأنّه نجم لا يزول وعليه بناء القبلة وبه يهتدي أهل البرّ والبحر[٧].

وعن الصّادق عليه السلام: في هذه الآية قال: ظاهر وباطن الجدي يبني عليه القبلة، وبه يهتدي أهل البرّ والبحر لأنّه لا يزول[٨].

أقول: يعني معناه الظّاهر: الجدي، والباطن: رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾: يعني الأصنام.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ١٩٧ ـ ١٩٨، ح ٢ و ٣، باب أن الأئمة هم أركان الأرض.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٠٢، ح ٣، باب ٢١ ـ العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٠٧، ح ٣، باب أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها عزوجلّ في كتابه.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣٥٤، س ١٨. ٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٣، س ٨.

٦ و ٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٦، ح ١٠ و ١٢.

٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٦، ح ١٣.

وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعرفوا فساد ذلك.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تضبطوا عددها فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها.

﴿إِنَّ ٱللهَ لَغَفُورٌ﴾: حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لا يقطعها لتفريطكم فيه، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

﴿وَٱللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: من عقائدكم وأعمالكم، وهو وعيد.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ﴾: والآلهة الّذين تعبدونهم من دونه[1]، وقرئ يدعون بالياء.

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم، فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم.

﴿إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم

---

١ ـ العيّاشي: عن الباقر «وٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ» الأول والثاني والثالث كذّبوا رسول الله صلى الله عليه وآله «لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً» لا يعبدون شيئاً. «وَهُمْ يُخْلَقُونَ» فإنه يعني وهم يعبدون. «أَمْوَاتٌ» كفّار «غَيْرُ أَحْيَاءٍ» غير مؤمنين «وَمَا يُشْعِرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» لا يؤمنون إنهم يبعثون. منه رحمه الله. راجع تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ح ١٤.

لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

مُّسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ﴾: حقاً.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فيجازيهم، وهو وعيد.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: القمّي[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: «لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ» يعني بالرّجعة «قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ» يعني كافرة «وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ» يعني عن ولاية عليّ عليه السلام «إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ» يعني عن ولاية عليّ عليه السلام[٢].

والعيّاشي: مرّ الحسين بن عليّ عليهما السلام على مساكين قد بسطوا كساءاً لهم وألقوا كسراً فقالوا: هلّم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فثنّى وركه فأكل معهم، ثمّ تلا: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ»[٣].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام من ذهب يرى أنّ له على الآخر فضلاً فهو من المستكبرين، فقيل: إنّما يرى أنّ له عليه فضلاً بالعافية إذا رآه مرتكباً بالمعاصي[٤]، فقال: هيهات هيهات فلعلّه أن يكون قد غفر له ما أتى، وأنت موقوف تحاسب، أما تلوت قصّة سحرة موسى عليه السلام[٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أحاديث الأوّلين وأباطيلهم.

---

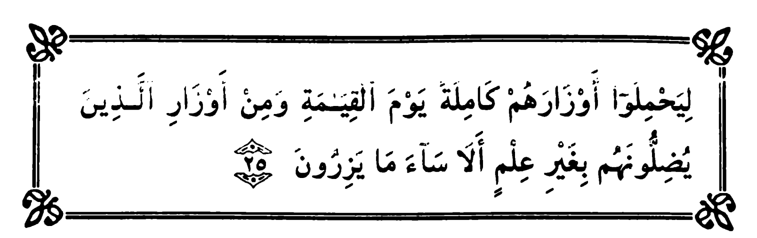
١ ـ تفسير القمي: ج١، ص٣٨٣، س١٣.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧، ح١٤.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٥٧، ح١٥.

٤ ـ وفي نسخة: [للمعاصي].

٥ ـ الكافي: ج٨، ص١٢٨، س١٧، ح٩٨.



﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: أي قالوا: ذلك إضلالاً للنّاس وصدّاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله فحملوا أوزار ضلالتهم كاملة وبعض أوزار من أضلّوهم لأنّ الضّالّ والمضلّ شريكان، هذا يضلّه وهذا يطاوعه على إضلاله بغير علم، يعني يضلّون من لا يعلم أنّهم ضلّال، وإنّما لم يعذر الجاهل لأنّ عليه أن يبحث وينظر بعقله حتّى يميز بين المحقّ والمبطل.

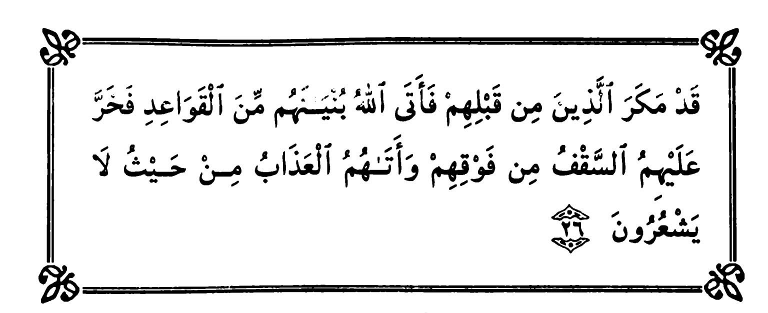
العيّاشي: عن الباقر عليه السلام: «مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ» في عليّ عليه السلام «قَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ» شجّع[1] أهل الجاهلّية في جاهلّيتهم «لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ» ليستكملوا الكفر يوم[2] القيامة، «وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ» يعني كفر الّذين يتولّونهم[3].

والقمّي: يحملون آثامهم يعني الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام، وآثام كلّ من اقتدى بهم وهو قول الصّادق عليه السلام: والله ما أُهريقت محجمة من دم، ولا قرع عصاً بعصاً، ولا غصب فرج حرام، ولا أخذ مال من غير حله، إلّا وزر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص عن[4] أوزار العاملين شيء[5].

وفي المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أيّما داعٍ دعا إلى الهدى فاتّبع فله مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أُجورهم شيء، وأيّما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتّبع عليه فإنّ عليه مثل أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم[6].

---

١ ـ هكذا في الأصل والصحيح «سجع» كما في المصدر.
٢ ـ وفي نسخة: [ليوم].
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٧، ح ١٨.
٤ ـ وفي نسخة: [من أوزار].
٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٣، س ١٩.
٦ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣٥٦، س ٢٧.



﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من الأساطين الّتي بنوا عليها.

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: هذا تمثيل لإستيصالهم بمكرهم، والمعنى أنّهم سوّوا منصوبات ليمكروا الله بها، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنياناً وعمّدوه بالأساطين فأتى البنيان من جهة الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السّقف وهلكوا، ومن أمثالهم: من حفر لأخيه جبّاً وقع فيه منكباً، والمراد بإتيان الله: إتيان أمره من القواعد أي من جهة القواعد.

﴿وَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يحتسبون ولا يتوقّعون، وفي الجوامع[1]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ فأتى الله بيتهم[2].

وزاد العيّاشي: يعني بيت مكرهم[3].

وعن الباقر عليه السلام: كان بيت غدر يجتمعون فيه إذا أرادوا الشّرّ[4].

والقمّي: عنه عليه السلام بيت مكرهم أي ماتوا فألقاهم الله في النّار، قال: وهو مثل لأعداء آل محمّد عليه وعليهم السلام[5].

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث فإتيانه بنيانهم من القواعد: إرسال العذاب[6].

١ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٨٤، س ٨.
٢ و ٣ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٨، ح ٢٠.
٤ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٨، ح ٢٣.
٥ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٤، س ١٩.
٦ـ التّوحيد: ص ٢٦٦، س ١٧، ح ٥، باب ٣٦ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يذلّهم.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾: تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم، وقرئ بكسر النّون أي تشاقونني لأنّ مشاقّة المؤمنين مشاقّة الله.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: أي الأنبياء والعلماء الّذين كانوا يدعونهم إلى التّوحيد فيشاقونهم ويتكبّرون عليهم.

﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾: الذّلّة والعذاب.

﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: إظهاراً للشّماتة، وزيادة في الإهانة، القمّي: الّذين أُوتوا العلم: الأئمّة عليهم السلام يقولون لأعدائهم: أين شركاؤكم؟ ومن أطعتموهم في الدّنيا[1].

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: أي ملائكة العذاب كما سبق بيانه في سورة النّساء عند نظير هذه الآية[2]، وقرئ بالياء.

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: بأن عرضوها للعذاب المخلّد.

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: فسالموا وأخبتوا[3] حين عاينوا الموت.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾: جحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان في الدّنيا.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥. ٢ ـ النّساء: ذيل الآية ٩٧.

٣ ـ الإخبات: الخشوع والتواضع. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٩٩، مادة «خبت».

فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾

﴿بَلَىٰٓ﴾: ردّ عليهم أولو العلم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فهو يجازيكم عليه وهذا ايضاً من الشّماتة وكذلك «فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ».

﴿فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: كلّ صنف بابها المعدّ له.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: جهنّم.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً﴾: أطبقوا الجواب على السّؤال، معترفين بالإنزال بخلاف الجاحدين إذ «قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ»، وليس من الإنزال في شيء.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: مكافاة في الدّنيا.

﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾: أي ولثوابهم في الآخرة خير منها، وهو عدة للّذين إتّقوا، ويجوز أن يكون بما بعده من تتّمة كلامهم بدلاً وتفسيراً لخير.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامة وخلود.

﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾: من أنواع المشتهيات وقد مضى في شأن «جَنَّٰتُ عَدْنٍ»[1] أخبار في سورة التّوبة[2].

---

١ ـ التوبة: ٧٢.

٢ ـ ذيل الآية: ٧٢.

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: في الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام عليكم بتقوى الله فإنّها تجمع الخير ولا خير غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها، من خير الدّنيا والآخرة، قال الله عزّوجلّ: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟» وتلا هذه الآية[1].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام «وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ» الدنيا[2].

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: أي ملائكة الرّحمة كما سبق بيانه في سورة النّساء[3].

﴿طَيِّبِينَ﴾: ببشارة الملائكة إيّاهم بالجنّة.

﴿يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾: سلامة لكم من كلّ سوءٍ.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: القمّي في قوله: «طَيِّبِينَ» قالوا: هم المؤمنون الّذين طابت مواليدهم[4].

وفي الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام ليس من أحدٌ من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أيّ المنزلين يصير إلى الجنّة أم النّار أعدوّ هو لله أو وليّ؟ فإن كان وليّاً لله فتحت له أبواب الجنّة، وشرع له طرقها ونظر إلى ما أعدّ الله له فيها ففرغ من كلّ شغل، ووضع عنه كلّ ثقل، وإن كان عدوّاً لله فتحت له أبواب النّار، وشرع له طرقها، ونظر إلى ما أعدّ الله له فيها فاستقبل كل مكروه، ونزل كلّ شرور، وكلّ هذا يكون عند الموت وعنده يكون بيقين، قال الله تعالى: «ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ» الآية ويقول: «ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ

---

١ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٥، ح٣١، المجلس الأول.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٥٨، ح٢٤.

٣ ـ النساء ذيل الآية: ٩٧.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٤، س٦.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾

أنفُسِهِمْ» الآية[١][٢].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظر الّذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: ملائكة العذاب لقبض أرواحهم، وقرئ بالياء.

﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: القمّي: من العذاب، والموت، وخروج القائم عليه السلام[٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الفعل من الشّرك والتّكذيب.

﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بتدميرهم.

﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بكفرهم ومعاصيهم المؤدّية إليه.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه، والحيق لا يستعمل إلّا في الشّرّ. القمّي: ماكانوا به يستهزؤون من العذاب في الرّجعة[٤].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ

---

١ ـ النحل: ٢٨.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٧، ح٣١، المجلس الأول.

٣ و ٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٥، س٧ و ٩.

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أشركوا بالله، وحرّموا ما أحلّ الله، وارتكبوا ما حرّم الله، فلّما نبّهوا على قبح أفعالهم[1] نسبوها إلى الله وقالوا: لو شاء الله لم نفعلها.

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: إلّا الإبلاغ الموضح للحقّ.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾: وفّقهم للإيمان لكونهم من أهل اللّطف.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾: إذ خذلهم ولم يوفّقهم لتصميمهم على الكفر، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما بعث الله نبيّاً قطّ إلّا بولايتنا والبراءة من أعدائنا، وذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا» الآية إلى قوله: «مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ» يعني بتكذيبهم آل محمّد صلوات الله عليهم[2].

والقمّي: أي في أخبار من هلك قبله[3].

﴿فَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي أرض المكذّبين.

﴿فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: من عاد وثمود وغيرهم لعلّكم تعتبرون.

---

١ ـ وفي نسخة: [أعمالهم].
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٥٨، ح٢٥.
٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٥، س١٢.

إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

﴿إِن تَحْرِصْ﴾: يا محمّد.

﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾: من يخذله، وقرئ «لا يُهْدىٰ» على البناء للمفعول.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: من ينصرهم.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾: قيل: يعني الّذين أشركوا كما أنكروا التّوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه[1].

﴿بَلَىٰ﴾: يبعثهم.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنّهم يبعثون إمّا لعدم علمهم بأنّه من مواجب الحكمة، وإمّا لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهّمون إمتناعه.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: أي يبعثهم ليبيّن لهم.

﴿ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: وهو الحقّ.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾: فيما كانوا يزعمون.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: وقرئ بفتح النّون بيان

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٥٥، س ١١.

لإمكان البعث، هذا ما قاله المفسّرون في تفسير هذه الآية.

وفي الكافي[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قال لأبي بصير: ما تقول في هذه الآية؟ فقال: إنّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله لا يبعث الموتى، قال: فقال: تبّاً[٢] لمن قال هذا، سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللّات والعزّى؟ قال: قلت جعلت فداك: فأوجدنيه، قال: فقال لي: يا أبا بصير لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قبايع[٣] سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم، مع القائم فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا فيقولون: يا معشر الشّيعة ما أكذبكم هذه دولتكمْ وأنتم تقولون فيها الكذب لا والله ما عاش هؤلاء ولا يعيشون إلى يوم القيامة، قال: فحكى الله قولهم فقال: «وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللهُ مَن يَمُوتُ»[٤].

والقمّي: عنه عليه السلام إنّه قال: ما يقول النّاس في هذه الآية؟ قيل: يقولون نزلت في الكفّار، قال: إنّ الكفّار لا يحلفون بالله، وإنّما نزلت في قوم من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله قيل لهم: يرجعون[٥] بعد الموت قبل يوم القيامة فيحلفون أنّهم لا يرجعون فردّ الله عليهم، فقال: «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ» يعني في الرّجعة يردّهم فيقتلهم ويشفي صدور المؤمنين منهم[٦].

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه قال: ما يقول النّاس في هذه الآية؟ قيل: يقولون: لا قيامة ولا بعث ولا نشور، فقال: كذبوا والله إنّما ذلك إذا قام القائم وكرَّ معه المكرّون، فقال: أهل خلافكم قد ظهرتْ دولتكم يا معشر الشّيعة وهذا من كذبكم تقولون رجع فلان وفلان لا والله لا يبعث الله من يموت ألا ترى أنّه قال: «وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ» كانت المشركون أشدّ تعظيماً للّات والعزّى من أن يقسموا بغيرها، فقال الله: «بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً» «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥٠ ـ ٥١، ح١٤.

٢ ـ التباب: الخسران والهلاك. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٢، مادة «تبب».

٣ ـ قبيعة السيف: ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد. الصحاح: ج ٣، مادة «قبع».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٩، ح ٢٦، بتفاوت يسير.

٥ ـ وفي نسخة: [ترجعون] كما في المصدر.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٥، س ١٦.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» الآيات الثّلاث[١].

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾: في حقّه ولوجهه.

﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾: قيل: هم رسول الله ﷺ والمهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة، أو المحبوسون المعذّبون بمكّة بعد هجرة رسول الله ﷺ من أصحابه[٢].

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: مباءةً[٣] حسنة، وهي الغلبة على أهل مكّة الّذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبةً، وعلى أهل المشرق والمغرب.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: ممّا تعجّل لهم في الدّنيا.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على أذى الكفّار ومفارقة الوطن.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: يفوّضون إليه الأمر كلّه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: ردّ لقولهم الله أعظم منزلة من أن يرسل إلينا بشراً مثلنا، وقد سبق بيان الحكمة فيه في سورة الأنعام عن رسول الله ﷺ ولعلّه أشير إلى مثل ذلك بقوله: «فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ» يعني وجه الحكمة فيه.

١ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٥٩ ـ ٢٦٠، ح٢٨.

٢ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص٥٥٦، س ١.

٣ـ المباءة: وهي المدينة حيث آواهم الأنصار ونصروهم، «وَٱلَّذِينَ تَبَوَّؤُ ٱلدَّارَ»: أي المدينة: «وَنَتَبَوَّءُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ» أي ننزّل منازلها حيث نهوى. مجمع البحرين: ج ١، ص٦٧. مادة «بوا».

﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: في الكافي[١]، والقمّي[٢]، والعيّاشي: عنهم عليهم السلام في أخبار كثيرة، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: الذّكر، وأهل بيته: المسؤلون: وهم أهل الذّكر[٣].

وزاد في العيون: عن الرّضا عليه السلام قال الله تعالى: «قَدْ أَنْزَلَ ٱللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُوْا عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللهِ»[٤] فالذكر: رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهله[٥].

وفي البصائر: عن الباقر عليه السلام[٦]، والكافي: عن الصّادق عليه السلام الذّكر: القرآن، وأهله: آل محمّد صلوات الله عليهم[٧].

وزاد في الكافي: أمر الله بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهّال، وسمّى الله القرآن ذكراً فقال: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»[٨][٩].

وفيه[١٠]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قيل له: إنّ من عندنا يزعمون أنّ قول الله عزّوجلّ: «فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ» إنّهم: اليهود والنّصارى، قال: إذاً يدعونكم إلى دينهم، ثم قال: بيده إلى صدره نحن أهل الذّكر، ونحن المسؤولون[١١].

وفي العيون عن الرّضا عليه السلام مثله[١٢].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٠، ح ١ و ٢ و ٣ و ٤، باب إنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٨.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٠، ح ٣٢.

٤ ـ الطلاق: ١٠ ـ ١١.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣٩، س ١٠، ح ١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة.

٦ ـ بصائر الدرجات: ص ٦٠، ح ١٠ و ١٣، باب ١٩ ـ في أئمة آل محمد عليهم السلام إنّهم أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم والأمر اليهم إن شاؤوا أجابوا وإن شاؤوا لم يجيبوا.

٧ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٩٥، س ٤، ح ٣، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.

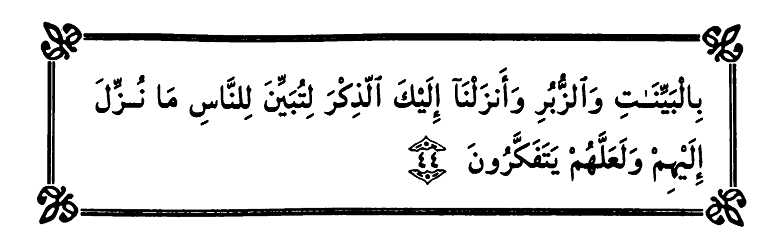
٨ ـ النّحل: ٤٤.

٩ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٩٥، س ٤، ح ٣، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١١، ح ٧، باب إن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.

١١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١، ح ٣٢.

١٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣٩، ح ١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة.



وزاد العيّاشي: قال: وقال: الذّكر: القرآن[١].

وفي الكافي: عن السجاد عليه السلام على الأئمّة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا أمرهم الله أن يسألونا، قال: «فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ الذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» فأمرهم أن يسألونا وليس عليناالجواب إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا[٢].

ومثله عن الباقر، والرّضا عليهما السلام[٣].

أقول: المستفاد من هذه الأخبار أنّ المخاطبين بالسّؤال هم المؤمنون دون المشركين، وأنّ المسؤل عنه كلّ ما أشكل عليهم دون كون الرّسل رجالاً وهذا إنّما يستقيم إذا لم يكن «وَمَا أَرْسَلْنَا» ردّاً للمشركين أو كان «فَسْئَلُوٓاْ» كلاماً مستأنفاً، أو كانت الآية ممّا غيّر نظمه ولا سيّما إذا علّق قوله: «بِالْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ» بقوله: «أَرْسَلْنَا» فإنّ هذا الكلام بينهما أجنبي، وأمّا أمر المشركين بسؤال أهل البيت عن كون الرّسل رجالاً لا ملائكة مع عدم إيمانهم بالله ورسوله فممّا لا وجه له إلّا أن يسألوهم عن بيان وجه الحكمة فيه، وفيه ما فيه.

﴿بِالْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾: قيل: أي أرسلناهم بالمعجزات والكتب كأنّه جواب قائل قال: بم أُرسلوا[٤].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾: أي القرآن كما سبق آنفاً سمّي ذكراً لأنّه موعظة وتنبيه.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: ممّا أُمروا به ونهوا عنه.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦١، ذيل ح ٣٢.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٢، ح ٨، باب إن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١١، ح ٦، باب إنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٥٦، س ١٦.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادة أن يتأملوا فيه فيتنبّهوا للحقائق والمعارف.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾: كما خسف بقارون.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بغتة كما فعل بقوم لوط.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾: إذا جاؤوا وذهبوا في متاجرهم وأعمالهم.

﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: على مخافة بأن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على تنقّص بأن ينقّصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتّى يهلكوا من تخوفته إذا تنقّصته.

القمّي: قال على تيقّظ، وبالجملة هو خلاف قوله من حيث لا يشعرون[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هم أعداء الله، وهم يمسخون، ويقذفون ويسيحون في الأرض[٢].

وفي الكافي: عن السّجاد عليه السلام في كلام له في الوعظ والزهد في الدّنيا: ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الدّنيا الّذين مكروا السّيئات فإنّ الله يقول في محكم كتابه: «أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ» الآية فاحذروا ما حذّركم الله بما فعل بالظّلمة في كتابه ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما توعّد به القوم الظّالمين في الكتاب، والله لقد

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٦، س ٢.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦١، ح ٣٥.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

وعظكم الله في كتابه بغيركم فإنّ السّعيد من وعظ بغيره(١).

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: إستفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصّنايع فما بالهم لم يتفكّروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه، وقرئ أو لم تروا بالتّاء.

﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ﴾: يعني أولم ينظروا إلى المخلوقات الّتي لها ظلال متفيّئة، وقرئ تتفيؤ بالتّاء.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: عن إيمانها وشمائلها، وتوحيد بعض، وجمع بعض باعتبار اللّفظ والمعنى.

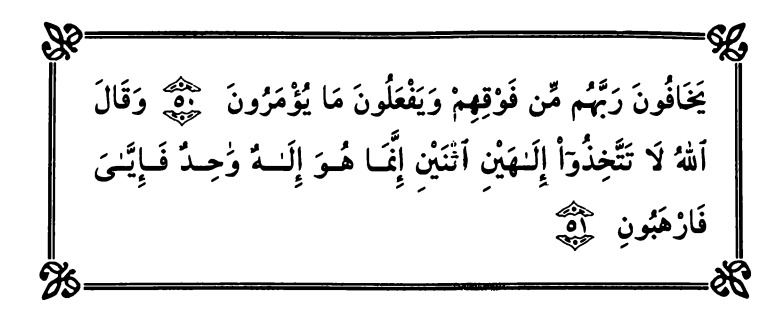
﴿سُجَّداً لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾: مستسلمين له منقادين، وهم صاغرون لأفعال الله فيها، القمّي: قال: تحويل كلّ ظلّ خلقه الله هو سجود لله(٢).

قيل: ويجوز أن يكون المراد بقوله: «وَهُمْ دَٰخِرُونَ» أنّ الأجرام أنفسها أيضاً داخرة صاغرة منقادة لله سبحانه فيما يفعل فيها، وإنّما جمع بالواو والنّون لأنّ الدّخور من أوصاف العقلاء(٣).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ينقاد.

---

١ ـ الكافي ٨، ص٧٢، ح٢٩.
٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٦، س٤.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٥٧، س١٩



﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: بيان لهما لأنّ الدّبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض أو سماء.

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: ممّن لا مكان له، والقمّي: قال: الملائكة ما قدّر الله لهم تمرون فيه[١].

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادته.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾: يخافونه وهو فوقهم بالقهر وهو القاهر فوق عباده.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: في المجمع: قد صحّ عن النّبيّ ﷺ إنّ لله ملائكة في السماء السّابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، ترعد فرائصهم من مخافة الله، لا تقطر من دموعهم قطرة إلّا صار ملكاً، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: ما عبدناك حقّ عبادتك[٢].

قال بعض أهل المعرفة: إنّ أمثال هذه الآيات تدلّ على أنّ العالم كلّه في مقام الشّهود والعبادة ألا كلّ مخلوق له قوة التفكّر وليس إلّا النّفوس النّاطقة الإنسانيّة والحيوانيّة خاصّة من حيث أعيان أنفسها لا من حيث هياكلهم فإنّ هياكلهم كساير العالم في التّسبيح له والسّجود فأعضاء البدن كلّها مسبّحة ناطقة ألا تراها تشهد على النّفوس المسخّرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسّمع والبصر وجميع القوى، فالحكم لله العليّ الكبير، ويأتي زيادة بيان لهذا المقام في سورة النّور إن شاء الله.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: أكد العدد في الموضعين دلالة على العناية به فإنّك لو قلت إنّما هو إله لخيّل أنّك أثبتّ الإلهيّة لا الوحدانيّة.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٦، س٧.　　٢ ـ مجمع البيان ج٥ ـ ٦، ص٣٦٥، س١.

وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: كأنّه قيل: فأنا هو فإياي فارهبون لا غير[1].

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطّاعة.

﴿وَاصِبًا﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: واجباً[2].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ * وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: القمّي: يعني بالنعمة: الصحة والسّعة والعافية[3].

وعن الصّادق عليه السلام: من لم يعلم أنّ لله عليه نعمة إلّا في مطعم أو ملبس فقد قصر عمله ودنا عذابه[4].

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: فلا[5] تتضرّعون إلّا إليه، والجُئر: رفع الصّوت بالدّعاء والإستغاثة.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٥٨، س ١٢.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٢، ح ٣٧. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٦، س ١١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨١، س ١١. إلّا أنّه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله دون الصادق عليه السلام.

٥ ـ وفي نسخة: [فما تتضرّعون)].

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾

ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾: من نعمة الكشف عنهم كأنّهم قصدوا بشركهم كفران النِّعمة وإنكار كونها من الله.

﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تهديد ووعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾: لآلهتهم الّتي لا علم لها، أو لا علم لهم بها.

﴿نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾: من الزّرُوع والأنعام، القمّي: كانت العرب يجعلون للأصنام نصيباً في زرعهم وإبلهم وغنمهم فردّ الله عليهم[1].

﴿تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من أنّها آلهة، وأنّها أهل للتّقرب إليها، وهو وعيد لهم على ذلك.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ﴾: القمّي: قالت قريش الملائكة هم بنات الله[2].

﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾: تنزيه له من قولهم، أو تعجّب منه.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾: يعني البنين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾: أُخبر بولادتها.

﴿ظَلَّ﴾: صار.

﴿وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾: من الكآبة، والحياء من النّاس.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ غيظاً من المرأة.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١ ص٣٨٦، س١٢.　　　٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٦، س١٤.

يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم.

﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ﴾: محدّثاً نفسه متفكّراً في أن يتركه.

﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذلٍّ.

﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: أم يخفيه فيه ويئده[1].

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محلّه عندهم.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: صفة السّوء وهي الحاجة إلى الولد والإستظهار بالذّكور وكراهة الأُناث ووأد هنّ خشية الإملاق والعار.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: وهي الصّفات الإلٰهيّة، والغنى عن الصّاحبة والولد، والنّزاهة عن صفات المخلوقين.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: المتفرّد بكمال القدرة والحكمة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم.

﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على الأرض.

---

١ ـ وفي الخبر إنّه نهى عن وأد البنات، أي قتلهن، لأنهم كانوا في الجاهليّة يدفنونهن وهنّ حيّات في التراب مجمع البحرين: ج٣، ص١٥٣ مادة «وأد».

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: قطّ بشؤم ظلمهم أو من دابّة ظالمة.

﴿وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: كي يتوالدوا.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: أي ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشّركاء في الرّياسة والإستخفاف بالرّسل وأراذل الأموال.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾: مع ذلك، القمّي: يقول: ألسنتهم الكاذبة[1].

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي عند الله كقول قائلهم: ولئن رجعت إلى ربّي أنّ لي عنده للحُسنى.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: ردّ لكلامهم وإثبات لضدّه.

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: مقدمون إلى النّار معّجلون، وقرئ بكسر الرّاء من الإفراط في المعاصي، القمّي: أي معذّبون[2].

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: فأصرّوا على قبائحها وكفروا بالمرسلين.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: قرينهم أو ناصرهم، يعني لا ناصر لهم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٦، س٢١.
٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٦، س٢٢.

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾: من المبدأ، والمعاد، والحلال، والحرام.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَٱللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: أنبت فيها أنواع النّبات بعد يبسها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبّر وإنصاف.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً﴾: يعبر بها من الجهل إلى العلم.

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ﴾: تذكير الضّمير هاهنا باعتبار اللّفظ وتأنيثه في سورة المؤمنون[1] باعتبار المعنى لكونه اسم جمع.

﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً﴾: يكتنفانه.

﴿خَالِصاً﴾: صافياً لا يستصحب لون الدّم، ولا رائحة الفرث، ولا يشوبانه شيئاً، القمّي: قال: الفرث: ما في الكرش[2].

﴿سَآئِغاً لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾: سهل المرور في حلقهم، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس أحد يغصّ بشرب اللبن، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: «لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِّلشَّـٰرِبِينَ»[3].

---

١ ـ المؤمنون: ٢١.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٧، س ٢.
٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ٣٣٦، ح ٥، باب الألبان.

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقـاً حَسَناً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُـيُوتاً وَمِـنَ ٱلشَّـجَرِ وَمِمَّـا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَـتَّخِذُونَ مِـنْهُ سَكَـراً﴾: قـيل خمـراً[١].

والقمّي: الخلّ[٢].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّها نزلت قبل آية التّحريم، فنسخت بها[٣].

وفيه: دلالة على أنّ المراد به: الخمر، وقد جاء بالمعنيين جميعاً، وعـلى إرادة الخـمر لا يستلزم حلّها في وقت، لجواز أن يكون عتاباً ومنّةً قبل بيان تحريمها، ومـعنى النّسـخ: نسـخ السّكوت فلا ينافي ما جاء في أنّها لم تكن حلالاً قطّ، وفي مقابلتها بالرّزق الحسن تنبيه على قبحها.

﴿وَرِزْقاً حَسَناً﴾: كالتمر والزّبيب والدّبس.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾: ألهمها، وقذف في قلوبها فإن صنعتها الأنيقة، ولطفها في تدبير أمرها، ودقيق نظرها شواهد بينة على أنّ الله سبحانه وتعالى أودعها علماً بذلك، القمّي: قال: وحى إلهام[٤].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام مثله[٥].

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: يعرش النّاس

---

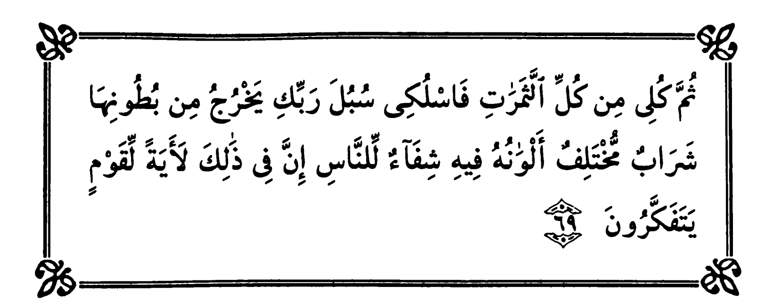
١ ـ قاله الطبرسي في مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٧١، س١٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٧، س٤.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣، ح٤٠.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٧، س٥.

٥ ـ تفسير العيّاشي ج٢، ص٢٦٣، ح٤١.



من كرم أو سقفٍ.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: من كلّ ثمرة تشتهيها حلوها ومرّها.

﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾: الطّرق التي ألهمك في عمل العسل.

﴿ذُلُلًا﴾: مذلّلة ذلّلها وسهّلها لك أو أنت منقادة لما أمرتك به.

﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾: يعني العسل، فإنّه ممّا يشرب.

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أبيض وأصفر وأحمر وأسود.

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾: في الكافي[1]، والخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام: لعق[2] العسل شفاء من كلّ داءٍ، ثمّ تلا هذه الآية، قال: وهو مع قراءة القرآن ومضغ اللّبان[3] يذيب البلغم[4].

وفي العيون: عنه عليه السلام ثلاثة، يزدن في الحفظ، ويذهبن بالبلغم، وذكر هذه الثّلاثة[5].

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إن يكن في شيء شفاء ففي شرطة الحجّام، أو في شربة عسل[6].

---

١ ـ الكافي: ج٦، ص٣٣٢، ح٢، باب العسل.

٢ ـ اللّعقة ـ بالفتح ـ المرّة، ألعقه لعقاً: أي لحسته. مجمع البحرين: ج٥، ص٢٣٣، مادة «لعق».

٣ ـ اللّبان ـ بالضمّ ـ: الكندر. مجمع البحرين: ج٦، ص٣٠٦، مادة «لبن».

٤ ـ الخصال: ص٦٢٣، س١، ح١٠ ـ حديث ٤٠٠ ـ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب لما يصلح للمسلم في دينه ودنياه.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٣٨، ح١١١، باب ٣١ ـ مما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٦ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٣٥، ح٨٣، باب ٣١ ـ ممّا جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

وعنه عليه السلام: لا تردّوا شربة عسل من أتاكم بها[١].

وقد سبق في أوّل سورة النّساء[٢] حديث في الإستشفاء به[٣].

وفي المجمع: في النّحل، والعسل، وجوه من الإعتبار منها: إختصاصه بخروج العسل من فيه.

ومنها: جعل الشّفاء من موضع السّمّ فإنّ النّحل يلسع.

ومنها: ما ركبّ الله من البدائع والعجايب فيه وفي طباعه، ومن أعجبها أن جعل سبحانه لكلّ فئة منه يعسوباً هو أميرها يقدمها ويحامي عنها، ويدبّر أمرها، ويسوسها، وهي تتبعه وتقتفي أثره، ومتى فقدته اختلّ نظامها، وزال قوامها وتفرّقت شذر مذر[٤] وإلى هذا المعنى أخال فيما أشار علي أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: أنا يعسوب المؤمنين[٥].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام نحن والله النّحل الّذي أوحى الله إليه «أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً»، أمرنا أن نتّخذ من العرب شيعة، «وَمِنَ ٱلشَّجَرِ» يقول: من العجم «وَمِمَّا يَعْرِشُونَ» يقول: من الموالي والّذي «يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ» أي العلم الّذي يخرج منّا إليكم[٦].

والعيّاشي عنه عليه السلام النّحل: الأئمّة، والجبال: العرب، والشّجر: الموالي عتاقه، وممّا يعرشون: يعني الأولاد والعبيد ممّن لم يعتق، وهو يتولّى الله ورسوله والأئمّة والشراب المختلفة ألوانه: فنون العلم الذي قد يعلّم الأئمّة شيعتهم، فيه شفاء للنّاس: يقول في العلم شفاء للناس، والشّيعة هم النّاس، وغيرهم الله أعلم بهم ما هم، ولو كان كما تزعم أنّه العسل الّذي يأكله النّاس إذا ما أكل منه ولا شرب ذو عاهةٍ إلّا شفى لقول الله تعالى: «فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ» ولا خلف لقول الله، وإنّما الشّفاء في علم القرآن لقوله: «وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ»[٧] لأهله

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص٣٦، ح٨٤، باب ٣١ ـ ممّا جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٢ ـ النّساء ذيل الآية ٤.

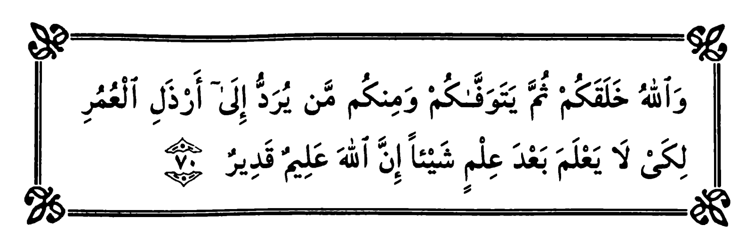
٣ ـ راجع تفسير العيّاشي: ج ١، ص٢١٨، ح١٥.

٤ ـ تفرقوا شذر مذر: إذا ذهبوا في كل وجه. الصحاح: ج ٢، ص٦٩٥ مادة «شذر».

٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٧٢، س١٤.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص٣٨٧، س٧.

٧ ـ الإسراء: ٨٢.



لا شكّ فيه ولا مرية، وأهله أئمّة الهدى الّذين قال الله: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا»[1][2].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّـٰكُمْ﴾: بآجال مختلفة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أخسّه وأحقره، يعني الهرم الّذي يشابه الطّفوليّة في نقصان القوّة والعقل، في المجمع: عن النّبيّ ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام هو[3] خمس وسبعون سنة[4].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، إذا بلغ العبد مائة سنة فذلك «أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ»[5].

وفي الخصال: مثله، قال: وقد روي أنّ «أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ» أن يكون عقله مثل عقل ابن سبع سنين[6].

﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾: القمّي: قال إذا كبر لا يعلم ما علمه قبل ذلك[7].

وفي الكافي: في حديث الأرواح ذكر هذه الآية ثمّ قال: فهذا ينتقص منه جميع الأرواح وليس بالّذي يخرج من دين الله لأنّ الفاعل به ردّه إلى أرذل عمره فهو لا يعرف للصّلاة وقتاً ولا يستطيع التهجّد باللّيل، ولا بالنّهار، ولا القيام في الصّفّ مع النّاس، فهذا نقصان من روح

---

١ ـ فاطر ٣٢.

٢ ـ تفسير العيّاشي ج٢، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤، ح٤٣. وفيه: «كما يزعم».

٣ ـ أي: «أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ».

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٧٢، س٢٢.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٨ ـ ٧٩.

٦ ـ الخصال: ص٥٤٦، ح٢٥، باب الأربعون وما فوقه.

٧ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٧، س١١.

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

الإيمان، وليس يضرّه شيئاً[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بما ينبغي، ويليق بكم من مقادير الأعمار.

﴿قَدِيرٌ﴾: على أن يعمركم بذلك.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾: فمنكم غنيّ، ومنكم فقير، ومنكم موال يتولّون رزقهم، ورزق غيرهم، ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك.

﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ﴾: بمعطي رزقهم.

﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾: على مماليكهم.

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: قيل: معناه أنّ الموالي والمماليك: الله رازقهم جميعاً فهم في رزقه سواء فلا يحسب الموالي أنّهم يرزقون المماليك من عندهم، وإنّما هو رزق الله أجراه إليهم على أيديهم[٢].

وقيل: معناه فلم يردّ الموالي فضل ما رزقوه على مماليكهم حتى يتساووا في المطعم والملبس[٣].

وقيل: بل معناه إنّ الله جعلكم متفاوتين في الرّزق فرزقكم أفضل ممّا رزق مماليككم وهم بشر مثلكم فأنتم لا تسوّون بينكم وبينهم فيما أنعم الله عليكم ولا تجعلون لكم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيده له شركاء في الأُلوهيّة، وتوجّهون

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص٢٨٣، س٣، ح١٦، باب الكبائر.
٢ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٢٩٨.
٣ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٢٩٩.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

في العبادة والقرب إليهم كما توجّهون إليه؟[١].

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: فجعل ذلك من جملة جحود النّعمة، وقرئ بالخطاب، القمّي: قال: لا يجوز للرّجل أن يخصّ نفسه بشيء من المأكول دون عياله[٢].

وفي الجوامع: يحكى عن أبي ذرّ ﷺ أنّه سمع النّبيّ ﷺ يقول: إنّما هم إخوانكم فأكسوهم ممّا تكسون وأطعموهم ممّا تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك إلّا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت[٣].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً﴾: من جنسكم لتأنسوا بها وليكون أولادكم مثلكم، والقمّي: يعني خلق حوّاء من آدم[٤].

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: العيّاشي: عن الصّادق ﷺ في هذه الآية قال: الحفدة بنو البنت، ونحن حفدة رسول الله ﷺ[٥].

وفي رواية أُخرى عنه ﷺ بنين وحفدة، قال: هم الحفدة، وهم العون، يعني البنين[٦].

وفي المجمع: عنه ﷺ هم أختان الرّجل على بناته[٧].

والقمّي: قال الأختان[٨].

---

١ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج٢، ص٢٩٨.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٧، س١٣.

٣ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٢٩٩، وفيه: «ممّا تلبسون».

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٧، س١٥.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٦٤، ح٤٦.

٦ ـ تفسير العيّاشي ج٢، ص٢٦٤، ح٤٧.

٧ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٧٣، س٢٩.

٨ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٧، س١٥.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

أقول: ومعنى الحافد: المسرع في الخدمة والطّاعة.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾: من اللّذائذ أي بعضها.

﴿أَفَبِالْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: قيل: هو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وشفاعتها[1].

﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: بنعمة الله المشاهدة التي لا شبهة فيها، قيل: كفرهم بها إضافتهم إيّاها إلى الأصنام أو تحريمهم ما أحلّ الله[2].

وقيل: يريد بنعمة الله: رسول الله ﷺ، والقرآن، والإسلام، أي هم كافرون بها منكرون لها[3].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْئاً﴾: يعني لا يملك أن يرزق شيئاً من مطر ونبات.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أن يملكوه أولا إستطاعة لهم، قيل: ويجوز أن يكون الضّمير للكفّار يعني ولا يستطيعون هم مع أنّهم أحياء شيئاً من ذلك فكيف بالجماد[4].

﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: فلا تجعلوا لله مثلاً تشركون به أو تقيسونه عليه، فإنّ ضرب المثل تشبيه حال بحال.

قيل: كانوا يقولون: إنّ عبادة عبيد الملك أدخل في التّعظيم من عبادته[5].

---

١ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع ج ٢، ص ٢٩٩، س ٩ وراجع الكشاف: ج ٢، ص ٦٢١.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٦٣.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٩٩، س ٩.

٤ ـ قاله الطبرسي: في جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

٥ ـ أنوار التنزيل ج ١، ص ٥٦٣، س ٢٠.

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَّمْلُوكاً لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: كنه الأشياء وضرب الأمثال.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُون * ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَّمْلُوكاً لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾: قيل: معناه، إذا لم يستويا هذان مع مشاركتهما[1] في الجنسيّة والمخلوقيّة فكيف يستوي الأصنام الّتي هي أعجز المخلوقات والغنّي القادر على كلّ شيء، ويجوز أن يكون تمثيلاً للكافر المخذول والمؤمن الموفّق أو الجاهل، والعالم المعلّم[2].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لا يستحقّه غيره فضلاً عن العبادة لأنّ النّعم كلّها منه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيضيفون النّعم إلى غيره ويشركون به، العيّاشي: عن الباقر والصّادق عليهما السلام قالا: المملوك لا يجوز طلاقه ولا نكاحه، إلّا بإذن سيّده، قيل: فإن كان السيّد زوّجه بيد من الطّلاق؟ قال: بيد السّيّد «ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَّمْلُوكاً لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ» أفشيء الطّلاق[3]؟ وفي معناه أخبار أُخر[4].

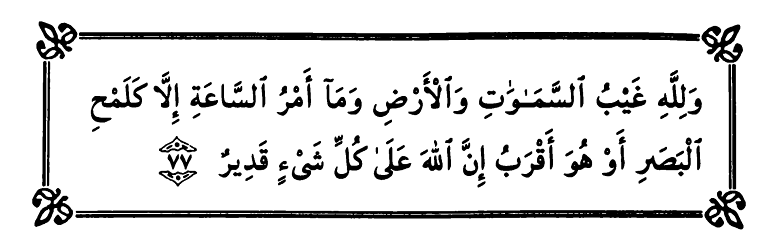
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾: ولد أخرس لا يفهم ولا يُفهِم.

---

١ ـ وفي نسخة: [تشاركهما] كما في أنوار التنزيل: ج١، ص٥٦٤.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج١، ص٥٦٤.

٣ و٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٦٥، ح٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٣.



﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: من الصنائع والتّدابير لنقصان عقله.

﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقل وعيال.

﴿عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ﴾: على من يلي أمره ويعوله.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: حيثما يرسله مولاه في أمر.

﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: بنجح وكفاية مهمّ.

﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: ومن كان سليم الحواس نّفاعاً كافياً ذا رشد وديانة، فهو يأمر النّاس بالعدل والخير.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو في نفسه على دين قويم، وسيرة صالحة، وهذا المثل مثل سابقه في الإحتمالات، القمّي: الذي يأمر بالعدل: أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام(١).

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما غاب منهما عن العباد وخفي عليهم علمه.

﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾: في سرعته وسهولته.

﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾: كرجع الطّرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها.

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: لأنّه يقع دفعة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على أن يحيي الخلايق دفعة كما قدّر أن أحياهم متدرّجاً.

---

١ ـ تفسير القمّي ج ١، ص ٣٨٧، س ١٩.

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثاً وَمَتَـٰعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾: وقرئ بكسر الهمزة وكسر الميم.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْئِدَةَ﴾: وركّب فيكم هذه الأدوات لإزالة الجهل الّذي ولدتم عليه وإكتساب العلم والعمل به.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: كي تعرفوا ما أنعم عليكم طوراً بعد طور فتشكروه.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾: وقرئ بالتّاء.

﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾: مذلّلات للطّيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية له.

﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: في الهواء المتباعد من الأرض.

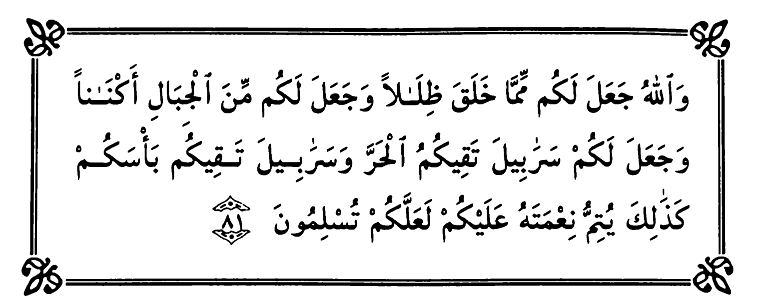
﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: فيه.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: فإنّ ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علّاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لأنّهم هم المنتفعون بها.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾: موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتاً﴾: يعني الخيم والمضارب المتّخذة من



الأدم والوبر والصّوف والشّعر.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تجدونها خفيفة يخفّ عليكم حملها ونقلها ووضعها وضربها.

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: ترحالكم وسفركم، وقرئ بفتح العين.

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: نزولكم ومن حضركم.

﴿وَمِنْ أَصْوافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعارِهَآ﴾: الصّوف: للضّأن، والوبر: للإبل، والشّعر: للمعز.

﴿أَثَـٰثاً﴾: ما يلبس ويفرش.

﴿وَمَتَـٰعاً﴾: ينتفع به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى مدّة من الزّمان، القمّي في رواية أبي الجارود «أَثَـٰثاً» قال: المال «وَمَتَـٰعاً» قال: المنافع «إِلَىٰ حِينٍ» إلى حين بلاغها[1].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾: من الشّجر والجبل والأبنية وغيرها.

﴿ظِلَـٰلاً﴾: تتقون به حرّ الشّمس، القمّي قال: ما يستظلّ به[2].

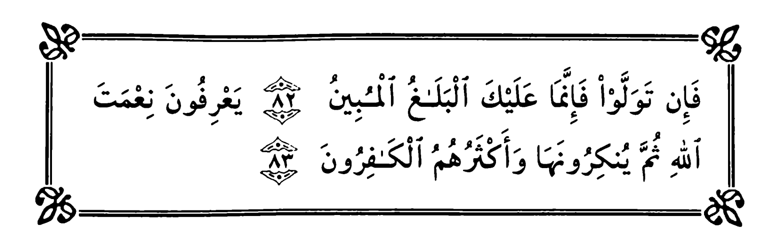
﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰناً﴾: مواضع تسكنون بها من الغيران[3] والبيوت المنحوتة فيها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: ثياباً من القطن والكتّان والصّوف وغيرها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٨، س ٣. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٨، س ٥.

٣ ـ الغار ـ كالكهف في الجبل، والجمع الغيران. الصحاح: ج ٢، ص ٧٧٣، مادة (غور).



﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: إكتفى بذكر أحد الضدّين لدلالته على الآخر، ولأنّ وقاية الحرّ كانت عندهم أهمّ.

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: يعني الدّروع، والجواشن[1]، والسّربال يعمّ كلّ مايلبس.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: كإتمام هذه النّعم الّتي تقدمت.

﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: أي تنظرون في نعمة الفاشية فتؤمنون به وتنقادون لحكمه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا ولم يقبلوا منك.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: قد بلّغت وأُعذرت.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام نحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده، وبنا فاز من فاز[2].

وفي الكافي: عنه، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام في هذه الآية، قال: لمّا نزلت: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» الآية[3] إجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنّا فهذا ذلّ حين يسلّط علينا إبن أبي طالب عليه السلام، فقالوا: قد علمنا أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله صادق فيما يقول ولكنّا لا نتولّاه ولا نطيع عليّاً فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا» يعرفون يعني ولاية عليّ عليه السلام[4].

---

١ ـ الجوشن: لدرع، وإسم رجل. الصحاح: ج٥، ص٢٠٩٢، مادة «جشن».

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٨، س٩. ٣ ـ المائدة: ٥٥.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٤٢٧، ح٧٧، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾

والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: عرفوه ثمّ أنكروه[١].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾: وهو نبيّها وإمامها القائم مقامه يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر، في المجمع[٢]. والقمّي: عن الصّادق عليه السلام لكلّ زمان وأُمّة إمام تبعث كلّ أُمّة مع إمامها[٣].

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: في الإعتذار إذ لا عذر لهم، فدلّ بترك الإذن على أن لا حجّة لهم ولا عذر.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يسترضون أي لا يقال لهم: أرضوا ربّكم من العتبى وهو الرّضا.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ﴾: ثقل عليهم.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾: من الأصنام والشّياطين.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾: نعبدهم أو نطيعهم.

﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾: يعني كذّبهم الّذين عبدوهم بإنطاق الله

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٥٥.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣٧٨، س ٣١.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٨، س ١٠.

وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَاباً فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰناً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

إيّاهم في أنّهم شركاء الله، وأنّهم ما عبدوهم حقيقة، وإنّما عبدوا أهواءهم كقوله: «كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِم»[1].

﴿وَأَلْقَوْاْ﴾: والقى الّذين ظلموا.

﴿إِلَى ٱللهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾: الإستسلام والإنقياد لإمره وحكمه بعد الإباء والإستكبار في الدّنيا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وضاع عنهم وبطل.

﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: من أنّ لله شركاء ينصرونهم ويشفعون لهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللهِ﴾: بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر.

﴿زِدْنَـٰهُمْ عَذَاباً﴾: لصدّهم.

﴿فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾: المستحقّ لكفرهم.

﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾: بكونهم مفسدين النّاس بصدّهم، القمّي: قال: كفروا بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وصدّوا عن أمير المؤمنين[2].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمّد.

---

١ ـ مريم: ٨٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٨، س ١٢.

﴿شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: القمّي: يعني من الأئمّة «عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ»، يعني على الأئمّة عليهم السلام فرسول الله شهيد على الأئمّة عليهم السلام، وهم شهداء على النّاس[1].

أقول: وقد سبق تحقيق هذا المعنى في سورة البقرة[2] والنّساء[3].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰناً﴾: بياناً بليغاً.

﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام نحن والله نعلم ما في السماوات وما في الأرض، وما في الجنّة، وما في النّار، وما بين ذلك، ثمّ قال: إنّ ذلك في كتاب الله، ثمّ تلا هذه الآية[4].

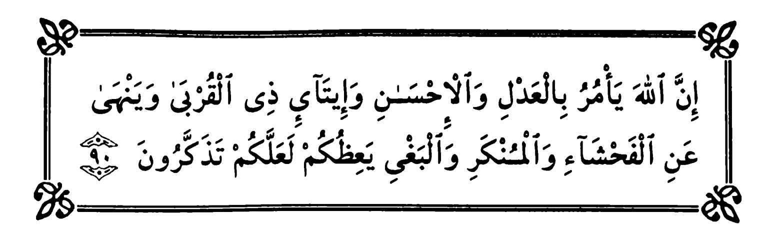
وعنه عليه السلام قال الله لموسى: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ»[5] فعلمنا إنّه لم يكتب لموسى الشّيء كلّه، وقال الله لعيسى عليه السلام: «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ»[6]، وقال المحمّد عليه السلام: «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ * وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ»[7].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّي لأعلم ما في السّماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة، وأعلم ما في النّار، وأعلم ما كان وما يكون، ثمّ سكت هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله عزّوجلّ إنّ الله يقول: «فيه تبيان كل شيء»[8][9].

وعنه عليه السلام: إنّ الله أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد يقول، لو كان هذا أُنزل في القرآن إلّا أنزله الله فيه[10].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٨، س ١٤.
٢ ـ البقرة: ذيل الآية ١٤٣.
٣ ـ النّساء: ذيل الآية ٤١.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٥٧.
٥ ـ الأعراف: ١٤٥.
٦ ـ النّحل: ٣٩.
٧ ـ تفسير العيّاشي ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٥٨.
٨ ـ اقتباس من قوله تعالى: «تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ».
٩ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٦١، ح ٢، باب إن الأئمّة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وإنّه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم.
١٠ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ١، باب الرّد إلى الكتاب والسنة وأنّه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه الا وقد جاء فيه كتاب أو سنة.



﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ما جاوز حدود الله.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما ينكره العقول.

﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: التّطاول على النّاس بغير حقّ، في المعاني[1]، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضّل[2].

والقمّي: قال: العدل: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله، والإحسان: أمير المؤمنين، والفحشاء والمنكر والبغي: فلان وفلان وفلان[3].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام مثله إلّا أنّه قال: الفحشاء: الأوّل، والمنكر: الثّاني، والبغي: الثّالث[4].

قال: وفي رواية سعد عنه عليه السلام «ٱلْعَدْلِ»: محمّد صلى الله عليه وآله فمن أطاعه فقد عدل، «وَٱلْإِحْسَـٰنِ»: عليّ عليه السلام فمن تولّاه فقد أحسن، والمحسن في الجنّة، «وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ» قرابتنا، أمر الله العباد بمودّتنا وإيتائنا ونهاهم عن الفحشاء والمنكر، والبغي من بغى علينا أهل البيت ودعا إلى غيرنا[5].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه قرئ عنده هذه الآية فقال: إقرأ كما أقول لك: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ حقّه»، قيل: إنّا لا نقرأ هكذا في قراءة زيد، قال: ولكنّا

---

١ ـ معاني الأخبار: ص٢٥٧، ح١، باب معنى المروءة.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٦٧، ح٦١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٨٨، س١٧.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٦٨، ح٦٢.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٦٧، ح٥٩.

وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَـنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَـعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللهَ عَـلَيْكُمْ كَـفِيلاً إِنَّ ٱللهَ يَـعْلَمُ مَـا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾

نقرؤها هكذا في قراءة عليّ ؑ، قيل: فما يعني «بايتاء ذي القربى حقّه» قال: أداء إمام إلى إمام بعد إمام «وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ» قال ولاية فلان وفلان[١].

﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتّعظون في روضة الواعظين عن النّبيّ ﷺ جماع التّقوى في قوله: «إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ» الآية[٢].

قيل: لولم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه إنّه «تبيان لكلّ شيء»[٣].

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾: شاهداً ورقيباً.

﴿إِنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: في نقض الإيمان والعهود، في الكافي[٤]، والقمّي: عن الصّادق ؑ لمّا نزلت ولاية عليّ بن أبي طالب ؑ وكان من قول رسول الله ﷺ سلّموا على عليٍّ ؑ بإمرة المؤمنين فكان ممّا أكدّ الله عليهم في ذلك اليوم قول رسول الله ﷺ لهما: قوما فسلّما عليه بإمرة المؤمنين فقالا: أمن الله أو من رسوله؟ فقال رسول الله ﷺ: من الله ومن رسوله، فأنزل الله تعالى: «وَلَا تُنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً * إِنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» يعني به قول رسول الله ﷺ لهما وقولهما: أمن الله أو من رسوله؟[٥].

والعيّاشي: ما يقرب منه[٦].

١ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٧، ح ٦٠. ٢ـ روضة الواعظين: ص ٤٣٧، س ١٤.

٣ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٦٧، س ١٨.

٤ـ الكافي: ج ١، ص ٢٩٢، ح ١، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين ؑ.

٥ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٩، س ٦. ٦ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٨، ح ٦٤.

وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾: كالمرأة الّتي غزلت ثمّ نقضت غزلها.

﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: من بعد إحكام وفتل[1].

﴿أَنكَـٰثاً﴾: جمع نكث بالكسر وهو ما ينكث فتله، القمّي: عن الباقر عليه السلام التي نقضت غزلها إمرأة من بني تميم بن مرّة يقال لها: ريطة بنت كعب بن سعد بن تميم بن لويّ ابن غالب، كانت حمقاء وتغزل الشّعر فإذا غزلته نقضته، ثمّ عادت فغزلته فقال الله: «كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا» الآية قال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر بالوفاء، ونهى عن نقض العهد فضرب لهم مثلاً[2].

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ﴾: دغلاً وخيانة ومَكراً وخديعة، وذلك لأنّهم كانوا حين عهدهم يضمرون الخيانة، والنّاس يسكنون إلى عهدهم، والدّخل: أن يكون الباطن خلاف الظّاهر، وأصله يدخل الشّيء مالم يكن منه.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾: يعني لا تنقضوا العهد بسبب أن تكون جماعة، وهي كفرة قريش أزيد عدداً وأوفر مالاً من أُمّة يعني جماعة المؤمنين.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: إنّما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتوفون بعهد الله؟ أم تغترّون بكثرة قريش وقوّتهم وثروتهم، وقلّة المؤمنين وضعفهم وفقرهم.

---

١ ـ الفتل: ليّ الشيء كليّكَ الحبل. وكفتل الفتيلة. لسان العرب: ج ١٠، ص١٧٧، مادة «فتل».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص٣٨٩، س١٣.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: وعيد وتحذير من مخالفة الرّسول صلّى الله عليه وآله.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مسلمة مؤمنة.

﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾: بالخذلان.

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: بالتّوفيق.

﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: سؤال تبكيت ومجازاة.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾: تصريح بالنّهي عنه بعد التّضمين تأكيداً ومبالغة في قبح المنهي عنه.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾: عن محجّة الإسلام.

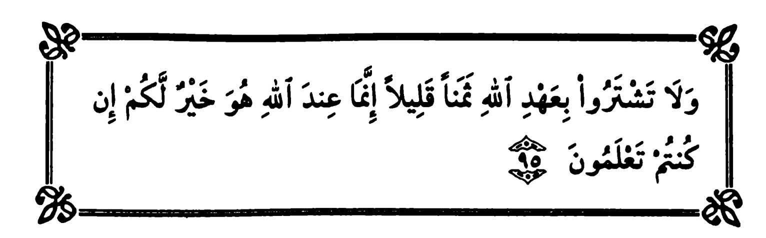
﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: عليها أي فيضلّوا عن الرّشد بعد أن يكونوا على الهدى[1]، يقال: زلّ قدم فلان في أمر كذا: إذا عدل عن الصّواب، والمراد أقدامهم، وإنّما وحّد ونكّر للدّلالة على أنّ زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة.

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: في الدّنيا.

﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بصدودكم أو بصدّكم غيركم عنها لأنّهم لو نقضوا العهد وارتدّوا لاتّخذ نقضها سنّة يستن بها.

---

١ ـ وفي نسخة: [أي فتضلوا عن الرشد بعد أن تكونوا على هدىً].



﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، في الجوامع: عن الصّادق عليه السلام نزلت هذه الآية في ولاية عليّ عليه السلام، والبيعة له حين قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: سلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين[١].

وفي الكافي[٢]، والقمّي: عنه عليه السلام إنّه قرأ «أن تكون أئمّة هي أزكى من ائمّتكم»، فقيل: إنّا نقرؤها «هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ» فقال: وما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها[٣] قال: «إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِ» يعني بعليّ عليه السلام يختبركم «بَعْدَ ثُبُوتِهَا» يعني بعد مقالة النّبيّ صلى الله عليه وآله في على «عن سبيل الله» يعني به عليّاً، وزاد القمّي: «لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً»، قال: على مذهب واحد وأمر واحد «وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ» ويعذّب بنقض العهد «وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ» قال يثيب[٤].

والعيّاشي: ما يقرب منه[٥].

وعنه عليه السلام: الّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً: عائشة هي نكثت إيمانها[٦].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وآله.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرضاً يسيراً من متاع الدّنيا.

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الثّواب على الوفاء بالعهد.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٠٦، ص ٧.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٩٢، ح ١، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ كأنه عليه السلام أراد بقوله وتعجبه وطرح يده أن أربى ههنا ليس معناه الأزكى وكذلك قراءة الأئمة إشارة إلى أنّ الأمّة في الموضعين: أُريد به الأئمة خاصة. منه قدس سره.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٨٩، س ١٧.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٨، ح ٦٤.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٦٩، ح ٦٥، والصحيح أن تنقل هذه الرواية إلى ما بعد رواية القمّي المثبته في ذيل الآية الكريمة «وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا».

مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾

﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِندَكُمْ﴾: من متاع الدّنيا.

﴿يَنفَدُ﴾: أي ينقضي ويفنى.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من خزائن رحمته.

﴿بَاقٍ﴾: لا ينفد.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾: وقرئ بالنّون.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: في الدّنيا يعيش عيشاً طيباً، القمّي: قال: القنوع بما رزقه الله[1].

وفي نهج البلاغة: أنّه عليه السلام سئل عنها؟ فقال: هي القناعة[2].

وفي المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله إنّها القناعة، والرّضا بما قسم الله[3].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: من الطّاعة.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: إذا أردت قراءته.

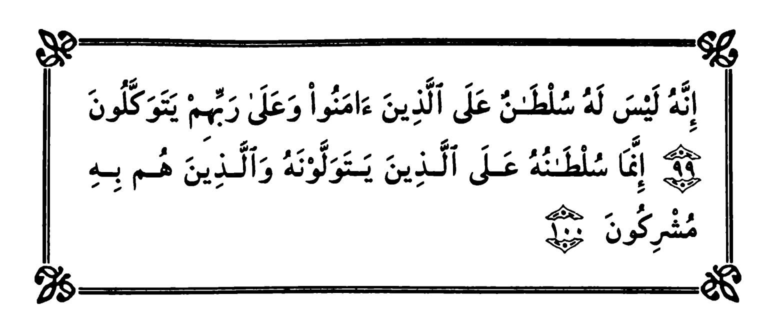
﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلّا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٠، س٧.

٢ ـ نهج البلاغة: ص٥٠٨ ـ ٥٠٩، الحكم ٢٢٩.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٨٤، س٢٩.



يوسوسك في القراءة(١).

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قيل له:كيف أقول؟ قال: تقول: أستعيذُ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم، قال: الرّجيم أخبث الشّياطين(٢).

وفي قرب الإسناد: عن سدير قال: صلّيت المغرب خلف أبي عبدالله عليه السلام فتعوذ بإجهار أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم، وأعوذ بالله أن يحضرون، ثمّ جهر ببسم الله الرّحمن الرحيم(٣).

وروت العامّة عن ابن مسعود قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال صلى الله عليه وآله: قل: أعوذُ بالله من الشّيطان الرّجيم هكذا أقرأنيه جبرئيل عن القلم، عن اللّوح المحفوظ(٤).

وقد سبق تفسير الإستعاذة في أوّل الكتاب.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي إلّا تستعيذ(٥).

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾: تسلّط، وولاية.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾: فإنّهم لا يطيعون أوامره.

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾: يحبّونه ويطيعونه.

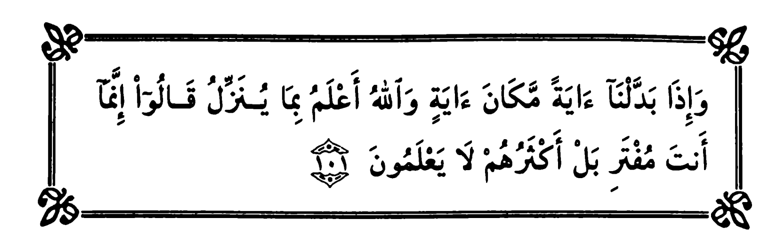
---

١ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: الضمير في وساوسه يرجع إلى الشيطان وإن كان خلاف ظاهر اللفظ.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٧٠، ح٦٧. ٣ ـ قرب الإسناد: ص١٢٤، ح٤٣٦.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج١، ص٥٦٩، س١٨. وعوالي اللئالي: ج٢، ص٤٧، ح١٢٤.

٥ ـ الكافي: ج٣، ص٣١٣، ح٣.



﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾: في الكافي[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية، قال: يسلّط والله من المؤمن على بدنه ولا يسلّط على دينه، قد سلّط على أيوّب فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه، وقال: «ٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ»، يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: ليس له أن يزيلهم عن الولاية، فأمّا الذّنوب وأشباه ذلك فإنّه ينال منهم كما ينال من غيرهم[٣].

والقمّي: مثله[٤].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: بالنّسخ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: من المصالح فلعلّ ما يكون مصلحة في وقت يكون مفسدة في آخر، وهو إعتراض لتوبيخ الكفّار على قولهم أو حالهم.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي الكفّار.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾: متقوّل على الله تأمر بشيء ثمّ يبدو لك فتنهي عنه، القمّي: قال: كانوا إذا نسخت آية قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: «أَنتَ مُفْتَرٍ» فردّ الله عليهم[٥].

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: حكمة الأحكام، ولا يميّزون الخطأ من الصّواب.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٨، ح٤٣٣.

٢ ـ تفسير العيّاشي ج٢، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠، ح٦٦، باختلاف يسير.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٧٠، ح٦٩.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٠، س١٠.

٥ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٠، س١١.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: يعني جبرئيل عليه السلام.

﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾: متلبّساً بالحكمة.

﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: على الإيمان بأنّه كلام الله فإنّهم إذا سمعوا النّاسخ وتدبّروا مافيه من رعاية الصّلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنّت قلوبهم.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لحكمه، القمّي: عن الباقر عليه السلام روح القدس: هو جبرئيل، والقدس: الطّاهر «لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» هم: آل محمّد صلوات الله عليهم[1].

والعيّاشي عن الصّادق عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى خلق روح القدس فلم يخلق خلقاً أقرب إليه منها، وليست بأكرم خلقه عليه، فإذا أراد الله أمراً ألقاه إليها فالقته إلى النجوم فجرت به[2].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يضيفون إليه التّعليم، ويميلون قولهم عن الإستقامة إليه، وقرئ بفتح الياء والحاء.

﴿أَعْجَمِىٌّ﴾: غير بيّن.

﴿وَهَـٰذَا﴾: القرآن.

﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة، القمّي: لسان الذي يلحدون إليه: هو

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٩٠، س ١٤.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧٠، ح ٧٠.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾

لسان أبي فكيهة مولى ابن الحضرمي كان أعجمي اللّسان، وكان قد إتّبع النّبيّ ﷺ وآمن به وكان من أهل الكتاب، فقالت: قريش هذا والله يعلّم محمّداً ﷺ علّمه بلسانه[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا يصدّقون إنّها من عند الله.

﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: لا يلطف بهم ويخذلهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: لأنّهم لا يخافون عقاباً يردعهم عنه، هذا ردّ لقولهم: «إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ»[2] يعني إنّما يليق إفتراء الكذب لمن لا يؤمن بالله لأنّ الإيمان يمنع الكذب.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ * مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾: لم يتغيّر عقيدته.

﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: اعتقده وطاب به نفساً.

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: إذ لا جرم أعظم من جرمه، القمّي: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ» فهو عمّار بن ياسر، أخذته قريش بمكّة فعذّبوه

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٠، س١٦. ٢ ـ النّحل: ١٠١.

بالنّار حتّى أعطاهم بلسانه، ما أرادوا وقلبه مقر[١] بالإيمان، وقوله: «وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً» فهو عبدالله بن سعد بن أبي سرح[٢] بن الحارث، بن لويّ[٣].

قال: وكان عاملاً لعثمان بن عفّان على مصر[٤].

أقول: قصّة عمّار على ما روته المفسّرون في شأن نزول هذه الآية إنّ قريشاً أكرهوه وأبويه ياسر وسميّة على الإرتداد، فأبى أبواه فقتلوهما، وهما أوّل قتيلين في الإسلام، وأعطاهم عمّار بلسانه ما أرادوا مكرهاً، فقيل: يا رسول الله إنّ عمّاراً كفر، فقال: كلّا إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الايمان بلحمه ودمه، فأتى عمّار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فجعل النّبيّ صلى الله عليه وآله يمسح عينيه، وقال: مالك إن عادوا لك فعدلهم بما قلت[٥].

وفي الكافي: قيل للصّادق عليه السلام إنّ النّاس يروون أنّ عليّاً عليه السلام قال على منبر الكوفة: أيّها النّاس إنّكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني، ثمّ تدعون إلى البراءة منّي فلا تبرأوا منّي، فقال: ما أكثر ما يكذب النّاس على عليّ عليه السلام، ثمّ قال: إنّما قال: إنّكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني، ثمّ تدعون إلى البراءة منّي وإنّي لعلى دين محمّد صلى الله عليه وآله ولم يقل: لا تبرؤوا منّي فقال له السّائل: أرأيت أن اختار

---

١ ـ وفي نسخة: [وقلبه مطمئن بالإيمان].

٢ ـ قال القمّي في تفسيره: ج ١، ص ٢١٠ ـ ٢١١: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان بن عفّان من الرّضاعة قدم المدينة وأسلم، وكان له خطّ حسن، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله من الوحي، فكان إذا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: سميع بصير يكتب سميع عليم، وإذا قال: والله بما تعملون خبير يكتب بصير، ويفرّق بين التّاء والياء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هو واحد، فارتدّ كافراً ورجع إلى مكّة، وقال لقريش: والله ما يدري محمّد صلى الله عليه وآله ما يقول. أنا أقول: مثل ما يقول فلا ينكر عليّ ذلك، فأنا أنزل مثل ما أنزل الله، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله في ذلك «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ» فلمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله فجاء به عثمان، وقد أخذ بيده ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقال: يا رسول الله أعف عنه، فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أعاد فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أعاد فقال: هو لك، فلمّا مرّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله فقال رجل: كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليّ فأقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الأنبياء لا يقتلون بالإشارة، فكان من الطّلقاء. ونحو ذلك ذكر الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٣٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٩٠، س ١٩. ٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٩١، س ٤.

٥ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٠٩، ومجمع البيان ج ٥ ـ ٦، ص ٣٨٧.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾

القتل دون البراءة؟ فقال: والله ماذاك عليه وماله إلّا مامضى عليه عمّار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئّن بالإيمان فأنزل الله فيه: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَـٰنِ» فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله عندها: يا عمّار إن عادوا فعد، فقد أنزل الله عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا[١].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام مثله[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّ سئل مدّ الرّقاب أحبّ إليك أم البراءة من عليّ عليه السلام؟ فقال: الرّخصة أحبّ إليّ أما سمعت قول الله في عمّار «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَـٰنِ»[٣].

وفي معناه أخبار أُخر[٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ﴾: بسبب أنّهم آثروها عليها.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: أي الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾: فامتنعت عن إدراك الحقّ.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة إذ غفلوا عن التّدبّر في عاقبة أمرهم.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢١٩، ح ١٠، باب التقيّة.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧١، ح ٧٣.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧٢، ح ٧٤.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧١، ح ٧٣، وص ٢٧٢، ح ٧٦.

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾: إذ ضيعوا أعمارهم بصرفها فيما أفضى إلى العذاب الدائم، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدعو أصحابه فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعوه إليه، ومن أراد به شرّاً طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل وهو قوله تعالى: «أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ» الآية[1].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾: عذّبوا في الله، وأُكرهوا على الكفر فأُعطوا بعض ما أُريد منهم ليسلموا من شرّهم كعمار، وقرئ بفتح الفاء والتّاء.

﴿ثُمَّ جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ﴾: على الجهاد وما أصابهم من المشاقّ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾: من بعد الإفتتان، والجهاد، والصّبر.

﴿لَغَفُورٌ﴾: لما فعلوا من قبل.

﴿رَّحِيمٌ﴾: ينعم عليهم مجازاة على مشاقّهم «لَغَفُورٌ» خبر إنّ الأُولى، والثّانية جميعاً، ونظير هذا التّكرير في القرآن كثير، و«ثمّ» لتباعد حال هؤلاء من حال أولئك.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾: أي ذاتها تحتجّ عنها، وتعتذر لها وتسعى في خلاصها لا يهمّها شأن غيرها، فتقول: نفسي نفسي.

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: جزاء ما عملت.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧٣، ح ٧٧.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: لكلّ قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم[1] النّعمة، فكفروا بها فأنزل الله بهم نقمته.

﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾: لا يزعج[2] أهلها خوف.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً﴾: واسعاً.

﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها.

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾: وقرئ بنصب الخوف إستعار الذّوق لإدراك أثر الضّرر واللّباس لما غشيهم وإشتمل عليهم من الجوع والخوف.

﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: القمّي: قال: نزلت في قوم كان لهم نهر، يقال له: البليان، وكانت بلادهم خصبة كثيرة الخير، وكانوا يستنجون بالعجين ويقولون: هو ألين لنا، فكفروا بأنعم الله واستخفّوا بنعمة الله فحبس الله عليهم البليان فجدبوا حتّى أحوجهم الله إلى ما كانوا يستنجون به حتّى كانوا يتقاسمون عليه[3].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كان أبي يكره أن يمسح يده بالمنديل، وفيه شيء من الطّعام تعظيماً له، إلّا أن يمصّها أو يكون إلى جانبه صبيّ فيمصّها له، قال: وإنّي لأجد[4] اليسير يقع

١ ـ البطر ـ محركة ـ الأشر والطغيان بالنعمة. القاموس المحيط: ج١، ص٣٧٤، مادة «بطر».

٢ ـ في الحديث: «رأيت عمر يزعج أبا بكر إزعاجاً يوم السقيفة» أي يقلقه ولا يدعه يستقر، من قولهم: «أزعجه» أي أقلقه. مجمع البحرين: ج٢، ص٣٠٤، مادة «زعج».

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩١، س١٠، وفيه: «نهر يقال له الثلثان [الثرثار]».

٤ ـ وفي نسخة: [وإني أجد اليسير] كما في المصدر.

وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

من الخوان فأتفقّده فيضحك الخادم، ثم قال: إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم كان الله قد وسّع عليهم حتّى طغوا، فقال بعضهم لبعض: لو عمدنا إلى شيء من هذا النّقي فجعلناه نستنجي به كان ألين علينا من الحجارة، قال: فلمّا فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دواباً أصغر من الجراد، فلم تدع لهم شيئاً خلقه الله إلّا أكلته من شجر أو غيره فبلغ بهم الجهد إلى أن أقبلوا على الّذي كانوا يستنجون به فأكلوه، وهي القرية الّتي قال الله: «ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً» إلى قوله «بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ»[1].

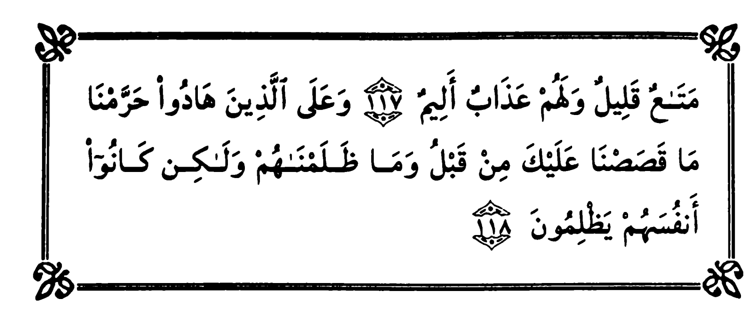
﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ * فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قد سبق تفسيره في سورة البقرة[2].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾: القمّي:

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤، ح ٧٩.

٢ ـ البقرة: ذيل الآية ١٧٣.



هو ما كانت اليهود يقولون: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا[١].

قيل: أي لا تحلّلوا ولا تحرّموا بمجرّد قول تنطق به ألسنتكم من غير حجّة ونصّ ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب، كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولة، وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم، هذا كقولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السّحر[٢].

﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ﴾: من قبيل التّعليل الّذي لا يتضمّنه الغرض.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾: أي ما يفترون لأجله منفعة قليلة تنقطع عن قريب.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة، في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام إذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغاير المعاصي الّتي نهى الله عنها كان خارجاً من الإيمان وساقطاً عنه إسم الإيمان، وثابتاً عليه إسم الإسلام فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان ولم يخرجه إلى الكفر والجحود والإستحلال فإذا قال للحلال: هذا حرام، وللحرام: هذا حلال، ودان بذلك فعندنا يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر، وكان بمنزلة رجل دخل الحرمّ ثمّ دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فأُخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النّار الحديث[٣].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: أي في سورة الأنعام

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٩١، س ١٥.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٧٣.

٣ ـ التّوحيد: ص ٢٢٩، س ١، ذيل ح ٧، باب ٣٠ ـ القرآن ما هو؟

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

بقوله: «وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ» الآية[١].

﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ﴾: بالتحريم.

﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه، وفيه دلالة على أنّ التحريم عليهم كان للعقوبة لا للمضرّة.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ﴾: جاهلين غير متدبّرين للعاقبة.

﴿ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾: من بعد التّوبة.

﴿لَغَفُورٌ﴾: لذلك السّوء

﴿رَّحِيمٌ﴾: يثيب على الإنابة.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام والأُمّة واحد فصاعداً كما قال الله، وتلا الآية[٢].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام وذلك أنّه كان على دين لم يكن عليه أحد غيره فكان أُمّة واحدة، وأمّا «قَانِتاً»: فالمطيع، وأمّا «الحنيف»: فالمسلم[٣].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام شيء فضّله الله به[٤].

وعن الكاظم عليه السلام: لقد كانت الدّنيا وما كان فيها إلّا واحد يعبد الله، ولو كان معه غيره إذاً لأضافه إليه حيث يقول: «إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً» الآية فصبر بذلك ما شاء الله، ثم إنّ الله تبارك

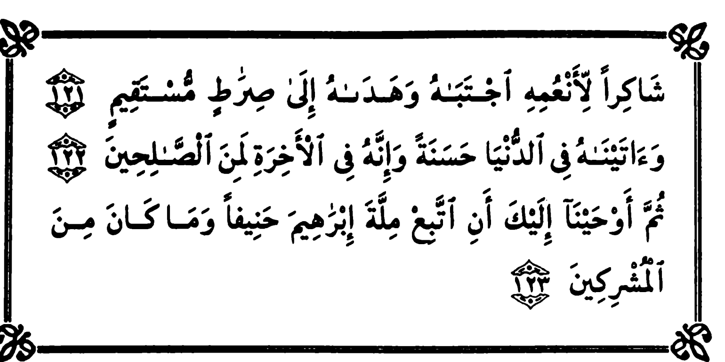
---

١ ـ الأنعام: ١٤٦.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص٦٠، س٤، ح١٦، باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٢، س٣.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٧٤، ح٨١.



وتعالى آنسه باسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة[١].

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تكذيب لقريش فيما كانوا يزعمون أنّهم على ملّة إبراهيم عليه السلام.

﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾: لأنعم الله معترفاً بها روي أنَّهُ كان لا يتغذى إلّا مع ضيفه[٢].

﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾: اختاره.

﴿وَهَدَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى الطّريق الواضح.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: بأن حببه إلى النّاس حتّى أنّ أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه، ورزقه أولاداً طيّبة، وعمراً طويلاً في السّعة والطّاعة.

﴿وَإِنَّهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لمن أهل الجنّة كما سأله بقوله «وَأَلْحِقْنِى بِالصَّٰلِحِينَ»[٣].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: يا محمّد.

﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: قيل: في «ثمّ» هذه تعظيم لمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وإعلام بأنّ أفضل ما أوتي خليل الله من الكرامة إتّباع نبيّنا ملّته حيث

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧٤، ح ٨٤.

٢ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٦٤٣، وجوامع الجامع ج ٢، ص ٣١٣.

٣ ـ يوسف: ١٠١، والشعراء: ٨٣.

إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

دلّت على تباعد هذا النّعت في المرتبة من بين سائر النّعوت الّتي أثنى الله عليه بها[١].

وفي مصباح الشّريعة: عن الصّادق عليه السلام لا طريق للأكياس من النّاس المؤمنين أسلم من الإقتداء لأنّه المنهج الأوضح، قال الله عزّوجل: «ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً» فلو كان لدين الله تعالى مسلك أقوم من الإقتداء لندب أولياءه وأنبياءه إليه[٢].

والعيّاشي: عن الحسين بن علي عليهما السلام ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشعيتنا، وساير النّاس منها براء[٣].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: القمّي: وذلك أنّ موسى عليه السلام أمر قومه أن يتفرّغوا لله في كلّ سبعة أيّام يوماً يجعله الله عليهم، وهم الّذين اختلفوا فيه[٤].

أقول: قد سبقت قصّتهم في سورة الأعراف[٥].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالمقالة المحكمة الصّحيحة الموضحة للحقّ المزيحة للشبهة هذا للخواصّ.

---

١ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج٢، ص٣١٣، س٧.

٢ ـ مصباح الشريعة: ص١٥٧، باب ٧٤ ـ في الإقتداء.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج١، ص٣٨٨، ح١٤٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٢، س٧.

٥ ـ الأعراف: ذيل الآية: ١٦٣.

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: الخطابات المقنعة والعبر النّافعة الّتي لا تخفى عليهم إنّك تناصحهم بها وتنفعهم فيها وهذا للعوامّ.

﴿وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: بالطّريقة الّتي هي أحسن طرق المجادلة، وهذا للمعاندين والجاحدين، في الكافي[١]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام يعني بالقرآن[٢].

وفي الإحتجاج[٣]، وتفسير الإمام عليه السلام: عند قوله تعالى: «قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِنْ كُنتُم صَـٰدِقِينَ» من سورة البقرة[٤] ذكر عند الصّادق عليه السلام الجدال في الدّين وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام نهوا عنه، فقال الصّادق عليه السلام: لم ينه مطلقاً ولكنّه نهى عن الجدال بغير الّتي هي أحسن أما تسمعون قوله تعالى: «وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَن»[٥] وقوله تعالى: «ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ» فالجدال بالّتي هي أحسن قد أمر به العلماء بالدّين والجدال بغير الّتي هي أحس محرّم حرمه الله على شيعتنا وكيف يحرّم الله الجدال جُملةً وهو يقول: «وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ»[٦] قال الله تعالى: «تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِنْ كُنتُم صَـٰدِقِينَ»[٧] فجعل علم الصّدق والإيمان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان إلّا في الجدال بالّتي هي أحسن.

قيل: يا ابن رسول الله فما الجدال بالّتي هي أحسن والّتي ليست بأحسن؟ قال: أمّا الجدال بغير الّتي هي أحسن فإن تجادل مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا تردّه بحجّة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحدُ حقّاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحقّ مخافة أن يكون له عليك فيه حجّة لأنّك لا تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين، أمّا المبطلون فيجعلون ضعف الضّعيف منكم إذا تعاطى

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص١٣، س١٦، ح١، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٢، س٢.

٣ ـ الإحتجاج: ج١، ص١٤ ـ ١٥، في ذكر طرف مما جاء عن النّبيّ صلى الله عليه وآله من الجدال والمحاجة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك مع من خالف الإسلام وغيرهم.

٤ ـ البقرة: ١١١.

٥ ـ العنكبوت: ٤٦.

٦ ـ البقرة: ١١١.

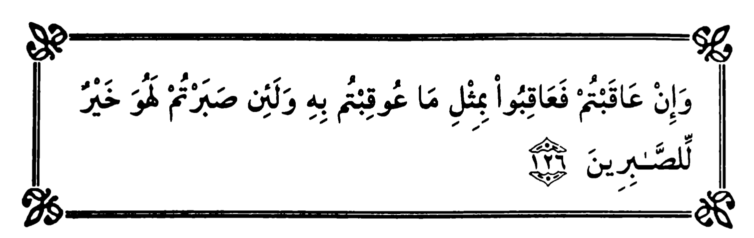
٧ ـ البقرة: ١١١

مجادلته وضعف في يده حجّة له على باطله وأمّا الضّعفاء فتغتمّ قلوبهم لما يرون من ضعف المحقّ في يد المبطل، وأمّا الجدال بالّتي هي أحسن: وهو ما أمر الله به نبيّه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياء الله تعالى له فقال الله له حاكياً عنه: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ»[1] وقال الله في الرّدّ عليه قل يا محمّد: «يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً»[2] إلى آخر السّورة فأراد الله من نبيّه أن يجادل المبطل الّذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ فقال الله «قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»[3] أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى، بل إبتداؤه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: «ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ»[4] أي إذا كمن[5] النّار الحارة في الشّجر الأخضر الرّطب، ثمّ يستخرجها فعرّفكم أنّه على إعادة ما بلى أقدر، ثم قال: «أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ»[6] إذا كان خلق السّماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي فكيف جوّزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم، ولم تجوّزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي؟

فقال الصّادق عليه السلام: فهذا الجدال بالّتي هي أحسن لأنّ فيها قطع عذر الكافرين، وإزالة شبهتهم[7]، وأمّا الجدال بغير الّتي هي أحسن: فإن تجحد حقّاً لا يمكنك أن تفرّق بينه وبين باطل من تجادله، وإنّما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحقّ فهذا هو المحرّم لأنّك مثله جحد هو حقّاً وجحدت أنت حقّاً آخر[8].

---

١ ـ يّس: ٧٨.
٢ ـ يّس: ٧٩ ـ ٨٠.
٣ ـ يّس: ٧٩.
٤ ـ يس: ٨٠.
٥ ـ هذا في الأصل والنسخة الأخرى، ولكن الصحيح «أي إذا أكمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها» كما في الإحتجاج. أي أكمل الله النار في الشجر... ثم يستخرجها الله.
٦ ـ يس: ٨١.
٧ ـ هكذا في الأصل والنسخة الأُخرى، ولكن الأفضل شبههم كما جاء في الإحتجاج، وتفسير الإمام العسكري.
٨ ـ تفسير الإمام العسكري: ص٥٢٧ ـ ٥٢٩.



﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أي ليس عليك أن تهديهم ولا أن تردّهم عن الضّلالة، وإنّما عليك البلاغ فمن كان فيه خير كفاه البرهان والوعظ، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل فكأنّك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾: القمّي: وذلك أنّ المشركين يوم أحد مثّلوا[١] بأصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله الّذين استشهدوا فيهم حمزة، فقال المسلمون: أما والله لئن أدالنا[٢] الله عليهم لنمثّلنّ بأخيارهم فذلك قول الله تعالى: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ» يعني بالاموات[٣].

وعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: أنّه قال يوم أُحد من له علم بعمّي حمزة؟ فقال الحارث بن الصّمت أنا أعرف موضعه فجاء حتّى وقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فيخبره، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي أطلب عمّك، فجاء عليّ عليه السلام فوقف على حمزة فكره أن يرجع إليه، فجاء رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى وقف عليه فلمّا رأى ما فعل به بكى، ثمّ قال: ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثّلنّ سبعين رجلاً منهم فنزل عليه جبرئيل فقال: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ» واصبر فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: بل أصبر[٤].

---

١ ـ مثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه والأسم المثلة، وفي الحديث: أنه نهى عن المثلة. لسان العرب: ج١٣، ص٢٥، مادة «مثل».

٢ ـ دالت الأيام: أي دارت، وفي الحديث «قد أدال الله تعالى من فلا» هو من الأدالة أعني النصرة والغلبة. مجمع البحرين: ج٥، ص٣٧٤، مادة «دول».

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٩٢، س٩.

٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص١٢٣، س٨.

وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما صنع بحمزة بن عبد المطّلب قال: اللّهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان على ما أرى، ثمّ قال: لئن ظفرت لأمثلنّ وامثلنّ قال: فانزل الله: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ» الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أصبر أصبر[1].

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: إلّا بتوفيقه وتثبيته.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على أصحابك وما فعل بهم فإنّ الله نقلهم إلى دار كرامته.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: في ضيق صدر من مكرهم، وقرئ بكسر الضّاد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾: الشّرك والمعاصي.

﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾: في أعمالهم، في ثواب الأعمال[2]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام من قرأ سورة النّحل في كلّ شهرٍ كفى المغرم[3] في الدّنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون، والجذام، والبرص، وكان مسكنه في جنّة عدن، وهي وسط الجنان[4].

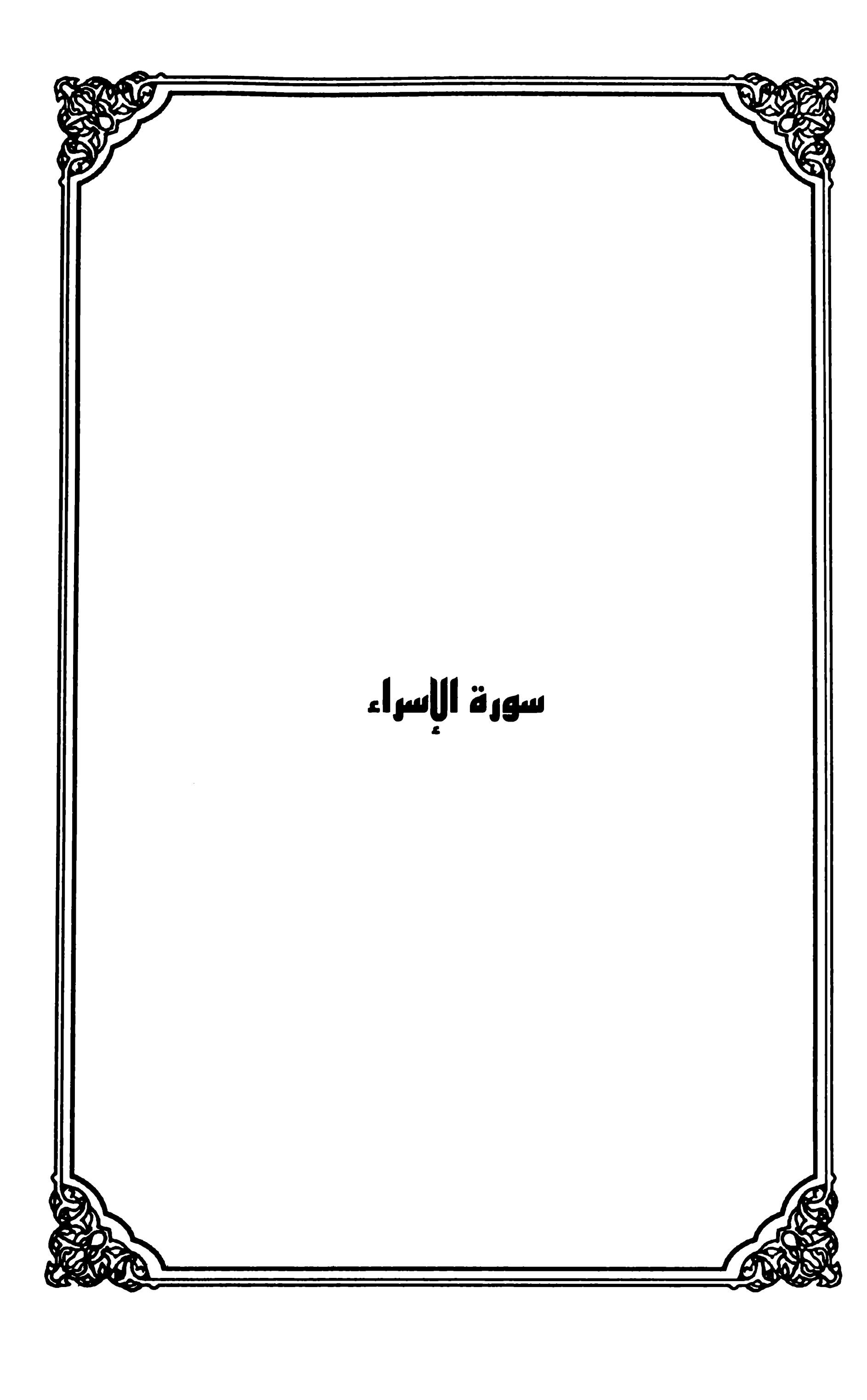
---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥، ح٨٥. وفيه: «لامثلنّ ولامثلنّ».

٢ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٧، ثواب من قرأ سورة النّحل.

٣ ـ المغرم: مصدر وضع موضع الإسم، وقيل المغرم كالغرُم، وهو الدين، ويريد به ما استدين فيما يكرهه الله تعالى، ثم عجز عن أدائه، وفي الدعاء: «اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم» والمراد من المغرم: ما يلزم به الإنسان من غرامة أو يصاب به في ماله من خسارة، وما يلزمه كالدين، وما يلحق بـه مـن المـظالم. مجمع البحرين: ج٦، ص١٢٥ ـ ١٢٦، مادة «غرم».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٥٤، ح ١، وفيه: «دفع الله عنه المعرّة في الدنيا» وقال الطريحي في مجمع البحرين: ج٣، ص ٤٠٠، والمعرّة ـ مشددة ـ الأمر القبيح المكروه، والأذى مفعلة من ـ عرّه يعره ـ: إذا دهاه بما يكـرهه، والمعرّة الإثم أيضاً.



سورة الإسراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

سورة بني إسرائيل هي مكيّة وقيل: إلّا خمس آيات، وقيل: إلّا ثمان[1]، وعدد آيها مائة وإحدى عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: أي إلى ملكوت المسجد الأقصى الّذي هو في السّماء كما يظهر من الأخبار الآتية.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال عبده.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: لأفعاله، القمّي: عن الباقر عليه السلام إنّه كان جالساً في المسجد الحرام فنظر إلى السّماء مرّة وإلى الكعبة مرّة ثم قال: «سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا» وكرّر ذلك ثلاث مرّات، ثمّ التفت إلى إسماعيل الجعفي فقال: أيّ شيء يقول أهل العراق في هذه الآية يا عراقي؟ قال: يقولون: أسري به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، فقال: ليس كما يقولون، ولكنّه اسرى به من هذه إلى هذه، وأشار بيده إلى السّماء

---

١ ـ راجع مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٩٣.

وقال: ما بينهما حرم[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن المساجد الّتي لها الفضل؟ فقال: المسجد الحرام، ومسجد الرّسول صلى الله عليه وآله قيل: والمسجد الأقصى؟ فقال: ذاك في السّماء إليه أسرى رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل: إنّ النّاس يقولون: إنّه بيت المقدس فقال: مسجد الكوفة أفضل منه[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّه سئل كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله فقال: مرّتين[٣].

وفيه[٤]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله بالبراق أصغر من البغل وأكبر من الحمار، مضطرب الأُذنين، عينيه في حافره، وخطاه مدّ بصره[٥].

وزاد في الكافي: فإذا إنتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه، فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه أهدب[٦] العُرف الأيمن، له جناحان من خلفه[٧].

وفي العيون: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى سخّر لي البراق، وهي دابّة من دوابّ الجنّة ليست بالقصير ولا بالطّويل، فلو أنّ الله أذن لها لجالت الدّنيا والآخرة في جرية واحدة، وهي أحسن الدّواب لوناً[٨].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ واحد باللجام، وواحد بالركاب، وسوى الآخر عليه ثيابه، فتضعضعت البراق فلطمها جبرئيل، ثم قال: اسكني يا براق فما ركبك نبيّ قبله ولا يركبك بعده مثله، قال: فرّقت به ورفعته إرتفاعاً ليس بالكثير، ومعه جبرئيل عليه السلام يريه الآيات من السّماء والأرض، قال النّبي صلى الله عليه وآله: فبينا أنا في مسيرتي إذ نادى مناد عن يميني: يا محمّد فلم أجبه، ولم ألتفت إليه، ثمّ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٤٣، س١٠. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٧٩، ح١٣.
٣ ـ الكافي: ج١، ص٤٤٣، ح١٣، باب مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله و وفاته.
٤ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧٦، ح٥٦٧.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٧٦، ح٣. واللفظ للكافي.
٦ ـ وفي الحديث كان أهدب الأشفار: أي طويل شعر جفان. مجمع البحرين: ج٢، ص١٨٣، مادة «هدب».
٧ ـ الكافي ج٨، ص٣٧٦، ح٥٦٧.
٨ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٣٢، ح٤٩، باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

نادى منادٍ عن يساري: يا محمّد فلم أجبه ولم ألتفت إليه، ثم استقبلتني إمرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كلّ زينة الدّنيا، فقالت: يا محمّد انتظرني حتّى أُكلّمك فلم ألتفت إليها، ثمّ سرت فسمعت صوتاً أفزعني فجاوزته فنزل بي جبرئيل فقال: صلّ فصلّيت، فقال لي: تدري أين صلّيت؟ فقلت: لا، فقال: صلّيت بطيبة وإليها مهاجرتك، ثم ركبت فمضينا ماشاء الله، ثم قال لي: إنزل فصلّ فنزلت وصلّيت، فقال لي: أتدري أين صلّيت؟ فقلت: لا، فقال: صلّيت بطور سيناء حيث كلّم الله موسى تكليماً، ثم ركبت فمضينا ماشاء الله، ثم قال لي: أنزل فصلّ فنزلت وصلّيت، فقال: لي أتدري أين صلّيت؟ فقلت: لا، فقال: صلّيت ببيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام، ثمّ ركبت فمضينا حتّى إنتهينا إلى بيت المقدس فربطت البراق بالحلقة الّتي كانت الأنبياء تربط بها، فدخلت المسجد ومعي جبرئيل إلى جنبي فوجدنا إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام فيمن شاء الله من أنبياء الله فقد جمعوا إليّ وأُقيمت الصّلاة[1] ولا أشكّ إلّا وجبرئيل سيتقدّمنا فلّما استووا أخذ جبرئيل بعضدي فقدّمني وأمّمتهم ولا فخر، ثم أتاني الخازن بثلاثة أوانٍ إناء فيه لبن، وإناء فيه ماء، وإناء فيه خمر، وسمعت قائلاً يقول: إن أخذ الماء غرق وغرقت اُمّته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت اُمّته، وإن أخذ اللّبن هدى وهديت اُمّته، قال: فأخذت اللّبن وشربت منه، فقال لي جبرئيل: هديت وهديت اُمّتك، ثم قال لي: ماذا رأيت في مسيرك؟ فقلت: ناداني مناد عن يميني، فقال لي: أو أجبته؟ فقلت: لا ولم ألتفت إليه، فقال: ذلك داعي اليهود، ولو أجبته لتهوّدت اُمّتك من بعدك، ثم قال: ماذا رأيت؟ فقلت: ناداني مناد عن يساري، فقال لي: أو أجبته؟ فقلت: لا ولم ألتفت إليه، فقال: ذلك داعي النّصارى، ولو أجبته لتنصّرت اُمّتك من بعدك، ثم قال: ماذا إستقبلك؟ فقلت: لقيت إمرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كلّ زينة الدّنيا، فقالت: يا محمّد إنتظرني حتّى اُكلّمك، فقال أو كلّمتها؟ فقلت: لم اُكلّمها، ولم ألتفت إليها، فقال: تلك الدّنيا ولو كلّمتها لاختارت اُمّتك الدّنيا على الآخرة، ثم سمعت صوتاً أفزعني فقال لي جبرئيل: تسمع يا محمّد،

---

١ ـ والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لمّا أُسري برسول الله حضرت الصلاة فأذن جبرئيل وأقام جبرئيل للصلاة، فقال: يا محمّد تقدم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: تقدّم يا جبرئيل، فقال له: إنّا لا نتقدم الآدميّين منذ أُمرنا بالسجود لآدم. منه قدس سره. راجع تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٧٧، ح ٥.

قلت: نعم، قال: هذه صخرة قذفتها على شفير جهنّم منذ سبعين عاماً فهذا حين إستقرت، قالوا: فما ضحك رسول الله ﷺ حتّى قبض، قال: فصعد جبرئيل، وصعدت معه إلى السّماء الدّنيا وعليها ملك يقال اسماعيل، وهو صاحب الخطفة الّتي قال الله تعالى «إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ[1] فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»[2][3] وتحته سبعون ألف ملك، تحت كلّ ملك سبعون ألف ملك، فقال: يا جبرئيل من هذا معك؟ فقال: محمّد ﷺ: قال: وقد بعث قال: نعم، ثم فتح الباب فسلّمت عليه وسلّم عليّ واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحباً بالأخ الصّالح، والنّبيّ الصّالح، وتلقّتني الملائكة حتّى دخلت السّماء الدّنيا فما لقيني ملك إلّا ضاحك مستبشر حتّى لقيني ملك من الملائكة لم أر خلقاً أعظم منه، كريه المنظر، ظاهر الغضب، فقال لي: مثل ما قالوا من الدّعاء إلّا أنّه لم يضحك ولم أر فيه من الإستبشار مما رأيت فيمن ضحك من الملائكة فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فإنّي قد فزعت منه، فقال: يجوز أن يفزع منه، فكلّنا نفزع منه، إنّ هذا مالك خازن النّار لم يضحك قطّ، ولم يزل منذ ولّاه الله جهنم يزداد كلّ يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته، فينتقم الله به منهم، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك، ولكنّه لا يضحك، فسلّمت عليه فردّ السّلام عليّ وبشّرني بالجنّة، فقلت لجبرئيل: وجبرئيل بالمكان الّذي وصفه الله «مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ»[4] ألا تأمره أن يُريني النّار، فقال له جبرئيل: يا مالك أرِ محمّداً النّار فكشف عنها غطاءً وفتح باباً منها فخرج منها لهب ساطع في السّماء، وفارت وارتفعت حتّى ظننت لتتناولني ممّا رأيت، فقلت: يا جبرئيل قل: له فليردّ عليها غطاءها، فأمرها، فقال: ارجعي فرجعت إلى مكانها الّذي خرجت منه، ثم مضيت فرأيت رجلاً أدماً[5] جسيماً فقلت من هذا يا جبرئيل؟ فقال:

---

١ ـ «إلّا من خطف الخطفة»: أي إختلس خلسة من كلام الملائكة، وخطف الشيء: أي إختطفه، وخطفه يخطفه من باب ـ تعب ـ إستلبه بسرعة. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٧، مادة «خطف».

٢ ـ الشهاب: شعلة نارٍ ساطعة. الصحاح: ج١، ص١٥٩، مادة «شهب».

٣ ـ الصافات: ١٠.　　　　٤ ـ التكوير: ٢١.

٥ ـ الأدمة من الإبل ـ بالضم ـ: البياض الشديد مع سواد المقلتين، وفي النّاس: السمرة الشديده. مجمع البحرين: ج٦، ص٦، مادة «أدم».

هذا أبوك آدمعليه السلام فإذا هو تعرض عليه ذرّيته فيقول: روح طيبة وريح طيّبة من جسد طيّب، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله سورة المطفّفين على رأس سبع عشرة آية «كَلَّا إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ»[1] إلى آخرها قال: فسلّمت على أبي آدم، وسلّم عليّ واستغفرت له واستغفر لي وقال: مرحباً بالابن الصّالح، والنّبيّ الصّالح، والمبعوث في الزمن الصّالح، ثم مررت بملك، من الملائكة وهو جالس على مجلس، وإذا جميع الدّنيا بين ركبتيه، وإذا بيده لوح من نور ينظر إليه[2] مكتوب فيه كتاباً ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً إلّا مقبلاً عليه كهيئة الحزين فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك الموت دائب[3] في قبض الأرواح، فقلت: يا جبرئيل أدنني منه حتّى أكلّمه، فأدناني منه فسلّمت عليه، وقال له جبرئيل: هذا نبيّ الرّحمة الّذي أرسله الله إلى العباد، فرّحب بي وحيّاني بالسّلام، وقال: إبشر يا محمّد، فإنّي أرى الخير كلّه في أمّتك، فقلت الحمد لله المنّان ذي النّعم على عباده، ذلك من فضل ربّي ورحمته عليّ، فقال جبرئيل:هو أشدّ الملائكة عملاً، فقلت: أكلّ من مات أو هو ميّت فيما بعد هذا يقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: ويراهم حيث كانوا، ويشهدهم بنفسه؟ فقال: نعم، فقال: ملك الموت ما الدّنيا كلها عنديَ فيما سَخّرها الله لي ومكنّني منها إلّا كالدّرهم في كفّ الرّجل يقلّبه كيف يشاء، وما من دار إلّا وأنا أتصفّحه كلّ يوم خمس مرّات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه فإنّ لي فيكم عودة وعودة حتّى لا يبقى منكم أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفى بالموت طامّة[4] يا جبرئيل، فقال جبرئيل: إنّ ما بعد الموت أطمّ وأطمّ من الموت، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحمٍ طيّب ولحم خبيث يأكلون اللّحم الخبيث ويدعون الطّيب، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الّذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال، وهم من أُمّتك يا محمّد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ رأيت ملكاً من

---

١ ـ المطففين: ١٨ ـ ٢١. ٢ ـ وفي نسخة: [ينظر فيه] وهذا هو الأصح.

٣ ـ الدّأب: بسكون همزة وقد تفتح: العادة والشأن، وأصله من دأب في العمل إذا جدّ وتعب. مجمع البحرين ج٢، ص٥٤، مادة «دأب».

٤ ـ الطامة: الداهية لأنّها تطم على كل شيء، أي تعلوه مجمع البحرين: ج٦ مادة «طمم».

الملائكة جعل الله أمره عجيباً نصف جسده ناراً، ونصفه الآخر ثلجاً فلا النّار تذيب الثلج، ولا الثّلج يطفي النّار، وهو ينادى بصوت رفيع، ويقول: سبحان الّذي كفّ حرّ هذه النّار فلا تذيب الثّلج، وكفّ برد هذا الثّلج فلا يطفي حر هذه النّار، اللّهم يا مؤلّف بين الثلج والنّار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك وكّله الله بأكناف السّماوات وأطراف الأرضين، وهو أنصح ملائكة الله لأهل الأرضين من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق، ورأيت ملكين[1] يناديان في السّماء أحدهما يقول: اللّهم أعط كلّ منفق خلفاً، والآخر يقول اللّهم أعط كلّ ممسك تلفاً، ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشفر[2][3] الإبل يُقرض اللّحم من جفون، ويلقى في أفواههم، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الهمّازون اللمّازون[4]، ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ[5] رؤسهم بالصّخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الّذين ينامون عن صلاة العشاء، ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النّار في أفواههم، وتخرج من أدبارهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً «إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً»[6] ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء «ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ»[7] وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النّار غدوّاً وعشيّاً، ويقولون: ربّنا متى

---

١ ـ وفي نسخة: [منذ خلق وملكان يناديان]. كما في المصدر.

٢ ـ وفي نسخة: [لهم مشافر كمشافر الأبل].

٣ ـ المشفر من البعير ـ بفتح الميم وكسرها والشين مفتوحة فيهما ـ كالجحفلة من الفرس وغيره من ذي الحافر، والشفة من الإنسان. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٥٢، مادة «شفر».

٤ ـ الهمز واللمز: العيب والغض من النّاس، قال الليث: «الهمزة»: هو الذي يعيبك بوجهك، «واللمزة»: الذي يعيبك بالغيب، وقيل: «اللمزة»: ما يكون باللسان والعين والإشارة، و«الهمز» لا يكون إلّا باللسان. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٤، مادة «لمز». وذكر الطريحي في مجمعه عند مادة «همز» ج ٤، ص ٤١، وأصل الهمز: الغمز والوقيعة في النّاس وذكر عيوبهم وقوله تعالى: «هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ»: المعنى واحد، أي عيّاب.

٥ ـ الرضخ: الدق والكسر، ومنه رضخت رأسه بالحجارة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٢، مادة «رضخ».

٦ ـ النساء: ١٠. ٧ ـ البقرة: ٢٧٥.

تقيم السّاعة؟ قال: ثم مضيت فإذا أنا بنسوان معلّقات بثديهنّ فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء اللّواتي يورثن أموال أزواجهنّ أولاد غيرهم، ثم قال رسول الله ﷺ: اشتدّ غضب الله على إمرأة ادخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم فاطّلع على عوراتهم وأكل خزائنهم، قال: ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله عزّوجل خلقهم الله كيف شاء و وضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا وهو يسبّح الله ويحمده من كلّ ناحية بأصوات مختلفة أصواتهم مرتفعة بالتّحميد والبكاء من خشية الله فسألت جبرئيل عنهم: فقال: كما ترى خلقوا إنّ الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلّمه قطّ ولا رفعوا رؤسهم إلى ما فوقها، ولا خفضوها إلى ما تحتها، خوفاً لله وخشوعاً فسلّمت عليهم فردّوا علي إيماءاً برؤوسهم و لا ينظرون إليّ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل: هذا محمّد ﷺ نبي الرّحمة أرسله الله إلى عباده[1] رسولاً ونبيّاً، وهو خاتم النبوة وسيّدهم أفلا تتكلّموه؟ قال: فلمّا سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليّ بالسّلام وأكرموني وبشّروني بالخير لي ولأُمّتي.

قال: ثمّ صعدنا إلى السّماء الثّانية فإذا فيها رجلان متشابهان فقلت، من هذان يا جبرئيل؟ قال: إبنا الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام فسلّمت عليهما وسلّما عليّ واستغفرت لهما واستغفرا لي وقالا: مرحباً بالأخ الصّالح، والنّبيّ الصّالح، وإذا فيها من الملائكة وعليهم الخشوع، قد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلّا يسبّح الله ويحمده بأصوات مختلفة.

ثمّ صعدنا إلى السّماء الثّالثة: فإذا فيها رجل فضل حسنه على سائر الخلق كفضل القمر ليلة البدر على سائر النّجوم، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا أخوك يوسف، فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحباً بالنّبيّ الصّالح، والأخ الصّالح، والمبعوث في الزّمن الصّالح، وإذا فيها ملائكة من الخشوع مثل ما وصفت في السّماء الأولى و الثّانية، وقال لهم جبرئيل: في أمري ما قال: للآخرين، وصنعوا بي مثل ما صنع الآخرون.

ثم صعدنا إلى السّماء الرابعة: وإذا فيها رجل فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا

---

١ ـ وفي نسخة [على العباد].

إدريس رفعه الله مكاناً عليّاً، فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة عليهم من الخشوع مثل ما في السّماوات، فبشّروني بالخير لي ولأمّـتي، ثمّ رأيت ملكاً جالساً على سرير تحت يديه سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك، فوقع في نفس رسول الله ﷺ أنّه هو فصاح به جبرئيل فقال: قم فهو قائم إلى يوم القيامة.

ثم صعدنا إلى السّماء الخامسة: فإذا فيها رجل كهل[١] عظيم العين لم أر كهلاً أعظم منه، حوله ثلّة[٢] من أُمّته فأعجبني كثرتهم فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا المجيب في قومه هارون بن عمران فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السّماوات.

ثمّ صعدنا إلى السّماء السّادسة وإذا فيها رجل أدم[٣] طويل كأنّه من سمرة ملون عليه قميصين لنفذ شعره فيهما[٤] وسمعته يقول: يزعم بنو إسرائيل إنّي أكرم ولد آدم على الله، وهذا رجل أكرم على الله منّي، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال أخوك موسى بن عمران فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيهامن الملائكة الخشوع مثل ما في السّماوات.

قال: ثم صعدنا إلى السّماء السّابعة فما مررت بملك من الملائكة إلّا قالوا: يا محمّد احتجم، وأمر أُمّتك بالحجامة وإذا فيها رجل اشمط[٥] الرأس واللّحية جالس على كرسي فقلت: يا جبرئيل من هذا الّذي في السّماء السابعة، على باب بيت المعمور في جوار الله؟ فقال: يا محمّد هذا أبوك إبراهيم عليه السلام وهذا محلّك ومحلّ من إتّقى من أُمّتك، ثم قرأ رسول الله ﷺ «إِنَّ أَوْلَى

---

١ ـ الكهل من الرجال: مازاد على ثلاثين سنة إلى أربعين، وقيل: من ثلاثين إلى تمام الخمسين. وقد أكتهل الرجل وهو كاهل إذا بلغ الكهولة فصار كهلاً. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٦٧ مادة «كهل».

٢ ـ الثلة ـ بالضم والتشديد ـ: الجماعة من الناس، والكثيرة العدد مجمع البحرين: ج٥، ص٣٣٢، مادة «ثلل».

٣ ـ الادمة ـ في النّاس ـ: السمرة الشديد. مجمع البحرين: ج٦، ص٦، مادة أدم.

٤ ـ وفي نسخة: [كأنّه من شعرة ولو أنّ عليه قميصين لنفذ شعره فيهما]، وفي المصدر «رجل أدم طويل عليه سمرة ولولا أنّ عليه قميصين لنفذ شعره منهما». وفي بحار الأنوار: ج١٨، ص٣٢٦ «رجل أدم طويل كأنّه من شبوة ولو أنّ...».

٥ ـ الشمط ـ بالتحريك ـ: بياض شعر الرأس يخالط سواده مجمع البحرين: ج٤، ص٢٥٨. مادة «شمط».

ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ»[1] فسلّمت عليه وسلّم عليّ، وقال: مرحباً بالنّبيّ الصّالح، والإبن الصّالح، والمبعوث في الزّمن الصّالح، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السّماوات فبشّروني بالخير لي ولأمّتي، قال رسول الله ﷺ: ورأيت في السّماء السّابعة بحاراً من نور يتلألأ يكاد تلألؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحار مظلمة، وبحار ثلج ترعد، فلمّا فزعت ورأيت هؤلاء[2] سألت جبرئيل فقال: إبشر يا محمّد، واشكر كرامة ربّك، واشكرالله على[3] ماصنع إليك،قال: فثبّتني الله بقوّته وعونه حتّى كثر قولي لجبرئيل وتعجّبي، فقال جبرئيل: يا محمّد أتعظّم ما ترى؟ إنّما هذا خلق من خلق ربك فكيف بالخالق الذي خلق ما ترى وما لا ترى أعظم من هذا من خلق ربّك أنّ بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب: حجاب من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من الغمام، وحجاب من ماء، قال: ورأيت من العجائب التي خلق الله وسخّر به على ما أراد ديكاً رجلاه في تخوم[4] الأرضين السّابعة، ورأسه عند العرش، وملكاً من ملائكة الله تعالى خلقه الله كما أراد رجلاه في تخوم الأرضين السّابعة، ثمّ أقبل مصعداً حتّى خرج من[5] الهواء إلى السّماء السّابعة، وإنتهى فيها مصعداً حتّى إنتهى قرنه إلى قرب العرش، وهو يقول: سبحان ربّي حيث ما كنت لا تدري أين ربّك من عظم شأنه، وله جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فإذا كان في السّحر نشر جناحيه وخفق[6] بهما وصرخ بالتّسبيح يقول: سبحان الله الملك القدّوس، سبحان الله الكبير المتعال لا إله إلّا الله الحيّ القيّوم، وإذا قال: ذلك سبّحت ديوك الأرض كلّها، وخفقت بأجنحتها،

---

١ ـ آل عمران: ٦٨.

٢ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «هولأ» وهذا هو الصحيح.

٣ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «بما صنع إليك» كما جاء في بحار الأنوار: نفس المصدر السابق، ونور الثقلين: ج٣، ص١٠٩، ح١٩.

٤ ـ التخم: حدّ الأرض. والجمع تخوم. مجمع البحرين: ج٦، ص٢١، مادة «تخم».

٥ ـ وفي نسخة: [في الهواء] كما في المصدر.

٦ ـ خفق الطائر: إذا طار، وخفقانه: إضطراب جناحيه مجمع البحرين: ج٥، ص١٥٥. مادة «خفق».

وأخذت بالصّراخ، فإذا سكت ذلك الدّيك في السّماء سكتت ديوك الأرض كلّها، ولذلك الدّيك زغب[١] أخضر، وريش أبيض، كأشدّ بياض ما رأيته قط، وله زغب أخضر أيضاً تحت ريشه الأبيض كأشدّ خضرة ما رأيتها قطّ، قال: ثمّ مضيت مع جبرئيل فدخلت البيت المعمور فصلّيت فيه ركعتين، ومعي أُناس من أصحابي عليهم ثياب جدد وآخرين عليهم ثياب خلقان[٢] فدخل أصحاب الجدد، وحبس أصحاب الخلقان، ثم خرجت فانقاد لي نهران: نهر يسمّى الكوثر، ونهر يسمّى الرّحمة، فشربت من الكوثر، واغتسلت من الرّحمة، ثم انقادا لي جميعاً حتى دخلت الجنّة، فإذا على حافتيها بيوتي وبيوت أزواجي، وإذا ترابها كالمسك، فإذا جارية تنغمس في أنهار الجنّة، فقلت؟ لمن أنت يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة، فبشّرته بها حين أصبحت وإذا بطيرها كالبخت وإذا رمّانها مثل الدلى[٣] العظام وإذا شجرة لو أرسل طائر في أصلها مادارها سبعمائة سنة، وليس في الجنّة منزل إلّا وفيها قتر[٤] منها، فقلتُ ما هذه يا جبرئيل؟ فقال: هذه شجرة طوبى، قال الله تعالى: «طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ»[٥] قال رسول الله ﷺ: فلّما دخلت الجنّة رجعت إلى نفسي فسألت جبرئيل عن تلك البحار، وهولها وأعاجيبها فقال: هو سرادقات الحجب الّتي إحتجب الله تبارك وتعالى بها، ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش، وكلّ شيء فيه وإنتهيت[٦] إلى سدرة المنتهى فإذا الورقة منها تظلّ أُمّة من الأمم فكنت منها كما قال الله تعالى: «قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ»[٧] فناداني «ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ»[٨][٩].

---

١ ـ الزغب ـ محركة ـ: صغار الشعر ولينه حين يبدو من الصبي وكذلك من الشيخ حين يرق شعره ويضعف ومن الريش أول ما ينبت. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٧٩ مادة «زغب».

٢ ـ خُلق الثوب ـ بالضم ـ: إذا بلى فهو خلق بفتحتين، وأخلق الثوب مثله. مجمع البحرين: ج٥، ص١٥٨، مادة «خلق».

٣ ـ الدلاء: وهي جمع «دلو» التي يستق بها، ويجمع في القلة على «أدل» وفي الكثرة على «دلاء» و «دلى» كفعال وفعول، تأنيث الدلو. مجمع البحرين: ج ١، ص١٤٥، مادة «دلا».

٤ ـ وفي نسخة: [وفيها فرع] كما في المصدر.

٥ ـ الرعد: ٢٩.

٦ ـ وفي نسخة: [فانتهيت].

٧ ـ النجم: ٩.

٨ ـ البقرة: ٢٨٥.

٩ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٣ ـ ١١.

قال القمّي: قد كتبنا ذلك في سورة البقرة[١].

أقول: وقد نقلناه عنه هناك[٢] قال: فقال رسول الله ﷺ: يا ربّ أعطيت أنبياءك فضائل فأعطني، فقال الله: وقد أعطيتك فيما أعطيتك كلمتين من تحت عرشي: «لا حول ولا قوة إلّا باللهِ ولا منجا منك إلّا إليك» قال: وعلّمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت: اللّهُم أنّ ظلمي أصبح مستجيراً بعفوك، وذنبي أصبح مستجيراً بمغفرتك، وذلّي أصبح مستجيراً بعزك، وفقري أصبح متسجيراً بغناك، ووجهي البالي أصبح مستجيراً بوجهك الباقي الذي لا يفني، ثم سمعت الأذان فإذا ملك يؤذّن لم يرفي السّماء قبل تلك اللّيلة فقال: الله أكبر، الله أكبر، فقال الله: صدق عبدي أنا أكبر، فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، أشهد أن لا إله إلّا الله، فقال الله: صدق عبدي أنا الله لا إله غيري، فقال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فقال الله: صدق عبدي أنّ محمّداً عبدي ورسولي، أنا بعثته وانتجبته، فقال: حيّ على الصّلاة، حيّ على الصّلاة، فقال: صدق عبدي، دعا إلى فريضتي فمن مشى إليها راغباً فيها محتسباً كانت كفّارة لما مضى من ذنوبه، فقال: حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، فقال الله: هي الصّلاح، والنّجاح، والفلاح، ثمّ أمّمت الملائكة في السّماء كما أمّمت الأنبياء في بيت المقدس، قال: ثمّ غشيتني صبابة[٣] فخررت ساجداً فناداني ربّي إنّي قد فرضت على كلّ نبيٍّ كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى اُمّتك فقم بها أنت في اُمّتك، فقال رسول الله ﷺ: فانحدرت حتّى مررت على إبراهيم عليه السلام فلم يسألني عن شيء حتّى إنتهيت إلى موسى عليه السلام فقال: ما صنعت يا محمّد؟ فقلت: قال ربّي: فرضت على كل نبيّ كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى اُمّتك، فقال موسى: يا محمّد إنّ اُمّتك آخر الأمم وأضعفها وإنّ ربّك لا يردّ عليك شيئاً، وإنّ اُمّتك لا تستطيع أن تقوم بها فإرجع إلى ربّك فاسأله التّخفيف لاُمّتك فرجعت إلى ربّي حتّى إنتهيت إلى سدرة المنتهى فخررت ساجداً، ثمّ قلت: فرضت عليّ وعلى اُمّتي خمسين صلاة ولا اُطيق ذلك ولا اُمّتي فخفّف عنّي فوضع عنّي، عشراً فرجعت إلى

---

١ ـ ذيل الآية: ٢٨٥، راجع تفسير القمّي: ج١، ص٩٥، س١٠، وهذه العبارة موجودة في ج٢، ص١١، س٩.

٢ ـ أي نقلنا تفسير الآية ٢٨٥ من سورة البقرة في الجزء الأوّل من كتابنا الصافي: ص٤٩٣ ـ ٤٩٤.

٣ ـ الصبابة: لوعة العشق وحرارته. مجمع البحرين: ج٢، ص٩٦، مادة «صبب».

موسى عليه السلام فأخبرته فقال: إرجع إلى ربّك لا تطيق، فرجعت إلى ربّي فوضع عنّي عشراً، فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع وفي كلّ رجعة أرجع إليه أخر ساجداً حتّى رجع إلى عشر صلوات فرجعت إلى موسى عليه السلام وأخبرته فقال: لا تطيق فرجعت إلى ربّي فوضع عنّي خمساً فرجعت إلى موسى وأخبرته فقال: لا تطيق، فقلت: قد أستحييت من ربّي، ولكن أصبرُ عليها فناداني منادٍ كما صبرت عليها فهذه الخمس بخمسين كلّ صلاة بعشر، ومن همّ من اُمّتك بحسنة يعملها فعملها كتبت له عشراً وإن لم يعمل كتبت له واحدة، ومن هم من أمّتك بسيّئة فعملها كتبت عليه واحدة، وإن لم يعملها لم أكتب عليه.

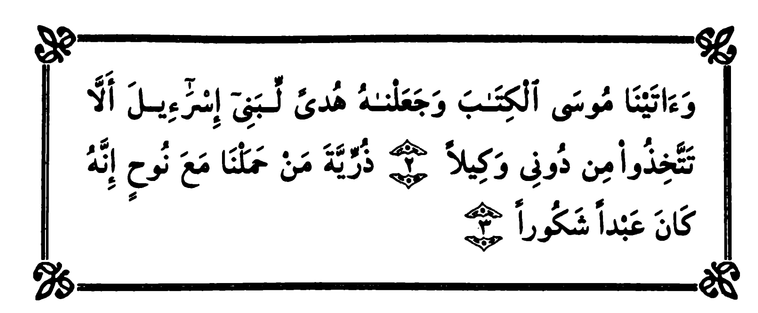
فقال الصّادق عليه السلام: جزى الله موسى عن هذه الأُمّة خيراً فهذا تفسير قول الله عزّوجلّ «سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ» الآية[1].

وفي المجالس: عن الصّادق عليه السلام لمّا أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس حمله جبرئيل على البراق فأتيا بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء، وصلّى بها وردّه فمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية وقد أضلّوا بعيراً لهم، وكانوا يطلبونه فشرب رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك الماء وأهرق باقيه، فلمّا أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله قال لقريش: إنّ الله تعالى قد أسرى بي إلى بيت المقدس وأراني آثار الأنبياء ومنازلهم، وإنّي مررت بعير في موضع كذا وكذا، وقد أضلّوا بعيراً لهم فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك، فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة فسألوه كم الأساطين فيها والقناديل؟ فقالوا: يا محمّد أنّ هاهنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟ فجاء جبرئيل عليه السلام فعلّق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه فلمّا أخبرهم قالوا: حتّى يجيء العير ونسألهم عمّا قلت، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: تصديق ذلك أنّ العير تطلع عليكم مع طلوع الشّمس يقدمها جمل أورق[2] فلمّا كان من الغد أقبلوا: ينظرون إلى العقبة، ويقولون: هذه الشّمس تطلع السّاعة فبيناهم كذلك إذ أطلعت عليهمُ العير حين طلع القرص يقدمها جمل

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١ ـ ١٣.

٢ ـ الأورق من الإبل: الذي في لونه سواد إلى بياض، ومنه جمل أورق. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٤٦، مادة «ورق».



أورق فسألوهم عمّا قال رسول الله ﷺ فقالوا: لقد كان هذا، ضلّ جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماءاً فأصبحنا وقد أُهريق الماء فلم يزدهم ذلك إلّا عتوّاً[١]. والقمّي ما يقرب منه[٢].

وفي كشف الغمّة: عن النّبيّ ﷺ أنّه سئل بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأُلهمت أن قلت: يا ربّ خاطبتني أم عليّ؟ فقال: يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء، ولا أقاس بالنّاس، ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري، وخلقت عليّاً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبَّ من عليّ بن أبي طالب فخاطبتك بلسانه كيما يطمئّن قلبك[٣].

والأخبار في قصّة المعراج كثيرة، من أرادها فليطلبها في مواضعها، وفيها أسرار لا يعثر عليها إلّا الرّاسخون في العلم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿مِن دُونِى وَكِيلاً﴾: ربّاً تكلون إليه أُموركم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: نصبه على الإختصاص أو النّداء.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾: كثير الشّكر، في الكافي[٤]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه

---

١ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٦٣، ح١، المجلس التاسع والستون.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣، س٨.

٣ ـ كشف الغمة: ج١، ص١٠٦ وأخرجه العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ج١٨، ص٣٨٦، ح٩٤.

٤ ـ الكافي: ج٢، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥، ح٣٨، باب القول عند الاصباح والإمساء.

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴿٥﴾

سئل ما عنى بقوله في نوح: «إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً»؟ فقال: كلمات بالغ فيهنّ، قيل: وما هنّ؟ قال: كان إذا أصبح: قال: أصبحت أشهدك ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنياً فإنّها منك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد على ذلك، ولك الشّكر كثيراً كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً[١].

في الفقيه[٢]، والعلل[٣]، والقمّي[٤]، والعيّاشي[٥] ما يقرب منه على إختلاف في ألفاظ الذكر وعدده.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وأوحينا إليهم وحياً مقضيّاً مبتوتاً.

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التّوراة.

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾: إفسادتين.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَٰهُمَا﴾: وعد عقاب أُولاهما.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ﴾: في الجوامع: عن علي عليه السلام أنه قرأ عبيداً لنا[٦].

﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: ذوي قوّة وبطش في الحرب شديدٍ.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١، ح ١٩.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٢١، ح ٩٨٠/٢، باب ٤٨ فيما يستحب من الدعاء في كل صباح ومساء.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٢٩، ح ١، باب ٢١ ـ العلة التي من أجلها سمى نوح عبداً شكوراً.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤، س ١.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١، ح ١٧.

٦ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣١٧، س ١٧.

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيراً ﴿٧﴾

﴿فَجَاسُوا۟﴾: تردّدوا لطلبكم.

﴿خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: وسطها للقتل والغارة والسّبي.

﴿وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾: وكان وعد عقابهم لابدّ أن يفعل.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾: الدّولة والغلبة.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على الّذين بعثوا عليكم.

﴿وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾: ممّا كنتم والنّفير من ينفر مع الرّجل من قومه والمجتمعون للذهاب إلى العدوّ.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: لأنّ ثوابه لها.

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: فإنّ وبالها، عليها، في الجوامع: عن عليّ عليه السلام ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه، وتلا الآية[1].

قيل: وإنّما ذكر باللام إزدواجاً[2].

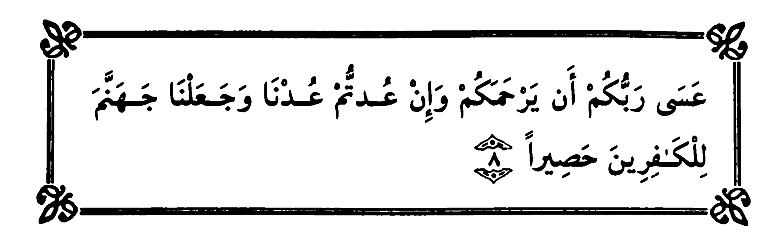
وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام وإنّ أسأتم فلها ربّ يغفر[3].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص٣١٨، س٩.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص٥٧٨، س١٤.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص٢٩٤، ح٤٩، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.



﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾: وعد عقوبة المرّة الآخرة.

﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾: بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولاً عليه، وقرئ ليسوء على التّوحيد أي الوعد أو البعث، وبالنّون.

﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾: وليهلكوا.

﴿مَا عَلَوْاْ﴾: ما غلبوه وإستولوا عليه، أومدّة علوّهم.

﴿تَتْبِيراً * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: نوبة أُخرى.

﴿عُدْنَا﴾: مرّة ثالثة إلى عقوبتكم.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيراً﴾: محبساً لا يقدرون الخروج منها أبداً، والعامّة فسّروا الإفساد: مرتين بقتل زكريّا ويحيى، والعلوّ الكبير بإستكبارهم عن طاعة الله وظلمهم النّاس، والعبادأُولى بأس: ببخت نصّر وجنوده، وردّ الكرة عليهم بردبهمن بن إسفنديار اسراهم إلى الشّام وتمليكه دانيال عليهم، ووعد الآخرة بتسليط الله الفرس عليهم مرّة أُخرى[1].

وفي الكافي[2]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه فسّر الإفسادين بقتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وطعن الحسن عليه السلام، والعلوّ الكبير: بقتل الحسين عليه السلام، والعباد أولى بأس: بقوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلايدعون وتراً لآل محمّد صلوات الله عليهم إلّا قتلوه، ووعد الله بخروج القائم عليه السلام، وردّ الكرّة عليهم بخروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهب حين كان الحجّة القائم بين أظهرهم، وزاد العيّاشي ثم يملكهم الحسين عليه السلام حتّى يقع حاجباه على عينيه[3].

---

١ ـ تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٧٨، س ١، باختلاف.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٠٦، ح ٢٥٠.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨١، ح ٢٠.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ۝٩﴾

والعيّاشي: عنه عليه السلام أوّل من يكرّ إلى الدّنيا الحسين بن عليّ عليهما السلام، وأصحابه، ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذوا القذّة بالقذّة، ثم تلا هذه الآية «ثُمَّ رَدَدْنَا»[1].

وفي رواية أُخرى للعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّ العباد أُولى بأس: هم القائم وأصحابه[2].

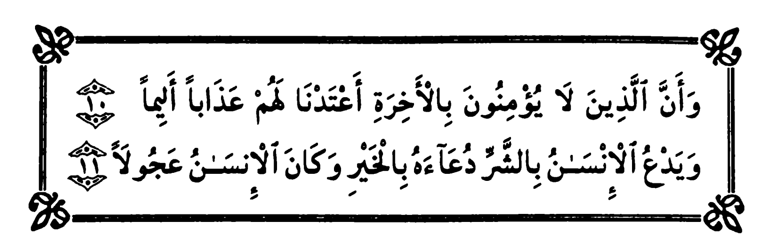
والقمّي: وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب: أي أعلمنا هم ثمّ إنقطعت مخاطبة بني إسرائيل وخاطب الله أمّه محمّد صلى الله عليه وآله فقال: «لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» يعني فلاناً وفلاناً وأصحابهما، ونقضهم العهد، «وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً» يعني ما إدّعوه من الخلافة «فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا» يعني يوم الجمل «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ»: يعني أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه «فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ»: أي طلبوكم وقتلوكم «وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً»: يعني يتم ويكون «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» يعني لبني أميّة على آل محمدّ صلى الله عليه وآله «وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً» من الحسن والحسين عليهما السلام ابنيّ عليّ وأصحابهما وسبوا نساء آل محمّد صلوات الله عليهم، «فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ» يعني القائم وأصحابه «لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ»: يعني يسودّ وجوههم «وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وأمير الؤمنين عليه السلام «وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً» أي يعلو عليكم فيقتلوكم ثمّ عطف على آل محمّد، فقال: «عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ» أي ينصركم على عدوّكم، ثمّ خاطب بني أُميّة فقال: «وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا» يعني إن عدتم بالسّفياني، عدنا بالقائم من آل محمّد صلوات الله عليهم «وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيراً» حبساً يحصرون فيها[3].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: للطّريقة الّتي هي أقوم الطّرق وأشدّ

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٢، ذيل ح ٢٣. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨١، ح ٢١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤، س ٤.



إستقامةً، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام أي يدعو[1].

وعنه عليه السلام: يهدي إلى الإمام عليه السلام[2].

والعيّاشي: مقطوعاً مثله[3].

وعن الباقر عليه السلام: يهدي إلى الولاية[4].

وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه السّجّاد عليهم السلام الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً[5] فقيل: ما معنى المعصوم؟ قال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله: هو القرآن، والقرآن: يهدي إلى الإمام وذلك قول الله عزّوجلّ: «إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»[6].

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً * وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾: يعني يبشّر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: مثل دعائه بالخير.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً﴾: في مصباح الشّريعة: عن الصّادق عليه السلام وأعرف طريق

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص١٣، ح١، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٢١٦، ح٢، باب أن القرآن يهدي للإمام.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٢، ح٢٤. ٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٣، ح٢٥.

٥ ـ فيه سقط وإليك نصّه: فقيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّوجلّ: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم».

٦ ـ معاني الأخبار: ص١٣٢، ح١، باب معنى عصمة الإمام.

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلاً ﴿١٢﴾

نجاتك وهلاكك كيلا تدعوا الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظنّ أن فيه نجاتك قال الله تعالى: «وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ»[1] الآية.

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وثب ليقوم قبل أن يستتمّ خلقه فسقط فقال الله عزّوجلّ: «وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً»[2].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾: ولتطلبوا في بياض النّهار أسباب معايشكم.

﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾: بإختلافهما ومقاديرهما.

﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ﴾: تفتقرون إليه في أمر الدّين والدّنيا.

﴿فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلاً﴾: بينّاه بياناً غير ملتبس، في نهج البلاغة: وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها، وقمرها آية ممحوّة من ليلها وأجراهما في مناقل مجراهما، وقدر مسيرهما في مدارج مدرجهما ليتميّز بين اللّيل والنّهار بهما، وليعلم عدد السّنين والحساب بمقاديرهما[3].

وفي العلل: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سئل ما بال الشّمس والقمر لا يستويان في الضّوء والنّور؟ قال: لما خلقهما الله عزّوجل أطاعا ولم يعصيا شيئاً فأمر الله جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه فأثّر المحو في القمّر خطوطاً سوداء، ولو أنّ القمر ترك على حاله بمنزلة الشّمس لم يمح لما عرف اللّيل من النّهار، ولا النّهار من اللّيل ولا علم الصّائم كم يصوم؟ ولا عرف النّاس

---

١ ـ مصباح الشريعة: ص ١٣٢.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٣، ح ٢٧.

٣ ـ نهج البلاغة: ١٢٨، س ٦، الخطبة ٩١: وفيه «قدر سيرهما في مدارج درجهما».

وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾

عدد السّنين، وذلك قول الله عزّوجلّ: «وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ» الآية[١].

وفي الإحتجاج: قال إبن الكوّا لأمير المؤمنين عليه السلام أخبرني عن المحو الّذي يكون في القمر فقال: الله أكبر، الله أكبر الله أكبر رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء أما سمعت الله يقول: «وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً»[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: لمّا خلق الله القمر كتب عليه لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام، وهو السّواد الّذي ترونه[٣].

والعيّاشي: ما يقرب من الحديثين[٤].

﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ﴾: عمله، وما قدّر له، كأنّه طُيّر له من عشّ[٥] الغيب ووكر القدر.

﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾: لزوم الطّوق في العنق.

العيّاشي: عنهما عليهما السلام[٦] والقمّي: قال: قدّره الله الّذي قدّر عليه[٧].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام خيره وشرّه معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل[٨].

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٤٧٠، ح٣٣، باب ٢٢٢ ـ النوادر.
٢ ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٨٧، س١٢، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام وأجوبة مسائل إبن الكوا.
٣ ـ الإحتجاج: ج١، ص٢٣١، س٣، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار.
٤ ـ تفسير العيّاشي ج٢، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤، ح٣١.
٥ ـ عش الطائر: موضعه الذي يجمعه من دقاق العيدان وغيرها. الصحاح: ج٣، ص١٠١١.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٤، ح٣٢.
٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٧، س١١.
٨ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٧، س١٤.

ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰباً﴾: هي صحيفة عمله.

أقول: هي بعينها نفسه التي رسخت فيها آثار أعمالِه بحيث إنتقشت بها.

﴿يَلْقَـٰهُ مَنشُوراً﴾: لكشف الغطاء، وقرئ يُلقّى بالتّشديد، والبناء للمفعول.

﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾: على إرادة القول.

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾: في المجمع[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتّى كأنه فعله في تلك السّاعة فلذلك قالوا «يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا»[٢][٣].

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: ولا تحمل نفس حاملة وزراً وزرت[٤] نفس اُخرى، بل إنّما تحمل وزرها.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾: يبين الحجج ويمهّد الشّرائع فيلزمهم الحجّة، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل هل جعل في النّاس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: لا، قيل: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: لا، على الله البيان «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا»[٥] و«لا

١ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٠٤، س١٣. ٢ـ الكهف: ٤٩.

٣ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٨٤، ح٣٣.

٤ـ هكذا في الأصل. والنسخة الثانية. والصحيح: «لا تحمل نفس حاملة وزراً وِزْرَ نفسٌ اُخرى».

٥ـ البقرة: ٢٨٦.

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيراً ﴿١٦﴾

يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا ءَاتَـٰهَا»[١][٢].

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾: وإذا تعلّقت إرادتنا بإهلاك قومٍ بدنو وقته المقدّر.

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: متنعّميها.

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾: القمّي: كثّرنا جبابرتها[٣].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه قرأ «أمّرنا» مشدّدة ميمه تفسيره كثّرنا، وقال: لا قرأتها مخفّفة[٤].

وعنه عليه السلام: أمرنا[٥] أكابرها[٦].

وفي المجمع: عنه عليه السلام إنّه قرأ «أمّرنا» بتشديد الميم[٧].

وعن عليّ عليه السلام: إنّه قرأ «آمرنا» على وزن عامرنا، يقال: آمرت الشّيء وآمرته فآمر: إذا كثّرته[٨].

وفي الحديث: خير المال سكة مأبورة[٩] ومهرة مأمورة[١٠] أي كثيرة النتاج، والسكّة: النّخل، والمهرة: الفرس.

---

١ ـ الطلاق: ٧.

٢ ـ الكافي: ج١، ص١٦٣، ح٥، باب البيان والتعريف ولزوم الحجة.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٧، س١٧.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٤، ح٣٤.

٥ ـ وقيل: يجوز أن يكون منقولاً من أمر بالضم. أي جعلناهم أمراً منه ﷺ.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٤، ح٣٥.

٧ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٠٥، في القراءة.

٨ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٠٥، في القراءة.

٩ ـ أبر فلان نخله، أي لقّحه وأصلحه، ومنه سكة مأبورة. الصحاح: ج٢، ص٥٧٤، مادة «أبر».

١٠ ـ جوامع الجامع: ج١، ص٣٢١، س١٥. وأنوار التنزيل: ج١، ص٥٨٠.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَـٰهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ﴿١٨﴾﴾

وقيل: تخصيص المترفين لأنّ غيرهم يتبعهم ولأنّهم أسرع إلى الحماقة وأقدر على الفجور[١][٢].

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾: يعني كلمة العذاب.

﴿فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيراً﴾: أهلكناها.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: وكثيراً أهلكنا.

﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾: كعادٍ وثمودٍ.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً﴾: يدرك بواطنها، وظواهرها، فيعاقب عليها.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: النّعمة الدنيويّة مقصوراً عليها همّته.

﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾: قيّد المعجّل والمعجّل له بالمشيئة والإرادة لأنّه لا يجد كلّ متمنّ ما يتمنّاه، ولا كلّ أحد جميع ما يهواه، وليعلم إنّ الأمر بالمشيّة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَـٰهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً﴾: مطروداً من رحمة الله، في المجمع: عن النّبيّ ﷺ معنى الآية من كان يريد ثواب الدّنيا بعمله الذي إفترضه الله عليه لا

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٨٠، س ٢٠.

٢ ـ أعلم أن قوله القمّي: كثرنا جبابرتها في ذيل الآية «فَفَسَقُواْ فِيهَا» إلى هنا يتعلق بتفسير «أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» دون تفسير «فَفَسَقُواْ فِيهَا».

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴿١٩﴾ كُلّاً نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾

يريد به وجه الله والدّار الآخرة عجّل له ما يشاء الله من عرض الدّنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك إنّ الله سبحانه يؤتيه ذلك ليستعين به على الطّاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه[1].

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: حقّها من السّعي وهو الإتيان بما أُمر به والإنتهاء عمّا نهي عنه، لا التقرّب بما يخترعون بآرائهم، وفائدة اللّام إعتبار النّيّة والإخلاص.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: إيماناً لا شرك فيه ولا تكذيب.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾: من الله مقبولاً عنده مثاباً عليه، روي عن النّبيّ ﷺ ومن أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدّنيا[2].

﴿كُلّاً نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾: كلّ واحد من الفريقين نتفضل عليه بالعطاء مرّة بعد أُخرى، بجعل الآنف منه مدداً للسّالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعاً.

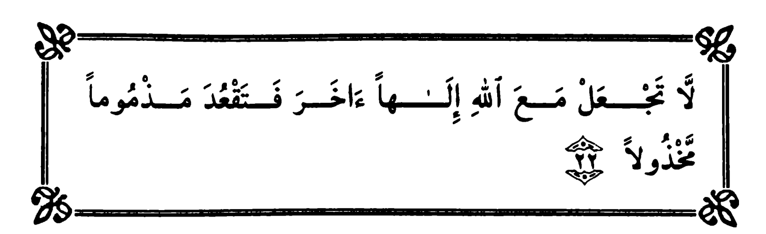
﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾: ممنوعاً لا يمنع العاصي لعصيانه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: في الدّنيا.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٠٧، س١١.

٢ ـ بحار الأنوار: ج٦، ص١٣١، ح٢٥ و ج٧١، ص٣٣٣، ح٩، والخصال: ص٢٩٣، ح٥٨، باب ٥ ـ حق الحياء من الله عزّوجلّ في خمس خصال والأمالي للشيخ الصدوق: ص٤٩٣، ح٢، المجلس التسعون، وقرب الإسناد: ص٢٣، ح٧٩، وفي الجميع «من أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا»، نعم جاء في روضة الواعظين: ص٤٦٠ «ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا».



﴿وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾: أي التفاوت في الآخرة أكثر، في المجمع: روي أنّ ما بين أعلى درجات الجنّة وأسفلها مثل ما بين السّماء والأرض[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لا تقولنّ الجنّة واحدة إنّ الله يقول: «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ»[٢]، ولا تقولنّ درجة واحدة إنّ الله يقول: «دَرَجَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ»[٣] إنّما تفاضل القوم بالأعمال[٤].

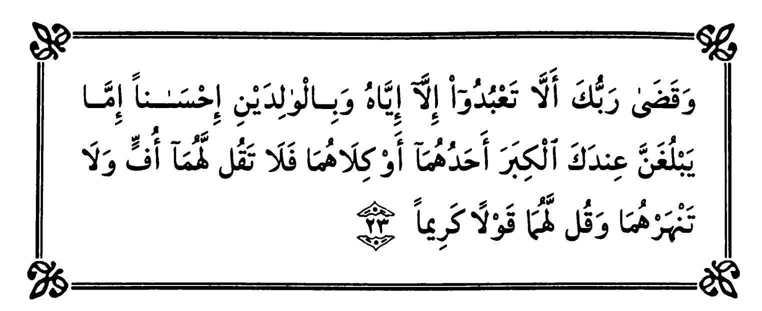
قيل له: إنّ المؤمنين يدخلان الجنّة فيكون أحدهما أرفع مكاناً من الآخر فيشتهي أن يلقى صاحبه، قال: من كان فوقه فله أن يهبط، ومن كان تحته لم يكن له أن يصعد، لأنّه لم يبلغ ذلك المكان، ولكنّهم إذا أحبّوا ذلك وإستهووه إلتقوا على الأسرّة[٥].

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّما يرتفع العباد غداً في الدّرجات وينالون الزّلفى من ربّهم على قدر عقولهم[٦].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الثّواب على قدر العقل[٧].

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ﴾: الخطاب لكل أحد[٨] أو للرّسول والمراد به أُمّته

١ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٠٧، س٢٦. وراجع تفسير العيّاشي: ج١، ص٢٠٥، ح١٥٠.
٢ـ الرحمن: ٦٢.
٣ـ اقتباس من قوله تعالى: «ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات» الزخرف: ٣٢.
٤ـ لم نعثر عليه بتمامه في تفسير العيّاشي، بل وجدناه في مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٢١٠ نقلاً عن العيّاشي، نعم الموجود في تفسير العيّاشي: ج١، ص٣٨٨، ح١٤٧ قوله عليه السلام: «ولا تقولنّ درجة واحدة... إلخ».
٥ـ لم نعثر عليه في تفسير العيّاشي بل وجدناه في مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص ٢١٠ نقلاً عن العيّاشي.
٦ـ نور الثقلين: ج٣، ص١٤٧، ح١٢٥، وبحار الأنوار: ج٦٩، ص١٥٥ ـ ١٥٦.
٧ـ الكافي: ج١، ص١١ ـ ١٢، ح٨.
٨ـ وفي نسخة: [لكل واحد].



كما قاله القمّي[1].

﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾: يعني إذا فعلت ذلك بقيت ما عشت مذموماً على ألسنة العقلاء مخذولاً لا ناصر لك، وإنّما عبّر عن ذلك بالقعود لأنّ في القعود معنى الذلّ والعجز والهوان، يقال قعد به الضّعف.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: وأمر أمراً مقطوعاً به بأن لا تعبدوا إلّا إيّاه، لأنّ غاية التّعظيم لا يحقّ إلّا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام، ويجوز أن يكون «أن» مفسّرة و«لا» ناهية، ويأتي فيه حديث بعد ثماني عشرة آية.

﴿وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾: وبأن تحسنوا أو أحسنوا بالوالدين إحساناً لأنّهما السّبب الظّاهر للوجود والتعيّش.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾: إمّا أن الشّرطيّة زيدت عليها ما للتّأكيد ولهذا صحّ لحوق النّون وقرئ يبلغان.

﴿عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾: في كنفك وكفالتك.

﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: إن أضجراك وقرئ بالتنوين وبالفتح.

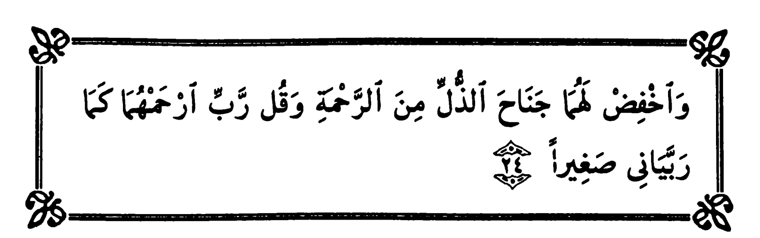
﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولا تزجرهما، القمّي: أي لا تخاصمهما[2].

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾: حسناً جميلاً.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٨، س٦.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٨، س ١٠.



﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: جناحك الذّليل أوجعل الذّل جناحاً للمبالغة أي تذلّل لهما وتواضع.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك عليهما لإفتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله إليهما.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾: وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية.

﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾: جزاء لرحمتهما علي وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري، في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما هذا الإحسان؟ فقال: أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً وإن كانا مستغنيين أليس الله يقول: «لَنْ تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ»[2]؟ «فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا» قال: إن أضجراك «فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا» إن ضرباك: «وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً» قال: إن ضرباك فقل لهما «غفر الله لكما» فذلك منك قول كريم «وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ» قال: لا تملأ عينيك من النّظر إليهما إلّا برحمة ورقّة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدّامهما[3].

وعنه عليه السلام: لو علم الله شيئاً أدنى من أفّ لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق[4].

وزاد في الكافي: ومن العقوق أن ينظر الرّجل إلى والديه فيحدّ النّظر إليهما[5].

وعن الكاظم عليه السلام: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله ماحقّ الوالد على ولده قال: لا يسمّيه

---

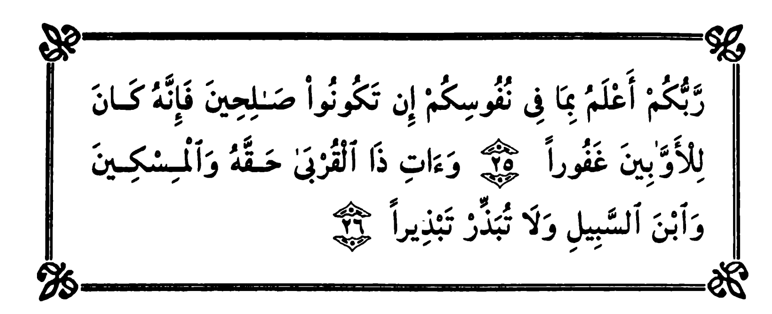
١ ـ الكافي: ج ٢، ص١٥٧، ح١، باب البر بالوالدين.

٢ ـ آل عمران: ٩٢.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢ ص٢٨٥، ح٣٩.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٢٨٥، ح٣٨، مع تقديم وتأخير.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص٣٤٩، ح٧، باب العقوق.



بإسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسبّ له[1].

وفي الجوامع: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: رغم[2] أنفه ثلاث مرّات قالوا: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ولم يدخل الجنّة[3].

قال:[4] وعن حذيفة أنّه إستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله في قتل أبيه وهو في صفّ المشركين فقال: دعه يَلِهِ غيرك[5].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هم التوّابون المتعبّدون[6].

وفي المجمع: عنه عليه السلام الأوّاب التّواب المتعبّد الراجع عن ذنبه[7].

وعنه عليه السلام: صلاة أربع ركعات تقرأ في كلّ ركعة خمسين مرّة قل هو الله أحد[8].

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: قيل: في تفسير العامّة وصّى سبحانه بغير الوالدين من القرابات، والمساكين، وأبناء السّبيل بأن تؤتى حقوقهم بعد

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص١٥٨ ـ ١٥٩، ح٥، باب البر بالوالدين.

٢ ـ الرغم: هو أن يفعل الإنسان ما يكرهه على كره وفي الحديث: «الإرغام بالأنف سنّة» أي الصاق الأنف بالرّغام، وهو التراب يقال: رغم أنفه رغماً من باب قتل، ورَغِمَ من باب تعب لغة ـ: كناية عن الذّل كأنّه لصق بالتراب هواناً، والرغم هو أن يفعل الإنسان ما يكرهه على كره مجمع البحرين: ج٦، ص٧٣، مادة «رغم».

٣ ـ جوامع الجامع: ج٢ ص٣٢٥، س١.

٤ ـ أي الطبرسي رحمه الله.

٥ ـ جوامع الجامع: ج٢ ص٣٢٥، س٣.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٦، ح٤٣.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤١٠، س ١٢.

٨ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤١٠، س ١٦.

أن وصّى بهما[١].

وقيل: فيه أنّ المراد بذي القربى: قرابة النّبيّ ﷺ[٢].

والقمّي: يعني قرابة رسول الله ﷺ ونزلت في فاطمة عليها السلام فجعل لها فدك، والمسكين: من ولد فاطمة، وأبناء السّبيل: من آل محمّد صلوات الله عليهم، وولد فاطمة عليهم السلام[٣].

وأورد في سورة الرّوم قصّة فدك مفصّلة في تفسير نظير هذه الآية[٤].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام في حديث له مع المهدي إنّ الله تبارك وتعالى لمّا فتح على نبيّه ﷺ فدك وما والاها لم يوجف[٥] عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيّه ﷺ: «وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ» ولم يدرِ رسول الله ﷺ من هم فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل ربّه فأوحى الله إليم: أن إدفع فدك إلى فاطمة فدعاها رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليكِ فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك الحديث[٦].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام في حديث له مع المأمون والآية الخامسة قول الله تعالى: «وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ» خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها وإصطفاهم على الأمّة، فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال: اُدعوا إليّ فاطمة عليها السلام فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبّيك يا رسول الله، فقال: هذه فدك هي ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب[٧]، وهي لي

---

١ ـ قاله ابن عباس كما ورد في مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ٤١٠، س٧.

٢ ـ قاله السدي عن السّجاد عليه السلام كما ورد في مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ٤١٠، س٨. وانظر أنوار التنزيل: ج١، ص٥٨٣، س١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٨، س١٤.

٤ ـ الروم: ذيل الآية ٢٩، أنظر تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٥، س٨.

٥ ـ قوله تعالى: «فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب» هو من الإيجاف وهو السير الشديد والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلاً ولا ركاباً وإنّما مشيتم إليه على أرجلكم فلم تحصلوا أموالهم بالغلبة والقتال، والوجيف: ضرب من سير الأبل والخيل. مجمع البحرين: ج٥، ص١٢٧، مادة «وجف».

٦ ـ الكافي: ج١، ص٥٤٣، ح٥، باب الفيئ والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٧ ـ قوله تعالى: «ولا ركاب» هي بالكسر: الابل التي تحمل القوم، واحدها رحلة ولا واحد لها من لفظها والجمع «رُكُب» ككتب و «ركائب». مجمع البحرين: ج٢، ص٧٤، مادة «ركب».

خاصّة دون المسلمين، فقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيها لك ولولدكِ[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لمّا أنزل الله: «وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ» قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل قد عرفت المسكين، من ذو القربى؟، قال: هم أقاربك فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة عليهم السلام فقال: إنّ ربّي أمرني أن أُعطيكم ممّا أفاء الله علي، قال: أُعطيكم فدك[٢].

مع أخبار أُخر في هذا المعنى[٣].

وفي الإحتجاج: عن السّجّاد عليه السلام إنّه قال: لبعض الشاميين أما قرأت هذه الآية «وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ» قال: نعم، قال: فنحن أولئك الّذين أمر الله نبيّه أن يؤتيهم حقّهم[٤].

وفي المجمع: عنه عليه السلام برواية العامّة ما في معناه[٥].

وعن أبي سعيد الخدري: أنّه لما نزلت هذه الآية أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فدك[٦] وبالجملة الأخبار في هذا المعنى مستفيضة[٧].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث، ثم قال: جلّ ذكره «وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ» وكان عليّ عليه السلام وكان حقّه الوصيّة الّتي جعلت له، والإسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النّبوة[٨].

أقول: لا تنافي بين هذا الحديث والأحاديث السّابقة، ولا بينها وبين تفسيري العامّة، ولا بين تفسيريهم كما يظهر للمتدبّر العارف بمخاطبات القرآن، ومعنى الحقوق. ومن الّذي له الحقّ، ومن الّذي لا حق له، والحمد لله.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾: بصرف المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف،

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٣٣، ح١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٧، ح٤٦.

٣ ـ أنظر تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٧، ح٤٧و ٤٨و ٤٩.

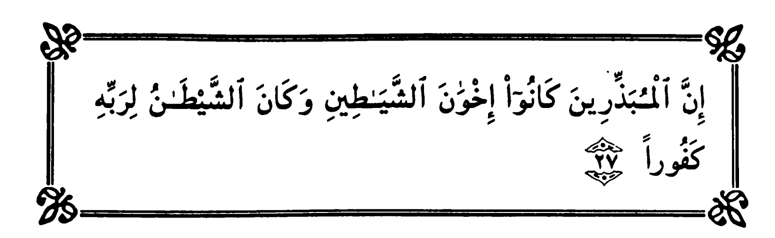
٤ ـ الإحتجاج: ج٢، ص٣٣، س١٩، إحتجاجه عليه السلام بالشام على بعض أهلها حين قدم به وبمن معه على يزيد (لعنه الله).

٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦ ص٤١١.

٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤١١، س١٤.

٧ ـ أُنظر تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٧، ح٤٦و ٤٧و ٤٨و ٤٩و ٥٠و ٥١.

٨ ـ الكافي: ج١، ص٢٩٤، س٢٢، ح٣، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.



وأصل التّبذير: التّفريق. في الجوامع: عن النّبي صلى الله عليه وآله إنّه مرّ بسعد وهو يتوضّأ، فقال: ما هـذا السّرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار[1].

وفي الكافي[2]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قال لرجل: إتّقِ الله ولا تـسرف، ولا تقتر، وكن بين ذلك قواماً، إنّ التّبذير من الإسراف، قال الله: «وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيْراً»[3].

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذّر، ومن أنفق في سبيل الله فهو مقتصد[4].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل أفيكون تبذير في حلال؟ قال: نعم[5].

وعنه انه عليه السلام: دعا برطب فأقبل بعضهم يرمي بالنّوى، فقال عليه السلام: لا تفعل إنّ هذا من التبذير وأنّ الله لا يحبّ الفساد[6].

وفي المحاسن[7]، والعيّاشي: عنه عليه السلام في قول الله: «وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً» قال: لا تـبذّر في ولاية عليّ عليه السلام[8].

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أمثالهم السالكين طريقتهم، وهذا هو غاية الذّمّ.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٢٦، س ٤.

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٤، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٢٨٨، ح ٥٥.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٥٣.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٥٤.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩، ح ٥٨.

٧ ـ المحاسن: ج ١، ص ٤٠١، ح ٩٠٢/٣٠٤، باب ٣١ ـ التقية، وفيه قال: «لا تـبذروا ولايـة عـلي» والنـص للعيّاشي، وأخرجه العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٤، ح ٣١، نقلاً عن المحاسن.

٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٥٧.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴿٢٩﴾

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾: مبالغاً في الكفر فينبغي أن لا يطاع.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾: وإن تعرض عن هؤلاء الّذين أمرتك بإيتاء حقوقهم حياءاً من الرّدّ لتبتغي الفضل من ربّك والسّعة الّتي يمكنك معها البذل، فقل لهم: قولاً ليّناً، وعدهم عدة جميلة فوضع الإبتغاء موضع فقد الرّزق لأنّ فاقد الرّزق مبتغ له.

وفي المجمع[1]، والعيّاشي: روي أنّ النّبيّ ﷺ كان لمّا نزلت هذه الآية إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي، قال: يرزقنا الله وإيّاكم من فضله[2].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾: تمثيل لمنع الشّحيح وإسراف المبذّر نهى عنهما وأمر بالإقتصاد بينهما الّذي هو الكرم والجود.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾: في الكافي[3]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ كان لا يسأله أحد من الدّنيا شيئاً إلّا أعطاه فأرسلت إليه إمرأة إبناً لها فقالت إنطلق إليه فاسأله فإن قال: ليس عندنا شيء، فقل: اعطني قميصك، قال: فأخذ قميصه وأعطاه، فأدّبه الله على القصد، فقال: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ» الآية[4].

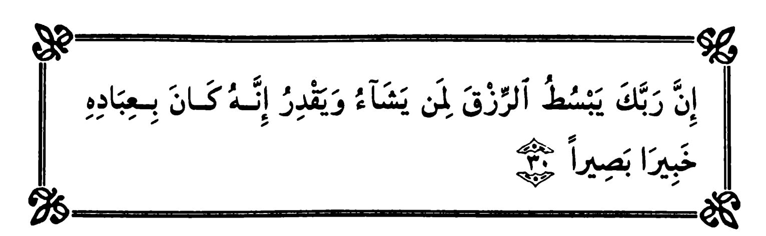
وفي الكافي: عنه عليه السلام في حديث ثمّ علّم الله نبيّه كيف ينفق، وذلك أنّه كانت عنده أوقيّة من الذّهب فكره أن تبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء وجاء من يسأله فلم

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤١١، س٢٧.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٩، ح٥٩، ما مضمونه والنص للمجمع.

٣ ـ الكافي: ج٤، ص٥٥ ـ ٥٦، ح٧، باب كراهية الصرف والتقتير. ٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٩، ح٥٩.



يكن عنده ما يعطيه فلامه السّائل، وإغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه، وكان رحيماً رقيقاً ﷺ فأدّب الله نبيه بأمره فقال: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ» الآية يقول: قد يسألونك ولا يعذرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال[١].

وعنه عليه السلام: في هذه الآية، قال: الإحسار: الفاقة[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: الإحسار الإقتار[٣].

والقمّي: قال: كان سبب نزولها أنّ رسول الله ﷺ كان لا يردّ أحداً يسأله شيئاً عنده فجاءه رجل فسأله فلم يحضره شيء، فقال: يكون إن شاء الله، فقال: يا رسول الله أعطني قميصك فأعطاه قميصه فأنزل الله: «وَلَا تَجْعَلْ» الآية فنهاه الله أن يبخل، ويسرف، ويقعد محسوراً من الثّياب[٤].

فقال الصّادق عليه السلام: المحسور: العريان[٥].

وفي التهذيب[٦]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ» قال: ضمّ يديه فقال هكذا: «وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ»، قال: بسط راحته وقال: هكذا[٧].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه ويضيّقه بحسب المصلحة.

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٦٧ ـ ٦٨، ح١، باب دخول الصوفية على أبي عبدالله عليه السلام وإحتجاجهم عليه فيما ينهون النّاس عنه من طلب الرزق.

٢ ـ الكافي: ج٤، ص٥٥ ح٦، باب كراهيّة الصرف والتقتير.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٩، ح٦١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٨ ـ ١٩.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩، س٣.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج٧، ص٢٣٦، ح١٠٣١/٥١، باب ٢١ ـ من الزيادات.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٨٩، ح٦٠.

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً﴾: فيعلم مصالحهم وما ينبغي لهم وما لا ينبغي كما ورد في الحديث القدسي: وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وقال: وإنّي لأعلم بمصالح عبادي وتمام الحديث يطلب في الكافي(١).

وفي نهج البلاغة: وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها، وقسّمها على الضّيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصّبر من غنيّها وفقيرها(٢).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾: القمّي: يعني مخافة الفقر والجوع فإنّ العرب كانوا يقتلون أولادهم لذلك(٣).

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام الحاج لا يملق أبداً قيل: ما الإملاق؟ فقال: الإفلاس، ثمّ تلا هذه الآية(٤).

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾: ذنباً كبيراً، وقرئ بفتح الخاء والطّاء وهو ضدّ الصّواب أو بمعنى الخطاء وبالكسر والمدّ وهو إمّا لغة فيه أو مصدر.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾: قبيحة زائدة على حدّ القبح.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: معصية ومقتاً، فإنّ الله يمقته ويبغضه

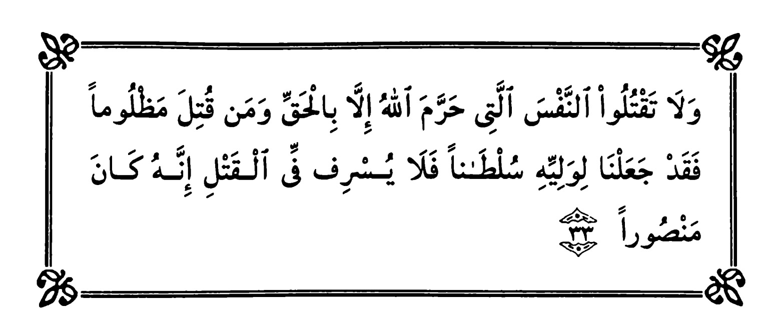
---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠ ـ ٦١، ح ٤، باب الرضا بالقضاء.

٢ ـ نهج البلاغة: ص ١٣٤، س ١، الخطبة ٩١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩، س ٤.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠، ح ٦٣.



قال: «وَسَآءَ سَبِيلًا»، وهو أشدّ النار عذاباً والزّنا من أكبر الكبائر[١].

وفي الفقيه[٢]، والخصال: عن الصّادق عليه السلام عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله في وصيّته له: يا عليّ في الزّنا ست خصال: ثلاث منها في الدّنيا، وثلاث في الآخرة، فأمّا الّتي في الدّنيا: فيذهب بالبهاء، ويعجّل الفناء، ويقطع الرّزق، وأمّا الّتي في الآخرة: فسوء الحساب، وسخط الرّحمان، والخلود في النّار[٣].

وعنه عليه السلام: إذا فشا الزّنا ظهرت الزّلازل[٤].

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلّا بإحدى ثلاث: كفر بعد الإيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل مؤمن عمداً.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً﴾: غير مُستوجب للقتل.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾: لمن يلي أمره بعد وفاته.

﴿سُلْطَٰناً﴾: تسلّطاً بالمؤاخذة.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾: القمّي: يعني ينصر ولد المقتول على القاتل[٥].

---

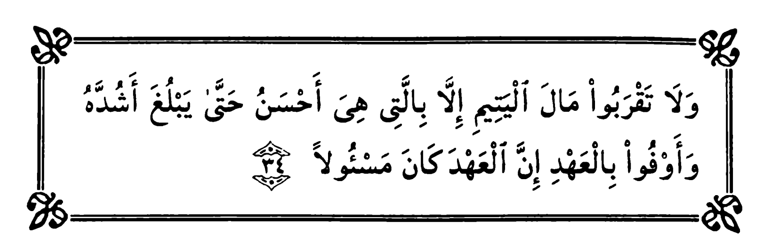
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩، س ٨.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٦٦، س ٦، ح ١/٤٢١، باب ١٧٦ ـ النوادر وهو آخر أبواب الكتاب.

٣ ـ الخصال: ص ٣٢٠ ـ ٣٢١، ح ٣، باب ٦ ـ في الزنا ست خصال.

٤ ـ الخصال: ص ٢٤٢، ح ٩٤، باب ٤ ـ أربعة لا تقبل لهم صلاة.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩، س ١١.



وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ قيل: فما هذا الإسراف الّذي نهى الله عنه، قال: نهى أن يقتل غير قاتله، أو يمثّل بالقاتل قيل: فما معنى قوله: «إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً»؟ قال: وأيّ نصرة أعظم من أن يدفع القاتل إلى أولياء المقتول، فيقتله؟ ولا تبعة تلزمه من قتله في دين ولا دنيا[1].

وفيه[2]، والعيّاشي: عنه عليه السلام إذا إجتمعت العدّة على قتل رجل واحد حكم الوالي أن يقتل أيّهم شاؤوا وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد إنّ الله عزّوجلّ يقول: «وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً» إلى قوله «فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ»[3].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام نزلت في الحسين عليه السلام لو قتل أهل الأرض به ما كان سرفاً[4].

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾: فضلاً عن أن تتصرّفوا فيه.

﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلّا بالطّريقة الّتي هي أحسن، وهي حفظه عليه.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: في الفقيه: عن الصّادق عليه السلام إنقطاع يتم اليتيم: الإحتلام، وهو أشدّه[5].

وعنه عليه السلام إذا بلغ الغلام أشدّه ثلاث عشرة سنة، ودخل في الأربع عشرة سنة وجب عليه ما وجب على المحتلمين إحتلم أو لم يحتلم كتبت عليه السّيئات وكتبت له الحسنات،

---

١ ـ الكافي: ج٧، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١، ح٧، باب النوادر.

٢ ـ الكافي: ج٧، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥، ح٩، باب الجماعة يجتمعون على قتل واحد.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص ٢٩٠، ح٦٦.

٤ ـ الكافي: ج٨، ص٢٥٥، ح٣٦٤.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص١٦٣، ح٥٦٩ / ١، باب ١١٣ ـ إنقطاع يتم اليتيم.

وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾

وجاز له كلّ شيءٍ إلّا أن يكون ضعيفاً أو سفيهاً[١].

والعيّاشي: عنه عليه السلام ما يقرب منه[٢].

﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾: في الخصال: عن الصّادق عليه السلام: ثلاث لم يجعل الله لأحد من النّاس فيهنّ رخصة، وعدّ منها الوفاء بالعهد[٣].

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾: ولا تبخسوا فيه.

﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: بالميزان السّويّ، وقرئ بكسر القاف، القمّي: عن الباقر عليه السلام هو الميزان الّذي له لسان[٤].

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾: وأحسن عاقبة.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾: ولا تتبع، القمّي: أي لا تقل[٥].

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: القمّي: قال: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من بهت مؤمناً أو مؤمنة أُقيم في طينة خبال[٦] أو يخرج ممّا قال[٧].

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص١٦٤، ح٥٧١ / ٣، باب ١١٣ ـ إنقطاع يتم اليتيم.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٩١ ـ ٢٩٢، ح٧١ و ٧٣.

٣ ـ الخصال: ص١٢٨، ح١٢٩، باب ٣ ـ ثلاث لم يجعل الله عزّوجلّ لأحد من النّاس فيهن رخصة.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩، س١٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩، س١٩.

٦ ـ الخبال: الفساد، وفي الحديث: «من شرب الخمر سقاه الله من طينة خبال يوم القيامة» بفتح خاء وباء موحّدة، وفسّرت بصديد أهل النّار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدر جهنم فيشربه أهل النّار. مجمع البحرين: ج٥، ص٣٦٢، مادة «خبل».

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩، س١٧.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾: في الكافي[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية يُسئل السّمع عمّا سمع، والبصر عمّا نظر إليه، والفؤاد عمّا عقد عليه[٢].

وفيه[٣]، وفي الفقيه[٤]، والقمّي[٥]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال له رجل: إن لي جيران ولهم جوار يتغنّين ويضربن بالعود فربّما دخلت المخرج فأُطيل الجلوس إستماعاً منّي لهنّ. فقال الصّادق عليه السلام: لا تفعل، فقال: والله ما هو شيء آتيه برجلي إنّما هو سماع أسمعه بأذني فقال له الصّادق عليه السلام: تالله أنت أما سمعت الله يقول: «إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً» فقال الرّجل: كأنّي لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله من عربيّ ولا عجميّ، لا جرم إنّي قد تركتها وأنا أستغفر الله الحديث[٦].

وفي العلل: عن السّجّاد عليه السلام ليس لك أن تتكلّم بما شئت لأنّ الله تعالى يقول: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» ولأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صمت فسلم، وليس لك أن تسمع ما شئت لأنّ الله عزّوجلّ يقول: «إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ»[٧] الآية.

وفي مصباح الشريعة: عن الصّادق عليه السلام ومن نام بعد فراغه من أداءِ الفرائض والسّنن والواجبات من الحقوق فذلك نوم محمود، وإنّي لا أعلم لأهل زماننا هذا إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النّوم لأنّ الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم وأخذوا شمال الطّريق والعبد إن إجتهد أن لا يتكلّم كيف يمكنه أن لا يسمع إلّا ماله مانع من ذلك وأنّ النّوم من أحد تلك

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٧، ح ٢، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٢، ح ٧٥. ونحوه جاء في تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩، س ٢٠.

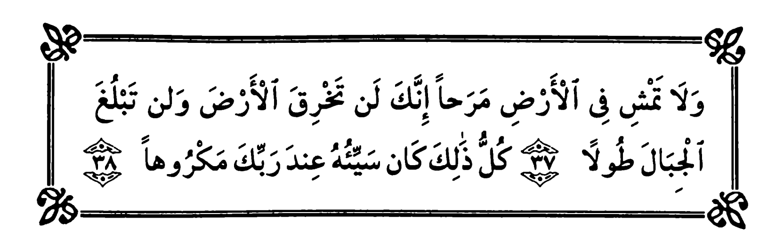
٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٣٢، ح ١٠، باب الغناء.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٤٥، ح ١٧٧ /٦، باب ١٨ ـ الأغسال.

٥ ـ لم نعثر عليه في القمّي: ولعله سهوٌ من قلمه الشريف بل وجدناه في تهذيب الأحكام: ج ١، ص ١١٦، ح ٣٠٤/ ٣٦، باب ٥ ـ الأغسال المفترضات والمسنونات. واللفظ للتهذيب.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣، ح ٧٦.

٧ ـ علل الشرائع: ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦، ح ٨٠، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل.



الآلات قال الله عزّوجلّ: «إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ» وتلا الآية[١].

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحاً﴾: ذا مرح وهو الإختيال، القمّي: أي بطراً وفرحاً[٢].

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تجعل فيها خرق لشدة وطأتك، القمّي: أي لن تبلغها كلّها[٣].

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً﴾: بتطاولك، القمّي: أي لا تقدر أن تبلغ قلل الجبال[٤].

قيل: هو تهكّم بالمختال، وتعليل للنّهي بأنّ الإختيال حماقة مجرّدة لا تعود بجدوى، ليس في التّذلل[٥].

في الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لمحمّد بن الحنفية وفرض على الرّجلين أن تنقلها في طاعته، وأن لا تمشي بهما مشية عاصٍ، فقال عزّوجلّ «وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحاً» الآية[٦].

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله: «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ» وعن إبن عبّاس إنّها المكتوبة في ألواح موسى عليه السلام[٧].

﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾: يعني المنهي عنه، وقرئ سيّئة.

---

١ ـ مصباح الشريعة: ص٤٥، س٣، باب ٢٠ ـ في النوم.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٠، س٣.   ٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٠، س٤.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٠، س٥.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٨٥، س١٨.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٣٨٣، س١، ح١٦٢٧/١، باب ٢٢٧ ـ الفروض على الجوارح.

٧ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٣٢٩، س٤.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴿٣٩﴾

﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾: مبغوضا.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ﴾: كرّره للتنبيه على أنّ التّوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، ورأس الحكمة وملاكها.

﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُوماً﴾: تلوم نفسك.

﴿مَّدْحُوراً﴾: مبعداً عن رحمة الله. القمّي: فالمخاطبة للنّبيّ صلى الله عليه وآله والمعنى للنّاس[١].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث ثم بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وهو بمكّة عشر سنين فلم يمت بمكّة في تلك العشر سنين أحد يشهد أنّ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أدخله الجنّة بإقراره، وهو إيمان التّصديق، ولن يعذّب الله أحداً ممّن مات، وهو متّبع لمحمّد صلى الله عليه وآله على ذلك إلّا من أشرك بالرّحمان، وتصديق ذلك أنّ الله عزّوجلّ أنزل عليه في سورة بني إسرائيل بمكّة: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً»[٢] إلى قوله: «إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً»[٣] أدبٌ وعظة وتعليم، ونهيٌ خفيف، ولم يعد عليه، ولم يتواعد على إجتراح[٤] شيءٍ ممّا نهى عنه وأنزل نهياً عن أشياء حذّر عليها ولم يغلظ فيها ولم يتواعد عليها، وقال: «وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ»[٥] وتلا الآيات إلى قوله: «مَلُوماً مَدْحُوراً»[٦].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٠، س٧.
٢ ـ الإسراء: ٢٣.
٣ ـ الإسراء: ٣٠.
٤ ـ الإجتراح: الإكتساب. مجمع البحرين: ج٢، ص٣٤٥، مادة «جرح».
٥ ـ الإسراء: ٣١.
٦ ـ الكافي: ج٢، ص٢٩ ـ ٣٠، ح١، باب بدون العنوان.

أَفَأَصْفَـٰكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثاً إِنَّكُـمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾

﴿أَفَأَصْفَـٰكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثاً﴾: القمّي: هو ردّ على قريش فيما قالوا إنّ الملائكة هي بنات الله[1].

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾: بإضافة الولد إليه، ثمّ بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجلعون له ما تكرهون ثمّ يجعل الملائكة الّذين هم من أشرف خلق الله أدونهم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا الدلائل وفصّلنا العبر.

﴿فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾: ليتّعظوا ويعتبروا وقرئ ليذكروا من الذكر بمعنى التذكّر.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾: عن الحقّ، القمّي: قال: إذا اسمعوا القرآن ينفروا عنه ويكذّبوه[2].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾: وقرئ بالياء فيه وفيما بعده.

﴿إِذاً لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً﴾: لطلبوا إلى مالك الملك سبيلاً بالتقرب والطّاعة كما يأتي في هذه السّورة: «أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ»[3].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠، س ٨.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠، س ٩.

٣ ـ الإسراء: ٥٧.

سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴿٤٤﴾

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً * تُسَبِّحُ لَهُ﴾: وقرئ بالتّاء[١].

﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: في الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام تنقّض الجدر تسبيحها[٣].

وعنه عليه السلام: ما من طير يصاد إلّا بتضييعه التّسبيح[٤].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل أتسبّح الشّجرة اليابسة؟ فقال: نعم أما سمعت خشب البيت كيف ينقض وذلك بتسبيحه لله فسبحان الله على كلّ حال[٥].

أقول: وذلك لأنّ نقصانات الخلائق دلائل كمالات الخالق وكثراتها وإختلافاتها شواهد وحدانيّته، وإنتفاء الشّريك عنه والضّدّ والنّدّ[٦]، كما قال: أمير المؤمنين عليه السلام بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أنّ لا قرين له[٧] الحديث.

---

١ ـ لم نعثر على قائله. والظاهر أن الإختلاف يكون في الأوّل أي في قوله تعالى: «كما يقولون» لأن قراءة ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء وقراءة نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب بالتاء وأمّا في قوله: «عما يقولون» فإنّهم متفقون بإنها على الياء.

٢ ـ الكافي: ج٦، ص٥٣١، ح٤، باب النوادر.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٩٣، ح٧٩، مع اختلاف.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٩٤، ح٨٣.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٩٤، ح٨٤.

٦ ـ الند: المثل والنظير. مجمع البحرين: ج٣، ص١٤٩، مادة «ندد».

٧ ـ التوحيد: ص٣٧، ح٢، باب ٢ ـ التوحيد ونفي التشبيه.

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُوراً ﴿٤٦﴾

فهذا تسبيح فطريّ وإقتضاءٌ ذاتيّ نشأ عن تجلّ تجلّىٰ لهم فأحبّوه وفانبعثوا إلى الثّناء عليه من غير تكليف وهي العبادة الذاتيّة الّتي أقامهم الله فيها بحكم الإستحقاق الّذي يستحقّه جلّ جلاله، ويأتي زيادة بيان لهذا في سورة النّور[1] إن شاء الله.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً﴾: لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم.

﴿غَفُوراً﴾: لمن تاب منكم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً﴾: عن الحسّ من قدرة الله يحجبك عنهم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾: أي تمنعهم أن يفقهوه تكنّها وتحول دونها عن إدراك الحقّ وقبوله.

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً﴾: يمنعهم عن إستماعه.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾: غير مشفوع به آلهتهم.

﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُوراً﴾: هرباً من إستماع التّوحيد ونفرة، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل إلى منزله وإجتمعت عليه قريش يجهر بـ«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ» ويرفع بها صوته فتولّى قريش فراراً فأنزل الله عزّوجلّ في ذلك: «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ» الآية[2].

---

١ ـ ذيل الآية: ٤١.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص٢٦٦، ح٣٨٧.

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴿٤٩﴾

والقمّي: قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى تهجد بالقرآن ويستمع له قريش لحسن صوته فكان إذا قرأ «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ» فرّوا عنه[١].

والعيّاشي: عنه عليه السلام كان رسول الله ﷺ إذا صلّى بالنّاس جهر بـ«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ» فتخلّف من خلفه من المنافقين عن الصّفوف فإذا جازها في السّورة عادوا إلى مواضعهم وقال بعضهم لبعض: إنّه ليردّد إسم ربّه ترداداً إنّه ليحبّ ربّه فأنزل الله: «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ» الآية[٢].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: بسببه من اللّغو والإستهزاء بالقرآن.

﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: متناجون.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾: قد سحر به فجنّ واختلط عليه عقله.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مثّلوك بالسّاحر،والشّاعر،والكاهن،والمجنون.

﴿فَضَلُّواْ﴾: عن الحقّ.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾: إليه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً﴾: تراباً وغباراً وانتثر لحومنا.

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾: على الإنكار والإستبعاد. العيّاشي: عن

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠، س ١٧.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٥، ح ٨٧.

قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيباً ﴿٥١﴾

الصّادق عليه السلام جاء أُبيّ بن خلف[1] فأخذ عظماً بالياً من حائط ففته ثمّ قال: يا محمّد «أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً»؟ فأنزل الله تعالى: «قُلْ مَن يُحْيِى ٱلْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»[2][3].

﴿قُلْ﴾: جواباً لهم.

﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً * أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: فإنّه يقدر على إعادتكم أحياءاً، القمّي: عن الباقر عليه السلام الخلق الّذي يكبر في صدوركم الموت[4].

﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: فإنّ من يقدر على الانشاء كان على الإعادة أقدر.

---

١ ـ وهو من مشركي مكة ومن ألد أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وقال يوماً لرسول الله بمكة: أن عندي فرس أعلفه كل يوم فرقاً مكيال من ذرة أقتلك عليه. فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله بل أنا أقتلك إن شاء الله. فكان من قصته إنّه خرج إلى المدينة لحرب رسول الله في وقعة أُحد. فلمّا انهزم المسلمون وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة قليلة أدركه أُبي بن خلف وهو يقول: اين محمّد لا نجوت إن نجوت؟ فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منّا؟ قال: دعوه فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وآله الحربة من رجل من أصحابه هو حارث بن ضمّة ـ ثمّ إستقبله فطعنه في عنقه طعنة تحرك منها عن فرسه مراراً ـ فرجع أُبي إلى قريش وهو يخور كما يخور الثور وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، وقال: قتلني والله محمّد، قالوا ذهب والله فؤادك. والله ما بك بأس، قال: لو كانت الطعنة بربيعة ومضر لقتلهم أليس إنّه قد كان بمكة قال لى: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ بعد تلك المقالة لقتلني، فلم يلبث إلّا يوماً أو بعض يوم حتّى مات.

٢ ـ يسٓ: ٧٨ ـ ٧٩.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧، ح ٨٩.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١، س ٣.

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿٥٤﴾

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: فسيتحركون نحوك رؤوسهم تعجّباً وإستهزاءاً.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيباً﴾: فإنّ كلّ من هو آت قريب.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: أي يوم يبعثكم فتبعثون منقادين استعار لهما الدّعاء والإستجابة للتنبيه على سرعتها وتيّسر أمرها.

﴿بِحَمْدِهِ﴾: حامدين لله على كمال قدرته، في الجوامع: روي أنّهم ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقولون: سبحانك اللّهمّ وبحمدك[1].

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾: وتستقصرون مدّة لبثكم.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾: يعني المؤمنين.

﴿يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي يقولوا للمشركين الكلمة الّتي هي أحسن ولا يخاطبوهم بما يغيظهم ويغضبهم.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: يهيج بينهم المراء والشّرّ فلعلّ المخاشنة بهم يفضي إلى العناد وإزدياد الفساد.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾: ظاهر العداوة.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: قيل: هي تفسير لـ

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٣٢، س ٧.

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾

«ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» وما بينهما إعتراض، أي يقولوا لهم: هذه الكلمة ونحوها ولا يصرّحوا بأنّهم من أهل النّار فإنّ لك يهيّجهم على الشّرّ مع أنّ ختام أمرهم غيب لا يعلمه إلّا الله[١].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾: موكولاً إليك أمرهم تجبرهم على الإيمان وإنّما أرسلناك مبشّراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالإحتمال منهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وأحوالهم فيختار منهم لنبوّته وولايته من يستاهل لها، وهو ردّ لإستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيّاً، وأن يكون الفقراء أصحابه.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام سادة النّبيّين والمرسلين خمسة، وهم أولوا العزم من الرّسل، وعليهم دارت الرّحى: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلى الله عليه وآله، وعلى جميع الأنبياء[٢].

وفي العلل: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الله تعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيين والمرسلن، وَالفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من ولدك، وأنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا الحديث[٣].

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: إنّها آلهة.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٨٨، س ٩.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٣، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٥، ح ١، باب ٧ ـ العلة التي من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج صلوات الله عليهم أفضل من الملائكة.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُوراً ﴿٥٨﴾

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: كالملائكة، والمسيح، وعزير.

﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾: فلا يستطيعون.

﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾: كالمرض، والفقر، والقحط.

﴿وَلَا تَحْوِيلاً﴾: ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطّاعة.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾: أي يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾: كسائر العباد فكيف يزعمون أنّهم آلِهَة.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾: حقيقاً بأن يحذره كلّ أحد حتّى الملائكة والرّسل.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللّوح المحفوظ.

﴿مَسْطُوراً﴾: مكتوب، في الفقيه: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: هو الفناء بالموت[1].

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١١٨، ح٥٦٢/٤، باب ٢٧ ـ النوادر.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴿٥٩﴾

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّما أُمّة محمد صلى الله عليه وآله من الأُمم، فمن مات فقد هلك[1].

وعن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية؟ قال: بالقتل والموت وغيره[2].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْأَيَٰتِ﴾: الّتي إقترحتها قريش.

﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: إلّا تكذيب الأوّلين الّذين هم أمثالهم كعاد وثمود، وإنّها لو أرسلت لكذّبوا بها كما كذّب أولئك، وإستوجبوا العذاب العاجل المستأصل، ومن حكمته سبحانه في هذه الأُمة أن لا يعذّبهم بعذاب الإستيصال تشريفاً لنبيّه صلى الله عليه وآله كما قال: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»[3].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله سأله قومه أن يأتيهم بآية فنزل جبرئيل، وقال: إنّ الله يقول: «وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ» وكنّا إذا أرسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها أهلكناهم، فلذلك أخّرنا عن قومك الآيات[4].

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾: بسؤالهم.

﴿مُبْصِرَةً﴾: آيةً بيّنة.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: فظلموا أنفسهم بسبب عقرها.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾: وإنذاراً بعذاب الآخرة فإنّ أمر من بعثت إليهم مؤخّر إلى يوم القيامة.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٧، ح ٩٠.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٧، ح ٩٢.
٣ ـ الأنفال: : ٣٣.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١، س ١٣.

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰناً كَبِيراً ﴿٦٠﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾: أوحينا إليك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾: فهم في قبضة قدرته، وقيل: يعني بقريش أي أهلكهم من أحاط بهم العدوّ، أي أهلكهم يعني بشرناك بوقعة بدر ونصرناك عليهم، وهو قوله: «سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ»[1] سيغلبون ويحشرون إلى جهنّم، فجعله سبحانه كأنّه قد كان على عادته في إخباره[2].

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: عطف على الرّؤيا.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾: بأنواع التّخويف.

﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰناً كَبِيراً﴾: إلّا عتوّاً متجاوزاً عن الحدّ. العيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَـٰكَ» فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رآى إنّ رجالاً من بني تيم وعديّ على المنابر يردون النّاس عن الصّراط القهقرى قيل: «وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ» قال: هم بنو اُميّة[3].

وعن الصّادق عليه السلام: مثله إلّا أنّه قال: رآى إنّ رجالاً على المنابر يردّون النّاس ضلالاً زريق وزفر[4].

أقول: وهما كنايتان عن الأوّلين، وتيم وعدي جدّ هما، قال: وفي رواية اُخرى عنه عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد رآى رجالاً من نار على منابر من نار يردّون النّاس على

---

١ ـ القمر: ٤٥. ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٨٩، س ١٧.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٨، ح ١٠٠. ٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٧، ح ٩٥.

أعقابهم القهقري، قال: ولسنا نسمّي أحداً[١].

وفي أخرى إنّا لا نسمّي الرّجال بأسمائهم، ولكن رسول الله ﷺ رآى قوماً على منبره يضلّون النّاس بعده عن الصّراط القهقري[٢].

وفي رواية أُخرى قال: رأيت اللّيلة صبيان بني أُميّة يرقون على منبري هذا، فقلت: يا ربّ معي، فقال: لا، ولكن بعدك[٣].

وفي الكافي: عن أحدهما عليهما السلام أصبح رسول الله ﷺ يوماً كئيباً حزيناً فقال له عليّ عليه السلام: مالي أراك يا رسول الله كئيباً حزيناً؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك؟ وقد رأيت في ليلتي هذه أنّ بني تيم، وبني عدي، وبني أُميّة، يصعدون منبري هذا يردّون النّاس عن الإسلام القهقري، فقلت: يارب في حياتي أو بعد موتي فقال: بعد موتك[٤].

أقول: معنى هذا الخبر مستفيض بين الخاصّة، والعامّة، إلّا أنّ العامّة رووا تارة أنّه رآى قوماً من بني أُميّة يرقون منبره، وينزون عليه نزو القردة، فقال: هو حظّهم من الدّنيا، يعطونه بإسلامهم[٥].

وأخرى أن قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتم به[٦].

والقمّي: قال: نزلت لمّا رأى النّبيّ ﷺ في نومه كأنّ قروداً تصعد منبره فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً فأنزل الله: «وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً» هم ليعمهوا فيها، «وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ» كذا نزلت، وهم بنو أُميّة[٧].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: «وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً» هم ليعمهوا فيها «وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ» يعني بني أُميّة[٨].

ومضمراً أنّه سئل عن هذه الآية فقال: إنّ رسول الله ﷺ نام فرآى إن بني أُميّة يصعدون منبره يصدّون النّاس كلّما صعد منهم رجل رآى رسول الله ﷺ الذّلّة والمسكنة

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٨، ح ٩٦.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٨، ح ٩٧.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٨، ح ٩٨.
٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٤٥، ح ٥٤٣.
٥ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٩٠.
٦ ـ الدر المنثور: ج ٤، ص ١٩١، س ١٨.
٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١، س ١٨.
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٧، ح ٩٣.

فاستيقظ جزوعاً من ذلك فكأن الّذين رآهم إثنى عشر رجلاً من بني اُميّة فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية، ثم قال جبرئيل: إنّ بني اُميّة لا يملكون شيئاً إلّا ملك أهل البيت ضعفيه[١].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: أمّا إنّ معاوية وإبنه سيليانها بعد عثمان، ثم يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص واحد بعد واحد، تكملة إثنى عشر إمام ضلالة[٢]، وهم الّذين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره يردّون الأُمّة على أدبارهم القهقري، عشرة منهم من بني اُميّة ورجلان أسّسا ذلك لهم، وعليهما أوزار هذه الأُمّة إلى يوم القيامة[٣].

وفي مقدّمة الصّحيفة السّجاديّة: عن الصّادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره فرآى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة يردّون النّاس على أعقابهم القهقري فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية «وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَـٰكَ» الآية يعني بني اُميّة، قال: يا جبرئيل أعلى عهدي يكونون، وفي زمني؟ قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً، ثم لابدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثمّ ملك الفراعنة، قال: وأنزل الله في ذلك: «إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ»[٤] تملكها بنو اُميّة ليس فيها ليلة القدر، قال: فاطلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله أنّ بني اُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة، وملكها طول هذه المدّة فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت، وبغضنا أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، وأهل مودّتهم، وشيعتهم منهم في أيّامهم وملكهم[٥].

أقول: وإنّما اُري صلى الله عليه وآله ردّ النّاس عن الإسلام القهقرى لأنّ النّاس كانوا يظهرون الإسلام،

---

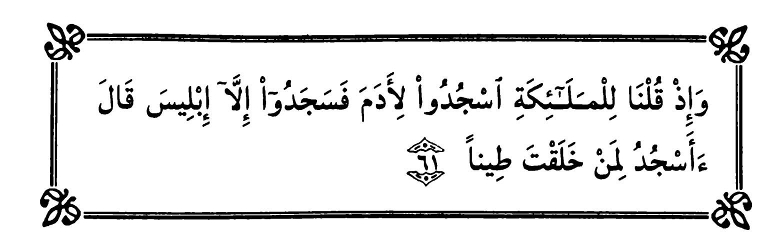
١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٨، ح ١٠١.

٢ ـ يعني الثلاثة، ومعاوية، ويزيد، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص غضب الله عليهم، منه رحمه الله.

٣ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٤، باب إحتجاج الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية في الإمامة ومن يستحقها ومن لا يستحقها بعد مضي النّبي.

٤ ـ القدر: ١ ـ ٣.

٥ ـ الصحيفة الكاملة السجادّية: ص ١٥؛ ورياض السالكين: ج ١، ص ١٤٨ في شرح الصحيفة الكاملة السجادّية.



وكانوا يصلّون إلى القبلة، ومع هذا كانوا يخرجون من الإسلام شيئاً فشيئاً كالّذي يرتّد عن الصّراط السّويّ، القهقرى ويكون وجهه إلى الحقّ حتّى إذا بلغ غاية سعيه رآى نفسه في الجحيم.

وفي الإحتجاج: عن الحسن بن علي عليهما السلام في حديث أنّه قال لمروان بن الحكم أمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عزّوجلّ لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وذرّيّتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممّن حضر هذه اللّعنة من رسول الله صلى الله عليه وآله لك ولأبيك من قبلك وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلّا طغياناً كبيراً، وصدق الله رسوله، يقول الله تعالى: «وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا» وأنت يا مروان وذريّتك الشّجرة الملعونة في القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وجعل أهل الكتاب القائمين به والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة «أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا»[2] أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل أعدائها أهل الشّجرة الملعونة الّذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يُتّم نوره، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات الّتي تبينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه[3].

أقول: وفي قوله سبحانه: «فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا» لطافة لا تخفى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ

---

١ ـ الإحتجاج: ج١، ص٤١٦، إحتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام على جماعة من المنكرين لفضله وفضل أبيه من قبل بحضرة معاوية.

٢ ـ إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

٣ ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٧٦، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُوراً ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً ﴿٦٤﴾

خَلَقْتَ طِيناً﴾: قد سبق تفسيره[1].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾: يعني أخبرني هذا الّذي كرّمته عليّ أي فَضَّلته وإخترته عليّ لم إخترته عليّ وأنا خير منه فحذف للإختصار.

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: كلام مبتدأ واللّام للقسم.

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً﴾: أي لأستأصلنهّم بالإغواء ولأستولينّ عليهم إلّا قليلاً لا أقدر أن أُقاوم سَكينتهم.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾: إمض لما قصدته، وهو طرد وتخليد بينه وبين ما سوّلت له نفسه، وقد سبق في هذا المعنى حديث في سورة الأعراف.

﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾: جزاؤك وجزاؤهم، فغلّب المخاطب على الغائب.

﴿جَزَآءً مَّوْفُوراً﴾: مُكمّلاً.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: واستخفّ.

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾: أن تستفزّه، والفز: الخفيف.

---

١ ـ ذيل الآية: ٣٤ من سورة البقرة.

﴿بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك إلى الفساد.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾: وضح عليهم، من الجلبة وهي الصّياح.

﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: بفرسانك وراجليك فأجسرهم عليهم تمثيل لتسلّطه على من يغويه بمن صوّت على قوم فاستفزّهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتّى إستأصلهم.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام، وانفاقها فيما لا ينبغي.

﴿وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾: في الكافي[1]، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيّ[2]، قليل الحياء، لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له، فإن فتّشته لم تجده إلّا لغية[3] أو شرك شيطان قيل: يا رسول الله وفي النّاس شرك شيطان؟ فقال: صلى الله عليه وآله أما تقرأ قول الله عزّوجلّ «وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ»[4].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ هذه الآية، ثمّ قال: إنّ الشّيطان ليجيء حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرّجل منها، ويحدث كما يحدث، وينكح كما ينكح قيل: بأيّ شيء يعرف ذلك؟ قال: بحبّنا وبغضنا فمن أحبّنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشّيطان[5].

وعنه عليه السلام: إن ذكر إسم الله تعالى تنحّى الشّيطان، وإن فعل ولم يسمّ أدخل ذكره وكان العمل منهما جميعاً والنّطفة واحدة[6]

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن النّطفتين اللّتين للآدمي والشّيطان إذا اشتركا؟ فقال: ربّما خلق من أحدهما، وربّما خلق منهما جميعاً[7].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٢٣، ح ٣، باب البذاء.

٢ ـ البذي ـ على فعيل ـ: السفيه، والبذاء: الفحش من القول. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٨ مادة «بذا».

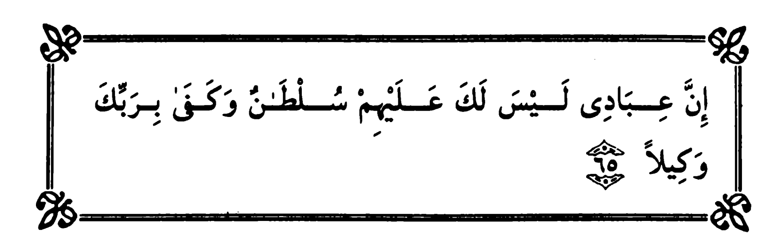
٣ ـ لغية ـ بفتح اللام وإسكان الغين المعجمة وفتح الياء المثناة من تحت: أي ملغيً والظاهر المراد به المخلوق من الزنا، مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٧٦، مادة «لغا».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٩، ح ١٠٥.

٥ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٠٢، ح ٢، باب القول عند الباه وما يعصم من مشاركة الشيطان.

٦ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٠١، ذيل ح ٣، باب القول عند دخول الرجل بأهله.

٧ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٠٣، ح ٦، باب القول عند الباه وما يعصم من مشاركة الشّيطان.



والقمّي: قال: ما كان من مال حرام فهو شرك الشّيطان، فإذا إشترى به الإماء ونكحهُنّ وولد له فهو شرك الشّيطان كلّ ما تلد منه ويكون مع الرّجل إذا جامع، ويكون الولد من نطفته ونطفة الرّجل إذا كان حراماً(١).

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام مِثله(٢).

وعنه عليه السلام: إذا زنى الرّجل أدخل الشّيطان ذكره، ثمّ عملا جميعاً، ثم يختلط النّطفتان فيخلق الله منهما، فيكون شرك الشّيطان(٣).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة(٤).

﴿وَعِدْهُمْ﴾: المواعيد الكاذبة كشفاعة الآلهة، وتأخير التّوبة لطول الأمل.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾: إعتراض، والغرور: تزيين الخطأ بما يوهم أنّه صواب.

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾: يعني المخلصين بقرينة الإضافة إلى نفسه ولقوله: «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ»(٥).

﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: أي لا تقدر أن تغويهم، لأنّهم لا يغترّون بك.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾: لهم يتوكّلون عليه في الإستعاذة منك فيحفظهم من شرّك.

العيّاشي: مضمراً في هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نرجو أن تجري لمن أحبّ

١ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢، س ٣.
٢ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٠٠، ح ١٠٨.
٣ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٩٩، ح ١٠٤.
٤ـ أُنظر تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٠٠، ح ١٠٩، وص ٣٠١، ح ١١٠.
٥ـ ص: ٨٣.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّـٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُوراً ﴿٦٧﴾

الله من عباده[١].

في نهج البلاغة: فاحذروا عدوّ الله أن يغويكم بدأبه، وأن يستفزّكم بخيله[٢] ورجله، قال: فلعمرالله لقد فخر على أصلكم، ووقع في حسبكم، ودفع في نسبكم، وأجلب بخيله عليكم، وقصد برجله سبيلكم، يقتنصونكم[٣] بكلّ مكان، ويضربون منكم كلّ بنان[٤]، لا تمتنعون بحيلة، ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذلّ[٥]، وحلقة ضيق، وعرصة موت وجولة بلاء[٦].

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾: هو الّذي يجري.

﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾: الرّيح وأنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم.

﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾: حيث هيّأ لكم ما تحتاجون إليه وسهّل لكم ما تعسّر من أسبابه.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: خوف الغرق.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ح١١٢.

٢ ـ الخيل: تطلق على الفرس، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: يا خيل الله اركبي. منه رحمه الله.

٣ ـ القانص: الصائد، وقنصه: أي صاده، وإقتنصه: إصطاده. مجمع البحرين: ج٤، ص١٨٢، مادة «قنص».

٤ ـ البنان ـ بالفتح ـ الأصابع، وقيل أطرافها سميّت بنانه لأن بها صلاح الأحوال التي تستقر معها. مجمع البحرين: ج٦، ص٢١٦، مادة «بنن».

٥ ـ حومة الذل: أي في معظم الذل، ومثله «حومة البحر والرمل والقتال» أي معظمه أو أشد موضع فيه. مجمع البحرين: ج٦، ص٥٣، مادة «حرم».

٦ ـ نهج البلاغة: ص٢٨٧ ـ ٢٨٨، الخطبة: ١٩٢.

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴿٦٩﴾

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾: ذهب عن خواطركم كلّ من تدعونه في حوادثكم.

﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: وحده فلا ترجون هناك النّجاة إلّا من عنده، وقد سبق في هذا المعنى حديث في سورة الفاتحة.

﴿فَلَمَّا نَجَّـٰكُمْ﴾: من الغرق.

﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عن التّوحيد، وإتّسعتم في كفران النّعمة.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُوراً﴾: كالتّعليل للإعراض.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾: أنجوتم من الغرق فأمنتم؟.

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: أن يقلّبه الله وأنتم عليه فإنّ من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قدر أن يهلككم في البرّ بالخسف وغيره، وقرئ بالنّون فيه، وفي الأربعة الّتي بعده، وفي ذكر الجانب تنبيه على أنّهم كما وصلوا إلى السّاحل كفروا وأعرضوا.

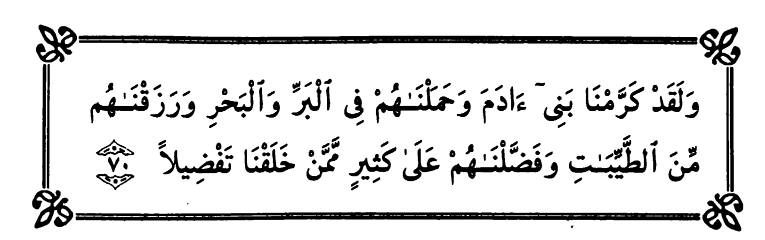
﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾: ريح تحصب أي ترمي بالحصباء.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً﴾: يحفظكم من ذلك فإنّه لا رادّ لفعله.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر.

﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: بتقوية دواعيكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر.

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾: الّتي لا تمرّ بشيء إلّا قصفته أي كسرته



القمّي: عن الباقر عليه السلام هي العاصف[١].

﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بسبب إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾: مطالباً بتبعنا بانتصار أو صرف.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: بالعقل، والمنطق، والصّورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، والتسلّط على ما في الأرض، وتسخير ساير الحيوانات، والتمكّن من الصّناعات إلى غير ذلك ممّا لا يحصى.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: على الدّواب، والسّفن.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذّات.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾: في الأمالي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية يقول: فضّلنا بني آدم على سائر الخلق «وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ» يقول: على الرّطب واليابس، «وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ»، يقول: من طيّبات الثّمار كلّها «وَفَضَّلْنَٰهُمْ»، يقول: ما من دابّة ولا طائر إلّا وهي تأكل وتشرب بفيها لا ترفع بيدها إلى فيها طعاماً ولا شراباً إلّا ابن آدم فإنّه يرفع إلى فيه بيده طعامه فهذا من الفضل[٢].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام «وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ» قال: خلق كلّ شيءٍ منكباً غير الإنسان خلق منتصباً[٣].

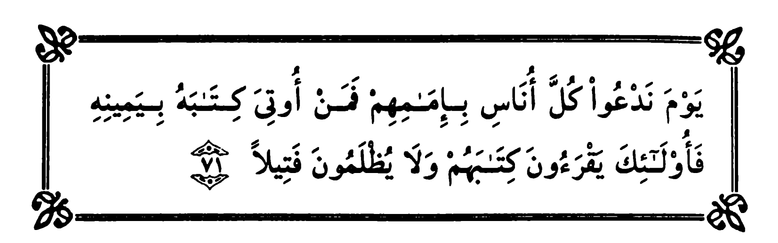
والقمّي: عنه عليه السلام إنّ الله لا يكرم روح كافر ولكنّ الله يكرم أرواح المؤمنين وإنّما كرامة

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢، س ١٤.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٨٩، ح ١٠٧٢/٤١، المجلس السابع عشر.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٠٢، ح ١١٣.



النّفس والدّم بالرّوح، والرّزق الطيّب: هو العلم[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: في صورة الآدميّن إنّها أكرم صورة على الله[٢].

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾: بمن إئتمّوا به من نـبيّ أو وصيّ أو شـقيّ، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: بإمامهم الّذي بين أظهرهم وهو قائم أهل زمانه[٣].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قومه، وعليّ عليه السلام في قومه، والحسن عليه السلام في قومه، والحسين عليه السلام في قومه وكلّ من مات بين ظهراني قوم جاؤوا معه[٤].

والعيّاشي: ما يقرب من معناه[٥].

وفي الكافي[٦]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية قال: المسلمون يا رسول الله ألست إمام النّاس كلّهم أجمعين؟ فقال: أنا رسول الله، إلى النّاس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمّة على النّاس من الله من أهل بيتي يقومون في النّاس فيكذّبون، ويظلمهم أئمّة الكفر، والضّلال وأشياعهم، فمن والاهم وإتّبعهم وصدّقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس منّي ولا معي، وأنا منه بريء[٧].

وفي المجالس: عن الحسين عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فـقال: إمـام دعـا إلى هـدىً فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء إلى النّار، وهو قوله

---

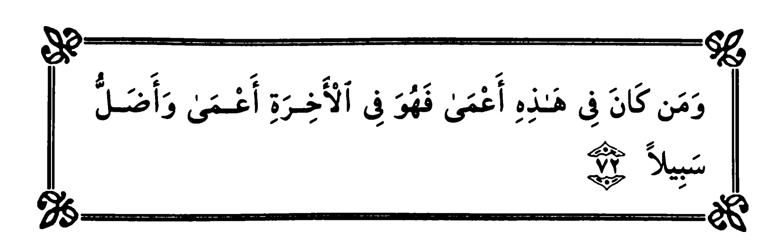
١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢، س١٩. ٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٨٥، س١٢.

٣ ـ الكافي: ج١، ص٥٣٦ ـ ٥٣٧، ح٣، باب أن الأئمة عليهم السلام كلهم قائمون بأمر الله تعالى هادون إليه.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٣، س٢. ٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٠٢، ح١١٤.

٦ ـ الكافي: ج١، ص٢١٥، ح١، باب إنّ الأئمّة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله، وإمام يدعو إلى النار.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٠٤، ح١٢١.



تعالى: «فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ»[١][٢].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام سيدعى كلّ أُناس بإمامهم، أصحاب الشّمس بالشّمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النّار بالنّار، وأصحاب الحجارة بالحجارة[٣].

وفي المحاسن: عنه عليه السلام أنتم والله على دين الله، ثمّ تلا هذه الآية ثمّ قال: عليّ عليه السلام: إمامنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله: إمامنا، وكم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه[٤].

وفي المجمع: عنه عليه السلام ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعى كلّ قوم إلى من يتولّونه وفزعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وفزعتم إلينا فإلى أين ترون أين تذهب بكم إلى الجنّة وربّ الكعبة قالها ثلاثاً[٥].

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾: مبتهجين بما يرون فيه.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾: ولا ينقصون من أُجورهم أدنى شيء، والفتيل: المفتول الّذي في شقّ النّواة[٦].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾: أعمى القلب لا يبصر رشده، ولا يهتدي إلى طريق النّجاة.

---

١ ـ الشورى: ٧. ٢ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣١، س ١٢، المجلس الثلاثون.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٠٣، ح ١١٨.

٤ ـ المحاسن: ج ١، ص ٢٥٣، ح ٤٧٩/٨٤، باب ٢٢ ـ من مات ولا يعرف إمامه.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٣٠، س ٣.

٦ ـ القمّي: الفتيل الجلدة التي في ظهر النواة، وما قلنا هو الموافق لما ذكره أهل التفسير منه قدس سره. راجع تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣، س ٦. أقول: وجاء في مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٢٠ الفتيل هو المفتول الذي في شق النواة، وقيل: الفتيل: في بطن النواة والنفير: في ظهرها، والقطمير: قشر النواة.

﴿فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾: لا يهتدي إلى طريق الجنّة[١].

في التّوحيد: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية من لم يدلّه خلق السّماوات والأرض، وإختلاف اللّيل والنّهار، ودوران الفلك والشّمس والقمر، والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمر أعظم منه فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً[٢].

وفي العيون عن الرّضا عليه السلام إيّاك وقول الجهّال من أهل العمى والضّلال الّذين يزعمون أنّ الله جلّ وتقدّس موجود في الآخرة للحساب والثّواب والعقاب وليس بموجود في الدنيا للطّاعة والرّجاء ولو كان في الوجود لله عزّوجلّ نقص وإهتضام لم يوجد في الآخرة أبدا ولكنّ القوم تاهوا وعموا وصمّوا عن الحقّ من حيث لا يعلمون وذلك قوله عزّوجلّ: «مَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً» يعني أعمى عن الحقائق الموجودة[٣].

---

١ ـ القمّي: «وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً» فإنّه حدثني أبي عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليهما السلام فقال: إنّ ابن عباس يزعم أنّه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت، وفي من نزلت، فقال أبي عليه السلام: سله فيمن نزلت «وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً» وفيمن نزلت «لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ ٱللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ» وفيمن نزلت «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ٱصْبِرُوٓاْ وَرَابِطُوٓاْ» فأتاه الرجل فسأله فقال: وددت أن الذي أمرك بهذا واجهني به فاسأله عن العرش ممّ خلقه الله ومتى خلق؟ وكم هو وكيف هو؟ فإنصرف الرجل إلى أبي فقال أبي: فهل أجابك بالآيات؟ فقال: لا، قال أبي: لكن أجيبك فيها بعلم ونور غير مدع ولا منتحل، أمّا قوله: «وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً» ففيه نزل وفي أبيه، وأمّا قوله: «لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ» في أبيه نزلت، وأمّا الأُخرى ففي أبيه نزلت وفينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله المرابط، وأمّا ما سأل عنه من العرش ممّ خلقه الله، فإن الله خلقه أرباعاً لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنور، ثمّ خلقه من ألوان أنوار مختلفة، ومن ذلك النور نور أخضر، ومنه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار ثم جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق لأول العرش إلى أسفل السافلين وليس من ذلك طبق إلّا ويسبح بحمد ربه ويقدسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة الحديث منه رحمه الله. راجع تفسير القمّي: ج٢، ص٢٣ ـ ٢٤.

٢ ـ التوحيد: ص٤٥٥، ح٦،، باب ٦٧ النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله عزّوجلّ.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٧٥، ح١، باب ١٢ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون.

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذاً لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴿٧٤﴾

وفي الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ العمى من عمي من فضلنا وناصبنا العداوة بلا ذنب سبق إليه منّا إلّا أن دعوناه إلى الحقّ ودعاه من سوانا إلى الفتنة والدّنيا فأتاهما ونصب البراءة منّا والعداوة[1].

وفي الكافي[2]، والعيّاشي[3]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: ذلك الّذي يسوّف نفسه الحجّ يعني حجّة الإسلام حتّى يأتيه الموت[4].

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾: قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالإستنزال.

﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: أي عن حكمه.

﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾: غير ما أوحينا إليك، القمّي: قال: يعني في أمير المؤمنين عليه السلام[5].

والعيّاشي: ما في معناه في الآية الآتية[6].

﴿وَإِذاً لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾: ولو اتّبعت مرادهم لأظهروا خلّتك، القمّي: يعني لاتّخذوك صديقاً لو أقمت غيره[7].

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾: لقاربت أن تميل إلى

---

١ ـ الخصال: ص٦٣٣، ح١٠، باب ٤٠٠.

٢ ـ الكافي: ج٤، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩، ح٢، باب من سوف الحج وهو مستطيع.

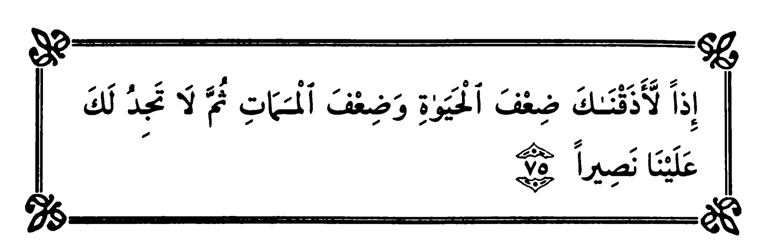
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٠٥، ح١٢٧، ما يقرب منه.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٤، س١٦، ما يقرب منه.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٤، س١٨.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٠٦، ح١٣٣.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٤، س١٩.



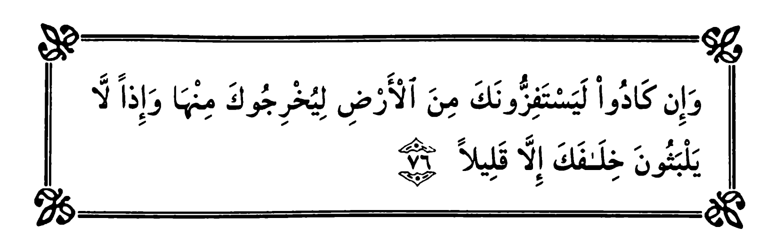
إتباع مرادهم، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: لمّا كان يوم الفتح أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله أصناماً من المسجد وكان منها صنم على المروة، وطلبت إليه قريش أن يتركه وكان مستحياً فهم بتركه ثمّ أمر بكسره فنزلت[1].

وفي المجمع قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: اللّهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً[2].

﴿إِذاً لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾: قيل: أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذّب به في الدّارين بمثل هذا الفعل غيرك، لأنّ خطأ الخطير أخطر، وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات، يعني مضاعفاً فاقيمت الصّفة مقام الموصوف، وأضيفت كما يضاف موصوفها[3].

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾: يدفع عنك، في العيون: عن الرّضا عليه السلام في حديث المأمون في عصمة الأنبياء حيث سأله عن قوله تعالى: «عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ»[4] قال: هذا ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله تعالى بذلك نبيّه صلى الله عليه وآله والمراد به امّته، وكذلك قوله عزّوجلّ: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ»[5] وقوله تعالى: «لَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً»[6].

١ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٠٦، ح١٣٢.
٢ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص٤٣١، س٣.
٣ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٩٣، س٢٢.
٤ـ التوبة: ٤٣.
٥ـ الزمّر: ٦٥.
٦ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٠٢، ح١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.



وفي الكافي[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام ما عاتب الله نبيّه صلى الله عليه وآله فهو يعني به من قد مضى في القرآن مثل قوله: «وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً» عنى بذلك غيره[٢].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الزّنديق الّذي سأله عن أشياء من القرآن وكان في جملة ما سأل عنه عليه السلام هذه الآية: وأمّا ما ذكرته من الخطاب الدّالّ على تهجين[٣] النّبيّ صلى الله عليه وآله والإزراء به[٤] والتأنيب[٥] له مع ما أظهره الله تعالى من تفضيله إيّاه على سائر أنبيائه فإن الله جعل لكلّ نبيّ عدوّاً من المشركين، ثم ذكر عليه السلام مساعي أعدائه في تغيير ملّته، وتحريف كتابه الّذي جاء به وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل، وكفر ذوي الكفر منه، وتركهم منه ماقد رؤو وأنّه لهم وهو عليهم وزيادتهم فيه ما ظهر به تناكره وتنافره، ثمّ قال: والّذي بدا في الكتاب من الإزراء على النّبيّ صلى الله عليه وآله من فرية الملحدين[٦] وقد مضى هذا الحديث على وجهه وبيان الحديث السّابق عليه المرويّ من الكافي والعيّاشي: في المقدّمة السّادسة من هذا الكتاب مع ما هو التّحقيق في هذا الباب.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليزعجونك بمعاداتهم.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠ ـ ٦٣١، ذيل ح ١٤، أبواب النوادر.

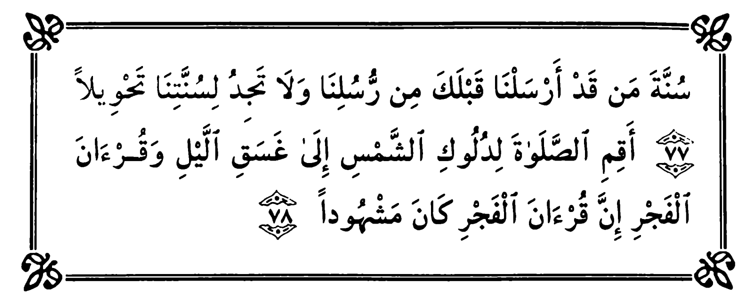
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠، ح ٥.

٣ ـ التهجين: التقبيح. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٧٧، مادة «هجن».

٤ ـ الإزراء: التهاون بالشيء: يقال: أزريت به، إذا قصرّت به. وازدريته أي حقّرته. الصحاح: ج ٦، ص ٢٣٦٨، مادة «زرى».

٥ ـ التأنيب: المبالغة في التوبيخ والتعنيف. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٨، مادة «أنب».

٦ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٢، س ١٦، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.



سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴿٧٨﴾

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: القمّي: يعني أهل مكة[١].

﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلاً﴾: يعني لو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلّا زماناً قليلاً، القمّي: يعني حتّى قتلوا ببدر[٢].

قيل: وكان ذلك بعد الهجرة بسنة[٣]، وقرئ خلفك.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: أي سنّ الله ذلك سنّة وهو أن يهلك كلّ اُمّة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم.

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾: تغييراً.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾: لزوالها.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: إلى ظلمته وهي إنتصافه.

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاته.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾: بملائكتي اللّيل والنّهار، وفي الكافي[٤]، والفقيه[٥]، والتّهذيب[٦]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عمّا فرض الله من الصّلاة؟ فقال: خمس صلوات في اللّيل والنّهار فقيل: هل سمّاهنّ وبيّنهنّ ووقتهنّ في كتابه؟ فقال: نعم، قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: «أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ» ودلوكها: زوالها، ففيما بين دلوك

---

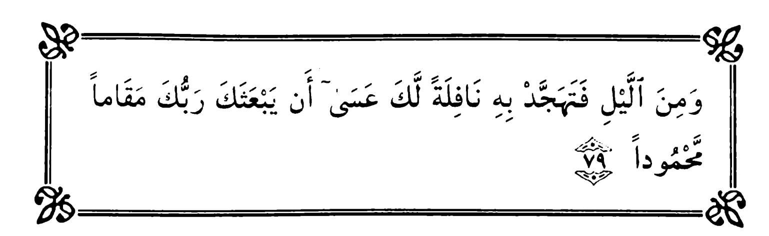
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤، س ٢١. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤، س ٢٢.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٩٤، س ٤.

٤ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٧١، ح ١، باب فرض الصلاة.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٢٤، ح ٦٠٠/١، باب ٢٩ ـ فرض الصلاة.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٩٥٤/٢٣، باب ١٢ ـ فضل الصلاة المفروض منها والمسنون.



الشّمس إلى غسق اللّيل أربع صلوات سمّاهن الله وبيّنهنّ ووقّتهنّ، وغسق اللّيل: إنتصافه، ثم قال: «وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً» فهذه الخامسة[1].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن أفضل المواقيت في صلاة الفجر، فقال: مع طلوع الفجر إنّ الله يقول: «وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً» يعني وصلاة الفجر تشهدها ملائكة اللّيل وملائكة النّهار، فإذا صلى العبد الصّبح مع طلوع الفّجر اُثبتت له مرّتين أثبتها ملائكة اللّيل وملائكة النّهار[2].

والعيّاشي: عنهما عليهما السلام في هذه الآية قال: جمعت الصلوات كلهنّ، ودلوك الشّمس: زوالها، وغسق اللّيل: إنتصافه[3].

وقال إنّه ينادي منادٍ من السّماء كلّ ليلة إذا إنتصف اللّيل: من رقد عن صلاة العشاء إلى هذه السّاعة فلا نامت عيناه، «وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ»: قال: صلاة الصّبح، وأمّا قوله: «كَانَ مَشْهُوداً» قال: تحضره ملائكة اللّيل وملائكة النّهار[4] وفي معنى هذه الأخبار أخبار كثيرة.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾: وبعض اللّيل فاترك الهجود للصّلاة بالقرآن.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضة زائدة لك على الصّلوات المفروضة، في التّهذيب: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن النّوافل؟ فقال: فريضة، ففزع السّامعون فقال عليه السلام: إنّما أعني صلاة اللّيل على رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ»[5].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٠٨، ح ١٣٦.
٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٨٢ و ٢٨٣، ح ٢، باب وقت الفجر.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٠٩، ح ١٤١.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٠٩، ح ١٤١.
٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤٢، ح ٢٥٩/ ٢٨، باب ١٢ ـ فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون.

في الخصال: فيما أوصى به النّبيّ ﷺ عليّاً يا علي ثلاث فرحات للمؤمن في الدّنيا، لقاء الإخوان، والإفطار من الصّيام، والتهجّد في آخر اللّيل[١].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام عليكم بصلاة اللّيل فإنّها سنّة نبيّكم، ودأب الصّالحين قبلكم، ومطردة الدّاء عن أجسادكم[٢].

وعن السّجاد عليه السلام: إنّه سئل ما بال المتهجّدين باللّيل من أحسن النّاس وجهاً؟ قال: لأنّهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره[٣].

والأخبار: في فضل صلاة اللّيل لا تحصى تطلب من مواضعها[٤].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾: في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أهل المحشر ثمّ يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمّد ﷺ وهو المقام المحمود فيثني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثني على كلّ مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصّدّيقين والشّهداء، ثمّ بالصّالحين فيحمده أهل السّماوات وأهل الأرض فذلك قوله عزّوجلّ: «عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً» فطوبى لمن كان له في ذلك اليوم حظّ ونصيب، وويل لمن لم يكن له في ذلك اليوم حظّ ولا نصيب[٥].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام في قوله: «عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً» قال: هي الشّفاعة[٦].

وفي روضة الواعظين: عن النّبيّ ﷺ وهو المقام الّذي أشفع لأُمّتي[٧].

---

١ ـ الخصال: ص١٢٤ ـ ١٢٥، ح١٢١، باب ٣ ـ ما جاء على ثلاثة في وصية النّبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ علل الشرائع: ص٣٦٢، ح١، باب ٨٤ ـ علة صلاة اللّيل، وأخرجه الفتال النيسابوري في روضة الواعظين: ص٣٢١

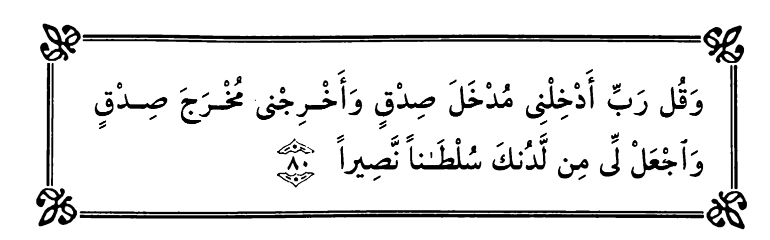
٣ ـ علل الشرائع: ص٣٦٥ ـ ٣٦٦، ح١، باب ٨٧ ـ العلة التي من أجلها صار المتهجدين بالليل أحسن النّاس وجهاً في النّهار.

٤ ـ أُنظر ثواب الأعمال: ص٤١، باب ثواب من صّلى صلاة اللّيل.

٥ ـ التوحيد: ص٣٦١، س١٠، ح٥،، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٤، ح١٤٨.

٧ ـ روضة الواعظين: ص٥٠٠ مجلس في ذكر الشفاعة والحوض. وفيه «المقام الذي أشفع فيه لأُمتي».



قال: وقال صلى الله عليه وآله: إذا قمت المقام المحمُود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أُمّتي فيشفّعني الله فيهم، والله لا تشفّعت فيمن آذى ذرّيتي(١).

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو قد قمت المقام المحمُود لشفعت في أبي وأُمّي وعمّي وأخ لي كان في الجاهلية(٢).

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن شفاعة النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة فقال: يلجم النّاس يومَ القيامة العرق فيقولون: إنطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا، فيأتون آدم فيقولون له: إشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنب وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتى ينتهوا إلى عيسى عليه السلام فيقول: عليكم بمحمّد صلى الله عليه وآله رسُول الله فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه، فيقول: إنطلقوا فينطلق بهم إلى باب الجنّة ويستقبل باب الرّحمان ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله فيقول: إرفع رأسك وإشفع تُشفع، وسل تعط، وذلك قوله تعالى: «عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً»(٣).

والعيّاشي: عنه(٤) وعَن الكاظم عليه السلام ما يقرب منه(٥).

وعن الصّادق عليه السلام: حديثاً في ذلك فيه بسط وتفصيل لهذا المعنى يطلب منه(٦).

﴿وَقُل رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن

---

١ ـ روضة الواعظين ص ٥٠٠ وفيه إنّما «شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي» نعم عثرنا على هذا النص في تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨، ح٣٩٨.

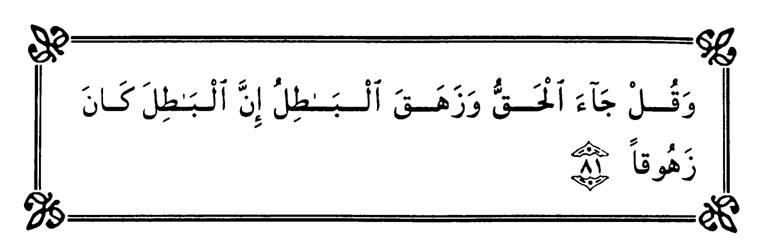
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥، س١٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥، س٦.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٠ ـ ٣١٣، ح١٤٥ و ص٣١٤، ح١٥٠.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٥، ح١٥١.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٠ ـ ٣١٤، ح١٤٥ و ١٤٧.



لَّدُنكَ سُلْطَٰناً نَّصِيراً﴾: حجة تنصرني[1]، القمّي: نزلت يوم فتح مكّة لمّا أراد رسول الله ﷺ دخولها أنزل الله قل يا محمدّ: «أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ» الآية[2].

وقيل: أي أدخلني في جميع ما أرسلتني به إدخالاً مرضيّاً، وأخرجني إخراجاً مرضيّاً يحمد عاقبته[3].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل هل للشّكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: نعم قيل: ما هو؟ قال: يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ أدّاه، ومنه قوله تعالى: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا» الآية[4] وقوله: «رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً» الآية[5] وقوله «رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ» الآية[6].

وفي المحاسن: عنه عليه السلام إذا دخلت مدخلاً تخافه فاقرأ هذه الآية «رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ» الآية وإذا عاينت الّذي تخافه فاقرأ آية الكرسي[7].

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: جاء الإسلام وذهب الشّرك.

﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾: مضمحلاً، في الأمالي: عن الصّادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة والأصنام حول الكعبة، وكانت ثلاثمائة وستّين صنماً فجعل يطعنها بمخصرة في يده ويقول: «جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ

---

١ ـ العيّاشي: عن زيد بن علي في قول الله: «واجعَل له مِن لَدنكَ سُلطَٰناً نَصيراً» قال: السيف: منه رحمه الله. راجع تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٥، ح١٥٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦، س٢.

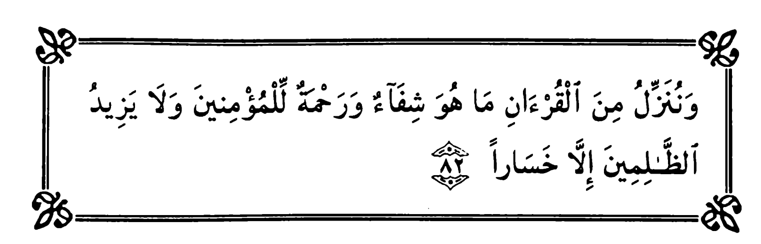
٣ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج٢، ص٣٤٢، س٦.

٤ ـ الزخرف: ١٣.

٥ ـ المؤمنون: ٢٩.

٦ ـ الكافي: ج٢، ص٩٥ ـ ٩٦، ح١٢، باب الشكر.

٧ ـ المحاسن: ج٢، ص١١٦، ح١٣٢١/١٢٠، كتاب السفر باب ٣٠ ـ التحرز.



زَهُوقاً» «وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ»[١] فجعلت تنكبّ لوجهها[٢].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: إذا قام القائم ذهب دولة الباطل[٣].

وفي الخرائج: عن حكيمة، لمّا ولد القائم كان نظيفاً مفروغاً منه، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: «جَآءَ ٱلْحَقُّ» الآية[٤].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: في معانيه شفاء الأرواح، وفي ألفاظه شفاء الأبدان.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾: لتكذيبهم وكفرهم به، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في حديث مرّ صدره في سورة النّحل إنّما الشّفاء في علم القرآن لقوله: «وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ» لأهله لا شكّ فيه و لا مرية، وأهله أئمّة الهدى الّذين قال الله «ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا»[٥][٦].

وعن الباقر عليه السلام: نزل جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله «وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ» آل محمّد حقّهم «إِلَّا خَسَاراً»[٧].

في طبّ الأئمّة: عن الصّادق عليه السلام ما إشتكى أحد من المؤمنين شكاية قطّ وقال بإخلاص نيّة ومسح موضع العلّة: «وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

---

١ ـ سبأ: ٤٩.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٣٧، ح٦٨٣/٢٣، المجلس الثاني عشر.

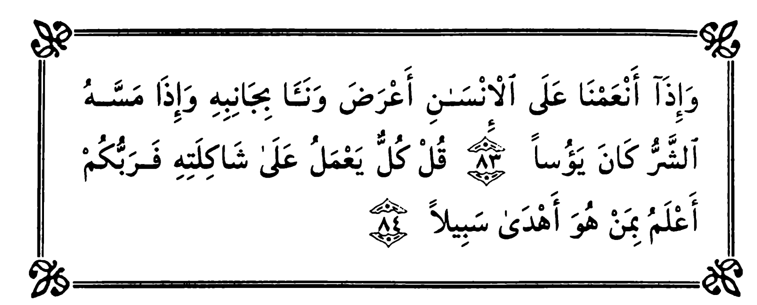
٣ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٧، ح٤٣٢.

٤ ـ الخرائج و الجرائح: ج١، ص٤٥٦، ح١، باب ١٣ ـ في معجزات الإمام صاحب الزّمان عليه السلام.

٥ ـ فاطر: ٣٢.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٥، ح١٥٤.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٥، ح١٥٥.



ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» إلّا عوفي من تلك العلّة، أيّة علّة كانت، ومصداق ذلك في الآية حيث يقول: «شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»[١].

وعنه عليه السلام: لا بأس بالرقية، والعوذة، والنّشرة[٢] إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، وهل شيء أبلغ من هذه الأشياء من القرآن؟ أليس الله يقول: «وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»[٣].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: بالصّحّة والسّعة.

﴿أَعْرَضَ﴾: عن ذكر الله.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: لوّى عطفه، وبعد بنفسه عنه كأنّه مستغن مستبدّ بأمره وقرئ نآء ممدوداً على القلب.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: من مرض أو فقر.

﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: شديد اليأس من روح الله.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: على ما تشاكل حاله في الهدى والضّلالة.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام النيّة أفضل من العمل ألا وإنّ النيّة، هي العمل، ثمّ تلا «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ» يعني على نيّته[٤].

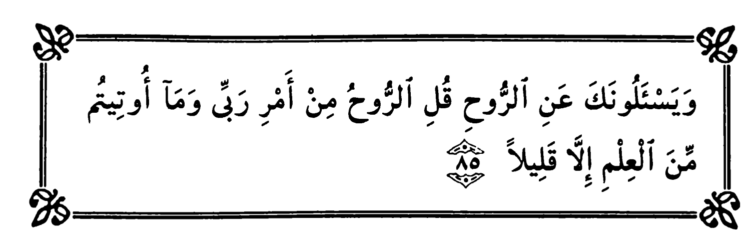
---

١ ـ طب الأئمة عليهم السلام: ص٢٨، عوذة لوجع البطن.

٢ ـ النشرة ـ بالضم ـ: رقية يعالج بها المجنون والمريض. القاموس المحيط: ج٢، ص١٤٢، مادة «نشر».

٣ ـ طب الأئمة عليهم السلام: ص٤٨، ما يجوز من العوذ والرقي والنّشر.

٤ ـ الكافي: ج٢، ص١٦، ح٤، باب الإخلاص.



وفيه[1]، والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّما خلّد أهل النّار في النّار لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ»[2].

وفي الفقيه[3]، والتّهذيب[4]، والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن الصّلاة في البيع والكنايس فقال: صلّ فيها، قلت أُصلي فيها وإن كانوا يصلون فيها؟ قال: نعم أما تقرأ القرآن: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً» صلّ إلى القبلة ودعهم[5].

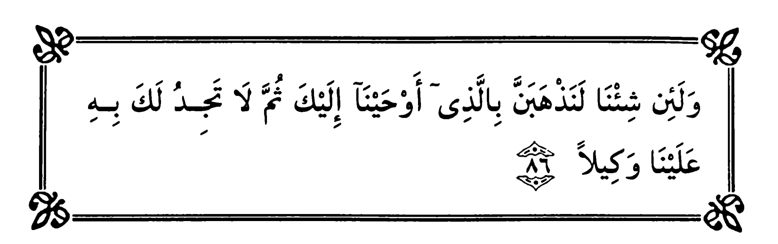
﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾: في الكافي[6]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمّة عليهم السلام، وهو من الملكوت[7].

والعيّاشي: عنه عليه السلام أنّه سئل عنها فقال: خلق عظيم أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلى الله عليه وآله، ومع الأئمّة يسدّدهم وليس كلّما طلب وجد[8].

وعنهما عليهما السلام: في هذه الآية إنّما الرّوح خلق من خلقه له نصر وقوّة وتأييد يجعله في قلوب المؤمنين والرّسل[9].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص٨٥، ح٥، باب النية.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣١٦، ح١٥٨.
٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص١٥٧، ح ٨/٧٣١، باب ٣٨ ـ المواضع الّتي تجوز الصلاة فيها والمواضع التي لا تجوز فيها.
٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٢٢، ح٨٤/٨٧٦، باب ١١ ـ ما يجوز الصلاة فيه من اللباس والمكان وما لا يجوز الصلاة فيه من ذلك.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣١٦، ح١٥٧.
٦ ـ الكافي: ج ١، ص٢٧٣، ح٣، باب الروح التي يسدّد الله بها الأئمّة عليهم السلام.
٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٦، س١٥.
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣١٧، ح١٦١.
٩ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣١٦، ح١٦٠.



وعن أحدهما عليه السلام: في هذه الآية سئل ما الرّوح؟ قال: التي في الدّوابّ والنّاس قيل: وما هي؟ قال: هي من الملكوت من القدرة[1].

أقول: قد سبق تمام الكلام في معنى الرّوح في سورة الحجر[2] فلا نعيده، وما ذكر في الأخبار أخبار عمّا يتميّز به عن غيره وما أبهم في الآية حقيقته فلا منافاة.

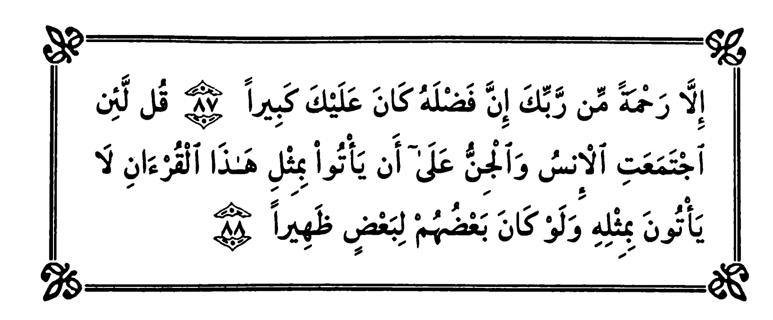
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾: القمّي: إنّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرّوح؟ فقال: «ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» قالوا: نحن خاصّة؟ قال: بل النّاس عامّة، قالوا: فكيف يجتمع هذان يا محمّد؟ تزعم إنّك لم تؤت من العلم إلّا قليلاً، وقد أُوتيت القرآن، وأُوتينا التّوراة وقد قرأت «وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً»[3] فأنزل الله «وَلَوْ أَنَّ مَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ»[4] يقول: علم الله أكثر من ذلك وما أُوتيتم كثير فيكم قليل عند الله[5].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: في قول الله: «وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» قال: تفسيرها في الباطن أنّه لم يؤت العلم إلّا أُناس يسير فقال: «وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» منكم[6].

وفي التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام في حديث قال: ووصف الّذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربّهم بأدنى الأمثال، وشبّهوه بالمشابه[7] منهم فيما جهلوا به فلذلك قال: «وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» فليس له شبه ولا مثل ولا عدل[8].

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن

١ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٧، ح١٦٣.
٢ـ الحجر: ذيل الآية ٢٩.   ٤ـ البقرة: ٢٦٩.   ٥ـ لقمان: ٢٧.
٥ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٦، س١٢.   ٦ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٧، ح١٦٤.
٧ـ وفي نسخة: [بالمتشابه] كما في المصدر.   ٩ـ التّوحيد: ص٣٢٤، ذيل ح١، باب ٥٠ ـ العرش وصفاته.



المصاحف والصّدور.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾: من يتوكّل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مسطوراً.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: إلّا أن يرحمك ربّك فيردّه عليك.

﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً * قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ﴾: في البلاغة وحسن النّظم وجزالة المعنى.

﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾: وفيهم العرب العرباء، وأرباب البيان، وأهل التّحقيق.

﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾: ولو تظاهروا على الإتيان به، في العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الله تعالى نزّل هذا القرآن بهذه الحروف الّتي يتداولها جميع العرب، ثمّ قال: «قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ» الآية[1].

وفي الخرائج: في اعلام الصّادق عليه السلام إنّ ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدّهريّة إتّفقوا على أن يعارض كلّ واحد منهم ربع القرآن، وكانوا بمكة وعاهدوا على أن يجيئوا بمعارضته في العام القابل. فلمّا حال الحول واجتمعوا في مقام إبراهيم عليه السلام قال: أحدهم إنّي لمّا رأيت قوله: «يَـٰأَرْضُ ابْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الْمَآءُ»[2] كففت عن المعارضة، وقال الآخر: وكذا أنا لمّا وجدت قوله «فَلَمَّا اسْتَيْـَٔسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً»[3] آيست عن المعارضة وكانوا

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٣٠، س١٧، ح٢٦، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التّوحيد.

٢ ـ هود: ٤٤.

٣ ـ يوسف: ٨٠.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعاً ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيراً ﴿٩١﴾

يسترون ذلك إذ مرّ عليهم الصّادق عليه السلام فإلتفت إليهم وقرأ عليهم: «قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ» الآية فبهتوا[١].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا بوجوه مختلفة، زيادة في التّقرير والبيان.

﴿لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: يعني من كلّ معنى كالمثل في غرابته و وقوعه موقعاً في الأنفس.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾: إلّا جحوداً، في الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: فأبى أكثر النّاس بولاية عليّ عليه السلام إلّا كفوراً[٣].

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾: وقرئ بالتخفيف[٤].

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعاً﴾: عيناً، قالوه عناداً ولجاجاً وتعنّتاً وإقتراحاً بعدما لزمتهم الحجّة ببيان إعجاز القرآن وإنضمام غيره من المعجزات إليه.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بستان.

---

١ ـ الخرائج والجرائح: ج٢، ص٧١٠، ح٥، باب ١٥ ـ في الدلالات والبراهين على صحة إمامة الإثنى عشر إماماً عليهم الصلاة والسلام.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٤٢٤ ـ ٤٢٥، ح٦٤، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٧، ح١٦٦.

٤ ـ قرأ أهل الكوفة ويعقوب «حتّى تَفجُرَ» بفتح التاء وضم الجيم، والباقون «تفجّر» بضم التاء وتشديد الجيم. مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٣٩، في القراءة.

أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِٱللهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً ﴿٩٣﴾

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾: قطعاً يعنون قوله تعالى: «وَإِنْ يَرَوْاْ كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُوم»[1][2]، وقرئ بفتح السّين.

﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً﴾: كثيراً أو مقابلاً أي وهم مقابلون لنا نشاهدهم ونعاينهم.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: من ذهب وأصله الزّينة.

﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: في معارجها.

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: لصعودك وحدك.

﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰباً نَّقْرَؤُهُ﴾: فيه تصديقك.

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾: تنزيهاً لله من أن يتحكّم عليه أحد ويأتي بما يقترحه الجهّال، وقرئ قال: أي الرّسول[3].

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً﴾: كسائر الرّسل وقد كانوا لا يأتون قومهم إلّا بما

---

١ ـ الركام: بالضم ـ: الرمل المتراكم، وكذلك السحاب وما أشبهه، يقال: ركمه ركوماً: جمعه وألق بعضه فوق بعض. والمركوم كذلك مجمع البحرين: ج٦، ص٧٥، مادة «ركم».

٢ ـ الطور: ٤٤.

٣ ـ أقول: إن المقصود من قوله: «وقرئ قال أي الرسول» أي إن «قال» هو بدل من «قل سبحان ربي» فيكون المعنى قال الرسول سبحان ربي.

يظهره الله عليهم من الآيات على ما يلائم حال قومهم وليس أمر الآيات إليّ إنّما هو إلى الله وهو العالم بالمصالح فلا وجه لطلبكم إيّاها مني.

القمّي: عن الباقر عليه السلام «يَنبُوعاً»: أي عيناً لك، «جَنّة»: أي بستان، «تَفْجِيراً»: أي من تلك العيون، «كِسَفاً»، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّه سيسقط من السماء كسفاً لقوله: «وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُوم»[1] قال: «والقبيل»: الكثير، والزّخرف: الذهب كتاباً نَّقْرَؤُهُ يقول: من الله إلى عبد الله بن أبي أميّة إن محمّداً صلى الله عليه وآله صادق، وإنّي أنا بعثته ويجيىء معه أربعة من الملائكة يشهدون أنّ الله هو كتبه فأنزل الله: «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى» الآية[2].

وفي الإحتجاج[3]، وتفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة عند قوله سبحانه: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ»[4] عن أبيه عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعداً ذات يوم بمكّة بفناء الكعبة إذ إجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو البختريّ بن هشام، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل السّهمي، وعبد الله بن أبي أُميّة بن المخزومي وكان معهم جمع ممّن يليهم كثير ورسول الله صلى الله عليه وآله في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدّى إليهم عن الله أمره ونهيه فقال: المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل[5] أمر محمّد صلى الله عليه وآله وعظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته[6] وتوبيخه والإحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه، ويصغر قدره عندهم، ولعلّه ينزع عمّا هو فيه من غيّه وباطله وتمرّده وطغيانه، فإن إنتهى وإلّا عاملناه بالسّيف الباتر.

قال أبو جهل: فمن الّذي يلي كلامه ومجادلته؟

---

١ ـ الطور: ٤٤. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦، س ٢٧.

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٢٦ ـ ٣٠، إحتجاج النّبي صلى الله عليه وآله على جماعة من المشركين.

٤ ـ البقرة: ١٠٨.

٥ ـ إستفحل الأمر: أي تفاقم. الصحاح: ج ٥، ص ١٧٩٠، مادة «فحل». وتفاقم الأمر: أي عظم. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٠٣.

٦ ـ التبكيت: كالتقريع والتعنيف. وبكته بالحجّة: أي غلبه. الصحاح: ج ١، ص ٢٤٤، مادة «بكت».

قال عبدالله بن أبي أُميّة المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرناً حسيباً[١] ومجادلاً كفيّاً؟

قال أبو جهل: بلى فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبدالله بن أبي أُميّة فقال: يا محمّد لقد إدّعيت دعوىً عظيمة، وقلت : مقالاً هائلاً زعمت أنّك رسول ربّ العالمين، وما ينبغي لربّ العالمين، وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسولاً له بشراً مثلنا يأكل كما نأكل، ويمشي في الأسواق كما نمشي فهذا ملك الرّوم، وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلّا كثير مال عظيم خطر له قصور ودور وفساطيط[٢] وخيام وعبيد وخدّام، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فهم عبيده، ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث الينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمّد «إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً»[٣]، ولست بنبيّ.

فقال رسول الله ﷺ: هل بقي من كلامك شيء؟ فقال: بلى لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلّ من بيننا مالاً، وأحسنه حالاً، فهلّا نزل هذا القرآن الّذي تزعم أنّ الله أنزله عليك وإبتعثك به رسولاً «عَلَى رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ»[٤] إمّا الوليد بن المغيرة بمكّة، وإمّا عروة بن مسعود الثّقفي بالطّائف.

فقال رسول الله ﷺ: هل بقي من كلامك شيء؟ فقال: بلى: «لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعاً»[٥] بمكّة هذه فإنّها ذات حجارة وعرة[٦] وجبال تكسح[٧] أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً؟ أو تسقط السّماء كما زعمت علينا كسفاً فإنّك قلت

---

١ ـ حسيبك الله: أي إنتقم الله منك. الصحاح: ج ١، ص ١١١، مادة «حسب».

٢ ـ الفسطاط ـ بالسين والطائين المهملات: البيت من الشعر فوق الخباء، والجمع فساطيط. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٦٥، مادة «فسط».

٣ ـ الإسراء: ٤٧، و الفرقان: ٨.

٤ ـ الزخرف: ٣١.

٥ ـ الإسراء: ٩٠.

٦ ـ وقد وعر الشيء بالضم وَعُورَةً، وذلك تَوَعَّر: أي صار وعراً لا سهلاً. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥١١، مادة «وعر».

٧ ـ كسحت البيت كسحاً ـ من باب نفع ـ كنسته، وقد يستعار الكسح لتنقية البئر والنهر وغيره، فيقال كسحته أي نقيّته. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٠٦، مادة «كسح».

لنا: «وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُوم»[١] فلعلنا نقول ذلك، ثم قال: «أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَٱلْمَلَـٰئِكَةِ قَبِيلاً»[٢] تأتي به وبهم وهم لنا مقابلون، «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ»[٣] تعطينا منه وتغنينا به، فلعلّنا نطغى فإنّك قلت لّنا «كَلَّا إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ»[٤] ثمّ قال: «أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ» أي تصعد في السّماء «وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ» لصعودك «حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰباً نَّقْرَؤُهُ»[٥] من الله العزيز الحكيم إلى عبدالله بن أبي أُميّة المخزوميّ ومن معه بأن آمنوا بمحمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب فإنّه رسولي، وصدّقوه في مقاله فإنّه من عندي، ثمّ لا أدري يا محمّد إذا فعلت هذا كلّه أُؤمن بك أو لا أؤمن بك بل لو رفعتنا إلى السّماء وفتحت أبوابها وأدخلتناها لقلنا: «إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا»[٦] وسحرتنا.

فقال: رسول الله ﷺ: أبقي شيء من كلامك يا عبدالله، قال: أوليس فيما أوردته عليك كفاية وبلاغ؟ ما بقي شيء، وقل ما بدا لك، وأفصح عن نفسك إن كانت لك حجّة، وآتنا بما سألناك.

فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ أنت السّامع لكلّ صوت، والعالم بكلّ شيء، تعلم ما قاله عبادك، فأنزل الله عليه «مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ»[٧] إلى قوله «مَسْحُوراً»[٨] ثم قال الله تعالى «ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً»[٩] ثم قال الله يا محمّد: وربنا «تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً»[١٠] وأنزل عليه يا محمّد: «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ» الآية[١١] وأنزل عليه يا محمّد «وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ» الآية[١٢].

---

١ ـ الطور: ٤٤.
٢ ـ الإسراء: ٩٢.
٣ ـ الإسراء: ٩٣.
٤ ـ العلق: ٦ ـ ٧.
٥ ـ الإسراء: ٩٣.
٦ ـ الحجر: ١٥.
٧ ـ الفرقان: ٧.
٨ ـ الفرقان: ٨.
٩ ـ الإسراء: ٤٨.
١٠ ـ الفرقان: ١٠.
١١ ـ هود: ١٢.
١٢ ـ الأنعام: ٨.

فقال رسول الله ﷺ: أمّا ما ذكرت من إنّي آكل الطّعام كما تأكلون وساق الحديث كما يأتي في سورة الفرقان[1] إن شاء الله.

ثم قال رسول الله ﷺ: وأمّا قولك هذا ملك الرّوم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلّا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدّام، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فهم عبيده فإنّ الله له التّدبير والحكم لا يفعل على ظنّك ولا حسبانك ولا بإقتراحِك، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو محمود يا عبدالله إنّما بعث الله نبيّه ليعلّم النّاس دينهم، ويدعوهم إلى ربّهم، ويكد نفسه في ذلك آناءاللّيل ونهاره، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها وعبيد وخدم يسترونه على النّاس أليس كانت الرّسالة تضيع والأُمور تتباطأ أو ماترى الملوك إذا إحتجبوا كيف يجري القبائح والفساد من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون؟ يا عبدالله إنّما بعثني الله ولا مال لي ليعرّفكم قدرته وقوّته وأنّه هو النّاصر لرسوله لا تقدرون على قتله ولا منعه من رسالته، وهذا أبين في قدرته وفي عجزكم، وسوف يظفرني الله بكم فاوسعكم قتلاً وأسراً ثمّ، يظفرني الله ببلادكم ويستولي عليها المؤمنون من دونكم، ودون من يوافقكم على دينكم.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: وأمّا قولك لي: ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده وساق الحديث كما مضى في سورة الأنعام[2] ثمّ ساق الحديث بما يأتي في سورة الفرقان[3] والزّخرف[4].

ثمّ قال رسول الله: وأمّا قولك «لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا»[5] إلى آخر ما قلته فإنّك إقترحت على محمّد رسول الله ربّ العالمين أشياءاً.

منها: لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوّته، ورسول الله يرتفع عن أن يغتنم جهل الجاهلين، ويحتّج عليهم بمالا حجّة فيه.

١ـ ذيل الآية: ١٠.
٢ـ الأنعام: ذيل الآية ٨ـ ٩.
٣ـ ذيل الآية: ١٠.
٤ـ ذيل الآية: ٣٢.
٥ـ الإسراء: ٩٠.

ومنها: لو جاءك به لكان معه هلاكك وإنّما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بما لا يهلكون بها وإنّما إقترحت هلاكك وربّ العالمين أرحم بعباده وأعلم بصالحهم من أن يهلكهم بما يقترحون.

ومنها: المحال الّذي لا يصّح ولا يجوز كونه ورسول ربّ العالمين يعرّفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيّق عليك سبيل مخالفته ويلجأك بحجج الله إلى تصديقه حتّى لا يكون لك عنه محيد[١] ولا محيص[٢].

ومنها: ما قد إعترفت على نفسك إنّك فيه معاند متمرّد لا تقبل حجّة ولا تصغى إلى برهان ومن كان كذلك فدواؤه عذاب النّار النّازل من سمائه أو في جحيمه أو بسيوف أوليائه.

وأمّا قولك: يا عبدالله «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعاً»[٣] بمكّة هذه فإنّها ذات أحجار وصخور وجبال تكسح أرضها، وتحفرها وتجري فيها العيون فإنّنا إلى ذلك محتاجون فإنّك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله.

يا عبدالله أرأيت لو فعلت هذا كنت من أجل هذا نبيّاً؟ أرأيت الطّائف الّتي لك فيها بساتين أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذلّلتها وكسحتها فأجريت فيها عيوناً إستنبطتها قال: بلى، قال: وهل لك فيها نظراء؟ قال: بلى، قال: أفصرت بذلك أنت وهم أنبياء؟ قال: لا، قال: فكذلك لا يصير هذا حجّة لمحمّد صلى الله عليه وآله لو فعله على نبوّته فما هو إلّا كقولك: لن نؤمن لك حتّى تقوم وتمشي على الأرض أو حتّى تأكل الطّعام كما يأكل النّاس، وأمّا قولك يا عبد الله «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ» فتأكل منها وتطعمنا «فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيراً»[٤] أوليس لك ولأصحابك جنان من نخيل وعنب بالطّائف تأكلون وتطعمون منها وتفجّرون الأنهار خلالها تفجيراً؟ أفصرتم أنبياء بهذا؟ قال: لا، قال: فما بال إقتراحكم على

---

١ ـ يقال: حاد عن الشيء يحيد: مال عنه وعدل، ويحيد عنه: ينهزم عنه مجمع البحرين: ج٣، ص٤١ ـ ٤٢ مادة «حيد».

٢ ـ يقال: حاص عنه يحيص حيصاً: أي عدل وحاد، وما عنه محيص: أي محيد ومهرب ويلجأون إليه. مجمع البحرين: ج٤، ص١٦٦ مادة «حيص».

٣ ـ الإسراء: ٩٠.

٤ ـ الإسراء: ٩١.

رسول الله أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلّت على صدقه بل لو تعاطاها لدلّ تعاطيه إيّاها على كذبه لأنّه حينئذ يحتجّ بما لا حجّة فيه ويختدع الضّعفاء عن عقولهم وأديانهم، ورسول ربّ العالمين يجلّ ويرتفع عن هذا.

ثم قال رسول الله ﷺ: يا عبدالله وأمّا قولك: «أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً» فإنّك قلت: «وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ»[1] فإنّ في سقوط السّماء عليكم هلاككم وموتكم وإنّما تريد بهذا من رسول الله ﷺ أن يهلكك ورسول ربّ العالمين أرحم بك من ذلك ولا يهلكك، ولكنّه يقيم عليك حجج الله وليس حجج الله لنبيّه وحده على حسب إقتراح عباده لأنّ العباد جهّال بما يجوز من الصّلاح وبما لا يجوز منه، وبالفساد وقد يختلف إقتراحهم ويتضادّ حتّى يستحيل وقوعها لو كان إلى إقتراحاتهم لجاز أن تقترح أنت أن يسقط السّماء عليكم، ويقترح غيرك أن لا يسقط عليكم السّماء، بل أن يرفع الأرض إلى السّماء ويقع عليها وكان ذلك يتضاد ويتنافى ويستحيل وقوعه والله لا يجري تدبيره على ما يلزمه المحال.

ثم قال رسول الله ﷺ: وهل رأيت يا عبدالله طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب إقتراحاتهم؟ وإنّما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه أحبّه العليل أو كرهه، فأنتم المرضى والله طبيبكم فإن أنقدتم لدوائه شفاكم، وإن تمردتم عليه أسقمكم، وبعد فمتى رأيت يا عبدالله مدّعى حقّ من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بيّنة على دعواه على حسب إقتراح المدّعي عليه إذا ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حقّ ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا صادق وكاذب فرق.

ثم قال: يا عبدالله وأما قولك «أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً»[2] يقابلوننا ونعانيه فإنّ هذا من المحال الّذي لا خفاء فيه[3] إن ربّي عزّوجلّ ليس كالمخلوقين يجيىء، ويذهب، ويتحرّك، ويقابل شيئاً حتّى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال وإنّما هذا الّذي دعوت إليه صفة

---

١ ـ الطور: ٤٤. ٢ ـ الإسراء: ٩٢.

٣ ـ وفي نسخة: [لاخفاء به] كما في المصدر.

أصنامكم الضّعيفة المنقوصة الّتي لاتسمع ولاتبصر ولاتعلم ولاتغني عنكم شيئاً ولاعن أحد.

يا عبدالله أوليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكّة وقوّام عليها؟ قال: بلى، قال أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك؟ قال: بسفراء، قال: أرأيت لو قال: معاملوك وأكرتك وخدمك لسفرائك لا نصدّقكم في هذه السّفارة إلّا أن تأتونا بعبد الله ابن أبي أُميّة فنشاهده ونسمع ما تقولون عنه شفاه أكنت تسوّغهم هذا أو كان يجوز لهم عندك ذلك؟ قال: لا، قال: فما الّذي يجب على سفراءك؟ أليس أن يأتوهم عنك؟ بعلامة صحيحة تدلّهم على صدقهم؟ قال: بلى.

قال: يا عبدالله أرأيت سفيرك لو أنّه لمّا سمع منهم هذا عاد إليك فقال: قم معي فإنّهم قد إقترحوا على مجيئك أليس يكون هذا لك مخالفاً، وتقول له: إنّما أنت رسول لا مشير ولا آمر قال: بلى قال: فكيف صرت تقترح على رسول ربّ العالمين مالا يسوغ أُكرتك ومعامليك أن يقترحوه على رسولك إليهم؟ فكيف أردت من رسول ربّ العالمين أن يستذم إلى ربّه بأن يأمر عليه وينهى، وأنت لا تسوّغ مثل ذلك لرسول لك إلى أُكرتك وقوّامك؟ هذه حجّة قاطعة لإبطال جميع ما ذكرته في كل ما إقترحته.

وأمّا قولك يا عبدالله «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ»[1] وهو الذّهب أما بلغك أن لعزيز مصر بيوتاً من زخرف؟ قال: بلى، قال: أفصار بذلك نبيّاً؟ قال: لا، قال: فكذلك لا يوجب لمحمّد صلى الله عليه وآله لو كان له نبوّة ومحمّد لا يغتنم جهلك بحجج الله، وأمّا قولك: يا عبدالله «أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ»[2] ثمّ قلت «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰباً نَقْرَؤُهُ»[3] يا عبدالله الصّعود إلى السّماء أصعب من النزّول عنها وإذا إعترفت على نفسك إنّك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النّزول، ثمّ قلت: «حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰباً نَقْرَؤُهُ»[4] ومن بعد ذلك لا أدري أؤمن بك أو لا أؤمن بك فأنت يا عبدالله مقر بأنّك تعاند بعد حجّة الله عليك فلا دواء لك إلّا تأديبه على يد أوليائه من البشر أو ملائكته الزّبانية، وقد أنزل الله تعالى عليّ كلمة جامعة

١ـ الإسراء: ٩٣.
٢ـ الإسراء: ٩٣.
٣ـ الإسراء: ٩٣.
٤ـ الإسراء: ٩٣.

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً ﴿٩٦﴾

لبطلان كلّ ما إقترحته فقال الله تعالى: قل يا محمّد «سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً»[١] ما أبعد ربّي أن يفعل الأشياء على قدر ما يقترحه الجهّال بما يجوز وبما لا يجوز، وهل كنت إلّا بشراً رسولاً لا يلزمني إلّا إقامة حجّة الله الّتي أعطاني وليس لي أن آمر على ربّي ولا أنهى ولا أُشير فأكون كالرّسول الّذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما إقترحوه عليه[٢].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾: وما منعهم الإيمان بعد ظهور الحقّ إلّا إنكارهم أن يرسل الله بشراً.

﴿قُل﴾: جواباً لشبهتهم.

﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾: كما يمشي بنو آدم.

﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين فيها.

﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾: لتمكّنهم من الإجتماع به والتلقّي منه وأمّا الإنس فعامّتهم عماة عن إدراك الملك والتّلقّف منه فإنّ ذلك مشروط بنوع من التّناسب والتجانس وليس إلّا لمن يصلح للنبوّة.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: على إنّي رسول إليكم وإنّي قد قضيت ما

---

١ ـ الإسراء: ٩٣.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص٥٠٠ ـ ٥١١، ح٣١٤، إحتجاجاته ﷺ على المشركين وإلزامهم.

وَمَن يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيراً ﴿٩٧﴾

عليّ من التّبليغ.

﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً﴾: بعلم أحوالهم الباطنة والظّاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية للرّسول صلى الله عليه وآله وتهديد للكفّار.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ﴾: يهدونه.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: في المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ رجلاً قال: يا نبيّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: إنّ الّذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة[1].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام «عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ» قال: على جباههم[2].

﴿عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾: لا يبصرون ما يقر أعينهم، ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم، ولا ينطقون بما ينفعهم، ويقبل منهم لأنّهم في الدّنيا لم يستبصروا بالآيات والعبر، وتصامّوا عن إستماع الحقّ، وأبوا أن ينطقوا به.

﴿مَّأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: إنطفت بأن أكلت جلودهم ولحومهم.

﴿زِدْنَـٰهُمْ سَعِيراً﴾: توقّداً بأن نبدّل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبةً متسعرة بهم كأنّهم لمّا كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء، وإليه أشار بقوله: «ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم...».

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٤٣، س١٢.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٨، ح١٦٨.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُوراً ﴿٩٩﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾: أي فنفنيهم ونعيدهم ليزيد ذلك تحسّرهم على التّكذيب بالبعث.

القمّي[1]، والعيّاشي: عن السّجّاد عليه السلام إنّ في جهنّم وادياً يقال له: سعير إذا خبت جهنّم فتح سعيرها وهو قوله تعالى «كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيراً» أي كلّما انطفت[2].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾: أو لم يعلموا.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: فإنّهم ليسوا أشدّ خلقاً منهنّ كما قال: «أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ»[3] ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء كما قال: بل هو أهون عليه[4].

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: هو الموت القيامة.

﴿فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: مع وضوح الحقّ.

﴿إِلَّا كُفُوراً﴾: إلّا جحوداً.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٩، ح س٦.　　٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٨، ح١٦٩.

٣ ـ النازعات: ٢٧.

٤ ـ إقتباس من قوله تعالى: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» في سورة الروم: ٢٧

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خِشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُوراً ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتِ بَيِّنَـٰتٍ فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً ﴿١٠١﴾

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾: خزائن أرزاق الله ونعمه على خلقه.

﴿إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خِشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾: لبخلتم مخافة النّفاد بالإنفاق إذ لا أحد إلّا ويختار النّفع لنفسه، ولو آثر غيره بشيء فإنّما يؤثره بعوض يفوقه، فلا جواد إلّا الله الّذي يعطي بغير عوض.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُوراً﴾: بخيلاً لأن بناء أمره على الحاجة والضنّة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذل، القمّي: في هذه الآية قال: لو كانت الأُمور بيد النّاس لما أعطوا النّاس شيئاً مخافة الفناء، «وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُوراً»: أي بخيلاً[١].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتِ بَيِّنَـٰتٍ﴾: في الخصال: عن الصّادق عليه السلام هي الجراد، والقمل، والضفادع، والدّم، والطوفان، والبحر، والحجر، والعصا، ويده[٢].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام[٣]، والقمّي مثله[٤].

وفي قرب الإسناد: عن الكاظم عليه السلام وقد سأله نفر من اليهود عنها فقال: العصا، وإخراجه يده من جيبه بيضاء، والجراد، والقمّل، والضّفادع، والدّم، ورفع الطّور، والمنّ، والسّلوى، آية واحدة، وفلق البحر، قالوا صدقت[٥].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩، س ٨.

٢ ـ الخصال: ص ٤٢٣، ح ٢٤، باب ٩ ـ ذكر التسع الآيات التي أعطى الله عزّوجلّ موسى عليه السلام.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣١٨، ح ١٧٠.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩.

٥ ـ قرب الإسناد: ص ٣١٨، ح ١٢٢٨.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴿١٠٢﴾

وفي المجمع: أنّ يهوديّاً سأل النّبيّ ﷺ عن هذه الآيات؟ فقال: هي أن لا تشركوا به شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ، ولا تمشوا ببريئ إلى سلطان ليقتل، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الرّبوا، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تولّوا للفرار يوم الزّحف، وعليكم خاصّة يا يهود أن لا تعتدوا في السّبت، فقبّل يده، وقال: أشهدُ أنّك نبيّ[1].

﴿فَسْئَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾: قيل: يعني فاسأل يا محمّد بني إسرائيل عمّا جرى بين موسى وفرعون «إِذْ جَآءَهُمْ» أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك، ويتسلّى نفسك، ويزداد يقينك، فهو إعتراض وإذجاءهم متعلّق بآياتنا[2].

﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً﴾: سحرت فتخبط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: يا فرعون، وقرئ بضمّ التّاء.

﴿مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: يعني الآيات.

﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾: بيّنات تبصّرك صدقي ولكنّك معاند.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾: مصروفاً عن الخير أو هالكاً قابل ظنّه المكذوب بظنّه الصّحيح، في المجمع: روي أنّ عليّاً عليه السلام قال: في علمتُ والله ما علم عدوّ الله ولكن موسى عليه السلام هو الّذي علم فقال: لقد علمت[3].

أقول: يعني إنّه بضّم التّاء وليس بفتحها.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٤٤، س٥.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٥٩٩، س٩.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٤٤، س١٧.

فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿١٠٥﴾

﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون.

﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾: أن يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم.

﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: بالإستيصال، وفي رواية القمّي: من أرض مصر[١].

﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً﴾: فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق.

القمّي: عن الباقر عليه السلام أراد أن يخرجهم من الأرض وقد علم فرعون وقومه ما أنزل تلك الآيات إلّا الله[٢].

أقول: وهذه الرّواية دليل فتح التّاء.

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ﴾: من بعد فرعون وإغراقه.

﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾: التي أراد أن يستفزّكم منها.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾: مختلطين ثمّ نحكم بينكم واللّفيف الجماعات من قبائل شتّى، القمّي: عن الباقر عليه السلام: لفيفاً يقول جميعاً[٣].

وفي رواية أُخرى من كلّ ناحية[٤].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾: أي وما أنزلنا القرآن إلّا بالحقّ، وما نزل إلّا بالحق.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّراً﴾: للمطيع بالثّواب.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩، س ١٦.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩، س ١٣.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩، س ١٥.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩، س ١٦.

وَقُرْءَاناً فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾

﴿وَنَذِيراً﴾: للعاصي بالعقاب.

﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَـٰهُ﴾: نزّلناه منجّم، في المجمع: عن عليّ عليه السلام فرّقناه بالتّشديد[1].

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على مهل وتؤدة، فإنّه أيسر للحفظ، وأعون في الفهم.

﴿وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلاً﴾: على حسب الحوادث.

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾: فإنّ إيمانكم بالقرآن لا يزيد كمالاً، وإمتناعكم عنه لا يورثه نقصاناً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾: أي العلماء الّذين قرؤوا الكتب السّابقة، وعرفوا حقيقة الوحي، وإمارات النّبوّة، وتمكّنوا من التمييز بين المحق والمبطل.

القمّي: يعني أهل الكتاب الّذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله[2].

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: القرآن.

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً﴾: يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله وشكراً لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثه محمّداً صلى الله عليه وآله على فترة من الرّسل، وإنزال القرآن عليه.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾: عن خلف الوعد.

﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾: إنّه كان وعده كائن لا محالة.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٤٥، في القراءة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٩، س٢٠.

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١١٠﴾

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: كرّره لإختلاف الحالين وهما خرورهم للشّكر وإنجاز الوعد حال كونهم ساجدين، وخرورهم لما أثر فيهم من المواعظ حال كونهم باكين، وذكر الذّقن لأنّه أوّل ما يلقى الأرض من وجه السّاجد.

والقمّي: فسّر الأذقان بالوجوه، ومعنى اللّام الإختصاص لأنّهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للسّجود والخرور[١].

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: سماع القرآن.

﴿خُشُوعاً﴾: لما يزيدهم علماً ويقيناً.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾: سموا الله بأيّ الإسمين شئتم فإنّهما سيّان في حسن الإطلاق والمعنى بهما واحد.

﴿أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي أي هذين الإسمين سمّيتم وذكرتم فهو حسن، فوضع موضعه «فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ»: للمبالغة والدلالة على ما هو الدّليل عليه فإنّه إذا حسنت أسماؤه كلّها حسن هذان الإسمان لأنّهما منها، «وما» مزيدة مؤكّدة للشرط، والضّمير في «له» للمسمّى لأنّ التّسمية له لا للإسم، ومعنى كون أسمائه أحسن الأسماء: إستقلال لا لها بمعاني التمجيد والتعظيم والتقديس، ودلالتها على صفات الجلال والإكرام.

قيل: نزلت حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: «يا الله يا رحمن» فقالوا: إنّه ينهانا أن نعبد إلـهين وهو يدعوا إلـهاً آخر[٢].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩، س ٢١.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٠٠، س ١٨.

وقيل: قالت: له اليهود إنّك لتقلّ ذكر الرّحمن وقد أكثره الله في التّوراة فنزلت[١].

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: يعني بقراءتها.

﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية الجهر بها: رفع الصّوت، والتّخافت: مالا تسمع نفسك، واقرأ بين ذلك[٢].

وعن الباقر عليه السلام: فيهما الإجهار: أن ترفع صوتك تسمعه من بَعُدَ عنك، والإخفات أن لا تسمع من معك إلّا يسيراً[٣].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام الجهر بها: رفع الصّوت، والمخافتة: مالم تسمع أُذناك، وما بين ذلك: قدر ما تسمع أُذنيك[٤].

وفي الكافي[٥]، والعيّاشي: عنه عليه السلام المخافتة مادون سمعك، والجهر أن ترفع صوتك شديداً[٦].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل أعلى الإمام أن يسمع من خلفه وإن كثروا، قال: ليقرأ قراءة وسط ثم تلا هذه الآية[٧].

والعيّاشي: عنهما عليهما السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان بمكّة جهر صوته فيعلم بمكانه المشركون فكانوا يؤذونه فأنزلت هذه الآية عند ذلك[٨].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه قال للصّادق عليه السلام: يا بنّي عليك بالحسنة بين السّيئتين تمحوهما، قال: وكيف ذلك يا أبة؟ قال: مثل قول الله: «وَلَا تَجْهَرْ» الآية ومثل قوله: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً» الآية[٩] ومثل قوله: «وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنْفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ» الآية[١٠] فأسرفوا سيّئة وإقتروا

١ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج١، ص٦٠٠، س١٩.

٢ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٠، س٢.

٣ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٠، س١٠.

٤ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٩، ح١٧٧.

٥ـ الكافي: ج٣، ص٣١٥ـ٣١٦، ح٢١، باب قراءة القرآن.

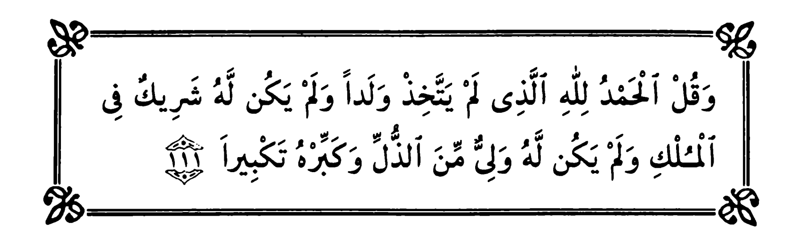
٦ـ تفسير العيّاشي: خ٢، ص٣١٨، ح١٧٣.

٧ـ تفسير العيّاشي: ج٢، س٣١٨، ح١٧٤.

٨ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣١٨ـ٣١٩، ح١٧٥.

٩ـ الإسراء: ٢٩.

١٠ـ الفرقان: ٦٧.



سيّئة وكان بين ذلك قوام حسنة فعليك بالحسَنَة بين السّيّئتين[1].

أقول: أراد عليه السلام أمره بالتوسّط في الأُمور كلّها ليسلم من الإفراط والتّفريط.

وعن الباقر عليه السلام: في هذه الآية إنّها نسختها «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ»[2][3].

وعنه عليه السلام: تفسيرها ولا تجهر بولاية عليّ عليه السلام، ولا بما أكرمته به حتّى آمُرك بذلك، ولا تخافت بها يعني لا تكتمها عليّاً عليه السلام وإعلمه بما أكرمته به وإبتغ بين ذلك سبيلاً سلني أن آذن لك أن تجهر بأمر عليّ بولايته فأذن له بإظهار ذلك يوم غدير خم[4].

﴿وَقُلْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: القمّي: قال: ولم يذلّ فيحتاج إلى ناصر ينصره[5].

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾: في الكافي: عن الصّادق قال: رجل عنده الله أكبر، فقال: الله أكبر من أيّ شيء؟ فقال: من كلّ شيءٍ، فقال عليه السلام: حدّدته، فقال الرّجل: كيف أقول؟ قال: قل: الله أكبر من أن يوصف[6].

وفي رواية أُخرى فقال: وكان ثمّة شيء فيكون أكبر منه فقيل: وما هو؟ قال: أكبر من أن يوصف[7].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إنّه أمر من قرأ هذه الآية أن يكبرّ ثلاثاً[8].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣١٩، ح ١٨٠.
٢ ـ الحجر: ٩٤.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣١٩ ح ١٧٦.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ١٨٠.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠، س ١٢.
٦ ـ الكافي: ج ١، ص ١١٧، ح ٨، باب معاني الأسماء وإشتقاقها.
٧ ـ الكافي: ج ١، ص ١١٨، ح ٩، باب معاني الأسماء وإشتقاقها.
٨ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٩٧، ح ١١٩٥/٥١، باب في كيفية الصلاة وصفتها والمفروض من ذلك والمسنون.

وفي الفقيه: في وصيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام يا عليّ أمان لأمّتي من السّرق: «قُلْ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوْ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ» إلى آخر السّورة[1].

وفي ثواب الأعمال[2]، والمجمع[3]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سورة بني إسرائيل في كلّ ليلة جمعة لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام عجّل الله تعالى فرجه ويكون مع أصحابه عليه السلام [4].

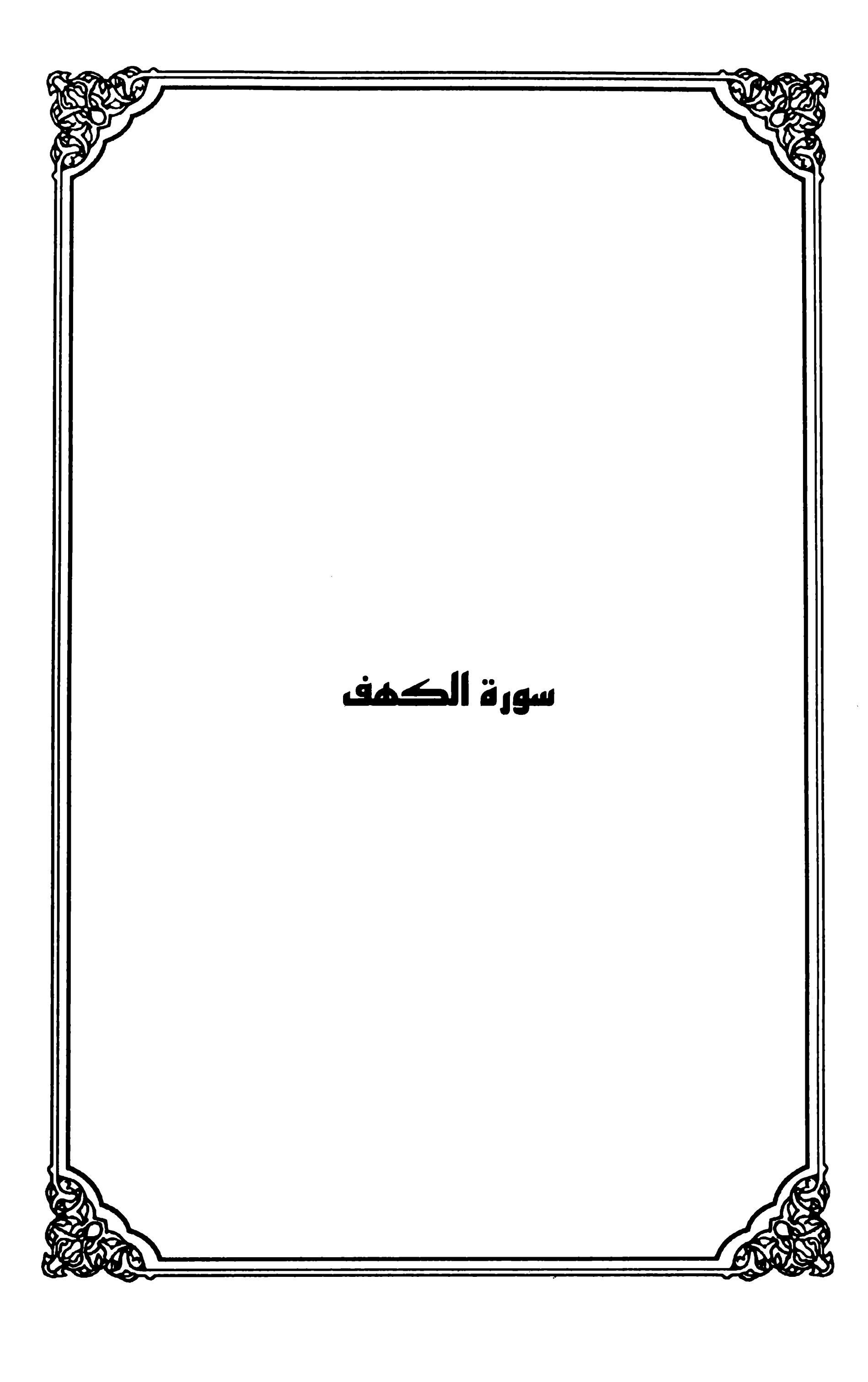
* * *

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٢٦٨، باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب.

٢ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٧، ثواب من قرأ سورة بني إسرائيل.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٩٣.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٧٦، ح١.



سورة الكهف

[illegible]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ۝٢

سورة الكهف: مكيّة، قال ابن عباس: إلّا آية «وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم»[1] فإنّها نزلت بالمدينة في قصة عيينة بن حصين الفرازي، عدد آيها مائة وإحدى عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: يعني القرآن علّم الله سبحانه عباده كيف يحمدونه على أجلّ نعمه عليهم الّذي هو سبب نجاتهم.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾: باختلاف[2] في اللفظ، وتناقض في المعنى، والعوج بالكسر في المعاني: كالعوج بالفتح في الأعيان.

﴿قَيِّماً﴾: جعله مستقيماً معتدلاً، لاإفراط فيه ولا تفريط، القمّي: قال: هذا مقدّم ومؤخّر لأنّ معناه «ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ» قيّماً «وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا» فقدّم حرف على حرف[3].

---

١ ـ الكهف: ٢٨.
٢ ـ وفي نسخة: [باختلال].
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠.

مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً ﴿٤﴾
مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ
ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً ﴿٦﴾

﴿لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾: أي لينذر الّذين كفروا عذاباً شديداً.

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: صادراً من عنده، العيّاشي: البأس الشدّيد: علي عليه السلام، وهو من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله قاتل معه عدوّه[1].

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾: هو الجنّة.

﴿مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾: بلا إنقطاع.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً﴾: القمّي: يعني قريشاً حيث قالوا: إنّ الملائكة بنات الله، واليهود والنّصارى في قولهم: عزيزٌ ابن الله، والمسيح ابن الله[2].

﴿مَّا لَهُم بِهِ﴾: بما يقولونه.

﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ﴾: الّذين يقلّدونهم فيه بل يقولونه عن جهل مفرط وتوهّم كاذب.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والإشراك.

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: إستعظام لاجترائهم على إخراجها من أفواههم.

﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً * فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: قاتل نفسك[3].

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: بهذا القرآن.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢١، ح ٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠ ـ ٣١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١، س ٥.

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَباً ﴿٩﴾

﴿أَسَفاً﴾: متعلّق بـ«بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ» وهو فرط الحزن والغضب كأنّهم إذ ولّوا عن الإيمان فارقوه، فشبّهه بمن فارقته أعزته، فهو يتحسّر على آثارهم، ويقتل نفسه تلهّفاً على فراقهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾: ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارفها.

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾: في تعاطيه، وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بالكفاف.

﴿وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾[١]: القمّي: يعني خراباً، وعن الباقر عليه السلام قال: لا نبات فيها[٢].

وهو تزهيد في الدّنيا وتنبيه على المقصود من حسن العمل.

في الكافي: عن السّجاد عليه السلام إنّ الله لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه ولم يرغبّهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدّنيا وخلق أهلها ليبلوهم فيها «أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» لآخرته[٣].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾: في إبقاء حياتهم على تلك الحال مدّة مديدة.

﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَباً﴾: القمّي: يقول: قد آتيناك من الآيات ما هو أعجب منه،

---

١ ـ أرض جُرزٌ: لا نبات بها، كأنه إنقطع عنها، أو إنقطع عنها المطر، وفيها أربع لغات: جُرْزٌ و جُرُزٌ مثل عُسْرٌ و عُسُرٌ، وجَرْزٌ و جَرَزٌ مثل نَهْرٌ ونَهَرٌ. وجمع الجُرُزِ جرزَة مثل حُجرو حِجَرَةٍ. الصحاح: ج٣، ص٨٦٦ ـ ٨٦٧، مادة «جرز».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣١، س٨.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص٧٥، ح٢٩، باب كلام علي بن الحسين عليه السلام

قال: وهم فتيةٌ كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله، وأمّا الكهف والرقيم فهما لوحان[١] من نُحاس مرقوم مكتوب فيهما أمر الفتية وأمر إسلامهم وما أراد منهم دقيانوس الملك، وكيف كان أمرهم وحالهم[٢].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هم قوم فقدوا، وكتب ملك ذلك الدّيار بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم في صحف من رصاص فهو قوله: «أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ»[٣].

والقمّي: عنه عليه السلام كان سبب نزول سورة الكهف أنّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران: النّضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السّهميّ ليتعلّموا من اليهود والنّصارى مسائل يسألونها رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثمّ سلوه عن مسئلة واحدة فإن إدّعى علمها فهو كاذب، قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: إسألوه عن فتية كانوا في الزّمن الأوّل فخرجوا وغابوا وناموا، كم بقوا في نومهم حتّى انتبهوا؟ وكم كان عددهم؟ وأيّ شيء كان معهم من غيرهم؟ وما كان قصّتهم؟ واسألوه عن موسى حين أمره الله عزّوجلّ أن يتبع العالم ويتعلّم منه من هو؟ وكيف يتبعه؟ وما كان قصّته، معه؟ واسألوه عن طائف طاف مغرب الشّمس ومطلعها حتّى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج من هو؟ وكيف كان قصته؟ ثمّ أملوا عليهم أخبار هذه الثّلاث المسائل، وقالوا: لهم إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تُصدقوه، قالوا: فما المسألة الرّابعة؟ قالوا: سلوه متى تقوم السّاعة؟ فإن إدّعى علمها فهو كاذب، فإنّ قيام السّاعة لايعلمه إلّا الله تبارك وتعالى، فرجعوا إلى مكّة واجتمعوا إلى أبي طالب رضي الله عنه، فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك يزعم أنّ خبر السّماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل فإن أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يخبرنا علمنا أنّه كاذب، فقال: أبو طالب سلوه عمّا بدا لكم فَسَألُوه عن الثلاث المسائل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

١ ـ هكذا في الأصل، وجاء في تفسير القمّي «وأمّا الرقيم فهما لوحان» والظاهر أنَّ كلمة «الكهف» في النسخة الخطية و «فهما» في تفسير القمّي وردتا زائدة والصحيح: وأمّا الرقيم: لوحان من نحاس كما جاء في مجمع البحرين: ج٦، ص٧٤، مادة «رقم».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣١، س١١.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢١، ح٥.

غداً أُخبركم ولم يستثن فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتّى إغتمّ النّبيّ ﷺ وشكّ أصحابه الّذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤوا وآذوا، وحزن أبو طالب عليه السلام فلمّا كان بعد أربعين يوماً نزل عليه جبرئيل عليه السلام بسورة الكهف، فقال رسول الله ﷺ: لقد أبطأت، فقال: إنّا لا نقدر أن ننزّل إلّا بإذن الله تعالى فأنزل الله عزّوجلّ «أَمْ حَسِبْتَ» يا محمّد «أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَباً» ثمّ قصّ قصّتهم فقال: «إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً» فقال الصّادق عليه السلام: إنّ أصحاب الكهف والرَّقيم كانوا في زمن ملك جبّار عاتٍ، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكانوا هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عزّوجلّ وَكَّلَ الملك بباب المدينة وكلاء، ولم يدع أحداً يخرج حتّى يسجد للأصنام، فخرج هؤلاء بعلّة الصّيد وذلك إنّهم مرّوا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب، وخرج معهم، فقال الصّادق عليه السلام: لا يدخل الجنّة من البهائم إلّا ثلاثة: حمار بلعم بن باعورا، وذئب يوسف عليه السلام وكلب أصحاب الكهف، فخرج أصحاب الكهف من المدينة بعلّة الصّيد هرباً من دين ذلك الملك، فلمّا أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم، فألقى الله عزّوجلّ عليهم النّعاس كما قال الله تبارك وتعالى: «فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً» فناموا حتّى أهلك الله عزّوجلّ الملك وأهل مملكته، وذهب ذلك الزّمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون، ثم انتبهوا فقال بعضهم لبعض: كم نمنا هاهنا؟ فنظروا إلى الشمس قد إرتفعت فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم، ثمّ قالوا لواحد منهم: خذ هذا الورق وادخل المدينة متنكرّاً لا يعرفونك فاشتر لنا طعاماً فإنّهم إن علموا بنا وعرفونا قتلونا أو ردّونا في دينهم، فجاء ذلك الرّجل فرأى المدينة بخلاف الّذي عهدها، ورآى قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم، ولم يعرفوا لغته، ولم يعرف لغتهم، فقالوا له: من أنت؟ ومن أين جئت؟ فأخبرهم، فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرّجل معهم حتّى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلّعون فيه فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم، وقال بعضهم: هم خمسة وسادسهم كلبهم، وقال بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وحجبهم الله عزّوجلّ بحجاب من الرّعب فلم يكن أحد يقدم بالدّخول عليهم

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَداً ﴿١٢﴾

غير صاحبهم، فإنّه لمّا دخل عليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنّهم كانوا نائمين هذا الزّمن الطّويل، وأنّهم آية للنّاس فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا، ثم قال الملك: ينبغي أن نبني ها هنا مسجداً ونزوره، فإنّ هـٰؤلاء قوم مؤمنون فلهم في كلّ سنة نقلتان ينامون ستّة أشهر على جنوبهم الأيمن، وستّة أشهر على جنوبهم الأيسر، والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف[1].

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: توجب لنا المغفرة والرّزق، والأمن من العدوّ.

﴿وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾: من الأمر الّذي نحن عليه، من مفارقة الكفار.

﴿رَشَداً﴾: نصير بسببه راشدين مهتدين.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: أي ضربنا عليها حجاباً يمنع السّماع يعني أنمناهم إنامة لا تنبهّهم منها الأصوات.

﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾: ذوات عدد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ﴾: أيقظناهم.

﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليقع علمنا الأزليّ على المعلوم بعد وقوعه ويظهر لهم.

﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: المختلفين.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١، س ١٥.

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُـمْ فِـتْيَةٌ ءَامَـنُواْ بِـرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدىً ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَـٰهاً لَّقَدْ قُلْنَآ إِذاً شَطَطاً ﴿١٤﴾

﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَداً﴾: أضبط أمداً لزمان لبثهم أو أضبط له.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قال لرجل: ما الفتى عندكم؟ فقال له: الشابّ، فقال: لا، الفتى: المؤمن، إنّ أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسمّاهم الله فتية بإيمانهم[1].

والعيّاشي: عنه عليه السلام: مثله، إلّا أنّه قال: كانوا كلّهم كهولاً، وزاد من آمن بالله واتقّ فهو الفتى[2].

﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدىً﴾: بالتوفيق والتثبيت.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أي قوّيناها وشددنا عليها حتّى صبروا على هجر الأوطان والفرار بالدّين إلى بعض الغيران[3].

﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَـٰهاً لَّقَدْ قُلْنَآ إِذاً شَطَطاً﴾: قولاً ذا شطط، أي ذا بعد عن الحقّ مفرطاً في الظّلم.

القمّي: عن الباقر عليه السلام يعني جوراً على الله تعالى إن قلنا إنّ له شريكاً[4].

أقول: قالوه سرّاً من الكفّار ليس كما زعمه المفسّرون أنّهم جهروا به بين يدي دقيانوس الجبّار، وما فعلوه أعظم أجراً.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٣٩٥، ح٥٩٥. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٣، ح١١.

٣ ـ الغيران: جمع غار، كنيران جمع نار: وهو نقب في الجبل فإذا إتسع قيل كهف. مجمع البحرين: ج٣، ص٤٢٩.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٤، س١١.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام: إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشّرك فأتاهم الله أجرهم مرّتين[١].

وفيه[٢]، والعيّاشي: عنه عليه السلام ما بلغت تقيّة أحد تقيّة أصحاب الكهف إنّ كانوا ليشهدون الأعياد ويشدّون الزّنانير[٣] فأعطاهم الله أجرهم مرّتين[٤].

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر، وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجراً منهم على الإسرار بالإيمان[٥].

وعنه عليه السلام: إنّه ذكر أصحاب الكهف فقال: لو كلّفكم قومكم ما كلّفهم قومهم، فقيل له: ما كلّفهم قومهم؟ فقال: كلّفوهم الشّرك بالله العظيم فأظهروا لهم الشّرك وأسرّوا الإيمان حتّى جاءهم الفرج[٦].

وعنه عليه السلام: خرج أصحاب الكهف على غير معرفة ولا ميعاد، فلمّا صاروا في الصّحراء أخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق، فأخذ هذا على هذا، وهذا على هذا، ثم قالوا: أظهروا أمركم فأظهروه فإذا هم على أمر واحد[٧].

وعنه عليه السلام: إنّه ذكر أصحاب الكهف، فقال: كانوا صيارفة كلام ولم يكونوا صيارفة دراهم[٨].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ﴾: هلّا يأتون.

﴿عَلَيۡهِم﴾: على عبادتهم.

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٤٤٨، ح٢٨، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته. ٢ ـ الكافي: ج٢، ص٢١٨، ح٨، باب التقيّة.
٣ ـ الزنانير: جمع زُنّار، والزنّار ـ كتفاح ـ: شيء يكون على وسط النصارى واليهود. مجمع البحرين: ج٣، ص٣١٩، مادة «زنر».
٤ و ٥ و ٦ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٣، ح٩ و ١٠ و٨.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٢، ح٦. ٨ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٢، ح٧.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

﴿بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ﴾: ببرهان ظاهر، وهو تبكيت لأنّ الإتيان بالحجّة على ذلك محال.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بنسبة الشريك إليه.

أقول: في هذه الآية دلالة على أنّهم كانوا يسرّون الإيمان، وكذا فيما بعدها.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾: خطاب بعضهم لبعض.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: وإعتزلتم معبوديهم أو عبادتهم إلّا الله.

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾: ما ترتفقون به أي تنتفعوون به، وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء، وكان جزمهم بذلك لشدّة وثوقهم بفضل الله وقوّة يقينهم بالله.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾: لو رأيتهم.

﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾: تميل، وقرئ بتشديد الزّاي، وتزورّ بتشديد الراء كتحمرّ.

﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾: ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم، ولعلّ الكهف كان جنوبيّاً[1].

---

١ ـ قيل ذلك لأنّ باب الكهف كان في مقابلة بنات النعش، وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشّمس إذاكان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة بجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلى ثيابهم. منه ﷺ. قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٦، س٢٠.

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴿١٨﴾

﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: أي جهة يمين الكهف.

﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم، وتصرم عنهم.

﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾: جهة شمال الكهف.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: وهم في متسّع من الكهف، يعني في وسطه بحيث ينالهم برد النسيم وروح الهواء، ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمّس لا في طلوعها ولا في غروبها.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ﴾: بالتّوفيق.

﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: ثناء عليهم.

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: من يخذله.

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾: من يليه ويرشده، في التّوحيد[1]، والمعاني: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يضلّ الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته ويهدي أهل الايمان والعمل الصّالح إلى جنّته كما قال الله عزّوجلّ «وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ»[2] وقال: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَـٰرُ فِي جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ»[3][4].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: ترى أعينهم مفتوحة[5].

---

١ ـ التّوحيد: ص٢٤١، ح١، باب ٣٥ ـ تفسير الهدى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تبارك وتعالى.

٢ ـ إبراهيم: ٢٧. ٣ ـ يونس: ٩.

٤ ـ معاني الأخبار: ص٢٠ ـ ٢١، ح١، باب معنى الهدى والضلال والتوفيق والخذلان من الله تبارك وتعالى.

٥ ـ أي لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين وهم رقود أي نائمون في الحقيقة. قيل: لأنّهم مفتحة العيون يتنفسون كأنهم يريدون أن يتكلموا ولا يتكلمون. قيل: إنهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان. منه رحمه الله.

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً ﴿١٩﴾

﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيام.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾: في رقدتهم.

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: في كلّ عام مرّتين كما سبق، كي لا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزّمان.

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾: بالفناء، وقد سبق حديث الكلب.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِم لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾[1]: لهربت منهم.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾: خوفاً يملأ صدرك، وقرئ لملّئت بالتّشديد ورعّباً بالتثقيل، قيل: وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة[2].

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّ ذلك لم يعن به النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّما عني به المؤمنين بعضهم لبعض لِكنَّة[3] حالهم الّتي هم عليها[4].

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: وكما أنمناهم آية، بعثناهم آية على كمال قدرتنا.

﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾: ليسأل بعضهم بعضا فيتعرّفوا حالهم، وما صنع الله بهم

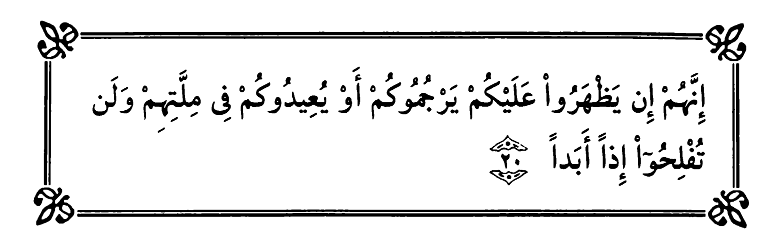
---

١ ـ روي إنّ معاوية غزا الروم فمر بالكهف فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال له إبن عباس: ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك. فقال: «لَوْ ٱطَّلَعْتَ عَلَيهِم لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً» فلم يسمع، وبعث ناساً فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم. منه رحمه الله. راجع الكشاف: ج ٢، ص ٧٠٩.

٢ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٧٠٩، وراجع أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧، س ١٢.

٣ ـ الِكنّ ـ بالكسر ـ: وقاء كل شيء وستره، كالِكنّة والكنان بكسرهما، والبيت. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٦٤، مادة «كنن».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢٤، ح ١٣.



فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم، ويستبصروا به أمر البعث.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: بناءاً على غالب ظنّهم المستفاد من النّوم المعتاد.

﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: قيل: قالوا ذلك لما رأوا من طول أظفارهم وشعورهم، ثمّ لمّا علموا أنّ الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى العلم به أخذوا فيما يهمّهم وقالوا[١].

﴿فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾: قرئ بسكون الرّاء.

﴿هَـٰذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: والورق الفضّة.

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً﴾: القمّي: يقول أيّها أطيب طعاماً[٢].

وفي المحاسن: عنهما عليهما السلام أزكى طعاماً: التمر[٣].

أقول: ويستفاد منه أنّ البارز في «أيّها» راجع إلى الأطعمة دون المدينة المراد بها أهلها كما فهمه الجمهور.

﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليتكلّف اللطف في التخفي والتنكّر حتّى لا يعرف كما سبق في حديث القمّي[٤] ويفسّره قوله.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾: إن يظفروا بكم يعني أهل المدينة.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرّجم، وهي أخبث قتلة.

---

١ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧، س ٢١. والكشاف: ج ٢، ص ٧٠٩.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٤.

٣ ـ المحاسن: ج ٢، ص ٣٣٧، ح ٢١٥٦/٧٩٢، باب ١١٠ ـ التمر.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ۝٢١﴾

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: يصيّروكم إليها كرهاً.

﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذاً أَبَداً﴾: إن دخلتم في ملّتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم إطّلعنا عليهم أهل مدينتهم، القمّي: وهم الّذين ذهبوا إلى باب الكهف(١).

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾: ليعلم الّذين إطّلعناهم على حالهم.

﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بالبعث.

﴿حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: آتية(٢).

﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾: بأنّها كائنة، لأنّ حالهم في نومهم وانتباههم كحال من يموت ويبعث، وفي الحديث النّبوي: كما تنامون تستيقظون، وكما تموتون تبعثون(٣).

وفي حديث آخر النوم أخ الموت(٤).

وفي الإحتجاج: عن الصّادق عليه السلام في حديث وقد رجع إلى الدّنيا ممّن مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف، أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٤، س١. ٢ ـ وفي نسخة: [لآتية].

٣ ـ لم نعثر عليه بلفظه، بل وجدنا قريباً منه في تفسير القرآن الكريم: ج٤، ص٢٨٤، وإليك نصه: كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون، وجاء في رياض السالكين: ج٢، ص٢٣، كما تنامون تموتون، وفي سيرة الحلبيّة، ج١، ص٢٨٥، لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون، وهكذا ورد هذا المتن في الإعتقادات في دين الإماميّة: ص٤٣، باب ١٩ ـ الإعتقاد في البعث بعد الموت كما جاء في بحار الأنوار: ج٧، ص٤٧، ح٣١، وج١٨، ص١٩٧، ح٣٠، «لتموتون كما تنامون، ولتبعثون كما تستيقظون».

٤ ـ الجامع الصغير: ج٢، ص٦٨١، ح٩٣٢٥.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

ليقطع حجّتهم، وليريهم قدرته، وليعلموا أنّ البعث حقّ(١).

﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ﴾: أعثرنا عليهم حين يتنازعون.

﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أمر دينهم وكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح مجرّدة، وبعضهم يقول تبعثان معاً ليرتفع الخلاف، ويتبيّن إنّهما تبعثان معاً كذا قيل(٢).

وكان في حديث الإحتجاج ايماء، إلى ذلك(٣).

وقيل: أمرهم أي أمر الفتية حين توفّاهم ثانياً، وكان بعضهم يقول: ماتوا وبعضهم يقول: ناموا كنومهم أوّل مرّة(٤). وقد سبق في حديث القمّي(٥) وكيف كان.

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾: حين توفّاهم ثانياً.

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: إعتراض.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: من المسلمين وملكهم.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: يصلّي فيه المسلمون، ويتبرّكون بمكانهم.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: يعني أهل المدينة وملكهم كما سبق في حديث القمّي(٦).

---

١ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، س ١٣، باب فيما إحتج الصادق عليه السلام على الزنديق.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨، س ١٢.

٣ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، س ١٣. باب فيما احتج الصادق عليه السلام على الزنديق.

٤ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨، س ١٣.　　٥ و ٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣.

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً ﴿٢٤﴾

وقيل: بل يعني بهم الخائضين في قصّتهم في عهد نبيّنا ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين[١].

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمَا بِالْغَيْبِ﴾: يرمون رمياً بالخبر الخفيّ، والقمّي: ظنّاً بالغيب ما يستفتونهم[٢].

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: روت العامّة عن عليّ عليه السلام وهم سبعة وثامنهم كلبهم[٣] ويدلّ عليه من طريق الخاصّة ما روي في روضة الواعظين عن الصّادق عليه السلام أنّه يخرج مع القائم من ظهر الكعبة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الّذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً[٤].

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِراً﴾: فلا تجادل أهل الكتاب في شأن الفتية إلّا جدالاً ظاهراً غير متعمّق فيه، وهو أن تقصّ عليهم بما أوحى إليك من غير تجهيل لهم والردّ عليهم.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾: القمّي: يقول: حسبك ما قصصنا عليك من أمرهم، ولا تسأل أحداً من أهل الكتاب عنهم[٥].

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ﴾: تعزم عليه.

---

١ ـ راجع أنوار التنزيل: ج٢، ص٨، س١٦.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٤، س١٧.
٣ ـ الكشاف: ج٢، ص٧١٢.
٤ ـ روضة الواعظين: ص٢٦٦، مجلس في ذكر إمامة صاحب الزمان عليه السلام ومناقبه.
٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٤، س١٨.

﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلّا متلبّساً بمشيّته قائلاً إن شاء الله.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: يعني إذا نسيت الإستثناء فاستثن إذا ذكرت، وفي الجوامع: عن الصّادق عليه السلام مالم ينقطع الكلام[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: «وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» قال: ذلك في اليمين إذا قلت والله لا أفعل كذا وكذا فإذا ذكرت إنّك لم تستثن فقل: إن شاء الله[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام ما في معناه في عدّة روايات[٣].

وفيه[٤]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الإستثناء في اليمين متى ما ذكر وإن كان بعد أربعين صباحاً، ثم تلا هذه الآية[٥].

وفي الفقيه: عن الصّادق عليه السلام للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسى، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أتاه ناس من اليهود فسألوه عن أشياء فقال لهم: تعالوا غداً أحدثكم ولم يستثن، فاحتبس جبرئيل عنه أربعين يوماً، ثمّ أتاه فقال: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ»[٦] الآية.

والعيّاشي: عنه، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، مثله[٧].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً»[٨] إنّ الله عزّوجلّ لمّا قال لآدم وزوجته: «لَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ»[٩] ولا تأكلا منها فقالا: نعم يا ربّنا لا نقربها ولا نأكل منها ولم يستثنيا في قولهما: نعم، فوكلهما الله في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما قال: وقد قال الله عزّوجلّ لنبيّه في الكتاب: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٦٠.
٢ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٤٨، ح ٣، باب الإستثناء في اليمين.
٣ ـ راجع تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢٥، ح ١٨ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣.
٤ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٤٨، ح ٦، باب ـ الإستثناء في اليمين.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢٥، ح ٢٣.
٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٢٩، ح ١٠٨١ / ١٢، باب ٩٨ ـ الأيمان والنذور والكفارات.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢٤، ح ١٤.
٨ ـ طه: ١١٥
٩ ـ البقرة: ٣٥.

إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ» أن لا أفعله فتسبق مشيّة الله في أن لا أفعله فلا أقدر على أن أفعله فلذلك قال الله عزّوجلّ: «وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» أي إستثن مشيّة الله في فعلك[١].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: قال الله عزّوجلّ: «وَلَا تَقُولَنَّ» إلى آخر الحديث[٢] كما ذكر في الكافي[٣].

وعنه عليه السلام: إنّ آدم لمّا أسكنه الله الجنّة فقال له: يا آدم لا تقرب هذه الشجّرة، فقال: نعم ولم يستثن، فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله فقال: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ» إلى قوله: «إِذَا نَسِيتَ» ولو بعد سنة[٤].

قال في المجمع: الوجه فيه إنّه إذا إستثنى بعد النسيان فإنّه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثّر الإستثناء بعد إنفصال الكلام في الكلام، وإبطال الحنث، وسقوط الكفّارة في اليمين[٥].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه أمر بكتاب في حاجة فكتب ثم عرض عليه ولم يكن فيه إستثناء فقال: كيف رجوتم أن يتمّ هذا وليس فيه إستثناء أُنظروا كلّ موضع لا يكون فيه إستثناء فاستثنوا فيه[٦].

وفي التهذيب ما يقرب منه، وزاد ثمّ دعا بالدّوات فقال: الحق فيه إن شاء الله فألحق فيه في كلّ موضع إن شاء الله[٧].

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً﴾: قيل: أي يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة، أو لما هو أظهر دلالة على إنّي نبيّ من نبأ أصحاب الكهف[٨].

---

١ ـ الكافي: ج٧، ص٤٤٨، ح٢، باب الإستثناء في اليمين.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٥، ح١٧.
٣ و ٤ ـ الكافي: ج٧، ص٤٤٨، قطعة من ح٢، باب الإستثناء في اليمين.
٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٦١، س٢٠.
٦ ـ الكافي: ج٢، ص٦٧٣، ح٧، باب بدون العنوان.
٧ ـ تهذيب الأحكام: ج٨، ص٢٨١، ح١٠٣٠/٢٢، باب ٤ ـ الأيمان والأقسام.
٨ ـ أُنظر الكشاف: ج٢، ص٧١٥، وأنوار التنزيل: ج٢، ص١٠.

وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعاً ﴿٢٥﴾ قُلْ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَداً ﴿٢٦﴾

﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾: وقرئ بالإضافة.

﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعاً﴾: يعني ثلاثمائة وتسعاً.

﴿قُلْ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾: بمدّة لبثهم من الّذين إختلفوا فيهما من أهل الكتاب والحقّ ما أخبر الله به، وهو ما ذكر في المجمع: روي أنّ يهوديّاً سأل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن مدّة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال: إنّا نجد في كتابنا ثلاثمائة، فقال علي عليه السلام: ذلك بسني الشمس وهذا بسني القمر[1].

والقمّي: ثمّ عطف على الخبر الأوّل الّذي حكى عنهم أنّهم يقولون: ثلاثة رابعهم كلبهم، فقال: ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وإزدادوا تسعاً وهو حكاية عنهم ولفظه خبر والدّليل على أنّه حكاية عنهم قوله: «قُلْ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ»[2].

﴿لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يختص بعلمه.

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: ما أبصره وأسمعه ذكره بصيغة التعجّب للدّلالة على أنّ أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك كلّ مبصر وسامع، إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفيّ وجليّ.

﴿مَا لَهُم﴾: ما لأهل السماوات والأرض.

﴿مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾: يتولّى أمورهم.

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ﴾: في قضائه.

﴿أَحَداً﴾: منهم، وقرئ بالتاء والجزم.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٦٣، س٣٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٤، س٨.

وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَٰوةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴿٢٨﴾

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾: من القرآن.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾: ملتجأ وموئلاً، يقال: إلتحد إلى كذا: إذا مال إليه.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَٰوةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: في طرفي النّهار أو في مجامع أوقاتهم، العيّاشي: عنهما عليهما السلام إنّما عنى بهما الصّلاة[1]، وقرئ بالغدوة.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: رضاه وطاعته.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم من أبناء الدّنيا.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: في مجالسة أهل الغنى.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾: بالخذلان.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾: إفراطاً وتجاوزاً للحدّ ونبذاً للحق وراء ظهره، القمّي: نزلت في سلمان الفارسي رضي الله عنه كان عليه كساء فيه يكون طعامه وهو دثاره[2]

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٦، ح٢٥.

٢ ـ الدثار الّذي هو فوق الشعار، والشعار الثوب الذي يلي الجسد. ومنه تَدَثَّر: أي لبس الدثار وتلفّف به. ومنه حديث الأنصار: أنتم الشعار والنّاس الدثار، والمعنى أنتم الخاصة، والنّاس العامة. مجمع البحرين: ج٣، ص٢٩٩، مادة «دثر».

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً ٢٩﴾

وردائه وكان كساءاً من صوف فدخل عيينة بن حصين على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلمان رضي الله عنه عنده فتأذى عيينة بريح كساء سلمان، وقد كان عرق فيه وكان يوماً شديد الحر فعرق في الكساء فقال: يا رسول الله إذا نحن دخلنا عليك فأخرج هذا وحزبه من عندك فإذا نحن خرجنا فدخل من شئت فأنزل الله عزّوجلّ: «وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ» الآية وهو عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاريّ[١].

وفي المجمع: نزلت الآية في سلمان، وأبي ذرّ، وصهيب، وخبّاب، وغيرهم من فقراء أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله وذلك أنّ المؤلّفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[٢] عيينة بن حصين، والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله إن جلست في صدر المجلس ونحيّت عنّا هؤلاء وروائح صنانهم[٣] وكانت عليهم جباب الصوف جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّا هؤلاء، فلمّا نزلت الآية قام النّبيّ صلى الله عليه وآله يلتمسهم فأصابهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله عزّوجلّ، فقال: الحمد لله الّذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أُمّتي معهم المحيى ومعهم المماة[٤].

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: هو الحقّ من ربّكم أو الحقّ ما يكون من جهة الله لا ما

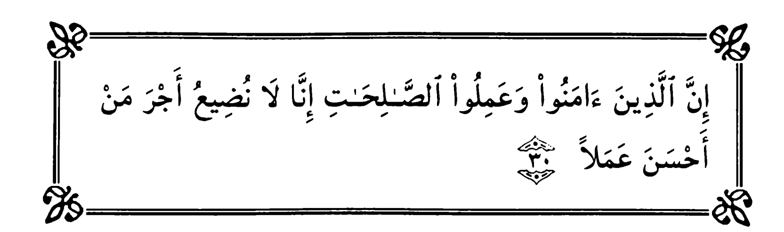
---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٣٤، س ٢٢.

٢ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: «وهم عيينة بن حصين» كما في المصدر.

٣ ـ الصنّة والصنان: رائحة معاطن الجسد إذا تغيّرت، وهي من أصَنّ اللحم إذا أنتن، والصنان ذفر الإبط. مجمع البحرين: ج٦، ص٢٧٤، مادة «صنن».

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٦٥، في شأن النزول.



يقتضيه الهوى.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: فلم يبق إلّا إختياركم لنفوسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النّجاة، وفي طريق الهلاك، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: وعيد[1].

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا وهيّئنا.

﴿لِلظَّـٰلِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: فسطاطها شبّه به ما يحيط بهم من النّار.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾: من العطش.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كدرديّ الزّيت، وقيل: كالنّحاس المذاب[2].

﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾: إذا قدم ليشرب من فرط حرارته.

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: المهل النّار.

﴿وَسَآءَتْ﴾: النار.

﴿مُرْتَفَقاً﴾: متكئاً من المرفق وهو يشاكل قوله: «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً»[3].

في الكافي: عن الباقر عليه السلام نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: «وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ» في ولاية عليّ عليه السلام «فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ» آل محمّد «نَاراً»[4].

القمّي: عن الصّادق عليه السلام مثله، وقال: المهل: الّذي يبقى في أصل الزّيت المغلى[5].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج، ص٣٢٦، ح٢٦.   ٢ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٣٦٢، س١١.

٣ ـ الكهف: ٣١.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٤٢٤، ح٦٤، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٥، س١٠.

أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴿٣١﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِن أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴿٣٢﴾

* أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ممّا رقّ من الدّيباج وما غلظ منه.

﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: على السّرر كما هو هيئة المتنعّمين، القمّي: عن الباقر عليه السلام الآرائك: السّرر عليها الحجال[1][2].

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: الجنّة ونعيمها.

﴿وَحَسُنَتْ﴾: الأرائك.

﴿مُرْتَفَقاً﴾: أقول: وكأنّ الثياب الخضر كناية عن أبدانهم المثاليّة البرزخيّة المتوسّطة بين سواد هذا العالم وبياض العالم الأعلى، فإنّ الخضرة مركبّة من سواد وبياض، والرّقة والغلظة كنايتان عن تفاوتها في مراتب اللطافة.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً﴾: للكافر والمؤمن.

﴿رَّجُلَيْنِ﴾: حال رجلين القمّي: قال: نزلت في رجل كان له بستانان كبيران عظيمان كثير الثمار كما حكى الله عزّوجلّ، وفيهما نخل وزرع وماء وكان له جار فقير

---

١ ـ الحجلة ـ بالتحريك ـ واحدة حجال: العروس وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرّة والستور. مجمع البحرين: ج٥، ص٣٤٩، مادة «حجل» وفي الصحاح مثله، ج٤، ص١٦٦٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٦، س١٠.

كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَراً ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً ﴿٣٥﴾

فافتخر الغني على الفقير[1].

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين.

﴿مِنْ أَعْنَـٰبٍ﴾: من الكروم.

﴿وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: وجعلنا النّخل محيطة بهما.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: وسطهما.

﴿زَرْعاً﴾: ليكون كلّ منهما جامعاً للأقوات والفواكه على شكل حسن وترتيب أنيق.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرها.

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾: ولم تنقص من أُكلها.

﴿شَيْئاً﴾: كما يكون في سائر البساتين، فإنّ الثمار تتمّ في عام وتنقص في عام غالباً.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَراً﴾: ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾: أنواع من المال سوى الجنتّين من ثمر ماله إذا كاثره، وقرئ بفتحتين وبضمّ الثاء وسكون الميم.

﴿فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: وهو يراجعه في الكلام، من حار: إذا رجع.

﴿أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾: أولاداً وأعواناً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: ضارّ لها بعجبه، وكفره.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٣٥، س١٤.

وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّاْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَداً ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ﴿٣٩﴾

﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: أن تفني.

﴿هَـٰذِهِ﴾: يعني هذه الجنّة.

﴿أَبَداً﴾: لطول أمله، وتمادي غفلته، وإغتراره بمهلته.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: كائنة.

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾: بالبعث كما زعمت.

﴿لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً﴾: مرجعاً، وعاقبة، وقرئ منهما.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾: فإنّه أصل مادّتك ومادّة أصلك.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[1]: فإنّها مادّتك القريبة.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً﴾: ثمّ عدلك وكمّلك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرّجال.

﴿لَّـٰكِنَّاْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾: أصله لكن أنا، وقرئ بالألف في الوصل والوقف جميعاً.

﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَداً * وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾: وهلّا قلت عند دخولها.

---

١ ـ لأنّ النّطفة خلقها الله سبحانه بمجرى العادة من الغذاء وهو ينبت من تراب فلذا جاز أن يقول خلقك من تراب. منه قدّس سرّه.

فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَداً ﴿٤٢﴾

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: ما شاء الله كائن إقراراً بأنّها وما فيها بمشيّة الله إن شاء الله أبقاها وإن شاء أبادها.

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ﴾: وقلت: لا قوّة إلّا بالله إعترافاً بالعجز على نفسك والقدرة لله وإنّ ما تيسّر لك من عمارتها وتدبيرها فبمعونته واقتداره.

﴿إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ﴾: في الدّنيا أو في الآخرة لإيماني.

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾: على جنّتك لكفرك.

﴿حُسْبَاناً[1] مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: مرامي من عذابه كصاعقة ونحوها.

وقيل: هو بمعنى الحساب، والمراد به التقدير بتخريبها[2].

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾: أرضاً ملساء يزلق عليها لاستيصال[3] نباتها وأشجارها.

والقمّي: محترقاً[4].

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً﴾: غائراً في الأرض.

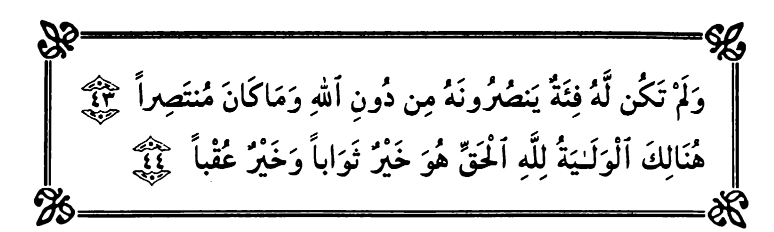
---

١ ـ الحسبان ـ بالضم ـ جمع الحساب، والعذاب، والبلاء، والشر، والعجاج، والجراد، والسهام الصغار. القاموس المحيط: ج١، ص٥٤ مادة «حسب».

٢ ـ راجع الكشاف: ج٢، ص٢٧٣، وأنوار التنزيل: ج٢، ص١٣، س٢٠.

٣ ـ وفي نسخة: [باستيصال].

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٥، س٢٢.



﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾: وأهلك أمواله حسبما أنذره صاحبه من أحاط به العدوّ، فإنّه إذا أحاط به غلبه، وإذا غلبه أهلكه، ونظيره أتى عليه إذا أهلكه.

في المجمع: وفي الخبر: إنّ الله عزّوجلّ أرسل عليها ناراً فأهلكها، وغار ماؤها[1].

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: ظهراً لبطن، تلهّفاً وتحسّراً.

﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: يعني سقطت عروش كرومها على الأرض وسقطت الكروم فوقها.

﴿وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَداً﴾: كأنّه تذكّر موعظة أخيه وعلم أنّه من قبل شركه، فتمنّى لو لم يكن مشركاً فلم يهلك الله بستانه.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ﴾: وقرئ بالياء.

﴿يَنصُرُونَهُ﴾: بدفع الإهلاك أوردّ المهلك.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: فإنّه القادر على ذلك وحده.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِراً﴾: ممتنعاً عن إنتقام الله منه.

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام وتلك الحال، وقيل: في الآخرة[2].

﴿ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾: النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره، وقرئ بالكسر أي السّلطان والملك، وقرئ الحقّ بالرّفع صفة للولاية.

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾: أي لأوليائه، وقرئ بالسّكون.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٧٢، س٣.
٢ ـ أُنظر مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٧٢،، س٢١.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ما تشبهه في زهرتها وسرعة زوالها.

﴿كَمَآءٍ﴾: هو كماء.

﴿أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: تكاثف بسببه والتفّ حتّى خالط بعضه بعضاً.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: مهشوماً مكسوراً.

﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾: تفرقه فيصير كأن لم يكن.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: من الإنشاء والإفناء.

﴿مُّقْتَدِرًا * ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ويفنى عن قريب.

﴿وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾: وأعمال الخير، والبرّ الّتي تبقى ثمرتها أبد الآباد.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾: من المال والبنين.

﴿ثَوَابًا﴾: عائدة.

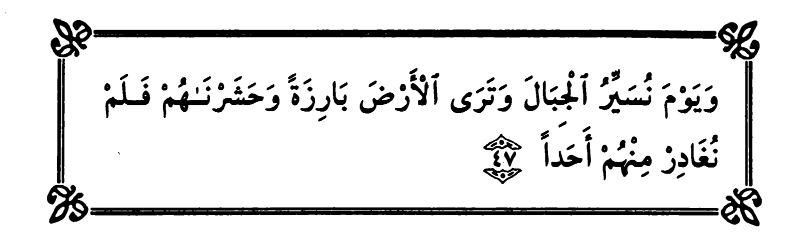
﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: لأنّ صاحبها ينال في الآخرة ما كان يأمل بها في الدّنيا، في التهذيب[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: إن كان الله عزّوجلّ قال: «ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» إن الثمانية ركعات يصلّيها العبد آخر الليل زينة الآخرة[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّ الباقيات الصّالحات: هي الصّلاة فحافظوا عليها[٣].

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٢٠، ح ٤٥٥/٢٢٣، باب ٨ ـ كيفية الصلاة وصفتها...

٢ و ٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢٧، ح ٣٣ و ٣١.



وفي المجمع: عنه عليه السلام هي الصّلوات الخمس[١].

وعنه عليه السلام: إنّ من الباقيات الصّالحات: القيام لصلاة الّليل[٢].

وروى إبن عقده عنه عليه السلام: إنّه قال لحصين بن عبد الرّحمن لا تستصغر مودّتنا فإنّها من الباقيات الصّالحات[٣].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله: خذوا جُنّتكم، قالوا: يا رسول الله عدّو حضر، فقال لا، ولكن خذوا جنّتكم من النّار، فقالوا: بم نأخذ جنّتنا يا رسول الله؟ قال: «سُبحان الله والحمدُ لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» فإنهنّ يأتين يوم القيامة ولهنّ مقدّمات ومؤخّرات، وهنّ الباقيات الصّالحات[٤].

وفي المجمع: بطريق العامّة، مثله[٥] والقمّي: قال: الباقيات الصّالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر[٦] ذكر، في سورة مريم.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله برجل يغرس غرساً في حايط له فوقف عليه وقال: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إيناعاً وأطيب ثمراً وأبقى؟ قال: بلى فدلّني يا رسول الله، فقال: إذا أصبحت وأمسيت فقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر فإن لك إن قلته بكلّ تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفاكهة، وهنّ من الباقيات الصالحات[٧].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾: نسيّرها في الجوّ، ونجعلها هباءً منبثّاً، وقرئ بالتّاء والبناء

١ـ مجمع البيان: ج٥ـ ٦، ص٤٧٤، س٣.
٢ـ مجمع البيان: ج٥ـ ٦، ص٤٧٤، س٤.
٣ـ مجمع البيان: ج٥ـ ٦، ص٤٧٤، س٥.
٤ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٧، ح٣٢.
٥ـ مجمع البيان: ج٥ـ ٦، ص٤٧٣.
٦ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٣، س٣٢.
٧ـ الكافي: ج٢، ص٥٠٦، ح٤، باب التسبيح والتهليل والتكبير.

وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴿٤٩﴾

للمفعول.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها.

﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ﴾: وجمعناهم إلى الموقف.

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: فلم نترك.

﴿مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً﴾: ترى جماعتهم كما يرى كلّ واحد منهم لا يحجب أحدٌ أحداً. في الإحتجاج: عن الصّادق عليه السلام هم يومئذ عشرون ومـائة ألف صفّ في عرض الأرض[1].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي قيل لهم: لقد بعثناكم كما أنشأناكم أوّل مرّة، أو المعنى لقد جئتمونا عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله: «وَلَـقَدْ جِـئْتُمُونَا فُرَادَىٰ» كما سبق في سورة الأنعام[2].

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً﴾: وقتاً لإنجاز الوعد بالبعث والنشور وأنّ الأنبياء كذّبوكم به.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾: صحائف الأعمال.

---

١ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٩٨، س ١٧، باب فيما إحتج الصادق عليه السلام على الزنديق.

٢ ـ ذيل الآية: ٩٤.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: خائفين من الذّنوب.

﴿وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا﴾: ينادون هلكتهم.

﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ﴾: تعجيباً من شأنه.

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾: هنة[١] صغيرة.

﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾: عبارة عن الإحاطة بالجميع.

﴿إِلَّآ أَحْصَـٰهَا﴾: إلّا عدّها وضبطها.

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً﴾: مكتوباً في الصّحف.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾: فيكتب عليه مالم يفعل أو لا ينقص ثواب محسن ولا يزيد في عقاب مسيء، القمّي: قال: يجدون ما عملوا كلّه مكتوباً[٢].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إذا كان يوم القيامة دفع إلى الإنسان كتابه، ثم قيل له: إقرأه فيقرأ ما فيه فيذكره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم إلّا ذكره كأنّه فعله تلك السّاعة. فلذلك قالوا: «يَـٰوَيْلَتَنَا»[٣] الآية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: قد سبق تفسيره في سورة البقرة[٤]، قيل: كرّره في مواضع لكونه مقدّمة للأُمور المقصود بيانها في تلك الحال

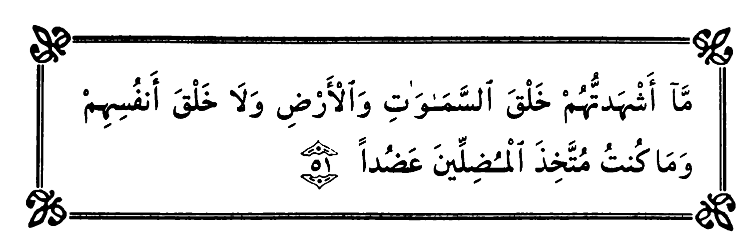
---

١ ـ وَهَنٌ كأخ: معناه شيء تقول هذا هَنُكَ: أي شيئُك، وفي الحديث هنيّة مصَغّرة هَنَةٍ، أصلها هنوة أي شيء يسير. القاموس المحيط: ج٤، ص٤٠٤. مادة «هنو».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٧، س٢.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٨، ح٣٤. مع اختلاف يسير.

٤ ـ البقرة: ٣٤.



مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴿٥١﴾

وهكذا كلّ تكرير في القرآن[1].

﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: فخرج عن أمر ربّه بترك السّجود.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾: أبعد ما وجد منه تتّخذونه.

﴿وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾: وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي.

﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً﴾: من الله إبليس وذرّيته.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما أحضرت إبليس وذريته خلق السّماوات والأرض إعتضاداً بهم.

﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾: ولا احضرت بعضهم خلق بعض.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾: أعواناً يعني فمالكم تتّخذونهم شركائي في العبادة والطّاعة أو المعنى ما أشهدت المشركين خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتّى لو آمنوا اتبعهم النّاس كما يزعمون فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلّين لديني ويعضده قراءة من قرأ «وما كنت» على خطاب الرّسول.

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اللّهم أعز الإسلام بعمر الخطاب أو بأبي جهل بن هشام» فأنزل الله هذه الآية يعنيهما[2].

أقول: ويمكن التوفيق بين التفسيرين بتعميم الشيّاطين الجنّ والإنس.

وفي الكافي: عن الجـواد عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته ثمّ، خـلق محمّداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص١٥، س ٢٠.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩، ح ٣٩ و ٤٠.

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً ﴿٥٣﴾

طاعتهم عليها، وفوّض أمرها إليهم الحديث[1].

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾: أي يقول الله، وقرئ بالنّون.

﴿نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أي زعمتم أنّهم شركائي، أضاف الشّركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم، والمراد ما يعبد من دونه من الجن والإنس، وغيرهما.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: فنادوهم للإغاثة.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾: فلم يغيثوهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بين الكفّار وآلهتهم.

﴿مَّوْبِقاً﴾: مهلكاً يشتركون فيه وهو واد من أودية جهنّم، القمّي: أي ستراً[2].

وقيل: البنين: بمعنى الوصل، أي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة[3].

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾: فأيقنوا.

﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها واقعون فيها.

﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً﴾: معدلاً، في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني أيقنوا أنّهم داخلوها[4].

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٤٤١، ح٥، باب مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٧، س٣.

٣ ـ القائل هو الفراء كما نسب إليه الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج٢، ص٧٢٩. وراجع أنوار التنزيل: ج٢، ص١٦، س١٩.

٤ ـ التّوحيد: ص٢٦٧، ح٥، س١٨، باب ٣٦ ـ الرد على الثنويّة والزنادقة.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُواً ﴿٥٦﴾

في الإحتجاج: عنه عليه السلام وقد يكون بعض ظن الكفّار يقيناً وذلك قوله تعالى: «وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ» الآية أي أيقنوا أنّهم مواقعوها[1].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾: يتأتّى منه الجدل.

﴿جَدَلاً﴾: خصومة بالباطل.

﴿وَمَامَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾: من ذنوبهم.

﴿إِلَّآ﴾: الإنتظار.

﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وهي الإهلاك، والإستيصال.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: عذاب الآخرة.

﴿قُبُلاً﴾: عياناً، وقرئ بضّمتين.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾: مثل قولهم: للأنبياء «مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا»[2] «وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً»[3]

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٣، س ١، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٢ ـ يس: ١٥. ٣ ـ المؤمنون: ٢٤.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

واقتراحهم الآيات بعد ظهور المعجزات إلى غير ذلك.

﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾: ليزيلوا بالجدال الحق عن مقرّه ويبطلوه.

﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾: إستهزاء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾: أي القرآن.

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فلم يتدبّرها، ولم يتذكّر بها.

﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من الكفر والمعاصي فلم يتفكّر في عاقبتها.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[1]: تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنّهم مطبوع على قلوبهم.

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: تمنعهم أن يفقهوه، وتذكير الضّمير وإفراده للمعنى.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾:[2] يمنعهم أن يسمعوه حقّ إستماعه.

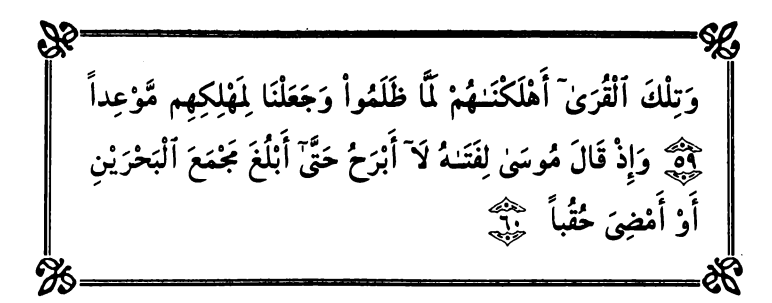
﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾: فلا يجوز منهم إهتداء ألبتّة لا تحقيقاً لأنّهم لا يفقهون، ولا تقليلاً لأنّهم لا يسمعون.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾:

---

١ ـ الكِنُّ: السُترة، والجمع أكنان، والأكنَّة: الأغطية. الصحاح: ج٦، ص٢١٨٨، مادة «كنن».

٢ ـ الوقر ـ بالفتح ـ الثقل في الأُذن، أو ذهاب السمع كله. مجمع البحرين: ج٣، ص٥١٢، مادة «وقر».



وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

فلا يؤاخذهم عاجلاً مع إستحقاقهم العذاب.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾: يعني يوم القيامة، وقيل: يوم بدر[١].

﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: ملجأ ومنجا.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: قُرَىٰ عاد وثمود وأضرابهم.

﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: مثل ظلم قريش بالتكذيب، والمراء، وأنواع المعاصي.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾: لإهلاكهم، وقرئ بكسر اللّام وبفتح الميم واللّام، أي لهلاكهم.

﴿مَّوْعِدًا﴾: وقتاً معلوماً لا يستأخِرُون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغترّوا بتأخرّ العذاب عنهم.

القمّي: أي يوم القيامة يدخلون النّار[٢].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾: في الإكمال[٣]، والعيّاشي[٤]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام وهو يوشع بن نون[٥].

قيل: هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف، فإنّه كان يخدمه ويتبعه، ولذلك سمّاه فتاه[٦].

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزال أسير.

---

١ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٧٣٠، وانظر أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٧، س ١٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٧، س ٩.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٠١، قطعة من ح ٨، باب ٢٦ ـ ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام ....

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٠، ح ٤٢.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٤٠، س ١٠.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٨، س ٣.

﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى بحري فارس والرّوم، وهو المكان الّذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾: أو أسير زماناً طويلاً. القمّي: عن الباقر عليه السلام الحقب: ثمانون سنة[١].

والقمّي: لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف: قالوا أخبرنا عن العالم الّذي أمر الله موسى أن يتّبعه وما قصّته فأنزل الله عزّوجلّ: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ» قال: وكان سبب ذلك أنّه لما كلّم الله موسى تكليماً فأنزل الله عليه الألواح، وفيها كما قال الله تعالى: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ»[٢] رجع موسى إلى بني إسرائيل فصعد المنبر[٣] فأخبرهم أنّ الله قد أنزل عليه التوراة وكلّمه، قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم منّي، فأوحى الله إلى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك، وأعلمه إن عند ملتقى البحرين عند الصّخرة رجلاً أعلم منك فسر إليه وتعلّم من علمه، فنزل جبرئيل على موسى وأخبره، وذلّ موسى في نفسه، وعلم أنّه أخطأ ودخله الرّعب، وقال لوصيّه يوشع: إنّ الله قد أمرني أن أتبّع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلّم منه، فتزوّد يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا[٤].

في العلل[٥]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام ما يقرب من صدر هذا الحديث[٦].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: بينا موسى قاعد في ملأ من بني إسرائيل إذ قال له رجل: ما أرى أحداً أعلم بالله منك قال موسى: ما أرى، فأوحى الله إليه بل عبدي الخضر فسأل السّبيل إليه فكان له آية الحوت إن إفتقده وكان من شأنه ما قصّ الله[٧].

---

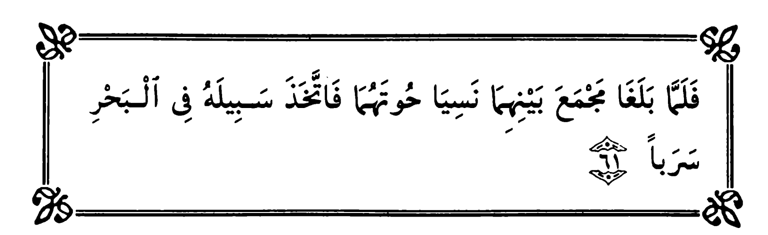
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٠، س ١١. ٢ ـ الأعراف: ١٤٥.

٣ ـ وفي رواية العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام. أن موسى صعد المنبر وكان منبره ثلاث مرقاة، فحدّث نفسه أنّ الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فأتاه جبرئيل فقال له: انك قد ابتليت فأنزل فإنّ في الأرض من هو أعلم منك فاطلبه، فأرسل إلى يوشع أنّي قد ابتليت فاصنع لنا زاداً وانطلق بنا فاشتري حوتاً من حيتان زنجيّة، فخرج بآذربيجان. ثمّ شواه، ثم حمله في مكتل. الحديث ويأتي تمامه. منه رحمه الله. راجع تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ٤٧.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٧، س ٩.

٥ ـ علل الشرائع: ص ٦٠، ح ١، باب ٥٤ ـ العلة التي من أجلها سمى الخضر خضراً وعلل....

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٠، ح ٤٦. ٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٤، ح ٤٨.



﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: تركاه لذهولهما عنه أو ذهابه عنهما.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾: يعني الحوت.

﴿فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾: مسلكاً، القمّي: فلمّا خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه فلم يعرفاه، فأخرج وصيّ موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصّخرة ومضيا ونسيا الحوت. وكان ذلك الماء ماء الحيوان فحي الحوت ودخل في الماء فمضى موسى عليه السلام ويوشع معه حتّى عيبا[1].

والعيّاشي: ذكر قصّة الحوت بنحوين آخرين فتارة عنه عليه السّلام إنّه شوّاه، ثم حمله في مكتل[2]، ثم إنطلقا يمشيان فإنتهيا إلى شيخ مستلقي معه عصاه موضوعة إلى جانبه، وعليه كساء إذا قنّع رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطّى رجليه خرج رأسه، قال: فقام موسى عليه السّلام يصلّي وقال ليوشع: أحفظ علي، قال: فقطرت قطرة من السّماء في المكتل فاضطرب الحوت، ثم جعل يثب من المكتل إلى البحر وهو قوله: «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً» قال: ثمّ أنّه جاء طير فوقع على شاط[3] البحر ثم أدخل منقاره فقال يا موسى ما أخذت من علم ربّك ما حمل ظهر منقاري من جميع البحر الحديث[4].

وتارة عنهما عليهما السلام: لمّا كان من أمر موسى عليه السلام ما كان أُعطي مكتل فيه حوت مملّح قيل له: هذا يدلّك على صاحبك عند مجمع البحرين صخرة عندها عين لا يصيب منها شيء ميّتاً إلّا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٧ ـ ٣٨.

٢ ـ المكتل ـ كمنبر ـ: الزنبيل الكبير. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٦٠، مادة «كتل».

٣ ـ وفي نسخة: [علس ساحل البحر] كما في المصدر.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ٤٧.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَـٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَباً ﴿٦٣﴾

حيي يقال له: عين الحياة، فانطلقا حتّى بلغا الصّخرة فانطلق الفتى يغسل الحوت في العين فاضطرب في يده حتّى خدشه وتفلّت منه ونسيه الفتى[1].

في الإكمال: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال لبعض اليهود وقد سأله عن مسائل: وأمّا قولك أوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون إنّها العين الّتي ببيت المقدس تحت الحجر وكذبوا وهي عين الحيوان الّتي إنتهى موسى وفتاه فغسل فيها السّمكة المالحة فحييت وليس من ميّت يصيبه ذلك الماء إلاّ حيّ، وكان الخضر في مقدّمة ذي القرنين يطلب عين الحياة فوجدها، وشرب منها ولم يجدها ذو القرنين[2].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: مجمع البحرين.

﴿قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: ما نتغدى به.

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً﴾: أي عناء، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام وإنّما أعيى حيث جاز الوقت.

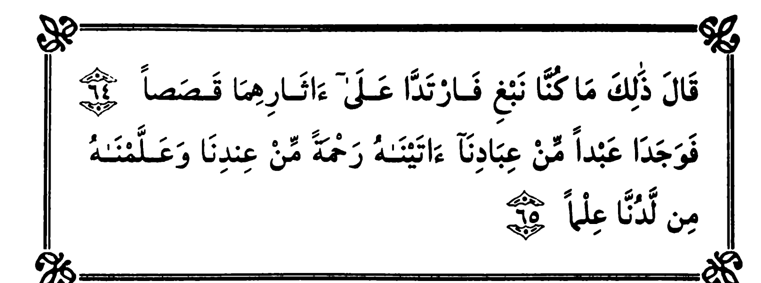
﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾: يعني أرأيت ما دهاني.

﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾: تركته وفقدته أو نسيت ذكر حاله وما رأيت منه لك.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٩، ح٤١.

٢ ـ إكمال الدين: ص٢٩٨، قطعة من ح٥، باب ٢٦ ـ أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام ....



﴿وَمَآ أَنسَٰنِيهُ﴾: وقرئ بضمّ الهاء.

﴿إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾: أي وما أنساني ذكره إلّا الشّيطان.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَباً * قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلب لأنّه إمارة المطلوب، القمّي: قال ذلك الرّجل الّذي رأيناه عند الصّخرة هو الّذي نريده[1].

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾: فرجعا في الطّريق الّذي جاءَا منه.

﴿قَصَصاً﴾: يقصّان قصصاً أي يتّبعان آثارهما إتّباعاً.

﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: وهو الخضر عليه السلام كما استفاض به الأخبار عنهم عليهم السلام.

القمّي: وكان في الصّلاة فقعد موسى حتّى فرغ من الصّلاة فسلّم عليهما[2].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في الحديث السابق فرجع موسى عليه السلام فقصّ أثره حتّى إنتهى إليه وهو على حاله مستلقي فقال له موسى: السّلام عليك، فقال: السّلام عليك يا عالم بني إسرائيل، قال: ثمّ وثب فأخذ عصاه بيده فقال له موسى: إنّي قد أُمرت أن أتبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رشداً.

وفي روايته الأُخرى عنهما عليهما السلام: فلمّا رجعا وجدا الحوت قد خرّ في البحر فاقتصّا الأثر حتى أتيا صاحبهما في جزيرة من جزائر البحر إمّا متّكأ وإمّا جالس فسلّم عليه موسى عليه السلام فعجب من السّلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام، قال: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران،

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٣٨، س٣ و ٤.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ ـ قطعة من ح٤٧.

قال: أنت موسى بن عمران الّذي كلّمه الله تكليماً؟ قال: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلّمني ممّا علّمت رشداً، قال: إنّي وكلت بأمر لا تطيقه، ووكلت أنت بأمر لا اُطيقه، ثمّ حدّثه العالم عن آل محمّد صلوات الله عليهم، وعمّا يصيبهم صلوات الله عليهم من البلاء حتّى إشتدّ بكاؤهما، ثمّ حدّثه عن فضل آل محمّدٌ صلوات الله عليهم حتّى جعل موسى عليه السلام يقول: ياليتني كنت من آل محمّد عليهم السلام وحتّى ذكر فلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قومه وما يلقى منهم، ومن تكذيبهم إيّاه، وذكر له تأويل هذه الآية «وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ»[١] حين أخذ الميثاق عليهم[٢].

والقمّي: عن الرّضا عليه السلام أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر إمّا جالس وإمّا متّكأ الحديث[٣] كما ذكره العيّاشي[٤].

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام إنّ الخضر كان نبيّاً مرسلاً بعثه الله إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آيته إنّه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلّا إهتزّت خضراء، وإنّما سمّي خضراً لذلك، وكان إسمه بليابن ملكا بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح[٥].

﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: هي الوحي والنبّوة.

﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾: قيل: أي ممّا يختصّ بنا من العلم وهو علم الغيوب[٦].

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: كان عنده علم لم يكتب لموسى عليه السلام في الألواح وكان موسى عليه السلام يظنّ أنّ جميع الأشياء الّتي يحتاج إليها في تابوته وأنّ جميع العلم كتب له في الألواح[٧].

---

١ ـ الأنعام: ١١٠.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢٩، ح ٤١.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٨، س ٩.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٢٩، ح ٤١.
٥ ـ علل الشرائع: ص ٥٩ ـ ٦٠، ح ١، باب ٥٤ ـ العلة التي من أجلها سمى الخضر خضراً، وعلل... وفيه «إلّا أزهرت خضراً».
٦ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٧٣٣ والبيضاوي في أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٩، س ١٥.
٧ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٨٣، ص ١٤.

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴿٦٩﴾

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾: وقرئ بفتحتين.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾: في العلل: عن الصّادق عليه السلام قال الخضر: «إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» لأنّي وكّلت بأمر لا تطيقه، ووكّلت بعلم لا أُطيقه، قال موسى عليه السلام: بل أستطيع معك صبراً، فقال الخضر: إنّ القياس لا مجال له في علم الله وأمره[١].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾: قال: فلمّا إستثنى المشيّة قَبِلَهُ[٢].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام في حديث له ولم يرغبوا إلينا في علمنا كما رغب موسى إلى العالم وسأله الصحّبة ليتعلّم منه العلم ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علم العالم أنّ موسى لا يستطيع صحبته، ولا يحتمل علمه، ولا يصبر معه، فعند ذلك قال العالم: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً» فقال له موسى عليه السلام وهو خاضع له يستلطفه على نفسه كي يقبله: «سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ» الآية[٣].

عن الصّادق عليه السلام: كان موسى عليه السلام أعلم من الخضر[٤].

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٦٠، قطعة من ح ١، باب ٥٤ ـ العلة التي من أجلها سمي الخضر خضراً، وعلل...

٢ ـ علل الشرائع: ص ٦٠، قطعة من ح ١، باب ٥٤ ـ العلة التي من أجلها سمّي الخضر خضراً، علل....

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، قطعة من ح ٤٦.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٠، ح ٤٣.

قَالَ فَإِن ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴿٧١﴾

وفي الكافي: عنه عليه السلام لو كنت بين موسى عليه السلام والخضر لأخبرتهما إنّي أعلم منهما وأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى عليه السلام والخضر عليه السلام أُعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم السّاعة، وقد ورثناه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وراثة[1][2].

﴿قَالَ فَإِن ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي﴾: وقرئ بالنّون الثقيلة.

﴿عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾: القمّي: عن الرّضا عليه السلام يقول: لا تسألني عن شيء أفعله، ولا تنكره عليّ حتّى أُخبرك أنا بخبره، قال: نعم[3].

﴿فَانطَلَقَا﴾: على السّاحل يطلبان السّفينة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: الخضر.

﴿قَالَ﴾: موسى.

﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾: وقرئ بالإسناد إلى الأهل.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾: عظيماً. القمّي: هو المنكر وكان موسى عليه السلام ينكر الظّلم فأعظم ما رأى[4].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١، ح ١، باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم.

٢ ـ كما يفهم من بعض الأحاديث الأُخر ايضاً. منه قدّس سرّه. راجع الكافي: ج ١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنّه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٩، س ١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٠، س ١١.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿٧٥﴾

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾: ولا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسّي فإنّ ذلك يعسر على متابعتك، في المجمع عن النّبيّ ﷺ كانت الأولىٰ من موسى عليه السلام نسياناً[1].

﴿فَانطَلَقَا﴾: أي بعدما خرجا من السّفينة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰماً فَقَتَلَهُ﴾: من غير تروّ وإستكشاف حال.

﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾: طاهرة من الذّنوب، وقرئ زاكية.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: من غير أن قتلت نفساً فتقاد بها.

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً﴾: أي منكراً، وقرئ بضمّتين، في العلل: عن الصّادق عليه السلام فغضب موسى عليه السلام وأخذ بتلابيبه، وقال: «أَقَتَلْتَ» الآية قال الخضر: إنّ العقول لا تحكم على أمر الله، بل أمر الله يحكم عليها، فسلّم لما ترى منّي، واصبر عليه فقد كنت علمت «إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً»[2].

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾: قيل: زاد «لك» فيه مكافحة

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٨١، س٢٤.

٢ ـ علل الشرائع: ص٦٠، قطعة من ح١، باب ٥٤ ـ العلّة التي من أجلها سمّي الخضر خضراً وعلل...

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴿٧٧﴾

بالعتاب على رفض الوصية، ووسماً بقلّة الثّبات والصّبر لما تكررّ منه الاشمئزاز، والإستنكار، ولم يرعوا بالتّذكير، أوّل مرّة حتّى زاد في الإستنكار ثاني مرّة[١].

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِي﴾: وإن سألت صحبتك.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً﴾: قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرّات، وقرئ بتخفيف النّون وبإسكان الدّال، روي عن النّبيّ ﷺ رحم الله أخي موسى إستحيى فقال ذلك، لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب[٢][٣].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: في العلل[٤]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هي النّاصرة، وإليها تنسب النّصارى[٥].

﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: ينكسر يعني يداني ان يسقط استعيرت الإرادة للمشارفة.

وفي المجمع: قراءة عليّ ابن أبي طالب «ينقاص» بالصّاد غير معجمة وبالألف ومعناه

---

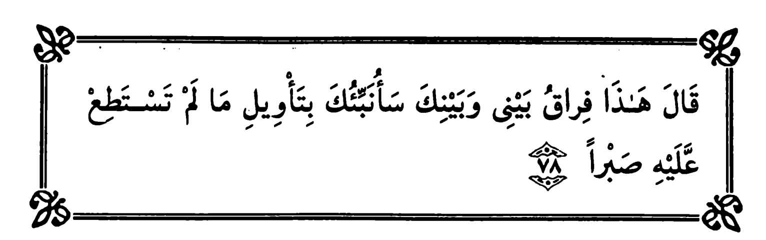
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١، س٩.

٢ ـ الكشاف: ج٢، ص٧٣٦ ـ ٧٣٧ وأنوار التنزيل: ج٢، ص٢١، س١٣.

٣ ـ وفي رواية المجمع إستحيى نبي الله موسى ولو صبر لرأى ألفاً من العجائب، منه رحمه الله. راجع مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٨٦، س٢٦.

٤ ـ علل الشرائع: ص٦١، قطعة من ح١، س٤، باب ٥٤ ـ العلة التي من أجلها سمي الخضر خضراً وعلل...

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٣٣، قطعة من ح٤٧، س١٣.



الإنشقاق(١).

﴿فَأَقَامَهُ﴾: بوضع يده عليه كذا في العلل عن الصّادق عليه السلام(٢)، وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله(٣).

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أي خبزاً نأكله فقد جعنا(٤)، وقرئ «لتخذت» بكسر الخاء مخفّفة أي لأخذت.

﴿قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَّلَيْهِ صَبْراً﴾: القمّي: عن الرّضا عليه السلام: في تتمّة الحديث السّابق فمرّوا ثلاثتهم حتّى إنتهوا إلى ساحل البحر وقد شحنت سفينة وهي تريد أن تعبر، فقال أرباب السفينة: نحمل هؤلاء الثلاثة نفر فإنّهم قوم صالحون فحملوهم، فلما جنحت السّفينة في البحر قام الخضر عليه السلام إلى جوانب السفينة فكسّرها وحشاها بالخرق والطّين فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً فقال للخضر: «أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً» فقال له الخضر عليه السلام: «قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً» قال موسى: «لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِى عُسْراً» فخرجوا من السّفينة فنظر الخضر إلى غلام يلعب بين الصّبيان حسن الوجه كأنّه قطعة قمر وفي أذنيه درّتان فتأمّله الخضر ثمّ أخذه(٥) وقتله، فوثب موسى عليه السلام على الخضر وجلد به الأرض، فقال: «أَقَتَلْتَ

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٨٥، س٤.

٢ ـ علل الشرائع: ص٦١ قطعة من ح١، س٥، باب ٥٤ ـ العلة التي من أجلها سمي الخضر خضراً وعلل...

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٨٧.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٣٣، قطعة من ح٤٧.

٥ ـ العياشي: فإذا غلام يلعب مع غلمان عليه قميص حرير أخضر، في أذنيه درّتان فتوركه العالم فذبحه، وفي المجمع: فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتطعه فقتله ويأتي إنّه وكزه فقتله. منه رحمه الله. راجع تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٣٣، قطعة من ح٤٧.

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴿٧٩﴾

نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً» فقال الخضر عليه السلام: «أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً» قال موسى: «إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُـذْراً * فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ» بالعشيّ قرية تسمّى النّاصرة وإليها تنسب النّصارى، ولم يضيّفوا أحداً قطّ، ولم يطعموا غريباً فاستطعموهم فلم يطعموهم، ولم يضيّفوهم[1].

وزاد العيّاشي: «ولن يضيّفوا أحداً بعدهما حتّى تقوم السّاعة»[2].

فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال لينهدم فوضع يده عليه، وقال: قم بإذن الله تعالى فقام، فقال موسى عليه السلام: لم ينبغ أن تقيم الجدار حتّى يطعمونا ويأوُونا وهو قوله: «لَـوْ شِـئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً» فقال له الخضر: «هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ»[3].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وددنا أنّ موسى عليه السلام كان صبر حتّى يقصّ علينا من خبرهما[4].

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِـيبَهَا﴾: اجعلها ذات عيب.

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه كان يقرأ: «وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ» يعني أمامهم[5].

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾: من أصحابها.

﴿غَصْباً﴾: في المجمع: عن الباقر، والصّادق عليهما السلام أنّهما كانا يقرءان «كلّ سفينة صالحة

---

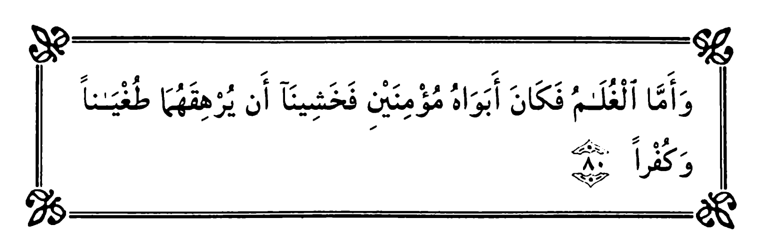
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٩، س ٢.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٣، قطعة من ح ٤٧، س ١٤، أقول: ومن هنا يذكر المؤلف رحمه الله تتمّة الحديث السابق من تفسير القمّي.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٩، س ١٥.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٨١، س ٣٠.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٥، ح ٥٤.



غصباً» قال: وهي قراءة أمير المؤمنين عليه السلام[١].

والقمّي: هكذا نزلت قال: وإذا كانت معيوبة لم يأخذ منها شيئاً[٢].

أقول: بناء المعنى عليها.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّه كان يـقرأ «وأمّا الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين»[٣].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام: إنّه قرأ: «وكان أبواه مؤمنين» وطبع كافراً[٤].

وكذا في العلل: عن الصّادق عليه السلام[٥].

والقمّي: وهو طبع كافراً قال: كذا نزلت فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب طبع كافر[٦].

﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾: أن يغشيهما.

﴿طُغْيَـٰناً وَكُفْراً﴾: في العلل: عن الصّادق عليه السلام علم الله أنّه إنّ بقي كفر أبواه وإفتتنا به وضلّا بإضلاله فأمرني الله بقتله وأراد بذلك نقلهم إلى محلّ كرامته في العاقبة[٧].

والعيّاشي: عنه عليه السلام خشي إن أدرك الغلام أن يدعو أبويه إلى الكفر فيجيبانه[٨].

وعنه عليه السلام: بينما العالم يمشي مع موسى عليه السلام إذا هُم بغلام يلعب فوكزه وقتله، قال له موسى: «أَقَتَلْتَ نَفْساً» الآية قال: فأدخل العالم يده فإقتلع كتفه فإذا عليه مكتوب كافر مطبوع[٩].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٨١، ص٣٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٩، س٢٠.
٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٨١، س٣١.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٣٦، ح٥٥.
٥ ـ علل الشرائع: ص٦١، قطعة من ح١، س١٢، باب ٥٤ ـ العلّة التي من أجلها سمي الخضر خضراً وعلل....
٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٩، س٢٢.
٧ ـ علل الشرائع: ص٦١ قطعة من ح١، س١٣، باب ٥٤ ـ العلّة التي من أجلها سمي الخضر خضراً وعلل....
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٣٦، ح٥٦.
٩ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٣٥، ح٥٣.

فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴿٨٢﴾

ومرفوعاً: كان في كتف الغلام الّذي قتله العالم مكتوب كافر[١].

وعنه عليه السلام: إنّ نجدة الحروريّ[٢] كتب إلى إبن عبّاس يسأله عن سبي الذّراري، فكتب إليه أمّا الذّراري فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقتلهم وكان الخضر عليه السلام يقتل كافرهم ويترك مؤمنهم فإن كنت تعلم ما يعلم الخضر فاقتلهم[٣].

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ﴾: أن يرزقهما بدله ولداً خيراً منه، وقرئ يبدّلهما بالتّشديد.

﴿زَكَوٰةً﴾: طهارة من الذّنوب والأخلاق الرّدية.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾: رحمة وعطفاً على والديه، وقرئ بضمّتين.

في الكافي[٤]، والفقيه[٥]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام[٦] والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام أنّهما أُبدلا بالغلام المقتول إبنة فولد منها سبعون نبيّاً[٧].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٣٦، ح٥٧.

٢ ـ حروراء: إسم قرية يمدّ ويقصر، نسبت إليها الحرُ وريّةُ من الخوارج، لأنّه كان أوّلُ مجتمعهم بها وتحكم منها. الصحاح: ج ٢، ص٦٢٨، مادة «حرر».

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٣٥، ح٥٢.

٤ ـ الكافي: ج٦، ص٦، ح١١، باب فضل البنات.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٣١٧، ح١٥٤٢ /٨، باب حال من يموت من أطفال المؤمنين.

٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٨٧، س٣٢.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٣٧، ح٦١.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾: أي الحلم، وكمال الرّأي.

﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذا الكنز فقال: أما أنّه ما كان ذهباً ولا فضّة وإنّما كان أربع كلمات «لا إله إلّا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنة، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلّا الله»[2].

وفيه عن الرّضا عليه السلام: كان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل عن الله أن لا يتّهم الله في قضائه ولا يستبطئه في رزقه[3].

وفي المعاني: عن أمير المؤمنين عليه السلام[4] والقمّي: عن الصّادق عليه السلام كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب «بسم الله، لا إله إلّا الله، محمدٌ رسول الله، عجبتُ لمن يعلم أنّ الموت حقٌّ كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبتُ لمن يذكر النّار كيف يضحك، وعجبتُ لمن يرى الدُّنيا وتصرُّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمَئنُّ إليها»[5].

وفي الكنز روايات أُخر بزيادة ونقصان[6].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله ليحفظ ولد المؤمن لأبيه إلى ألف سنة[7] وإنّ الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمائة سنة[8].

وعنه عليه السلام: إنّ الله ليصلح بصلاح الرّجل المؤمن ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص٥٨، ح٦٦، باب فضل اليقين.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٣٨، ح٦٦. ٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٣٨ ـ ٣٣٩، ح٦٧.

٤ ـ معاني الأخبار: ص ٢٠٠، ح ١، باب معنى الكنز الذي كان تحت جدار الغلامين اليتيمين.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٠، س٥.

٦ ـ قرب الإسناد: ص٣٧٥، ح١٣٣٠، والخصال: ص٢٣٦، ح٧٩، وتفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٣٧، ح٦٢ و ٦٤.

٧ ـ وفي العلل: عنه عليه السلام سبعون أب وفي مجمع البيان عنه عليه السلام سبعة آباء، منه رحمه الله. أُنظر مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص٤٨٨، س١٩.

٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٩، ح ٧٠.

ودويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله، ثم ذكر الغلامين وقال: ألم تر أنّ الله شكر صلاح أبويهما لهما[١].

وفي العوالي: عنه عليه السلام لمّا أقام العالم الجدار أوحى الله إلى موسى عليه السلام إنّي مجازي الأبناء بسعي الآباء إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، لا تزنوا فتزني نساؤكم، من وطأ فراش إمرءٍ مسلم وطئ فراشه، كما تدين تدان[٢][٣].

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾: وما فعلت ما رأيته.

﴿عَنْ أَمْرِى﴾: عن رأيي وإنّما فعلته بأمر الله عزّوجلّ، في العلل: عن الصّادق عليه السلام في قوله: «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا» فنسب الإرادة في هذا الفعل إلى نفسه لعلّه ذكر التعييب لأنّه أراد أن يعيبها عند الملك إذا شاهدها فلا يغصب المساكين عليها وأراد الله عزّ وجلّ صلاحهم بما أمره به من ذلك، وقال: في قوله: «فَخَشَيْنَا أَنْ يُرهِقَهُمَا» إنّما إشترك في الأنانيّة، لأنّه خشى والله لا يخشى لأنّه لا يفوته شيء، ولا يمتنع عليه أمر أراده، وإنّما خشى الخضر من أن يحال بينه وبين ما أُمر به فلا يدرك ثواب الإمضاء فيه، ووقع في نفسه أنّ الله جعله سبباً لرحمة أبوي الغلام فعمل فيه وسط الأمر من البشريّة مثل ما كان عمل في موسى عليه السلام لأنّه صار في الوقت مخبراً وكليم الله موسى مخبراً ولم يكن ذلك بإستحقاق الخضر الرتبة على موسى عليه السلام وهو أفضل من الخضر بل كان لإستحقاق موسى للتّبيين، وقال: في قوله: «فَأَرَادَ رَبُّكَ» فتبرّأ من الأنانيّة في آخر القصص ونسب الإرادة كلّها إلى الله تعالى ذكره في ذلك لأنّه لم يكن بقي شيء ممّا فعله فيخبر به بعد ويصير موسى به مخبراً ومصغياً إلى كلامه تابعاً له فتجردّ عن الأنانيّة[٤] والإرادة تجرّد العبد المخلص، ثمّ صار متنصّلاً[٥] ممّا أتاه من نسبة الأنانيّة في أوّل القصّة ومن

---

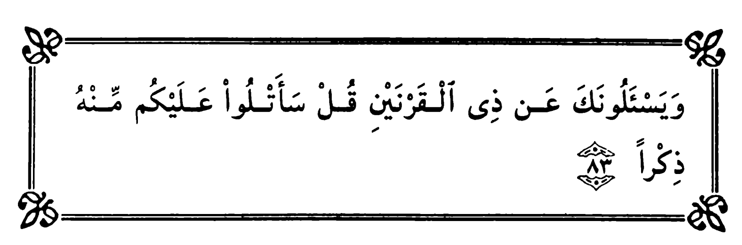
١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٧، ح ٦٣.

٢ ـ عوالي اللئالي: ج ٣، ص ٥٤٧، ح ١٠، باب الحدود.

٣ ـ وفي رواية: وإن كان أهله أهل سوء. منه رحمه الله. راجع تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٩، ح ٦٨.

٤ ـ وفي نسخة: [من الأنانيّة] كما في المصدر.

٥ ـ نصل الشيء من موضعه: خرج منه، ومنه يقال: تنصّل فلان من ذنبه: أي خرج من ذنبه. المصباح المنير: ص ٦٠٩، مادة «نصل».



إدّعائه[١] الإشتراك في ثاني القصّة فقال: «رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى»[٢].

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾: أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفاً.

قيل: ومن فوائد هذه القصّة أن لا يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه فلعلّ فيه سرّاً لا يعرفه، وأن يداوم على التعلّم، ويتذلّل للمعلّم، ويراعي الأدب في المقال، وأن ينبّه المجرم على جرمه، ويعفو عنه حتّى يتحقّق أصراره، ثمّ يهاجر عنه[٣].

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً﴾: في قرب الإسناد: عن الكاظم عليه السّلام إنّ نفراً من اليهود أتوا النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقالوا لأبي الحسن عليه السلام جدّي: إستاذن لنا على إبن عمّك نسأله، قال: فدخل عليّ عليه السلام فأعلمه فقال: ما يُريدون منّي فإنّي عبد من عبيد الله لا أعلم إلّا ما علّمني ربّي؟ ثم قال: إئذن لهم فدخلوا، فقال: أتسألونّي عمّا جئتم له أم أُنبّئكم؟ قالوا: نبّئنا، قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، قالوا: نعم قال: كان غلاماً من أهل الرّوم، ثم ملك وأتى مطلع الشمس ومغربها، ثمّ بنى السدّ فيها، قالوا: نشهد أنّ هذا كذا وكذا[٤].

والقمّي: لمّا أخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله بخبر موسى عليه السلام وفتاه والخضر، قالوا: فاخبرنا عن طائف طاف المشرق والمغرب من هو وما قصّته؟ فأنزل الله الآية[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه سئل عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟ فقال: لا نبيّاً ولا ملكاً، بل عبد أحبّ الله فأحبّه ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن

---

١ ـ وفي نسخة: [إدعاء] كما في المصدر.

٢ ـ علل الشرائع: ص٦٢، قطعة من ح١، باب ٥٤ ـ العلة التي من أجلها سمي الخضر خضراً وعلل....

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٣، س١٤.

٤ ـ قرب الإسناد: ص٣٢١ ـ ٣٢٢، قطعة من ح١٢٢٨، والحديث طويل جداً.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٠، س١٣.

فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثمّ بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم ما شاء الله، ثمّ بعثه الثالثة فمكنّ الله له في الأرض، وفيكم مثله يعني نفسه[١].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّ ذا القرنين بعثه الله إلى قومه فضُرب على قرنه الأيمن فأماته الله خمسمائة عام، ثمّ بعثه الله إليهم بعد ذلك فضرب على قرنه الأيسر فأماته الله خمسمائة عام، ثمّ بعثه إليهم بعد ذلك فملكه مشارق الأرض ومغاربها من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب، وهو قوله: «حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ» الآية[٢].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً ولا رسولاً، كان عبداً أحبّ الله فأحبّه، وناصح لله فنصحه، دعا قومه فضربوه على أحد قرنيه فقتلوه، ثمّ بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر فقتلوه[٣].

وفي رواية أُخرى: أنه سئل عنه عليه السلام أملكاً كان أم نبيّاً؟ وعن قرنيه أذهباً كان أم فضّة؟ فقال: إنّه لم يكن نبيّاً ولا ملكاً، ولم يكن قرناه ذهباً ولا فضّة، ولكنّه الحديث كما ذكر[٤].

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام إنّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً ولكنّه كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه، ونصح لله فنصحه الله، وإنّما سمّي ذا القرنين لأنّه دعا قومه فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً، ثمّ عاد إليهم فضرب على قرنه الآخر، وفيكم مثله[٥].

والعيّاشي: ما يقرب منه[٦].

وعنه عليه السلام: إنّ الله لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلّا أربعة بعد نوح أوّلهم ذو القرنين، وإسمه: عياش، وداود، وسليمان، ويُوسف، فأمّا عياش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأمّا داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر، وكذلك كان ملك سليمان عليه السلام، وأمّا يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها[٧].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١، س ٤. وفيه: «ثم بعثه ثالثة».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٠، س ١٨.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٤٠، ح ٧٣.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٩، ح ٧١.

٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٩٤، ح ٤، باب ما روي من حديث ذي القرنين.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠، ح ٧٢.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٤٠، ح ٧٥.

وفي الخصال: مرفوعاً ملك الأرض كلّها أربعة: مؤمنان وكافران، فأمّا المؤمنان: فسليمان بن داود، وذو القرنين، وأمّا الكافران: فنمرود، وبخت النّصر، وإسم ذي القرنين عبدالله ابن ضحّاك[١].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه سئل عن ذي القرنين، فقال: كان عبداً صالحاً وإسمه عياش، إختاره الله وابتعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المغرب، وذلك بعد طوفان نوح عليه السلام فضربوه على قرن رأسه الأيمن فمات منها، ثم أحياه الله بعد مأة عام، ثمّ بعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المشرق فكذّبوه وضربوه ضربة على قرن رأسه الأيسر فمات منها، ثمّ أحياه الله بعد مأة عام وعوّضه من الضربتين الّلتين على رأسه قرنين في موضع الضّربتين أجوفين، وجعل عز ملكه وآية نبوّته في قرنية ثم رفعه الله إلى السماء الدنيا فكشط[٢] له عن الأرض كلّها جبالها وسهولها وفجاجها حتّى أبصر ما بين المشرق والمغرب، وأتاه الله من كلّ شيء فعرف به الحق والباطل، وأيّده في قرنيه بكسف[٣] من السّماء فيه ظلمات ورعد وبرق، ثم أُهبط إلى الأرض وأوحى إليه أن سر في ناحية غربي الأرض وشرقيها فقد طويت لك البلاد وذلّلت لك العباد فأرهبتهم منك، فسار إلى ناحية المغرب، فكان إذا مرّ بقرية يزأر فيها كما يزأر الأسد المغضب فينبعث من قرنه ظلمات فيه رعد وبرق وصواعق تهلك من ناواه وخالفه فلم يبلغ مغرب الشّمس حتّى دان له أهل المشرق والمغرب، قال: وذلك قول الله: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ» الآية[٤].

وعن الباقر عليه السلام: إنّ ذا القرنين خُيّر بين السّحاب الصّعب والسحاب الذّلول، فاختار الذّلول فركب الذّلول فكان إذا إنتهى إلى قوم كان رسُول نفسه إليهم لكيلا يكذّب الرّسل[٥].

---

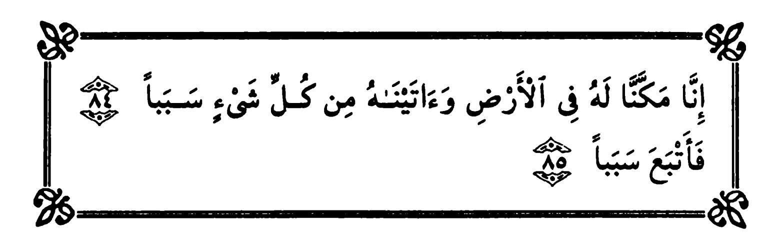
١ ـ الخصال: ص٢٥٥، ح ١٣٠، باب ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران.

٢ ـ الكشط: الكشف «وإذا السماء كشطت» أي كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة. مجمع البحرين: ج٤، ص ٢٧٠ مادة «كشط».

٣ ـ كِسْف السحاب وكِسَفه: قِطَعَهُ، وقيل: إذا كانت عريضة فهي كِسْف. لسان العرب: ج١٢، ص٩٦، مادة «كسف».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٤١ ـ ٣٤٢، ح٧٩.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠، ح٧٢.



وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه سئل عن ذي القرنين فقال: سخّر له السّحاب، وقربت له الأسباب، وبسط له في النّور، فقيل له: كيف بسط له في النّور؟ فقال: كان يضيء بالليل كما يضيء بالنّهار[1].

وفي الإكمال[2]، والخرائج: عنه عليه السلام إنّه سئل عن ذي القرنين كيف إستطاع أن يبلغ المشرق والمغرب، فقال: سخّر الله له السحاب، ويسّر له الأسباب وبسط له النّور، وكان اللّيل والنّهار عليه سواء، وزاد في الخرائج أنّه رأى في المنام كأنّه دنا من الشمس حتّى أخذ بقرنها في شرقها وغربها فلمّا قصّ رؤياه على قومه وعرّفهم سمّوه ذا القرنين فدعاهم إلى الله فأسلموا الحديث[3].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: أراده وتوجّه إليه[4].

﴿سَبَبًا﴾: قيل: وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة[5].

والقمّي: عن أمير المؤمنين عليه السلام أي دليلاً[6].

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي فأراد بلوغ المغرب «فَأَتْبَعَ سَبَبًا» يوصله اليه، وقرئ بقطع الهمزة مخفّفة التّاء.

١ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٤١، ح ٧٨.

٢ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٩٣، ح ٢، باب ماروي من حديث ذي القرنين.

٣ـ الخرائج والجرائح: ج ٣، ص ١١٧٤، ح ٦٨، باب العلامات الكائنة قبل خروج المهدي عليه السلام ومعه، وفيه: «فلمّاقصّ رؤياه على قومه عزّ فيهم وسمّوه ذا القرنين» وهذا هو الأصح.

٤ـ أي الذي أراده وتوجه إليه.

٥ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٣، س ٢٢.

٦ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٠، س ١٠.

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴿٨٦﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذات حمأة وهي الطين الأسود، وقرئ حامية أي حارّة، ويحتمل أن تكون جامعة للوصفين.

قيل: لعلّه بلغ ساحل بحر المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال: «وَجَدَهَا تَغْرُبُ» ولم يقل كانت تغرب[١].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في عين حامية في بحر دون المدينة الّتي تلي ممّا يلي المغرب يعني جابلقا[٢][٣].

وعنه عليه السلام: لمّا انتهى مع الشمّس إلى العين الحامية وجدها تغرب فيها ومعها سبعون ألف ملك يجرّونها بسلاسل الحديد والكلاليب يجرّونها من قعر البحر في قطر الأرض الأيمن كما تجري السّفينة على ظهر الماء[٤].

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: عند تلك العين.

﴿قَوْماً﴾: ناساً كفرة.

﴿قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾: أي بالقتل على كفرهم.

﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾: بإرشادهم وتعليمهم الشرائع.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٤، س٣.

٢ ـ جابلق: مدينة بالمشرق. القاموس المحيط: ج٣، ص٢١٧، مادة «جبق»، وفي لسان العرب: ج٢، ص١٧١، جابَلَق وجابَلَص: مدينتان إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، ليس وراءهما إنسي، روي عن الحسن بن علي عليهما السلام، أنّه ذكر حديثاً ذكر فيه هاتين المدينتين.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٥٠، ح٨٣.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٤٢، قطعة من ح٧٩.

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً ﴿٩٠﴾

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: أي أدعوهم إلى الإيمان أوّلاً، فأمّا من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره.

﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: بعذاب الدنيا.

﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾: في مرجعه.

﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً﴾: عذاباً منكراً لم يعهد مثله في الآخرة، القمّي: عن الصّادق عليه السلام أي في النّار(١).

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾: جزاء فعلته، وقرئ جزاءً منوّناً منصوباً أي فله المثوبة الحسنى جزاء.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾: ممّا نأمر به من الخراج وغيره.

﴿يُسْراً﴾: سهلاً ميّسراً غير شاقّ.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾: ثمّ أتبع طريقاً يوصله إلى المشرق.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: قيل: يعني الموضع الّذي تطلع الشمس عليه أولاً من معمورة الأرض(٢).

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١، س ١.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٤، س ١٦.

كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً﴾: في المجمع[1]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام لم يعلموا صنعة البيوت[2].

والقمّي: قال: لم يعلموا صنعة الثياب[3].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه ورد على قوم قد أحرقتهم الشمس وغيّرت أجسادهم وألوانهم حتّى صيّرتهم كالظّلمة[4].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي أمره كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك أو أمره فيه كأمره في أهل المغرب.

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً﴾: من الجنود، والآيات، والعدد، والأسباب، فإنّها مع كثرتها لا يحيط بها إلّا علم اللّطيف الخبير.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾: يعني طريقاً ثالثا معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشّمال، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام سبباً في ناحية الظّلمة[5].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: بين الجبلين المبنيّ بينهما سدّة، وقرئ بضمّ السّين.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾: لغرابة لغتهم وقلّة فطنتهم، وقرئ بضم الياء وكسر القاف أي لا يفهمون السّامع كلامهم ولا يبينونه لتعلثمهم فيه[6].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٩١، س١٦. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٥٠، ح٨٤.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤١، س٩.

٤ و ٥ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٤٢، قطعة من ح٧٩، س٢٠ و٢٢.

٦ ـ تَلَعْثَمَ الرجُل في الأمر: إذا تمكّث فيه وتأنّى. مجمع البحرين: ج٦، ص١٦٢، مادة «لعثم».

قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴿٩٥﴾

﴿قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: وقرئ بالهمزة، قيل: هما قبيلتان من ولد يافث بن نوح[١].

وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل[٢].

وفي العلل: عن الهادي عليه السلام جميع الترك والسّقالب ويأجوج ومأجوج والصّين من يافث حيث كانوا[٣].

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزّروع.

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج خلف هذين الجبلين وهم يفسدون في الأرض إذا كان أبان زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السّدين فرعوا في ثمارنا وفي زروعنا حتّى لا يبقون منها شيئاً[٤].

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾: قال: أي مالاً نؤديه إليك في كلّ عام، وقرئ خراجاً.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾: يحجز دون خروجهم علينا، وقرئ بضمّ السّين.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: ما جعلني فيه مكيناً من المال والملك خير ممّا

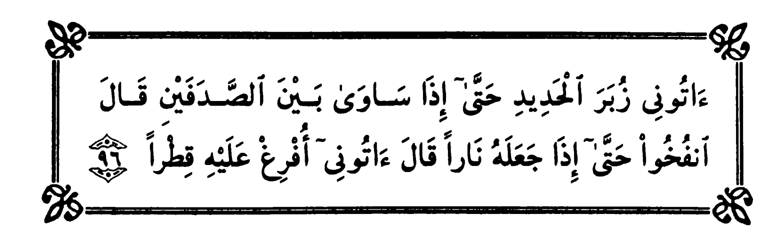
---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٥، س٦.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٥، ص٦ و ٧.

٣ ـ علل الشرائع: ص٣٢، ح١، باب ٢٨ ـ العلة التي من أجلها صار في النّاس السودان والترك والسقالبة ويأجوج ومأجوج.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٤٣، قطعة من ح٧٩، س١.



تبذلون لي من الخراج، ولا حاجة بي إليه، وقرئ مكنني بالنّونين.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بقوّة فعلة أو بما أتقوّى به من الآلات.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾: حاجزاً حصيناً وهو أكبر من السّدّ.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: قطعه، والزّبرة: القطعة الكبيرة.

قيل: هو لا ينافي ردّ الخراج والإقتصار على المعونة لأنّ الإيتاء بمعنى المناولة[1].

وقرئ إئتوني بكسر الهمزة بمعنى جيؤني بها بحذف الياء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾: بين جانبي الجبلين بتنضيدها، وقرئ بضمّتين، وبضمّ الصاد وسكون الدّال.

﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾: أي قال: للعملة إنفخوا في الأكوار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً﴾: كالنّار بالإحماء.

﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾: أي آتوني قطراً أفرغه عليه أي نحاساً، وقرئ إئتوني، القمّي: فأمرهم أن يأتوه بالحديد فوضعه بين الصّدفين يعني بين الجبلين حتّى سوّى بينهما، ثم أمرهم أن يأتوا بالنّار فأتوا بها فنفخوا تحت الحديد حتّى صار الحديد مثل النّار، ثمّ صبّ عليه القطر وهو الصّفر حتّى سدّه[2].

وعن الصّادق عليه السلام: في حديث فجعل ذو القرنين بينهم باباً من نحاس وحديد وزفت وقطران[3] فحال بينهم وبين الخروج[4].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١.

٣ ـ القطران ـ بفتح القاف وكسر الطاء ـ: الذي يطلى به الإبل التي فيها الجرب فيحرق بحدّته وحرارته الجرب مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٦٠، مادة «قطر». ٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١.

فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقّاً ﴿٩٨﴾

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام فإحتفروا له جبل حديد فقلعوا له أمثال اللّبن فطرح بعضه على بعض فيما بين الصّدفين وكان ذو القرنين هو أوّل من بني ردماً على وجه الأرض، ثمّ جعل عليه الحطب وألهب فيه النّار، ووضع عليه المنافيخ فنفخوا عليه، قال: فلمّا ذاب قال: إئتوني بقطر فإحتفروا له جبلاً من مسّ فطرحوه على الحديد فذاب معه وإختلط به[1].

﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾: أي فما إستطاعوا بحذف التّاء، قال: يعني يأجوج ومأجوج.

﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه بالصّعود لإرتفاعه وإملاسه.

﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً﴾: لثخنه وصلابته.

﴿قَالَ هَـٰذَا﴾: هذا السّدّ أو الإقتدار على تسويته.

﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾: على عباده[2].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾: بقيام السّاعة.

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾: مدكوكاً مبسوطاً مسّوىً بالأرض، وقرئ دكّاء بالمدّأي أرضاً مستوية.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٤٣، قطعة من ح ٧٩، س ٥.

٢ ـ آخر حكاية ذي القرنين وقصته. القمّي: لمّا أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف، وخبر خضر، وموسى، وخبر ذي القرنين، قالوا له: قد بقيت مسألة واحدة: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هي؟ قالوا: متى تقوم الساعة؟ فأنزل الله تعالى «يسئلونك عن الساعة أيّان مُرسَها قل إنّما علمها عند رَبّي لا يجلّيها لوقتها إلّا هو» الآية وهذا كان سبب نزول سورة الكهف، وهذه الآية «يُسْئَلونك عَنِ السَّاعَة أيّان مُرسٰها» في سورة الأعراف، وكان الواجب أن تكون في هذه السورة. منه رحمه الله. راجع تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٥، س ١٧، والآية تكون في سورة الأعراف: ١٨٧.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: كائناً لا محالة، القمّي: إذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزّمان إنهدم ذلك السّدّ وخرج يأجوج ومأجوج إلى الدّنيا وأكلوا النّاس، وهو قوله: «حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدْبٍ[١] يَنسِلُونَ»[٢][٣][٤].

وعن الصّادق عليه السلام: ليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه ألف ولد ذكر، ثمّ قال: هم أكثر خلق خلقوا بعد الملائكة[٥].

وفي الخصال: عنه عليه السلام الدّنيا سبعة أقاليم يأجوج، ومأجوج، والرّوم، والصّين، والزّنج، وقوم موسى عليه السلام، وإقليم بابل[٦].

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه عدّ من الآيات الّتي تكون قبل السّاعة: خروج يأجوج ومأجوج[٧].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أُمّة ومأجوج أُمّة، وكلّ أُمّة أربعمأة أُمّة لا يموت الرّجل منهم حتّى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السّلاح قيل: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز قيل: يا رسول الله وما الأرز؟ قال: شجر بالشّام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء، وهؤلاء الّذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أُذنيه ويلتحف بالأُخرى، ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلّا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشّام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبريّة[٨].

وفيه: وجاء في الحديث إنّهم يدأبون في حفره نهارهم حتّى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشّمس قالوا نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد إستوى كما كان

---

١ ـ الحَدَبْ ـ بالتحريك ـ: المرتفع من الأرض، ومعناه يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٦ مادة «حدب».

٢ ـ نَسَلَ في مشيه ـ ينسل نسلاناً ـ: أسرع: المصباح المنير: ص ٦٠٤، مادة «نسل».

٣ ـ الأنبياء: ٩٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١، س ١٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١، س ٣.

٦ ـ الخصال: ص ٣٥٧، ح ٤٠، باب الدنيا سبعة أقاليم.

٧ ـ الخصال: ص ٤٤٩، ح ٥٢، باب آيات الساعة عشر، وص ٤٤٦ ـ ٤٤٧، ح ٤٦، باب عشر آيات بين يدي الساعة.

٨ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٩٤، س ١٦.

حتّى إذا جاء وعد الله قالوا غداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيحفرونه فيخرجون على النّاس فيسقون المياه ويتحصّن النّاس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السّماء فترجع، وفيها كهيئة الدّماء فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السّماء فيبعث الله عليهم بقفا[١] في أقفائهم فتدخل في أذانهم فيهلكون بها[٢].

قال النّبي صلى الله عليه وآله: والّذي نفس محمدّ بيده إنّ دوابّ الأرض لتسمن، وتسكر[٣] من لحومهم سكراً[٤].

وفي الأمالي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن يأجوج ومأجوج فقال: إنّ القوم لينقرون بمعاولهم دائبين فإذا كان اللّيل قالوا غداً نفرغ فيصبحون وهو أقوى منه بالأمس حتّى يسلم منهم رجل حين يريد الله أن يبلغ أمره فيقول المؤمن: غداً نفتحه إن شاء الله فيصبحون، ثمّ يغدون عليه فيفتحه الله فو الّذي نفسي بيده ليمرّنّ الرّجل منهم على شاطيء الوادي الّذي بكوفان وقد شربوه حتى نزحوه.

قيل: يا رسول الله ومتى هذا؟ قال: حين لا يبقى من الدّنيا إلّا مثل صبابة الإناء[٥].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في قوله عزّوجلّ: «أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً» قال: التقيّة «فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً» قال: إذا عملت بالتقيّة لم يقدروا لك على حيلة وهو الحصن الحصين وصار بينك وبين أعداء الله سدّاً لا يستطيعون له نقباً «فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ

---

١ ـ البقق: جمع بق، وإن كان بالنون فجمع نق: وهو العقرب والضفادع. منه رحمه الله. وفي مجمع البحرين: ج٥، ص٢٤١ نق الضفدع والدجاجة إذا صدّت. فيمكن أن يكون مراده رحمه الله مما أفاده أي صوت العقرب والضفادع. لا نفس العقرب والضفادع.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٩٥، س١٥، وفيه «متّى تركوه بالأمس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه» وهذا هو الأصح. وهكذا جاء في المصدر: «فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم» والنغف ـ بالتحريك ـ دود يكون في أُنوف الإبل، والغنم، واحدتها: نغفة مجمع البحرين: ج٥، ص١٢٦، مادة «نغف» وهذه العبارة أوضح معناً مما ذكره رحمه الله.

٣ ـ تسكر من لحومهم: أي تشتدّ وتتقوّى الدواب من لحومهم.

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٩٥، س١٩.

٥ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٤٦، ح٧١٣/٥٣. المجلس الثاني عشر.

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعاً ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضاً ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴿١٠١﴾

رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّآءَ» قال: رفع التقيّة عند الكشف فأنتقم من أعداء الله[1].

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾:[2] يختلطون مزدحمين حيارى، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني يوم القيامة[3].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: لقيام السّاعة.

﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعاً﴾: للحساب والجزاء.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضاً﴾: وأبرزناها لهم فشاهدوها.

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾: عن آياتي والتفكّر فيها.

﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾: أي وكانوا صمّاً عنه، القمّي: كانوا لا ينظرون إلى ما خلق الله من الآيات والسّماوات والأرض[4].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل أتستطيع النّفس المعرفة؟ فقال: لا، قيل: يقول الله: «ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَنْ ذِكْرِي» قال: هو كقوله: «مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ»[5] قيل: فعابهم؟ قال: لم يعبهم بما صنع هو بهم، ولكن عابهم بما صنعوا،

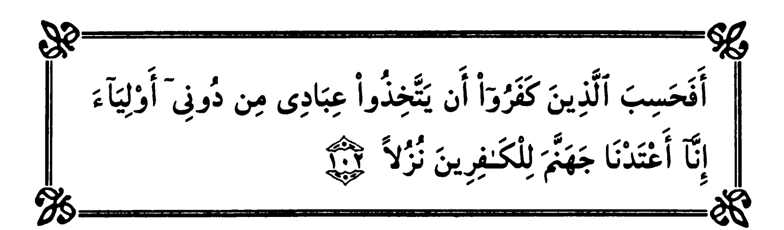
---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٥١، ح ٨٦.

٢ ـ أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم إنقضاء أمر السدّ يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم، ويكون حالهم كحال الماء الذي يتموج بإضطراب أمواجه، وقيل: إنّه أراد سائر الخلق من الجن والإنس، أي وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة. منه رحمه الله.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٥١، ح ٨٧. ٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٦، س ٢.

٥ ـ هود: ٢٠.



ولو لم يتكلّفوا لم يكن عليهم شيء[1].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام إنّ غطاء العين لا يمنع من الذّكر، والذّكر لا يرى بـالعين، ولكنّ الله عزّوجلّ شبّه الكافرين بولاية عـليّ بـن أبي طـالب عليه السلام بـالعميان لأنّهـم كـانوا يستثقلون قول النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه ولا يستطيعون له سمعاً[2].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: يعني بالذّكر: ولاية أمير المـؤمنين عليه السلام، قال: كانوا لا يستطيعون إذا ذكر عليّ عليه السلام عندهم أن يسمعوا ذكره لشدّة بغض له وعداوة منهم له ولأهل بيته[3].

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: فظنّوا، والإستفهام للإنكار.

﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾: قيل: يعني إتّخاذهم الملائكة والمسيح معبودين يُنجيانهم من عذابي فحذف المفعول الثاني للقرينة[4].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قرأ «أفحسْبُ» برفع الباء وسكون السّين[5][6].

فيكون معناه افكافيهم في النجاة.

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: يعينهما وأشياعهما الّذين إتّخذوهما من دون الله أولياء

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٥١ ـ ٣٥٢، ح ٨٨.

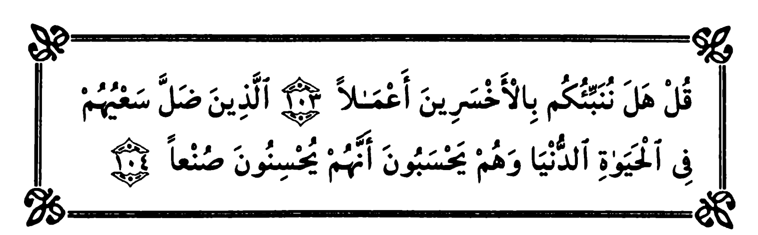
٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣٦ ذيل ح ٣٣، باب ١١ ـ ما جاء عن الرّضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التوحيد (٣).

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٧، س ١٤.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦، س ١٨.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

٦ ـ قال في المجمع: وهذا من الأحرف التي إختارها أبوبكر وخالف عاصماً وفيها وذكر أنّه أدخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتّى إستخلص قراءته. منه رحمه الله. راجع مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٩٦.



وكانوا يرون أنّهم بحبّهم إيّاهما أنّهما ينجيانهم من عذاب الله عزّوجلّ، وكانوا بحبّهما كافرين[1].

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلاً﴾: قال: مأوىً ومنزلاً فهي لهما ولأشياعهما معدّة عند الله تعالى.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ضاع وبطل لكفرهم.

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾: لعجبهم وإعتقادهم أنّهم على الحقّ.

القمّي: نزلت في اليهود، وجرت في الخوارج[2].

وعن الباقر عليه السلام: هم النّصارى والقسّيسون، والرّهبان، وأهل الشبهات، والأهواء من أهل القبلة، والحرورية[3] وأهل البدع[4].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية، فقال: كفرة أهل الكتاب اليهود والنّصارى وقد كانوا على الحقّ فابتدعوا في أديانهم «وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»، ثمّ قال: وما أهل النّهروان منهم ببعيد[5]. والعيّاشي: عنه عليه السلام مثله[6].

وفي الجوامع: عنه عليه السلام هي كقوله: «عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ»[7] وقال: منهم أهل حروری[8].

١ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٧.
٢ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٦.
٣ـ حروري: يقصّر ويمد: إسم قرية بقرب الكوفة نسب إليها الحروريّة بفتح الحاء وضمّها وهم الخوارج كان أوّل مجتمعهم فيها تعمقوا في الدين حتى مرقوا منه فهم المارقون مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٦٥، مادة «حرر».
٤ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٦، س ٦.
٥ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٨، س ٧، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام وأجوبته مسائل إبن الكوا.
٦ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٨٩.
٧ـ الغاشية: ٣.
٨ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٨٢.

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾: بكفرهم فلا يثابون عليها.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾: فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقداراً وإعتباراً أولا نضع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لإنحباطها.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أهل الموقف وأحوالهم، ومنهم أئمّة الكفر، وقادة الضّلالة، فأولئك لانقيم لهم يوم القيامة وزناً ولا يعبؤ بهم لأنّهم لم يعبؤوا بأمره ونهيه ويوم القيامة فهم «فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ»[1][2].

وفي المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه ليأتى الرّجل السّمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة[3].

والقمّي: وزناً قال أي حسنة[4].

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾: قال: يعني الأوصياء الآيات الّتي إتّخذوها هزواً.

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام فيما كتبه للمأمون ويجب البرائة من أهل الإستيثار ومن أبي موسى الأشعري، وأهل ولايته «ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ» بولاية أمير المؤمنين عليه السلام «ولقائه» كفروا بأن لقوا الله بغير إمامته «فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا» فهم كلاب أهل النّار[5].

---

١ ـ المؤمنون: ١٠٣ ـ ١٠٤.

٢ ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٦٤، س٤، إحتجاجه عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٩٧، س١٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٦، س١٠.

٥ ـ عيون أخبار الرّضا: ج٢، ص١٢٦، ح١، باب ٣٥ ـ ما كتبه الرّضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴿١٠٩﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾: في المجمع: عن النّبيّ ﷺ الجنّة مائة درجة ما بين كلّ درجتين كما بين السّماء والأرض، الفردوس: أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنّة فإذا سألتم الله فسألوا الفردوس[١].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام هذه نزلت في أبي ذر، والمقداد، وسلمان الفارسي، وعمّار بن ياسر، جعل الله عزّوجلّ لهم «جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً» أي مأوىً ومنزلاً[٢].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: قال: لا يخرجون منها.

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾: قال: لا يريدون بها بدلاً.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾[٣]: وقرئ بالياء.

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾: قال: إنّ كلام الله عزّوجلّ ليس له آخر ولا غاية ولا ينقطع أبداً، وقرئ «مِدادا» بكسر الميم جمع مدّة وهي ما يستمدّ به الكاتب.

قيل في سبب نزولها: ما مرّ في سورة بني إسرائيل عند قوله تعالى: «وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً»[٤].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٩٨، س٢٥. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٦، س٢٠.

٣ ـ قيل: أُريد بالكلمات: كلمات علمه وحكمته، وبالبحر: الجنس. منه رحمه الله. راجع أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٧.

٤ ـ الإسراء: ٨٥.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَا ﴿١١٠﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: قال: يعني في الخلق أنّه مثلهم مخلوق.

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: في الإحتجاج[1]، وتفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة قال عليه السلام: في هذه الآية يعني قل لهم: أنا في البشريّة مثلكم، ولكن ربّي خصّني بالنبّوة دونكم كما يخصّ بعض البشر بالغنى والصّحة والجمال دون بعض البشر، فلا تنكروا أن يخصّني أيضاً بالنبوّة[2].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: يؤمن بإنّه مبعوث كذا في التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام[3].

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً﴾: خالصاً لله.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَا﴾: القمّي: فهذا الشّرك شرك رياء[4].

وعن الباقر عليه السلام: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير هذه الآية فقال: من صلّى مرائاة النّاس فهو مشرك، ومن زكّى مرائاة النّاس فهو مشرك، ومن صام مرائاة النّاس فهو مشرك، ومن حجّ مرائاة النّاس فهو مشرك، ومن عمل عملاً ممّا أمره الله عزّوجلّ مرائاة النّاس فهو مشرك، ولا يقبل الله عزّوجلّ عمل مرائي[5].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في هذه الآية الرّجل يعمل شيئاً من الثّواب لا يطلب به وجه الله

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٢٩، إحتجاج النّبيّ صلى الله عليه وآله على جماعة من المشركين.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٥٠٤.

٣ ـ التوحيد: ص ٢٦٧، س ١٢، قطعة من ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧، س ٢.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٧، س ٣.

إنّما يطلب تزكية النّاس يشتهي أن يسمع به النّاس فهذا الّذي أشرك بعبادة ربّه، ثم قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيّام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسرّ شرّاً فذهبت الأيّام حتّى يظهر الله له شرّاً[١].

وعنه عليه السلام: أنّه سئل عن الرّجل يعمل الشيء، من الخير فيراه إنسان فيسّره ذلك، قال: لا بأس ما من أحد إلّا ويحبّ أن يظهر له في النّاس الخير إذا لم يصنع ذلك لذلك[٢].

وعن الرّضا عليه السلام: إنّه كان يتوضّأ للصّلاة فأراد رجل أن يصبّ الماء على يديه فأبى وقرأ هذه الآية، وقال: وها أناذا أتوضّأ للصلاة وهي العبادة فأكره أن يشركني فيها أحدٌ[٣].

أقول: وهذا تفسير آخر للآية ولعلّه تنزيه وذلك تحريم.

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن تفسير هذه الآية، فقال: من صلّى، أو صام أو أعتق أوحجّ يريد محمدة النّاس فقد أشرك في عمله وهو مشرك مغفور[٤].

أقول: يعني أنّه ليس من الشّرك الّذي قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»[٥] وذلك لأنّ المراد بذلك الشّرك الجليّ وهذا هو الشّرك الخفيّ.

وفي المجمع: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال الله عزّوجلّ أنا اغنى الشّركاء عن الشّرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء فهو للّذي أشرك[٦].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ الله يقول: أنا خير شريك من عمل لي ولغيري فهو لمن عمل له[٧].

وعنهما عليهما السلام: لو أنّ عبداً عمل عملاً يطلب به رحمة الله والدّار الآخرة، ثمّ أدخل فيه رضا أحد من النّاس كان مشركاً[٨].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: العمل الصّالح: المعرفة

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص٢٩٣ ـ ٢٩٤، ح٤، باب الرياء.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص٢٩٧، ح١٨، باب الرياء. وفيه «إذا لم يكن صنع ذلك لذلك».

٣ ـ الكافي: ج ٣، ص٦٩، ح١، باب النوادر.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٥٢، ح٩٦.

٥ ـ النساء: ٤٨.

٦ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٤٩٩، س١٨.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٥٣، ح٩٥.

٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص٣٥٣، ح٩٦.

بالأئمّة، «وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا» التّسليم لعلي عليه السلام لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له، ولا هو من أهله[١].

والقمّي: عنه عليه السلام «وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا» قال: لا يتخذ مع ولاية آل محمّد صلوات الله عليهم غيرهم، وولايتهم: العمل الصّالح، من أشرك بعبادة ربّه فقد أشرك بولايتنا وكفر بها وجحد أمير المؤمنين عليه السلام حقّه وولايته[٢].

في الفقيه: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: من قرأ هذه الآية عند منامه «قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ» إلى آخرها سطع له نور من المسجد الحرام حشو ذلك النّور ملائكة يستغفرون له حتّى يصبح[٣].

وفي ثواب الأعمال: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما من عبد يقرأ «قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» إلى آخر السّورة إلّا كان له نور من مضجعه إلى بيت الله الحرام فإن كان من أهل بيت الله الحرام كان له نور إلى بيت المقدس[٤].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام ما من عبد يقرأ آخر الكهف عند النّوم إلّا تيقّظ في السّاعة الّتي يريد[٥].

وعنه عليه السلام: من قرأ سورة الكهف في كلّ ليلة جمعة كانت كفارة ما بين الجمعة إلى الجمعة[٦].

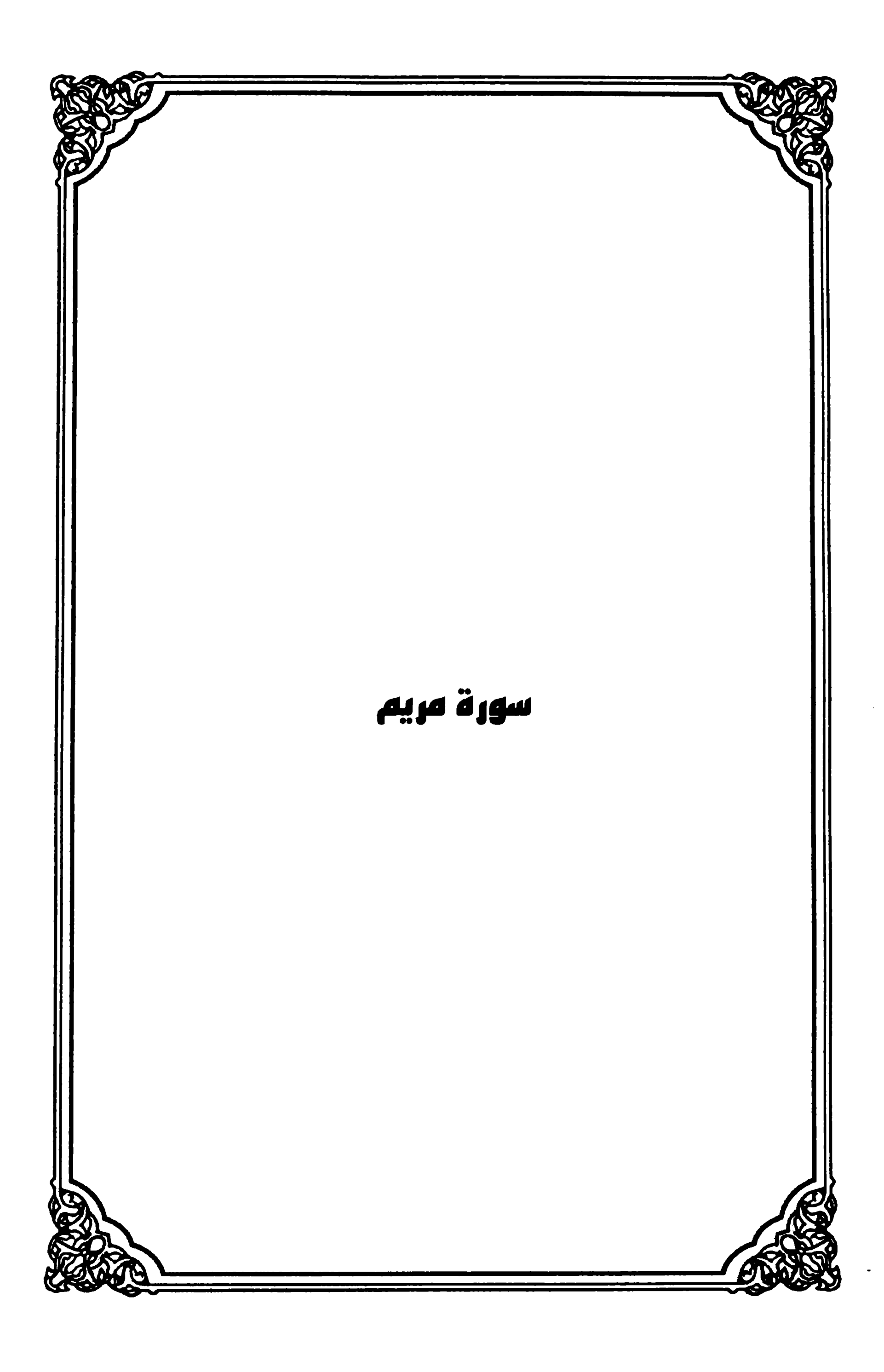
قال وروي فيمن قرأها يوم الجمعة بعد الظّهر والعصر مثل ذلك[٧].

وفي ثواب الأعمال[٨]، والمجمع: عنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف في كلّ ليلة جمعة لم يمت إلّا شهيداً، ويبعثه الله من الشّهداء، ووقف يوم القيامة مع الشّهداء[٩].

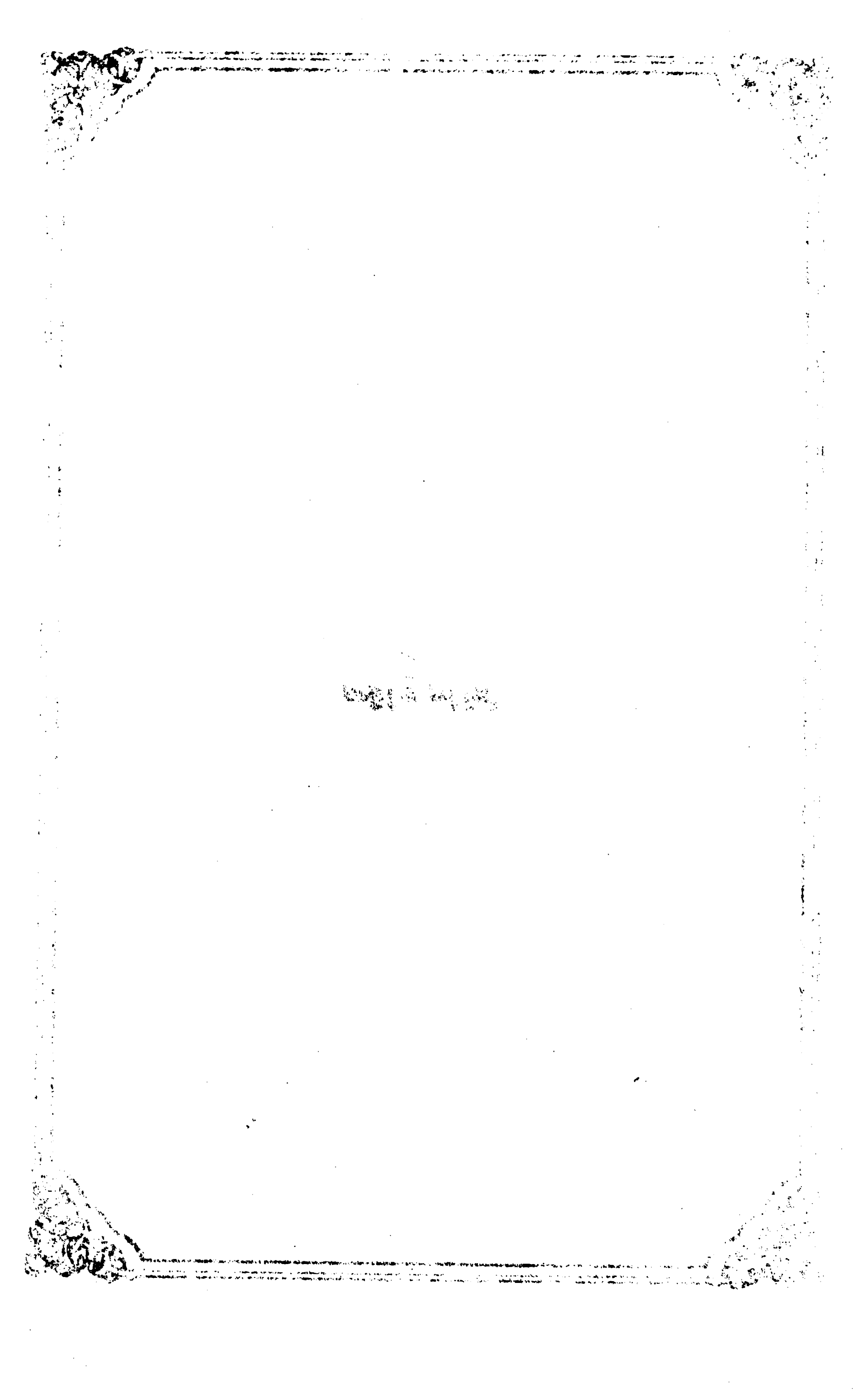
* * *

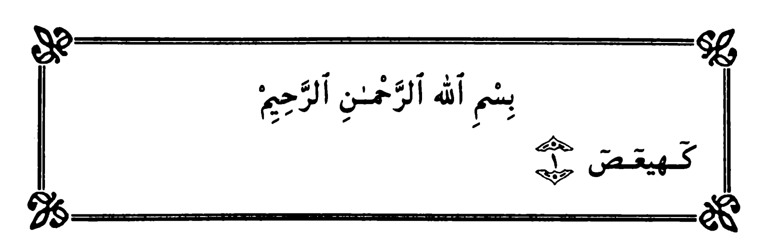
---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٥٣، ح ٩٧. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٧، س ١٢.
٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٧، ح ١٣٥٨/٦، باب ٦٤ ـ ما يقول الرجل إذا آوى إلى فراشه.
٤ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٧، ثواب من قرأ سورة الكهف.
٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٤٠، ح ١٧، باب الدعاء عند النّوم والإنتباه.
٦ و ٧ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٢٩، ح ٧، باب نوادر الجمعة.
٨ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٧ ـ ١٠٨، ح ٢، باب ثواب من قرأ سورة الكهف.
٩ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٤٧، س ٢٦.

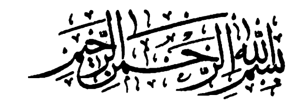


سورة مريم





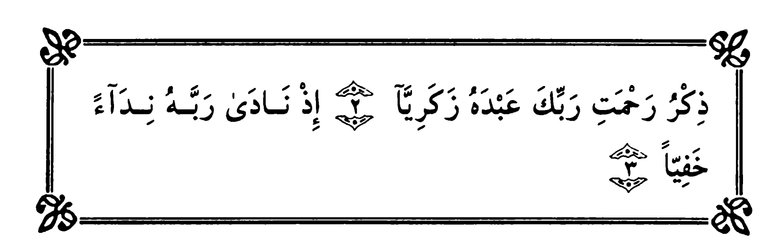
سورة مريم عليها السلام: هي مكيّة بالإجماع عدد آيها ثمان وتسعون آية.



﴿كٓهيعٓصٓ﴾: في الإكمال: عن الحجّة القائم عليه السلام في حديث أنّه سئل عن تأويلها فقال: هذه الحروف من أنباء الغيب اطلع الله عبده زكريّاً عليها، ثم قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فاهبط الله عليه جبرئيل فعلّمه إيّاها فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن عليهم السلام سرى عنه همه وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة[1]،فقال ذات يوم:إلـٰهي مابالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني، وتثور زفرتي؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصّته فقال: كٓهيعٓصٓ «فالكاف» إسم كربلا، «والهاء» هلاك العترة، و«الياء» يزيد لعنه الله، وهو ظالم الحسين عليه السلام، و «العين» عطشه، و «الصّاد» صبره، فلمّا سمع بذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع فيها النّاس من الدّخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته:إلـٰهي أتفجع خيرخلقك بولده؟أتنزل بلوى هذهالرزيّة بفنائه؟ إلـٰهي

---

١ ـ البُهر ـ بالضم ـ: تتابع النفس يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو والمرض الشديد، والبَهْر ـ بالفتح فالسكون ـ: العجب، يقال: بهراً لفلان أي عجباً له. مجمع البحرين: ج٣، ص ٢٣١، مادة «بهر».



أتلبس عليّاً وفاطمة عليهما السلام ثياب هذه المصيبة؟ إلٰهي أتحلّ كرب هذه الفجيعة بساحتهما، ثم كان يقول: إلٰهي اُرزقني ولداً تقرّ به عيني عند الكبر، واجعله وارثاً وصيّاً، واجعل محلّه منّي محلّ الحسين عليه السلام، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثم افجعني به كما تفجع محمّداً صلى الله عليه وآله حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى عليه السلام وفجعه به، وكان حمل يحيى عليه السلام ستّة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك[1].

وفي المناقب: عنه عليه السلام مثله[2].

وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام معناه أنا الكافي الهادي الولي العالم الصّادق الوعد[3].

وعنه عليه السلام: «كاف» كافٍ لشيعتنا، «هاء» هاد لهم، «ياء» وليٌّ لهم، «عين» عالم بأهل طاعتنا، «صاد» صادق لهم وعده حتّى يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم إياها في بطن القرآن[4].

والقمّي: عنه عليه السلام هذه أسماء الله مقطّعة، ثم ذكر قريباً ممّا سبق في المعاني أولاً[5].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في دعائه «يا كٓهيعٓصٓ»[6].

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ﴾: أي هذا ذكر رحمة ربّك. القمّي: عن الباقر عليه السلام ذكر ربّك زكريّا فرحمه[7].

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا﴾: لعلّ ذلك لأنّه أشدّ إخباتاً وأكثر إخلاصاً. في المجمع: في الحديث خير الدّعاء الخفيّ، وخير الرّزق ما يكفي[8].

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤٦١، قطعة من ح٢١، باب من شاهد القائم عليه السلام.

٢ ـ المناقب لابن شهراشوب: ج٤، ص٦، فصل في معجزاته عليه السلام.

٣ ـ معاني الأخبار: ص٢٢، ح١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

٤ ـ معاني الأخبار: ص٢٨، ح٦، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٨، س٥.

٦ ـ مجمع البيان: ٥ ـ ٦، ص٥٠٢، س١٨.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٨، س٨.

٨ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٠٢، س٢٢.

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ﴿٥﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾: القمّي: يقول ضعف[١].

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾: شبّه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النّار وانتشاره في الشعر باشتعالها، في العلل: عن الصّادق عليه السلام كان النّاس لا يشيبون فأبصر إبراهيم عليه السلام شيباً في لحيته، فقال: يا ربّ ما هذا؟ فقال: هذا وقار، فقال: يا ربّ زدني وقاراً[٢].

﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾: بل كلّما دعوتك إستجبت لي، وهو توسّل بما سلف معه من الإستجابة، وتنبيه على أنّ المدعو له إن لم يكن معتاداً فإجابته معتادة، وأنّه تعالى عوّده بالاجابة وأطمعه فيها، ومن حق الكريم أن لا يخيّب من أطمعه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾: بعد موتي أن لا يحسنوا خلافتي على اُمّتي ويبدلوا عليهم دينهم، وقرئ بالقصر وفتح الياء.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام هم العمومة وبنو العمّ[٣].

والقمّي يقول: خفت الورثة من بعدي[٤].

وفي الجوامع: قرأ السّجاد والباقر عليهما السلام «خَفَّتْ» بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء أي قلّوا وعجزوا من إقامة الدين من بعدي[٥].

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِراً﴾: لا تلد.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٨، س٩.

٢ ـ علل الشرائع: ص١٠٤، ح١، باب ٩٥ ـ علّة الشيب وإبتدائه.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٠٢، س٣٠.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٨، س١٠.

٥ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٣٨٧، س١.

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴿٦﴾ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيّاً ﴿٨﴾

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: فإنّ مثله لا يرجى إلّا من فضلك، وكمال قدرتك.

﴿وَلِيّاً﴾: من صلبي.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: وقرئ بالجزم، وفي المجمع: عن السّجاد والباقر عليهما السلام إنّهما قرءا يرثني وأرث من آل يعقوب(١).

﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾: ترضاه قولاً وعملاً، القمّي: لم يكن يومئذ لزكريّا ولد يقوم مقامه، ويرثه، وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأحبار، وكان زكريّا رئيس الأحبار، وكانت إمرأة زكريّا أُخت مريم بنت عمران بن ماثان، ويعقوب بن ماثان، وبنو ماثان، إذ ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم، وهم من ولد سليمان بن داود(٢).

﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾: جواب لندائه، و وعد بإجابة دعائه، وإنّما تولّى تسميته تشريفاً له.

﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾: القمّي: يقول: لم يسم بإسم يحيى أحد قبله(٣).

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيّاً﴾: من عتا الشّيخ يعتو إذا كبر وأسنّ، وأصله عتوّاً، وإنّما إستعجب الولد من شيخ فان، وعجوز عاقر، إعترافاً بأنّ المؤثّر فيه كمال قدرته وإنّ الوسائط عند التّحقيق ملغاة.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص ٥٠٠. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٨، س١١.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٨، س١٦.

قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴿١١﴾

وفي الكافي: عنهم عليهم السلام فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام ونظيرك يحيى من خلقي، وهبته لأُمّه بعد الكبر من غير قوّة بها أردت بذلك أن يظهر لها سُلطاني وتظهر فيك قدرتي[1].

﴿قَالَ﴾: أي الله أو الملك المبشّر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي الأمر كذلك أو هو منصوب بقال في.

﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: وذلك إشارة إلى مبهم يفسّره.

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾: بل كنت معدوماً صرفاً.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: علامة أعلم بها وقوع ما بشّرتني به.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيّاً﴾: سوّي الخلق، ما بك من خرس ولا بكم، وفي سورة آل عمران «ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ»[2].

وفيه دلالة على أنّه تجرّد للذّكر والشكر ثلاثة أيّام بلياليهنّ.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾: من المصلّى أو من الغرفة.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: فأومى إليهم لقوله، «إِلَّا رَمْزاً»[3].

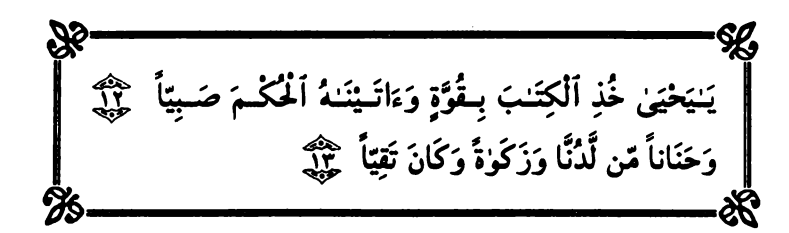
﴿أَن سَبِّحُواْ﴾: صلّوا أو نزّهوا ربّكم.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾: طرفي النّهار، ولعلّه كان مأموراً بأن يسبّح ويأمر قومه بأن يوافقوه.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص١٣٧، ح١٠٣.

٢ و ٣ ـ آل عمران: ٤١.



﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾: على تقدير القول.

﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ وإستظهار بالتوفيق.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام مات زكريّا فورثه إبنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبيّ صغير، ثمّ تلا هذه الآية[1].

وعن الجواد عليه السلام: إنّ الله إحتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبّوة فقال: «وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً»[2].

وفي المجمع: عن الرضا عليه السلام إنّ الصّبيان قالوا ليحيى عليه السلام: إذهب بنا نلعب، فقال: ما للّعب خُلقنا، قال الله تعالى: «وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً»[3].

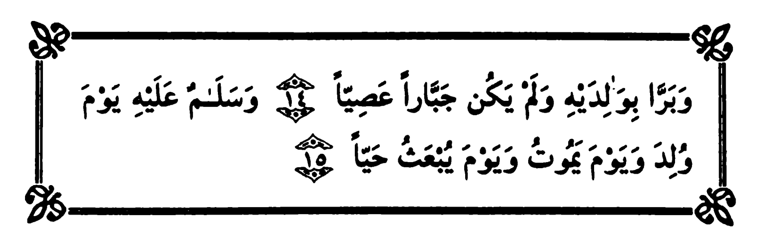
﴿وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا﴾: ورحمة منّا عليه وتعطّفاً، في الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل ما عني بقوله في يحيى: «وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا»؟ قال: تحنّن الله، سئل فما بلغ من تحنّن الله عليه؟ قال: كان إذا قال: ياربّ، قال الله عزّوجلّ له: لبيّك يا يحيى[4].

وفي المجمع: ما في معناه[5].

وفي المحاسن: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية إنّه كان إذا قال في دعائه: يا ربّ يا الله ناداه

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٣٨٢، ح١، باب حالات الأئمّة عليهم السلام في السن.
٢ ـ الكافي: ج١، ص٣٨٤، ح٧، باب حالات الأئمّة عليهم السلام في السن.
٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٠٦، س١٤.
٤ ـ الكافي: ج٢، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥، ح٣٨، باب القول عنه الإصباح والإمساء.
٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٠٦، س١٧.



الله من السّماء: لبيّك يا يحيى سل ما حاجتك؟[١].

﴿وَزَكَوٰةً﴾: وطهارة.

﴿وَكَانَ تَقِيّاً * وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً﴾: في تفسير الإمام عليه السلام: في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: «وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ»[٢] ما ألحق الله صبيّاً برجال كاملي العقول إلّا هؤلاء الأربعة عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريّا، والحسن، والحسين عليهما السلام، ثمّ ذكر قصّتهم وذكر في قصّة يحيى قوله تعالى: «وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً» قال: ومن ذلك الحكم أنّه كانّ صبيّاً، فقال له الصّبيان: هلّم نلعب، قال: والله ما للّعب خُلِقْنا وإنّما خُلِقْنا للجد لأمرٍ عظيم، ثم قال: «وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا» يعني تحننّا ورحمة على والديه، وسائر عبادنا «وَزَكَوٰةً» يعني طهارة لمن آمن به وصدّقه «وَكَانَ تَقِيّاً» يتّقي الشرور والمعاصي «وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ» محسناً إليهما مطيعاً لهما، «وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً» يقتل على الغضب، ويضرب على الغضب، لكنّه ما من عبد لله تعالى إلّا وقد أخطأ أوهمّ بخطيئة ما خلا يحيى بن زكريّا فلم يذنب، ولم يهمّ بذنب[٣].

﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾: من أن يناله الشيّطان بما ينال به بني آدم.

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾: من عذاب القبر.

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾: من هول القيامة وعذاب النّار، في العيون: عن الرّضا عليه السلام إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم ولد ويخرج من بطن أمّه، فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله

---

١ ـ المحاسن: ج١، ص١٠٤، ح٣١/٨٣، باب ٢٥ ثواب من قال يا الله يا ربي.

٢ ـ البقرة: ٢٨٢.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري: ص٦٥٩.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِالرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ﴿١٨﴾

عزّوجلّ على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: وتلا الآية وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: وتلا الآية الآتية[١][٢].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾: في القرآن.

﴿مَرْيَمَ﴾: قصّتها.

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾: إعتزلت.

﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾: القمّي قال: خرجت إلى النخلة اليابسة[٣].

أقول: ويأتي بيانه.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً﴾: ستراً وحاجزاً، القمّي قال: في محرابها[٤].

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: قال: يعني جبرئيل[٥].

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾: قيل: في صورة شاب سوي الخلق[٦].

﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِالرَّحْمَـٰنِ مِنكَ﴾: من غاية عفافها.

﴿إِن كُنتَ تَقِيّاً﴾: تتق الله وتحتفل[٧] بالإستعاذة، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه

---

١ ـ أي: «وَالسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً» مريم: ٣٣.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٥٧، ح١١، باب ٢٦ ـ ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٨ ـ ٤٩. ٤ و ٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٩، س ١ و ٢.

٦ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٣٨٩، وأنوار التنزيل: ج٢، ص٣١. ومجمع البيان، ج٥ ـ ٦، ص٥٠٧ ـ ٥٠٨.

٧ ـ حفل القوم واحتفلوا: أي اجتمعو واحتشدوا، وعنده حفل من الناس أي جمع. الصحاح: ج٤، ص١٦٧٠. ١٦٧١، مادة «حفل».

قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰماً زَكِيّاً ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴿٢٢﴾

ما قبله، أي فلا تتعرض لي وتتّعظ بتعويذي أو متعلّق بأعوذ فيكون مبالغة.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ﴾: الّذي إستعذت به.

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰماً﴾: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدّرع، وقرئ ليهب بالياء.

﴿زَكِيّاً﴾: طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: ولم يباشرني رجل بالحلال فإنّ هذه الكنايات إنّما تطلق فيه.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾: زانية.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ﴾: أي ونفعل ذلك فنجعله أو لنبيّن به قدرتنا ولنجعله.

﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: علامة لهم وبرهاناً على كمال قدرتنا.

﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: على العباد يهتدون بإرشاده.

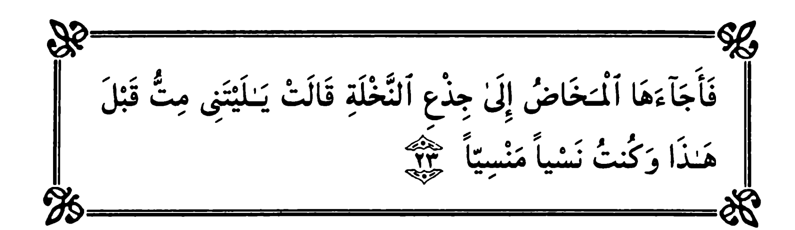
﴿وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾: تعلّق به قضاء الله في الأزل.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: بأن نفخ في جيب مدرعتها[١] فدخلت النفخة في جوفها، القمّي قال: فنفخ في جيبها فحملت بعيسى عليه السلام بالليل فوضعته بالغداة وكان حملها تسع ساعات جعل الله لها الشهور ساعات[٢].

---

١ ـ المدرع والمِدرَعة: واحد، وهو ثوب من صوف يتدرّع به، مجمع البحرين: ج٤، ص٣٢٤، مادة «درع».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٩، س٧.



وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام أنّه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد في الرّحم من ساعته كما يكمل الولد في أرحام النّساء تسعة أشهر فخرجت من المستحمّ[١] وهي حامل مجحّح[٢] مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها، ومضت مريم على وجهها مستحية من خالتها ومن زكريّا[٣].

وعن الصّادق عليه السلام: كانت مدّة حملها تسع ساعات[٤].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّ مريم حملت بعيسى تسع ساعات كلّ ساعة شهر[٥].

أقول: يعني بمنزلة شهر.

﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ﴾: فاعتزلت وهو في بطنها.

﴿مَكَاناً قَصِيّاً﴾: بعيداً من أهلها، في التهذيب: عن السّجاد عليه السلام خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها[٦].

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾: فألجأها المخاض، وهو في الأصل من جاء لكنّه خصّ في الإستعمال كأتى في أعطى، ومخضت المرأة إذا تحرّك الولد في بطنها للخروج.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو مابين العرق والغصن.

﴿قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ﴾: وقرئ بضمّ الميم.

---

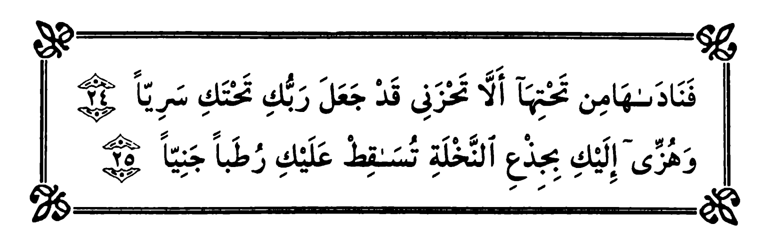
١ ـ إستحم الرجل: إغتسل بالماء الحميم. والحميم الماء الحار الشديد الحرارة يسق منه أهل النار أو يصبّ على أبدانهم. مجمع البحرين: ج٦، ص٥٢ و ٥١ مادة «حمم».

٢ ـ أجحّت المرأة: حملت، والأصل الإجحاح للسباع. قال أبو زيد: قيس كلّها تقول لكل سبعة إذا حملت فأقربت وعظم بطنها قد أجحّت فهي مجح، الصحاح: ج١، ص٣٥٧. مادة «جحح».

٣ و ٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١١.

٥ ـ الكافي: ج٨، ص٣٣٢، ح٥١٦.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٧٣، ح١٣٩/ ٨، باب ٢٢ ـ حدّ حرم الحسين عليه السلام وفضل كربلاء....



﴿قَبْلَ هَٰذَا﴾: إستحياءً من النّاس ومخافة لومهم، في المجمع: عن الصّادق عليه السلام لأنّها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزّهها من السّوء[1].

﴿وَكُنتُ نَسْياً﴾: ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب، وقرئ بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سُمّي به.

﴿مَنْسِيّاً﴾: منسيّ الذكر بحيث لا يخطر ببالهم.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾: عيسى عليه السلام أو جبرئيل، وقرئ من بالكسر.

﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾: جدولاً، كذا في الجوامع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله[2].

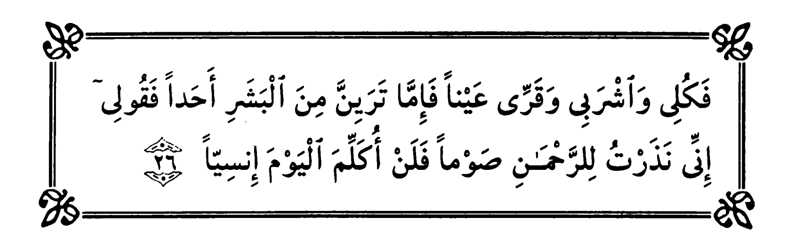
وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري[3].

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: وأميليه إليك.

﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾: طريّاً، وقرئ بتخفيف السنين وبضمّ التّاء معه وكسر القاف، القمّي: وكان ذلك اليوم سوق فأستقبلها الحاكة، وكانت الحياكة أنبل صناعة في ذلك الزّمان، فأقبلوا على بغال شهب[4]، فقالت لهم مريم: أين النخلة اليابسة؟ فاستهزؤوا بها وزجروها، فقالت لهم: جعل الله كسبكم نزراً، وجعلكم في النّاس عاراً، ثمّ استقبلها قوم من التجار فدلّوها على النّخلة اليابسة، فقالت لهم: جعل الله البركة في كسبكم: وأحوج النّاس إليكم فلمّا بلغت النّخلة أخذها المخاض فوضعت بعيسى عليه السلام فلمّا نظرت إليه «قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١١، س٢٤.
٢ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٣٩١، س١١.
٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١١، س٢٨.
٤ ـ الشهباء: إسم بغلة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله أخذاً من الشهبة في الألوان، وهو البياض الذي غلب على السواد. مجمع البحرين: ج٢، ص٩٤، مادة «شهب».



مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً»[1] ماذا أقول لخالي؟ وماذا أقول لبني إسرائيل؟ «فَنَادَىٰهَا» عيسى «مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً» أي نهراً «وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ» أى حرّكي النّخلة «تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً» أي طريّاً، وكانت النّخلة قد يبست منذ دهرٍ فمدّت يدها إلى النّخلة فأورقت وأثمرت، وسقط عليها الرّطب الطّريّ، فطابت نفسها، فقال لها عيسى عليه السلام: قمطيني وسوّيني ثمّ إفعلى كذا وكذا فقمّطته وسوّته[2].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه كان يتخلّل بساتين الكوفة فانتهى إلى نخلة فتوضّأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمس مائة تسبيحة، ثمّ استند إلى النّخلة فـدعا بدعوات، ثم قال: إنّها والله النخلة التي قال الله جلّ ذكره لمريم عليها السلام «وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ» الآية[3].

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾: من الرّطب وماء السّريّ.

﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾: وطيبي نفسك، وارفضي عنها ما أحزنك.

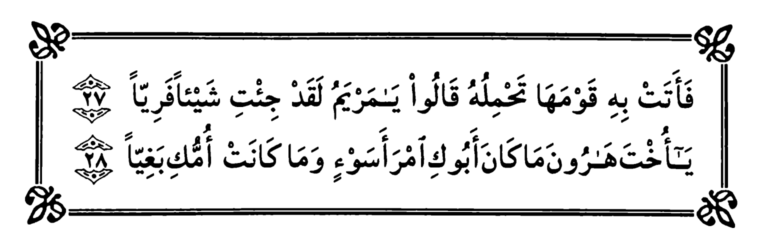
﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْماً﴾: صمتاً.

القمّي: وقال لها عيسى عليه السلام «كلى واشربى وقرّى عيناً فإما ترينَّ مـن البـشر أحـداً فقولى إنّى نذرتُ للرّحمن صوماً وصمتاً» كذا نزلت[4].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الصّيام من الطعام والشّراب وحده، ثمّ قـال: قـالت مريم: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْماً» أي صـمتا، فـإذا صـمتم فـاحفظوا ألسـنتكم، وغـضّوا أبصاركم الحديث[5].

---

١ ـ مريم: ٢٣.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٩، س ٩.
٣ ـ الكافي: ج٨، ص١٤٣ ـ ١٤٤، ح١١١.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٩، س ٢١.
٥ ـ الكافي: ج ٤، ص٨٧، ح ٣، باب أدب الصائم.



﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾: ولعلّه لكراهة المجادلة والإكتفاء بكـلام عـيسى عليه السلام فإنّه قاطع في قطع الطّاعن.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾: بديعاً منكراً.

القمّي: ففقدوها في المحراب فخرجوا في طلبها، وخرج خالها زكريّآ فأقبلت وهـو في صدرها وأقبلن مؤمنات بني إسرائيل يبزقن في وجهها فلم تكلّمهنّ حتّى دخلت في محرابها فجاء إليها بنو إسرائيل فقالوا لها: «يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً»[١].

﴿يَـٰأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾: في المجمع: عن المـغيرة بن شعبة[٢]، مرفوعاً إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كلّ من عرف بالصّلاح[٣].

وفي سعد السّعود: لابن طاووس رحمه الله عنه عليه السلام مرفوعاً أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله بـعثه إلى نجـران فقالوا: ألستم تقرأون يا أخت هارون وبينهما كذا؟ وكذا فذكر ذلك للنّبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: ألا قلت لهم أنّهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصّالحين منهم[٤].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٤٩ ـ ٥٠.

٢ ـ المغيرة بن شعبة الثقفي: كان والياً على البصرة من قبل عمر بن الخطاب نحواً من سنتين ثمّ عزله بسبب زنائه المشهور مع أم جميل كما جاء في السير والتواريخ. راجع تاريخ الطـبري: ج٢، ص٤٩٢ ـ ٤٩٤، مـنشورات دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٢، ص٢٣١ ـ ٢٣٤، ولقد صرح فيه بقوله: أمّا المغيرة فلا شك عندي إنّه زنى، وهكذا راجع سفينة البحار: ج٦، ص٧١٤، وبحار الأنوار: ج٣٠، ص٦٣٩ ـ ٦٥٥، والإحتجاج للطبرسي: ج١، ص٤١٣ في حديث لأبي محمّد الحسن الزكي عليه السلام حيث قال: وأمّا أنت يا مغيرة بن شعبة فإنّك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنبيه مكذّب، وأنت الزاني، وقد وجب عليك الرجم، وتشهد عليك العدول البررة الأتقياء فأُخّر رجمك، ودُفع الحق بالأباطيل، والصدق بالأغاليط، وذلك لما أعدّ الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدمـيتها، وألقت ما في بطنها... الحديث.

٣ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١٢.

٤ ـ سعد السعود: ص٢٢١.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَـٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴿٣١﴾

والقمّي: إنّ هارون كان رجلاً فاسقاً زانياً فشبّهوها به[1].

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى عليه السلام أي كلّموه ليجيبكم.

﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَـٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: الإنجيل.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾: في الكافي[2]، والمعاني[3]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: نفّاعاً[4].

وفي الكافي: عنهم عليهم السلام فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت أشهد أنّك عبدي إبن أمتي[5].

وفيه: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل أكان عيسى بن مريم حين تكلّم في المهد حجّة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيّاً حجّة لله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: «إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَـٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ» الآية قيل: فكان يومئذٍ حجّة لله على زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟

---

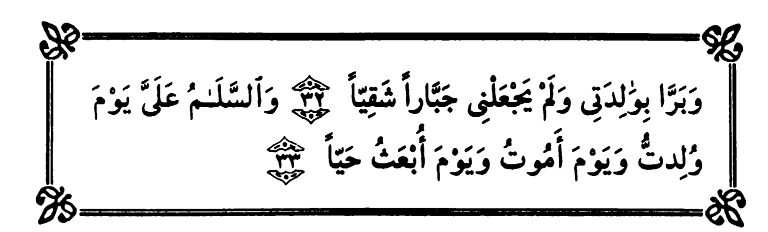
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٠، س ٤.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦٥، ح ١١، باب الإهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم.

٣ ـ معاني الأخبار: ص ٢١٢، ح ١، باب معنى المبارك.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٠، س ١٣.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٣٢، ح ١٠٣، حديث عيسى بن مريم عليهما السلام.



فقال: كان عيسى عليه السلام في تلك الحال آية للنّاس ورحمة من الله لمريم حين تكلّم فعبّر عنها: وكان نبيّاً حجّة على من أسمع كلامه في تلك الحال، ثمّ صمت فلم يتكلّم حتّى مضت له سنتان، وكان زكريّا الحجّة لله تعالى بعد صمت عيسى عليه السلام بسنتين ثمّ مات زكريّا فورثه إبنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبيّ صغير أما تسمع لقوله عزّوجلّ: «يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً»[1] فلمّا بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلّم بالنبّوة والرّسالة حين أوحى الله إليه فكان عيسى عليه السلام الحجّة على يحيى وعلى النّاس أجمعين[2] الحديث.

وعن الرضا عليه السلام: قد قام عيسى عليه السلام بالحجّة وهو إبن ثلاث سنين[3].

﴿وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيّاً﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: زكاة الرّؤوس، لأنّ كلّ النّاس ليست لهم أموال، وإنّما الفطرة على الفقير والغني والصّغير والكبير[4].

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾: وبارّاً بها، عطف على مباركاً.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾: في العيون: عن الصّادق عليه السلام إنّه عدّ من الكبائر العقوق، قال: لأنّ الله جعل العاق جبّاراً شقيّاً في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: «وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً»[5].

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾: كما هو على يحيى.

---

١ ـ مريم: ١٢.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٣٨٢، ح١ و٢، باب حالات الأئمّة عليهم السلام في السن.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٠، س٩.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٨٦، ح٣٢، باب ٢٨، فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة (٢).

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: لا ما يصفه النّصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ حيث جعله الموصوف بأضداد ما يصفونه ثمّ عكس الحكم.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: أي هو قول الحقّ الذي لا ريب فيه، وقرئ بالنّصب على المصدر المؤكد.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: القمّي: أي يتخاصمون(١).

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ﴾: تكذيب للنّصارى وتنزيه لله عمّا بهتوه.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: تبكيت لهم بأنّ من إذا أراد شيئاً أوجده بكن كان منزّهاً عن شبه الخلق والحاجة في إتّخاذ الولد باحبال الأُناث.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: سبق تفسيره في سورة آل عمران(٢)، وقرئ أنّ بالفتح أي ولأنّ أو عطف على الصلاة.

﴿فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾: اليهود والنّصارى أو فرق النّصارى فإنّ منهم من قال: إبن الله، ومنهم من قال: هو الله هبط إلى الأرض، ثمّ صعد إلى السّماء، ومنهم من قال: هو عبدالله ونبيّه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٠، س٨.
٢ ـ آل عمران: ٥١.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾: أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة.

﴿لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: أوقع الظّاهر موقع الضمير إيذاناً بأنّهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الإستماع والنظر حين ينفعهم.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾: يوم يتحسّر النّاس: المسيء على إسائته، والمحسن على قلّة إحسانه، في المعاني: عن الصّادق عليه السلام قال يوم الحسرة يوم يؤتى بالموت فيذبح[1].

﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنّة والنّار.

القمّي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: ينادي منادٍ من عند الله عزّوجلّ، وذلك بعدما صار أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار: يا أهل الجنّة ويا أهل النّار هل تعرفون الموت في صورة من الصّور؟ فيقولون: لا، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنّة والنّار، ثمّ ينادون جميعاً أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون ثمّ يأمر الله عزّوجلّ به فيذبح، ثمّ يقال: يا أهل الجنّة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النّار خلود فلا موت أبداً، وهو قوله تعالى: «وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ» أي قضي على أهل الجنّة بالخلود فيها، وقضى على أهل النّار بالخلود فيها[2].

وفي المجمع: مثله من طريق العامّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أنّه قال: فيجاء بالموت كأنه كبش

---

١ ـ معاني الأخبار: ص١٥٦، ح١، باب معنى يوم التلاق... ويوم الحسرة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٠، س١٦.

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴿٤٢﴾

أملح فيقال لهم: تعرفون الموت؟ فيقولون هذا هذا، وكلّ قد عرفه الحديث، قال: ورواه أصحابنا عن الباقر والصّادق عليهما السلام ثمّ جاء في آخره فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميّتاً لماتوا فرحاً ويشهق أهل النّار شهقة لو كان أحد ميّتاً لماتوا[١].

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: متعلّق بقوله: في ضلال مبين، وما بينهما إعتراض أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: لا يبقى فيها مالك ولا متصرّف، القمّي قال: كلّ شيء خلقه الله يرثه الله يوم القيامة[٢].

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: مردودون للجزاء.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾: ملازماً للصّدق كثير التصّديق لكتب الله وآياته وأنبيائه، وكان نبيّاً في نفسه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: قد سبق الكلام في كونه أباه أو أنّه كان عمّه أو جدّه لأمّه لطهارة آباء الأنبياء عن الشّرك.

﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾: التّاء معوّضة عن ياء الإضافة، وإنّما يذكر للإستعطاف ولذلك كرّرها.

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾: فيعرف حالك، ويسمع ذكرك، ويرى خضوعك.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١٥، س٨.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥١، س١.

يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطاً سَوِيّاً ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيّاً ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيّاً ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴿٤٦﴾

﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً﴾: في جلب نفع ودفع ضرّ.

﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطاً سَوِيّاً * يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيّاً * يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيّاً﴾: دعاه صلوات الله عليه إلى الهدى وبيّن ضلاله، واحتج عليه أبلغ إحتجاج، وأرشقه برفق وحسن أدب، حيث لم يصرّح بضلاله بل طلب العلّة الّتي تدعوه إلى عبادة ما لا يستحق للعبادة بوجه، ثمّ دعاه إلى أن يتّبعه ليهديه الحقّ القويم، والصّراط المُستقيم، لما لم يكن مستقلاً بالنظر السّوي، ولم يسمه بالجهل المفُرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطّريق، ثمّ ثبطّه عمّا كان عليه بأنّه مع خلوّه عن النفع مستلزم للضرّ، فإنّه في الحقيقة عبادة الشّيطان فإنّه الآمر به، وبيّن أن الشيطان مستعصٍ لربّك المولى للنعّم كلّها، وكلّ عاص حقيق بأن يستردّ منه النعّم وينتقم منه ولذلك عقّبه بتخويفه سؤ عاقبته، وما يجرّه إليه من صيرورته قريناً للشيطان في اللّعن والعذاب.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾: قابل إستعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد، فناداه باسمه ولم يقابل بيا بُنيّ، وأخرّه وقدّم الخبر على المبتدأ، وصدّره

قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴿٤٩﴾

بهمزة الإنكار على ضرب من التعجّب، ثمّ هدّده فقال.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾: عن مقالك فيها أو الرّغبة عنها.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: بلساني أو بالحجارة.

﴿وَٱهْجُرْنِي﴾: فاحذرني أو إهجرني بالذّهاب عنّي.

﴿مَلِيّاً﴾: زماناً طويلاً.

﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾: توديع ومتاركة، ومقابلة للسّيئة بالحسنة أي لا أُصيبك بمكروه، ولا أقول لك بعد ما يؤذيك.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾: لعلّه يوفّقك للتّوبة والإيمان.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾: بليغاً في البرّ والإعطاف.

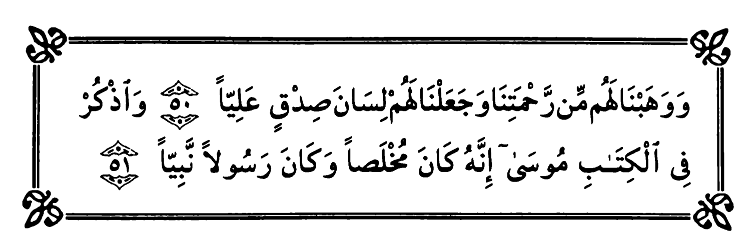
﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بالمهاجرة بديني.

﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾: وأعبده وحده.

﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾: خائباً ضائع السّعي مثلكم في دعاء آلِهَتكُم، وفي تصدير الكلام بعسى التّواضع، وهضم النفس، والتنبيه على أنّ الإجابة والإثابة تفضّل غير واجب، وأنّ ملاك الأمر خاتمته، وهو غيب.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بالهجرة إلى الشّام.

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: بدل من فارقهم من الكفرة.



﴿وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾: قيل: الرّحمة: النبوة، والأموال، والأولاد، وهي عامّة في كلّ خير دينيّ ودنيويّ، ولسان الصّدق: الثناء الحسن، عبّر باللّسان عمّا يوجد به كما يعبّر باليد عمّا يطلق باليد، وهي العطيّة، والعليّ: المرتفع فإن كلّ أهل الأديان يتولّونه ويثنون عليه وعلى ذرّيته ويفتخرون به، وهي إجابة لدعوته حيث قال: «وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ»(1)(2).

والقمّي: عن الزّكّي عليه السلام «وَوَهَبْنَا لَهُم» يعني لإبرهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام «مِّن رَّحْمَتِنَا»: رسول الله صلى الله عليه وآله «وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً»: يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه(3).

وفي الكافي: عن الصّادق عن أمير المؤمنين عليه السلام لسان الصّدق للمرء يجعله الله في النّاس خير من المال يأكله ويورثه(4).

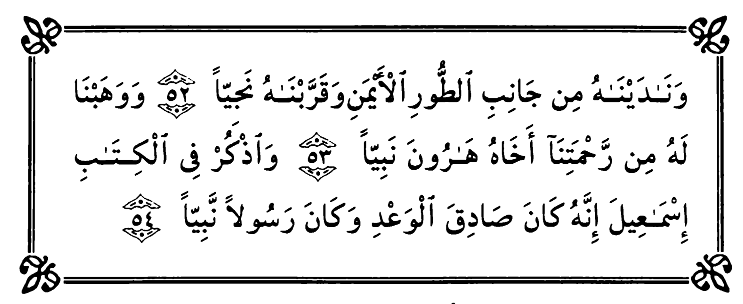
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصاً﴾: موحّداً أخلص عبادته عن الشّرك والرّياء وأسلم وجهه لله، وقرئ بفتح اللّام أي أخلصه الله.

﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾: قيل: أي أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدّم رسولاً مع أنه أخصّ وأعلى(5).

في الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية ما الرّسول، وما النّبيّ؟ فقال: النّبيّ: الّذي يرى في منامه، ويسمع الصّوت، ولا يعاين الملك، والرّسول: الّذي يسمع الصوت، ويرى في المنام، ويعاين الملك(6).

---

١ ـ الشعراء: ٨٤.
٢ ـ الكشاف: ج٣، ص٢٢، ومجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١٧.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥١، س٦.
٤ ـ الكافي: ج٢، ص١٥٤، ح١٩، باب صلة الرحم.
٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٦، س٧.
٦ ـ الكافي: ج١، ص١٧٦، ح١، باب الفرق بين الرسول والنّبيّ والمحدث.



﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيّاً﴾: مناجياً تقريب تشريف شبّهه بمن قرّبه الملك لمناجاته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ﴾: معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته «وَٱجْعَل لِّي وَزِيْراً مِّنْ أَهْلِي»[١] فإنه كان أسنّ من موسى عليه السلام.

﴿هَـٰرُونَ نَبِيّاً﴾: في الإكمال: عاش موسى عليه السلام مائة وستّة وعشرين سنة، وعـاش هارون مائة وثلاثة وثلاثين سنة[٢].

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّما سمّي «صَادِقَ ٱلْوَعْدِ»: لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسمّاه الله عزّوجلّ «صَادِقَ ٱلْوَعْدِ»، ثمّ إنّ الرّجل أتاه بعد ذلك، فقال له إسماعيل: ما زلت منتظراً لك[٣].

وفي العيون عن الرّضا عليه السلام ما في معناه[٤].

والقمّي قال: وعد وعداً وانتظر صاحبه سنة، قال: وهو إسماعيل بن حزقيل[٥][٦].

---

١ ـ طـٰه: ٢٩.

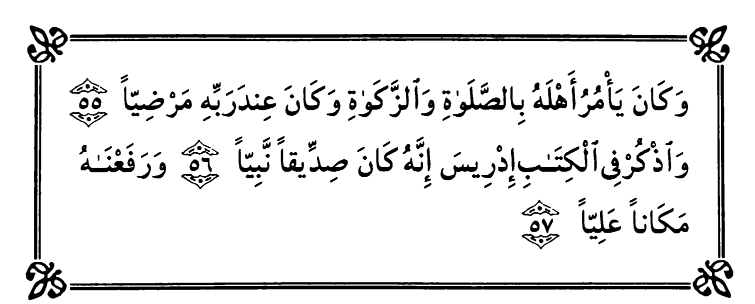
٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٥٢٣ ـ ٥٢٤، ح٣، باب ما جاء في التعمير.

٣ ـ الكافي: ج٢، ص١٠٥، ح٧، باب الصدق وأداء الأمانة.

٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٧٩، ح٩، باب ٣٢ ـ في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥١، س٩.

٦ ـ حزقيل ـ بالحاء المهملة والزاي المعجمة على وزن زنبيل، ويجيئ على وزن زبرج كذا في القاموس. منه قدّس سرّه راجع القاموس المحيط: ج٣، ص٣٥٧، مادة «حزقل».



وفي المجمع: هو إسماعيل بن إبراهيم وكان إذا وعد بشيء وفى ولم يخلف، وكان مع ذلك رسولاً نبيّاً إلى جرهم[١].

قال: وقيل: إنّ إسماعيل بن إبراهيم مات قبل أبيه، وأنّ هذا هو إسماعيل بن حزقيل، وذكر ما يأتي من العلل ونسبه إلى الصّادق عليه السلام[٢].

وفي العلل: عنه عليه السلام قال: إنّ إسماعيل الّذي قال الله في كتابه: «وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ» الآية لم يكن إسماعيل بن إبراهيم بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه و وجهه فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال: لي أُسوة بما يصنع بالأنبياء[٣].

وفي رواية أُخرى: فقال: لي بالحسين بن عليّ عليهما السلام أُسوة[٤].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً * وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ﴾: قيل: هو سبط شيث وجدّ أبي نوح وإسمه أخنوخ[٥].

وروي أنّه أنزل عليه ثلاثون صحيفة وأنّه أوّل من خطّ بالقلم، ونظر في علم النجّوم والحساب، وأوّل من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود[٦].

١ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص٥١٨، س١٢. ٢ـ مجمع البيان: ج٥ـ٦، ص٥١٨.

٣ـ علل الشرائع: ص٧٧ـ٧٨، ح٢، باب ٦٧ـ العلة التي من أجلها سمي إسماعيل بن حزقيل عليه السلام صادق الوعد وفيه بما يصنع بالحسين عليه السلام.

٤ـ علل الشرائع: ص٧٨، ح٣، باب ٦٧ـ العلة التي من أجلها سمي إسماعيل بن حزقيل عليه السلام صادق الوعد.

٥ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٦.

٦ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٦ـ٣٧.

والقمّي قال: وسمّي إدريس لكثرة دراسته الكتب[١].

﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً * وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾: قيل: شرف النبوّة، والزّلفى عند الله[٢].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّ ملكاً من الملائكة كانت له عند الله منزلة عظيمة فعتب عليه فأهبطه من السّماء إلى الأرض فأتى إدريس عليه السلام فقال له: إنّ لك عند الله منزلة فاشفع لي عند ربّك، فصلّى ثلاث ليالٍ لا يفطر، وصام أيّامها لا يفطر، ثم طلب إلى الله عزّوجلّ في السّحر في الملك، فقال الملك: إنّك قد أُعطيت سؤلك وقد أطلق الله لي جناحي، وأنا أحبّ أن أكافيك فاطلب إليّ حاجة، فقال: تريني ملك الموت لعلّي آنس به فإنّه ليس يهنّئني مع ذكره شيء، فبسط جناحه ثم قال: إركب فصعد به فطلب ملك الموت في السّماء الدّنيا فقيل له: إصعد فاستقبله بين السّماء الرابعة والخامسة، فقال الملك: يا ملك الموت مالي أراك قاطباً[٣] قال: العجب إنّي تحت ظلّ العرش حيث أُمرت أن أقبض روح آدميّ بين السّماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس عليه السلام فامتعض[٤] فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه، وقال الله عزّوجلّ: «وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَاناً عَلِيّاً»[٥].

والقمّي: ما يقرب منه[٦].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قال: في حديث يذكر فيه مسجد السهلة أما علمت إنّه موضع بيت إدريس النّبيّ عليه السلام الّذي كان يخيط فيه[٧].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٢، س ٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٧.

٣ ـ في الحديث قطب أبو عبد الله عليه السلام، أي قبض ما بين عينيه كما يفعل العبوس، يقال: قطب مابين عينيه قطباً من باب ضرب: جمع جلدته من شيء كرهه. مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٤٥ مادة «قطب».

٤ ـ معض في الأمر كفرح: غضب، ومعض من شيء سمعه، وامتعض: إذا غضب وشقّ عليه الأمر. ومنه حديث إدريس «فامتعض فخرّ من جناح الملك». مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٣٠، مادة «معض».

٥ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٥٧، ح ٢٦، باب النوادر. ٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥١.

٧ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٩٤، ح ١، باب مسجد السهلة.

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴿٥٩﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المذكورين في السّورة من زكريّا إلى إدريس عليهم السلام.

﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾: بأنواع النّعم الدينيّة والدنياويّة.

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أي ومن ذريّة من حملنا الدنيويّة خصوصاً وهم من عدا إدريس فإنّ إبراهيم عليه السلام كان من ذرّيّة سام بن نوح.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: الباقون.

﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي ومن ذرّية إسرائيل، وكان منهم موسى، وهارون، وزكريّا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام، وفيه دلالة على أنّ أولاد البنات من الذرّية.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾: للنبوّة والكرامة.

في المناقب[1]، والمجمع: عن السّجاد عليه السلام نحن عنينا بها[2].

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾: خشية من الله وإخباتاً له، وروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أُتلوا القرآن وابكوا، فإنّ لم تبكوا فتباكوا[3]، والبكي: جمع باك كالسّجود في جمع ساجد، وقرئ بكسر الباء[4].

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: فعقبّهم وجاء من بعدهم عقب سوء يقال: خلف

---

١ ـ المناقب لابن شهراشوب: ج٤، ص١٢٩، س١١، باب إمامة أبي محمد علي بن الحسين عليه السلام فصل في المقدمات.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١٩، س٢٤.

٣ ـ راجع أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٧، س١١.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٧، س١٠.

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَـٰماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴿٦٢﴾

صدق بالفتح، وخلف سوء بالسّكون.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أخّروها عن وقتها، وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث وليس أنّ عجّلت قليلاً أو أخّرت قليلاً بالّذي يضرّك مالم تـضيّع تـلك الإضـاعة فـإنّ الله عزّوجلّ يقول: لقوم «أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ» الآية(١).

وفي المجمع: عنه عليه السلام أضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير أن تركوها أصلاً(٢).

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: في الجوامع: عن أمير المؤمنين عليه السلام مَنْ بَنَى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور(٣).

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾: شرّاً

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾: وقرئ على البناء للمفعول.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً * جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾: يأتيه أجله الموعود لهم أو هو من أتى إليه إحساناً أي مفعولاً منجزاً.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً﴾: فضول الكلام.

﴿إِلَّا سَلَـٰماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾: على عادة المتنعمّين والتوسّط بين

---

١ ـ الكافي: ج٣، ص٢٧٠، ح١٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها.

٢ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥١٩، س ٣٠.

٣ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص٤٠١، س٨.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً ۝٦٣ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ۝٦٤﴾

الزّهادة والرّغابة.

في المحاسن[1]، وطبّ الأئمّة عن الصّادق عليه السلام إنّه شكى إليه رجل ما يلق من الأوجاع والتّخم، فقال: تغدّ وتعشّ ولا تأكل بينهما شيئاً فإنّ فيه فساد البدن، أما سمعت الله يقول: «لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً»[2].

القمّي: قال: ذلك في جنّات الدّنيا قبل القيامة، لأنّ البكرة والعشيّ لا يكونان في الآخرة في جنّات الخلد، وإنّما يكونان في جنات الدّنيا الّتي ينتقل إليها أرواح المؤمنين، وتطلع فيها الشمسّ والقمر[3].

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾: في التّهذيب: في أدعية نوافل شهر رمضان: سبحان من خلق الجنّة لمحمّد وآل محمّد، سبحان من يورثها محمّداً وآل محمّد وشيعتهم[4].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: حكاية عن قول جبرئيل، في المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال لجبرئيل: ما منعك أن تزورنا؟ فنزلت[5].

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحانين لا ننتقل من مكان إلى مكان، ولا ننزل في زمان دون زمان إلّا بأمره ومشيّته.

---

١ ـ المحاسن: ج٢، ص١٩٥، ح١٥٦٥/٢٠١، باب ٢٦ ـ الغداء والعشاء.

٢ ـ طب الأئمّة: ص٥٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٢، س٦.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج٣، ص٩٨، قطعة من ح٢٥٨/٣٠، باب ٥ ـ الدعاء بين الركعات.

٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٢١، س١٩.

رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تاركاً لك، وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية فإنّ ربّنا تبارك وتعالى علوّاً كبيراً ليس بالّذي ينسى ولا يغفل بل هو الحفيظ العليم[1].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: بيان لإمتناع النسيان عليه.

﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ﴾: خطاب للرّسول مرتّب عليه.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام تأويله هل تعلم أحداً إسمه الله غير الله[2].

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: لمّا كانت هذه المقالة موجودة في أنفسهم أُسند إلى الجنس، وروي أنّ أُبَيّ بن خلف أخذ عظاماً بالية ففتّها وقال: يزعم محمّد صلى الله عليه وآله إنّا نبعث بعد ما نموت[3].

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: وقيل: قرئ يذّكّر من الذّكر الّذي يراد به التفكّر.

﴿أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ﴾: أي قدّرناه في العلم حيث كان الله ولم يكن معه شيء.

﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾: بل كان عدماً صرفاً. في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: لا مقدّراً ولا مكوناً[4].

---

١ ـ التّوحيد: ص ٢٦٠، س ١، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٢ ـ التّوحيد: ص ٢٦٤، س ٢٠، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٩، س ٥.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٥، باب البداء.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيّاً ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيّاً ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴿٧١﴾﴾

وفي المحاسن: عنه عليه السلام قال: لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم[1].

والقمّي: أي لم يكن ثمّة ذكره[2].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾: عطف أو مفعول معه لما روي أنّ الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشيّاطين الّذين أغووهم كلّ مع شيطانه في سلسلة[3].

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾: القمّي: قال: على ركبهم[4].

أقول: وهذا كما يكون المعتاد في مواقف التّقاول، وهو كقوله تعالى: «وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً»[5].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: من كلّ أُمّة شاعت ديناً أي تبعت.

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيّاً﴾: من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيّاً﴾: أولى بالصّلي.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: أما تسمع الرّجل يقول: وردنا ماء بني فلان فهو الورود ولم يدخل[6].

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾: كان ورودهم واجباً أوجبه الله على نفسه، وقضى به.

---

١ ـ المحاسن: ج ١، ص ٣٧٩، ح ٢٣٨/٨٣٦، باب ٢٤ ـ العلم.

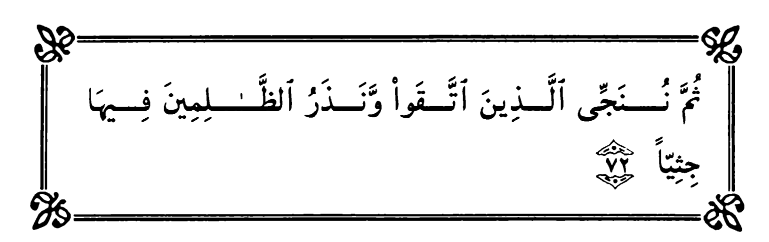
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٢، س ١١.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٩، س ١٥.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٥، س ٩.

٥ ـ الجاثية: ٢٨.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٢، س ١٦.



﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾: فيساقون إلى الجنّة، وقرئ ننجي بالتخفيف.

﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾: على هيأتهم كما كانوا، في المجمع: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: يرد النّاس النّار، ثم يصدرون بأعمالهم فأوّلهم كلمع البرق، ثمّ كمرّ الرّيح، ثم كحضر[1] الفرس، ثم كالرّاكب، ثمّ كشدّ الرّجل، ثمّ كمشيه[2].

وعنه صلّى الله عليه وآله: الورود: الدّخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا يدخلها فيكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام حتّى إنّ للنّار أو قال: لجهنّم ضجيجاً من بردها «ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً»[3].

وعنه صلّى الله عليه وآله: تقول النّار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي[4].

وفي رواية إنّ الله تعالى يجعل النّار كالسّمن الجامد، ويجمع عليها الخلق، ثم ينادي المنادي أن خذي أصحابك وذري أصحابي، قال: والّذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها[5].

قيل: الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أنّ الله تعالى لا يدخل أحداً الجنّة حتّى يطلعه على النّار ومافيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه، وكمال لطفه وإحسانه إليه، فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنّة ونعيمها، ولا يدخل أحداً النّار حتّى يطلعه على الجنّة وما فيها من أنواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له وحسرة على ما فاته من الجنّة ونعيمها[6].

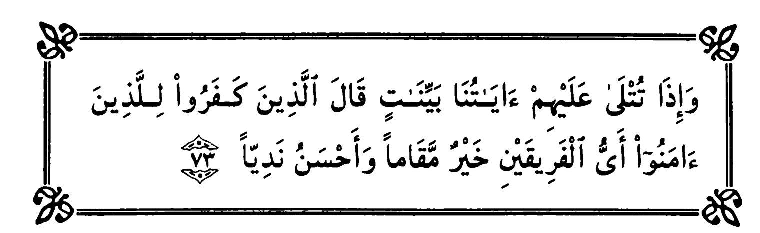
قال: وقد ورد في الخبر أنّ الحُمَّى من فيح جهنّم[7].

وروى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله: عاد مريضاً فقال: أبشر إنّ الله عزّوجلّ يقول: هي ناري

---

١ ـ الحُضرة ـ بالضم ـ العدو من قولهم أحضر الفرس إذا عدا. مجمع البحرين: ج٣، ص٢٧٣، مادة «حضر».

٢ و ٣ و ٤ و٥ و٦ و٧ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٢٥ ـ ٥٢٦.



أُسلّطها على عبدي المؤمن في الدّنيا ليكون حظّه من النّار[1].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام الحمّى رائد الموت، وهي: سجن المؤمن في الأرض، وهي حظّ المؤمن من النّار[2].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمّى رائد[3] الموت، وسجن الله تعالى في أرضه، وفورها من جهنّم، وهي حظّ كل مؤمن من النّار[4].

وفي الإعتقادات: روي أنّه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النّار إذا دخلوها، وإنّما يصيبهم الألم عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم وما الله بظلامٍ للعبيد إنتهى[5].

وروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه سئل عن هذه الآية فقال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربّنا أن نرد النّار؟ فقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة[6].

قيل: وأمّا قوله تعالى: «أُوْلَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ»[7] فالمراد به: عن عذابها[8].

وقيل: ورودها: الجواز على الصّراط، فإنّه ممدود عليها[9].

أقول: والكلّ صحيح، ولا تنافي بينها عند أُولي الألباب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾: مرتّلات الألفاظ، مبيّنات المعاني، أو

١ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٢٦. ٢ـ الكافي: ج٣، ص١١١، ح٣، باب علل الموت وإن المؤمن يموت بكل ميتة.

٣ـ الرواد: جمع رائد، مثل زائر وزوّار، وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث، يقال: راد يَرُودُ رَيْداً ورَواداً ، وريادا. مجمع البحرين: ج٣، ص٥٦، مادة «رود».

٤ـ الكافي: ج٣، ص١١٢، ح٧، باب ـ علل الموت وإن المؤمن يموت بكل ميتة.

٥ـ الإعتقادات في دين الإماميّه: ص٥٥، باب ٢٩ ـ الإعتقاد في النّار. ٦ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٠.

٧ـ الأنبياء: ١٠١. ٨ و ٩ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٠، س١١.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثاً وَرِءْياً ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدّاً حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ﴿٧٥﴾

واضحات الإعجاز.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: لأجلهم أو معهم.

﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: المؤمنين بها أو الجاحدين لها.

﴿خَيْرٌ مَّقَاماً﴾: مكاناً أو موضع قيام، وقرئ بضمّ الميم أي موضع إقامة.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾: مجلساً ومجتمعاً، والمعنى أنّهم لـمّا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدّخل عليها أخذوا في الإفتخار بمالهم من حظوظ الدّنيا وزعموا أنّ زيادة حظّهم فيها تدلّ على فضلهم وحسن حالهم عند الله.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثاً﴾: متاعاً.

﴿وَرِءْياً﴾: منظراً، وقرئ ريّا على قلب الهمزة وإدغامها أو على أنّه من الرّيّ بمعنى النّعمة، وقرئ ريئا على القلب، القمّي قال: عنى به الثياب والأكل والشرّب[1].

وعن الباقر عليه السلام: الأثاث: المتاع، رِءْياً: الجمال، والمنظر الحسن[2].

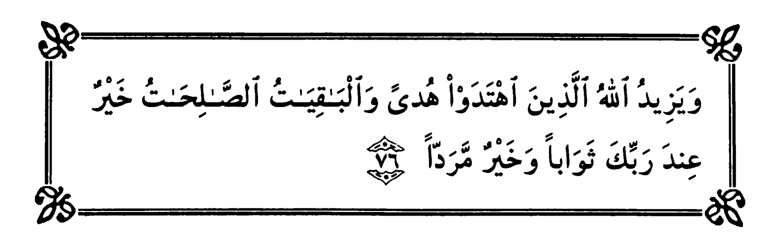
وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا قريشاً إلى ولايتنا فنفروا وأنكروا فقال الّذين كفروا من قريش: «لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ» الّذين أقرّوا لأمير المؤمنين عليه السلام ولنا أهل البيت «أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً» تعييراً منهم، فقال الله ردّاً عليهم: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ» من الأُمم السّالفة الآية[3].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٢، س ١٩.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٢، س ٢٠.

٣ ـ الكافي: ج١ ، ص٤٣١، قطعة من ح ٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.



﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: فيمدّه ويمهله بطول العمر والتمتّع به، وإنّما أخرجه على لفظ الأمر إيذاناً بإنّ إمهاله ممّا ينبغي أن يفعله إستدراجاً وقطعاً لمعاذيره كقوله: «إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا»[1] وقوله: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ»[2].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: تفصيل للموعود.

القمّي قال: العذاب: القتل، والسّاعة: الموت[3].

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: من الفريقين بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متّعوا به خذلاناً ووبالاً عليهم.

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أي فئةً وأنصاراً، قابل به أحسن ندياً فإنّ حسن النّدى، باجتماع وجوه القوم وظهور شوكتهم.

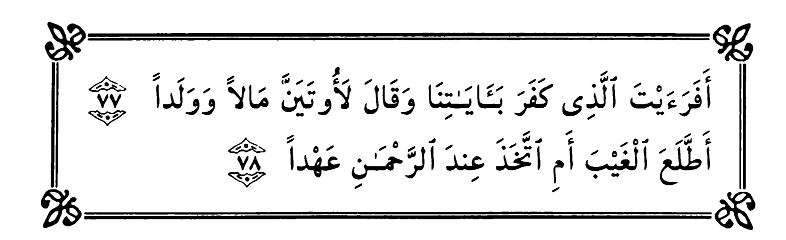
﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: كلّهم كانوا في الضّلالة لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا فكانوا ضالّين مضلّين فيمدّ لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتّى يموتوا فيصيّرهم الله شرّاً مكاناً وأضعف جنداً قال: وأمّا قوله: «حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ» فهو خروج القائم عليه السلام، وهو السّاعة فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه فذلك قوله: «مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا» يعني عند القائم «وَأَضْعَفُ جُندًا * وَيَزِيدُ ٱللَّهُ» قال: يزيدهم في ذلك اليوم هدى على هدى بإتّباعهم القائم عليه السلام حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه[4].

---

١ ـ آل عمران: ١٧٨. ٢ ـ فاطر: ٣٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٢، س ٢١.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣١، قطعة من ح ٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.



﴿وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾: الطّاعات الّتي تبق عايدتها أبد الآباد.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾: عايدة ممّا متّع به الكفرة من النعم المخدجة[١] الفانية التي يفتخرون بها.

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدّاً﴾: مرجعاً وعاقبة، فإنّ مئآلها النّعيم المقيم، ومئآل هذه الحسرة والعذاب الدّائم والخير هاهنا لمجردّ الزّيادة.

وقد سبق في تفسير «ٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ» أخبار في سورة الكهف[٢].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾: يعني في الآخرة.

القمّي: عن الباقر عليه السلام إنّ العاص بن وائل، بن هشام، القرشي ثمّ السّهمّي، وهو أحد المُستهزئين، وكان لخبّاب بن الأرت[٣] عليه حقّ فأتاه يتقاضاه، فقال له العاص: ألستم تزعمون أنّ في الجنّة الذّهب والفضّة والحرير؟ قال: بلى، قال: فموعد ما بيني وبينك الجنّة، فوالله لأُوتيّن فيها خيراً ممّا أُوتيت في الدّنيا[٤].

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: قد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الّذي توحّد به الواحد القّهار حتّى إدّعاه أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً، وتألّى عليه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْداً﴾: أو إتّخذ من علّام الغيوب عهداً بذلك، فإنّه لا

---

١ ـ خدجت الناقة فهي خادج: إذا ألقت ولدها قبل تمام الأيّام، وإن كان تام الخلقة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١، مادة «خدج».

٢ ـ ذيل الآية: ٤٦.

٣ ـ خباب ـ بالخاء المعجمة والبائين الموحدتين بينهما ألف «ابن الأرت» بالألف والراء المهملة والتاء الفوقانية المشددة، مات قبل الفتنة، ترحّم عليه علي عليه السلام فقال: يرحم الله خباباً ولقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٨، مادة «خبب».

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٤ ـ ٥٥.

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدّاً ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴿٨٢﴾

يتوصّل إلى العلم به إلّا بأحد هذين الطّريقين.

﴿كَلَّا﴾: ردع وتنبيه على أنّه مخطئ فيما تصوّره لنفسه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدّاً﴾: ونطوّل له منه.

﴿وَنَرِثُهُ﴾: بإهلاكنا إيّاه.

﴿مَا يَقُولُ﴾: يعني المال والولد ممّا عنده منهما.

﴿وَيَأْتِينَا﴾: يوم القيامة.

﴿فَرْداً﴾: لا يصحبه مال ولا ولد ممّا كان له في الدّنيا فضلاً أن يؤتى ثمّة زائداً.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً﴾: ليتعزّزوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده.

﴿كَلَّا﴾: ردع وإنكار لتعزّزهم بها.

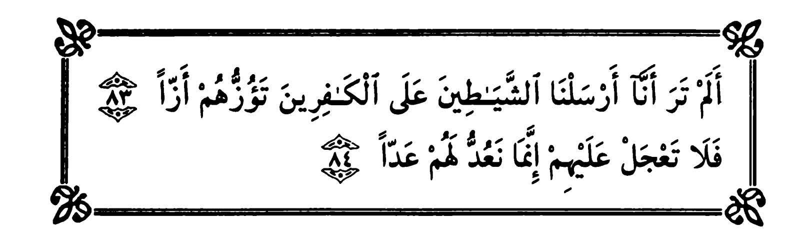
﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية أي يكونون هؤلاء الّذين إتّخذوهم آلهة من دون الله ضدّاً يوم القيامة ويتبرّؤون منهم ومن عبادتهم، ثمّ قال: ليست العبادة هي السّجود ولا الركوع، وإنّما هي طاعة الرّجال، من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد عبده[1].

أقول: يعني عليه السلام بذلك[2] أنّ المراد بالآلهة المتخّذة من دون الله رؤساؤهم الّذين

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٥٥، س٧.

٢ ـ أي بقوله عليه السلام: «من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد عبده».



أطاعوهم في معصية الخالق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: تهزّهم وتغريهم على المعاصي بالتّسويلات وتحبيب الشّهوات(١). القمّي قال: لمّا طغوا فيها وفي فتنتها وفي طاعتهم ومدّهم في طغيانهم وضلالتهم أرسل عليهم شياطين الإنس والجنّ تؤزّهم أزّاً أي تنخسهم نخساً وتحضّهم على طاعتهم وعبادتهم(٢).

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾: قال: أي في طغيانهم وفتنتهم وكفرهم(٣).

أقول: والمعنى لا تعجل بهلاكهم لتستريح من شرورهم فإنّه لم يبق لهم إلّا أنفاس معدودة.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن قوله تعالى: «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» فقال: ما هو عندك؟ قال السّائل: عدد الأيّام، قال: إنّ الآباء والأُمّهات يحصون ذلك، لا ولكنّه عدد الأنفاس(٤).

والقمّي: مثله(٥).

وفي نهج البلاغة: نفس المرءِ خطاه إلى أجله(٦).

وقال عليه السلام: كلّ معدود منقضٍ وكلّ متوقع آتٍ(٧).

---

١ ـ القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: نزلت في مانعي الخمس والزكاة والمعروف ببعث الله عليهم سلطاناً أو شيطاناً فينفق ما يجب عليه من الزكاة والخمس في غير طاعة الله ويعذبه الله على ذلك. منه رحمه الله. راجع تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٣، س ٩.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٥، س ١٥.

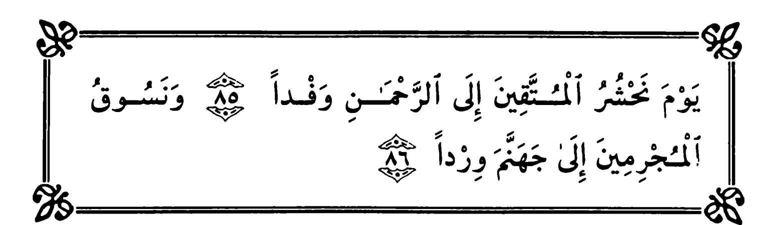
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٥، س ١٤.

٤ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٥٩، ح ٣٣، باب النوادر.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٥.

٦ ـ نهج البلاغة: ص ٤٨٠، قصار الحكم ٧٤.

٧ ـ نهج البلاغة: ص ٤٨٠، قصار الحكم، ٧٥.



﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]: نجمعهم.

﴿إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: إلى ربّهم الّذي غمرهم برحمته.

﴿وَفْداً﴾: وافدين عليه كما يفد الوفّاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: كما يساق البهائم.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً﴾: عطاشا فإنّ من يرد الماء لا يرده إلّا لعطشه أو كالدّواب الّتي ترد الماء، وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله من رواية أهل البيت عليهم السلام «يوم يحشر المتّقون إلى الرّحمن وفداً ويساق المجرمون إلى جهنّم ورداً» وقد سمع هكذا من قبر الرّضا عليه السلام وقصّته مذكورة في العيون[2].

وفي المحاسن: عن الصّادق عليه السلام يحشرون على النجايب[3].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام[4]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال سأل عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله تعالى: «يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ» الآية قال: يا عليّ أنّ الوفد لا يكون إلّا ركباناً أُولئك رجال إتقوا الله فأحبّهم الله، واختصّهم ورضى أعمالهم فسمّاهم المتقّين، ثم قال: يا عليّ أما والّذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة إنّهم ليخرجون من قبورهم[5] وأنّ الملائكة

---

١ ـ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتق الله في الدنيا بطاعته وإجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته وفوداً وجماعات. منه رحمه الله.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٨٢، ح ٦، باب ٦٩ ـ ذكر ماظهر للنّاس من بركة مشهد الرّضا عليه السلام، والقصة عجيبة فراجعها.

٣ ـ المحاسن: ج ١، ص ٢٨٧، ح ١٧٢/٥٦٧، باب ٤١ ـ في البعث، كتاب الصفوة والنور والرحمة.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٩٥، ح ٦٩، حديث الجنان والنوق.

٥ ـ وأضاف القمي في هذا المورد: وبياض وجوههم كبياض الثلج عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ. منه رحمه الله. راجع تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٣، س ١٨.

لتستقبلهم بنوق من نوق العزّ، عليها رحال الذّهب مكلّلة بالدّر والياقوت، وجلالها الإستبرق والسندس، وخطامها جدل[١] الأرجوان، وزمامها من زبرجد فتطير بهم إلى المحشر مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدامه، وعن يمينه، وعن شماله، يزفّونهم زفّاً حتّى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم، وعلى باب الجنة شجرة الورقة منها تستظلّ تحتها مائة ألف من النّاس، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكيّة، قال: فيسقون منها شربة شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد، ويسقط عن أبشارهم الشعر، وذلك قوله تعالى: «وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً»[٢] من تلك العين المطهّرة.

ثم ينصرفون إلى عين أُخرى عن يسار الشجّرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً، قال: ثمّ يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد أبداً، قال: فيقول الجبّار للملائكة الّذين معهم أُحشروا أوليائي إلى الجنّة ولا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضائي عنهم، ووجبت رحمتي لهم فيكف أُريد أن أوقفهم مع أصحاب الحساب والسّيئات، قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنّة فإذا انتهوا إلى باب الجنّة الأعظم ضربت الملائكة الحلقة ضربة فتصرّ صريراً فيبلغ صوت صريرها كلّ حوراء خلقها الله وأعدّها لأوليائه فيتباشرن بهم إذا سمعن صرير الحلقة، وتقول بعضهن لبعض: قد جاءنا أولياء الله فينفتح لهم الباب فيدخلون الجنّة فيشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميّن فيقلن مرحباً بكم فما كان أشدّ شوقنا إليكم، ويقول لهنّ أولياء الله: مثل ذلك.

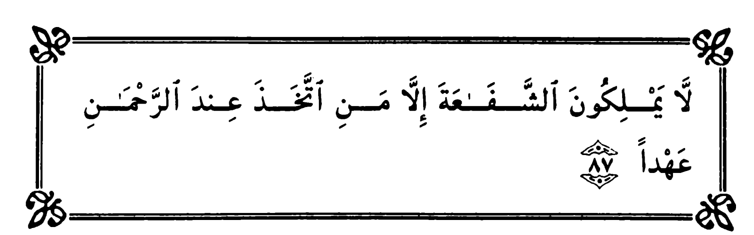
وزاد القمّي: فقال علي عليه السلام من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هؤلاء شيعتك يا علي، وأنت امامهم وهو قول الله عزّوجلّ: «يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْداً» على الرّحائل[٣].

---

١ ـ جَدَلْتُ الحَبْلَ أجدِلُه جَدْلاً: أي فتلته محكماً. ومنه حديث «نوق الجنة: خطمها جديل الأرجوان» الجديل: الزمام، والأرجوان: الأحمر. مجمع البحرين: ج٥، ص٣٣٣، مادة لا «جدل».

٢ ـ الإنسان: ٢١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٣ ـ ٥٤.



﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْداً﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: إلّا من دان الله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام من بعده فهو العهد عند الله[1].

والقمّي: عنه عليه السلام لا يشفع لهم ولا يشفعون إلّا من اتخذ عند الرحمن عهداً إلّا من أذن له بولاية أمير المؤمنين، والأئمّة عليهم السلام من بعده، فهو العهد عند الله[2].

وفي الكافي[3]، والفقيه[4]، والتهذيب[5]، والقمّي: عنه، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحسن وصيّته عند موته كان نقصاً في مروّته قيل: يا رسول الله وكيف يوصى عند الموت؟ قال: إذا حضرته الوفاة وإجتمع النّاس إليه، قال: اللهّم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرّحمن الرّحيم إنّي أعهد إليك في دار الدّنيا أنّي أشهد أنّ لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النّار حق، وأنّ البعث حقّ، والحساب حق، والقدر حقّ، والميزان حقّ، وأنّ الدّين كما وصفت، وأنّ الإسلام كما شرعت، وأنّ القول كما حدثت، وأنّ القرآن كما أنزلت، وأنّك أنت الله الحقّ المبين، جزى الله محمّداً عنّا خير الجزاء، وحيّا الله محمّداً وآل محمّد بالسّلام، اللّهم يا عدّتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدّتي، ويا وليّ في نعمتي، إلهي وإله آبائي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، فإنّك إن تكلني إلى نفسي طرفة عين كنت أقرب من الشر وأبعد من الخير، فانس في القبر وحشتي، واجعل لي عهداً يوم ألقاك منشوراً، ثمّ يوصي بحاجته وتصديق هذه الوصيّة في

---

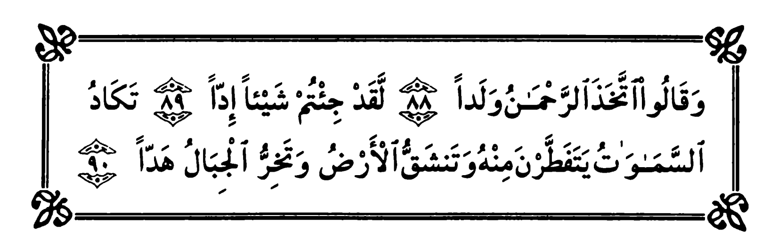
١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣١، قطعة من ح ٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٧، س ١.

٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢ ـ ٣، ح ١، باب الوصية وما أمر بها.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٣٨، ح ١/٤٨٢، باب ٨٦ ـ رسم الوصيّة.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٧٤، ح ١١/٧١١، باب ٦ ـ الوصية ووجوبها.



سورة مريم عليها السلام في قوله عزّوجلّ: «لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْداً» فهذا عهد الميّت والوصيّة حقّ على كلّ مسلم وحقّ عليه أن يحفظ هذه الوصيّة ويتعلّمها، وقال عليّ عليه السلام: علّمنيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: علّمنيها جبرئيل عليه السلام[1].

وفي الجوامع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال أصحابه ذات يوم: أيعجز أحدكم أن يتّخذ كلّ صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا: وكيف ذاك؟ قال: يقول: اللّهمّ فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إنّي أعهد إليك بأنّي أشهد أن لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك، وأنّك إن تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشرّ وتباعدني من الخير، وأنّي لا أثق إلّا برحمتك فأجعل لي عندك عهداً توفّنيه يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك: طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الّذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنّة[2].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَداً﴾: وقرئ ولداً وهو جمع ولد، القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: هذا حيث قالت قريش: إنّ لله عزّوجلّ ولداً وأنّ الملائكة اناث[3].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾: قال أي عظيما[4].

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾: وقرئ بالياء.

﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: وقرئ ينفطرن منه، قال: يعني ممّا قالوه وممّا رموه به[5].

﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً﴾: أي مهدودة مكسورة أو تهدّهدّاً أو تخرّ للهدّ ممّا قالوه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٥ ـ ٥٦. ٢ ـ جوامع الجامع: ج٢، ص ٤١٠، س١.

٣ و٤ و٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٧.

أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَداً ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْداً ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْداً ﴿٩٥﴾

﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً﴾: لا يليق به ولا يتطلب له لو طلب لإستحالته، فإنّ إنبغى مطاوع ليبغى.

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْداً﴾: يأوي إليه بالعبوديّة والإنقياد لا يدّعي لنفسه ما يدّعيه هؤلاء.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾: أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضته وقدرته.

﴿وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾: عدّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فإنّ كلّ شيءٍ عنده بمقدار.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْداً﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: واحداً واحداً[١].

قيل: لعلّ ترتيب الحكم بصفة الرّحمانيّة للإشعار بأنّ كلّ ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدئ النّعم كلّها ومولى أصولها وفروعها فكيف يمكن أن يتخّذه ولداً[٢].

القمّي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الشجر لم يزل حصيداً كلّه حتّى دعي للرّحمن ولد، أعزّ الرحمن وجلّ أن يكون له ولد، «تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً» فعند ذلك إقشعرّ الشجر وصار له شوك حذار أن ينزل به العذاب[٣].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٧، س١٠.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٣، س١٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٨٥ ـ ٨٦.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدّاً ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً ﴿٩٧﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدّاً﴾: سيحدث لهم في القلوب مودّة، القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال كان سبب نزول هذه الآية إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: قل: يا عليّ اللّهم اجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً فأنزل الله[1].

والعيّاشي: عنه عليه السلام دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في آخر صلاته رافعاً بها صوته يسمع النّاس يقول اللّهم هب لعليّ عليه السلام المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين، فأنزل الله «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» الآية[2].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام: هي الود الذي قال الله[3].

والقمّي: عنه عليه السلام مثله[4].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: قُل اللّهُم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً فقالها علي عليه السلام فنزلت هذه الآية[5].

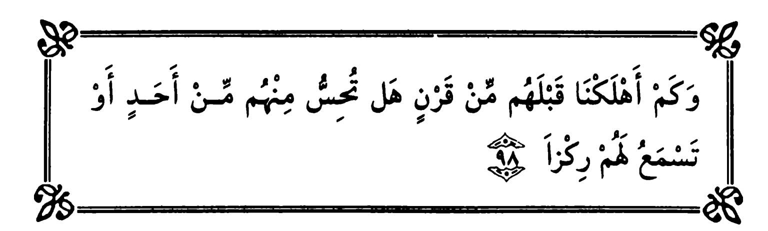
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾: بأن أنزلناه بلغتك.

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾: أشدّاء الخصومة، القمّي: عن الصّادق عليه السلام «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ» يعني القرآن «قَوْماً لُّدّاً» قال: أصحاب الكلام والخصومة[6].

وفي روضة الواعظين: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله في قوله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» قال: هو عليّ عليه السلام

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٦، س ١٥.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٤١ ـ ١٤٢، ح ١١.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣١، ح ٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٧، س ١١.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٦، س ٢٠.



«قَوْماً لُّدّاً»، قال: بني اُميّة قوماً ظلمة[1].

وفي الكافي[2]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّما يسّره الله على لسانه حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام علماً فبشّر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الّذين ذكرهم الله في كتابه «لُّدّاً» أي كفّاراً.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ قَرْنٍ﴾: تخويف للكفرة، وتجسير للرّسول على إنذارهم.

﴿هَل تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: هل تشعر بأحدٍ منهم وتراه.

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾: الرّكز: الصّوت الخفيّ. القمّي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: أهلك الله من الأمم ما لا تحصون فقال: يا محمّد «هَل تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً» أي ذكراً[3].

في ثواب الأعمال[4]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: من أدمن قراءة سورة مريم عليها السلام لم يمت حتّى يصيب ما يغنيه في نفسه وماله وولده، وكان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم على نبيّنا وآله وعليهما الصلاة والسلام، وأعطى من الأجر مثل ملك سليمان بن داود عليه السلام في الدنيا[5].

إلى هنا ينتهي الجزء الرابع حسب تجزئتنا، ويليه الجـزء الخـامس إن شـاء الله وأوّله سورة طه، وذلك في غرّة شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٧ هـ.

قم المقدّسة

السيد محسن الحسيني الأميني

---

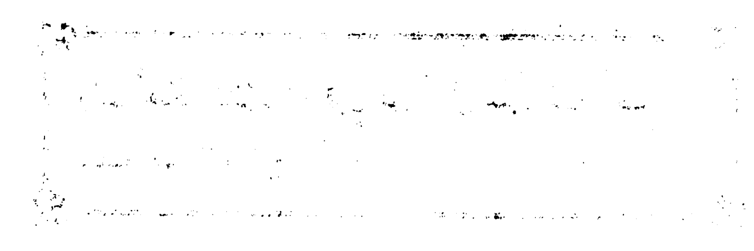
١ ـ روضة الواعظين: ص١٠٦، مجلس في ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٤٣١، قطعة من ج٩٠، باب نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٥٧، س١٦.

٤ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٨، ثواب قراءة سورة مريم.

٥ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٠٠، س١٠.



الفهرس

﴿ سورة هود ﴾
(١١)

« سورة يوسف »

(١٢)

« سورة الرعد »

(١٣)

« سورة إبراهيم »

(١٤)

« سورة الحجر »

(١٥)

« سورة النحل »

(١٦)

﴿ سورة الإسراء ﴾
(١٧)

« سورة الكهف »

(١٨)

﴿ سورة مريم ﴾
(١٩)

مصادر التحقيق

١ ـ الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس ـ إيران.

٢ ـ إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٤ ـ أسرار الصلاة: للشهيد قدّس سرّه.

٥ ـ الإعتقادات في دين الإماميّة: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران ـ قم.

٦ ـ اعلام الورى لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران ـ قم.

٧ ـ اقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٨ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

٩ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران ـ قم.

١٠ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البيضاوي، أُفست إيران.

١١ ـ بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

١٢ ـ البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران ـ قم.

١٣ ـ بصائر الدرجات: للشيخ محمّد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران ـ طهران.

١٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.

١٥ ـ التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦ ـ تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.

١٧ ـ تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران ـ قم.

١٩ ـ تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٢٠ ـ تفسير روح البيان: للعلّامة الشيخ إسماعيل حقي، طبع بيروت.

٢١ ـ تفسير روح المعاني: للعلّامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراب العربي، بيروت.

٢٢ ـ تفسير العياشي: لمحمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي، منشورات المكتبة العلميّة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٢٣ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلّامة حسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٢٤ ـ تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمّد كاظم، إيران.

٢٥ ـ تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.

٢٦ ـ تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران ـ قم.

٢٧ ـ تفسير القمّي: لعلي بن إبراهيم القمّي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٢٨ ـ تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيران ـ قم.

٢٩ ـ تفسير الكبير المسمّى البحر المحيط: لأبي حيّان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٠ ـ التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٣١ ـ تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٣٢ ـ ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٣٣ ـ جامع الأُصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٤ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٣٥ ـ الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٣٦ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٧ ـ جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران ـ طهران.

٣٨ ـ الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام إيران ـ قم.

٣٩ ـ الخصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٤٠ ـ الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم.

٤١ ـ ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٤٢ ـ الذريعة: للشيخ أغا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٣ ـ روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران ـ قم.

٤٤ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٤٥ ـ سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة.

٤٦ ـ سنن الترمذي: لمحمّد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٤٧ ـ سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٤٨ ـ شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ـ طهران.

٤٩ ـ الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.

٥٠ ـ صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت.

٥١ ـ الصحيفة الكاملة السجاديّة: لزين العابدين وسيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٥٢ ـ عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.

٥٣ ـ علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٤ ـ عوالي اللآلي العزيزيّة: لابن أبي جمهور، منشورات العراقي ـ إيران.

٥٥ ـ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران ـ طهران.

٥٦ ـ كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران ـ قم.

٥٧ ـ كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمّد بن إسحاق المعروف بالنديم.

٥٨ ـ القاموس المحيط: للشيخ الفيروزآبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٥٩ ـ الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٦٠ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.

٦١ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: للعلّامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان.

٦٢ ـ كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٦٣ ـ كنز العمال: للعلّامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.

٦٤ ـ لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٥ ـ مجازات النبويّة: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصيرتي، إيران ـ قم.

٦٦ ـ مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضويّة، إيران ـ قم.

٦٧ ـ مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٨ ـ المجموع شرح المهذب: للإمام النوري، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٦٩ ـ محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران ـ قم.

٧٠ ـ المحاسن: لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إيران ـ قم.

٧١ ـ مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران ـ قم.

٧٢ ـ مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.

٧٣ ـ مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٧٤ ـ مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري، إيران.

٧٥ ـ المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٧٦ ـ معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٧٧ ـ معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٨ ـ مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.

٧٩ ـ مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب

المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران ـ قم.

٨٠ ـ من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٨١ ـ الميزان في تفسير القرآن: للعلّامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران ـ قم.

٨٢ ـ نور الثقلين: للعلّامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلميّة إسماعيليان، إيران ـ قم.

٨٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلاميّة، بيروت.

٨٤ ـ نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٨٥ ـ الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان ـ إيران.

٨٦ ـ وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.